

السنة ٢٨ • ذوالحجة ١٣٩٠ • فبراير ١٩٧١

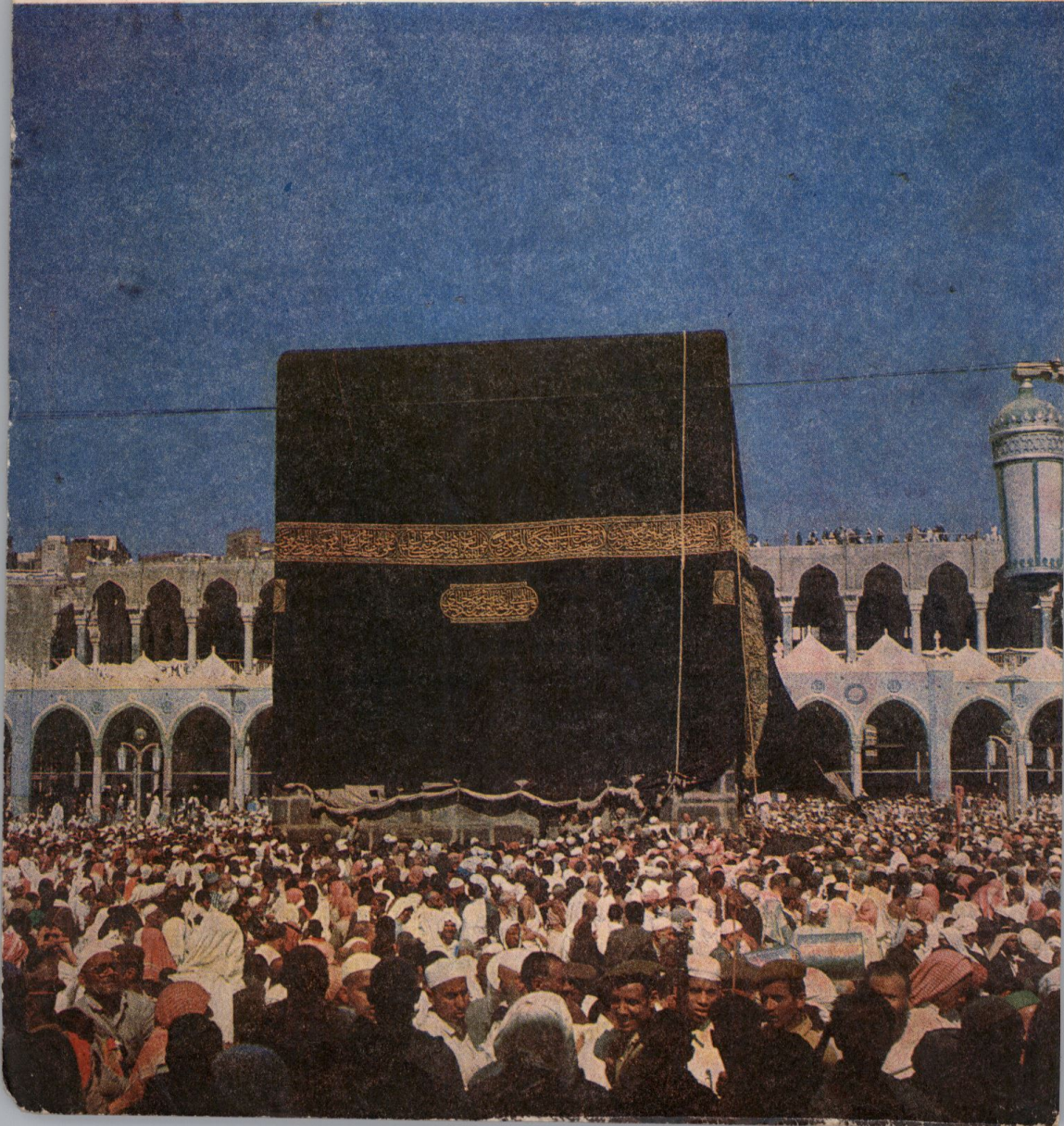
العدد ١٢

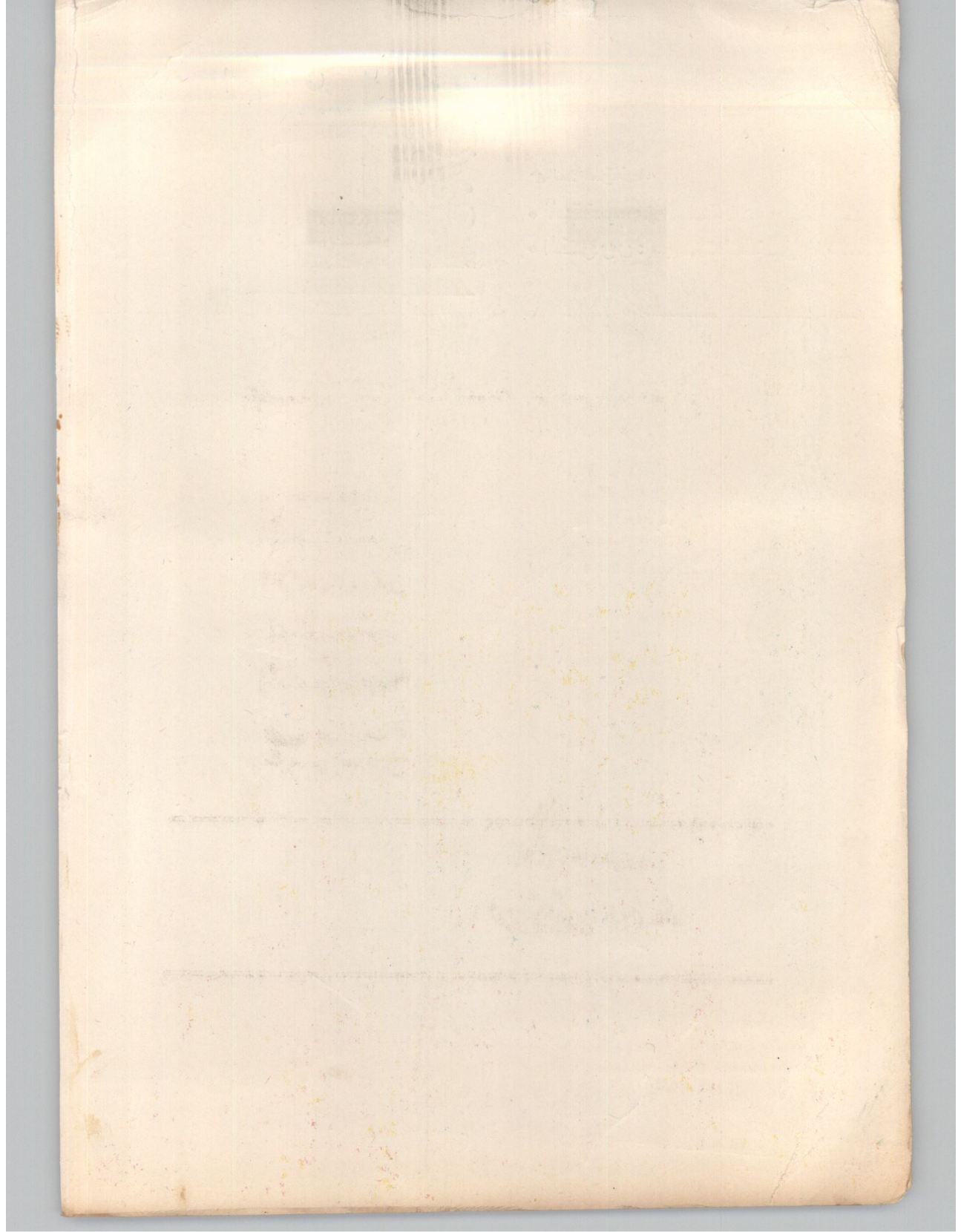
منابر الإسلام

مع العدد هديتان:

- المنتخب من السنة النبوية الشريفة
- القردوس : مجلة الطفل المسلم

الشمس ١٠ قرش





منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها

المجلس

الأعلى

للشؤون

الإسلامية

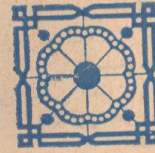
فاغرة كل

شهر عربي

العدد الثامن عشر - السنة ٢٨ - ذو الحجة ١٣٩٠

رئيس التحرير

محمد توفيق عورفة



من محتويات العدد

- معالم الطريق .. نص خطاب السيد الرئيس انور السادات بطنطا في ١٩٧١/١/٥ .
- نص خطاب السيد الرئيس انور السادات في اسوان في ١٩٧١/١/١٥ .
- حديث السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية الى منبر الاسلام .
- حديث مع السيد يوسف رسول ابو بكر سفير الفلبين بالقاهرة .
- سورة الليل ومشكلة القضاء والقدر
- الاستاذ احمد حسين
- انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
- « عود على بدء »
- فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى
- معاني السماء في القرآن الكريم
- الدكتور احمد الحوفي
- من احكام الشريعة الاسلامية وآدابها
- فضيلة الشيخ محمد خاطر
- الاستاذ احمد زين
- الطريق الى الله
- الحج في الاسلام
- حديث الى وقد الله
- فضيلة الشيخ معوض عوض ابراهيم
- الدكتور مصطفى الرفاعي
- من وحى عرفه
- فضيلة الشيخ عبد الحميد بليغ
- الايام العشرة
- العيد الاكبر
- فضيلة الشيخ السيد خليل الجراحي
- صورة من التعاطف بين الاسلام والمسيحية
- الاستاذ مهدي عبد الحميد مصطفى
- حول مشكلة الاستشراق
- الاستاذ محمد دياب
- السنة كمصدر من مصادر التشريع
- الاستاذ عبد المنعم المغربي
- الصبر بين فضائل الانسان
- الدكتور بدوي طبانة
- انماط من السلف الصالح
- الشيخ مصطفى الحديدي
- دقة التشبيه في البيان النبوي
- الدكتور عز الدين علي السيد
- المقال والمقام
- تطور العماثر الدينية بتطور وظائفها
- الدكتور تمام حسان
- الدكتور سماد ماهر
- البستان وضيوفه الثلاثة « قصة العدد »
- الشيخ الصاوي شعلان

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ
وَجْهِكَ فِي
السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ
وَتَجِدَنَّ رِضَاَهَا
قَوْلٌ وَجْهِكَ شَطْرَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ .

صدق الله العظيم

الاشتراكات عن سنة

١٠٠ قرش في الجمهورية العربية المتحدة

٨٠ قرشا للعمال والطلبة

يضاف الى هذا قيمة البريد

فأرجى الجمهورية العربية المتحدة

وما يساوي قيمة هذه العملة

في البلاد الأخرى

تقبل كوبونات البريد الدولي ذات الترخين

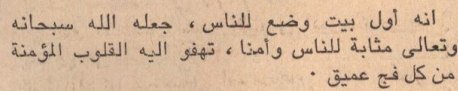
الاشتراكات تدفع مقدما

العنوان

٣ شارع الأمير قبادار المتفرع من

شارع التحرير خلف عمارة بحري القاهرة

ت ٢٨١٥٦



وحجاج هذا البيت وعماره هم وفد اللّٰه وضيوفه
المباركون يرجعون منه مغفورا لهم . طاهرين مبرئين
من ذنوبهم كما يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « الحجاج والعمار وفد الله . اذا دعوه
لباهم ، واذا استغفروهم غفر لهم » .

أَفْنَدَ مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ • وَارْزَقَهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ •

ولما شربت هاجر ودفعت غائلة الظما عن وليدها
قال لها الملك الذي فجر العين : لاتخافى الضيعة فان
ها هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله
لايضيع اهلـه .

ويرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل يعاونه
قائلين : « ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا
واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا
مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم » .

وقد ابتدأ إبراهيم البناء واقفا على الأرض ، فلما ارتفع البناء لم يستطع رفع الحجارة فوضع حجرا كبيرا يقف عليه حتى يرتفع الى مستوى البناء .

فقال بعضهم : ان البناء الاصلى نزل من الجنة ، ولم يبق من أحجارها فيه الا الحجر الاسود .
وقيل : حينما نزل آدم عليه السلام عند الكعبة أمره الله عز وجل بالطواف حولها مهللاً مسبحاً لله عز وجل كما تفعل الملائكة حول البيت المعمور ، فلما حج وطاف حولها لأول مرة نزلت به الملائكة وقالت له : برحمتك يا آدم ، فليد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام .
وتمضى الاحقاب والسنوات حتى شاء الله لهذه المنطقة المباركة ان تعمّر وليبته ان يعلى ، ولبقاع الخير ان تشرق منها الانوار فتعمّر الدنيا من اقاصها الى اقاصها .
فذهب ابراهيم عليه السلام بوليده اسماعيل الذى يحمل انوار سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هذه المنطقة لينشأ هناك عند البيت الحرام وذلك بأمر من الله عز وجل لمهجد له من قول السيدة هاجر حينما تركها ابراهيم ومعها الوليد الصغير وهم بالعودة الى موطنه ، وتركتهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء .
فقالته : يا ابراهيم أين تذهب وتركننا بهذا الوادى الذى ليس به انس ولا شئ . . . قالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت اليها .
فقالته له : الله امرك بهذا ؟ قال : نعم . . . قالت : اذن لاضيعنا .
وانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه . استقبل بوجهه البيت ثم رفع يديه الى السماء قائلاً « ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِنِّ أَوَّلَ بَنِيَّ وَضَعْتُ لِلنَّاسِ
 لَلدِّينِ بِبَيْتِكَ مُبَارَكًا
 وَهَذَا لَعَلَّاهُ يَتَذَكَّرُ
 صِدْقُ إِسْرَافِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ثم حدثت تجديدات أخرى كان أهمها ما حدث في عهد السلطان قايتباي من عمارة للمسجد سنة ٨٨٢ هـ

ثم عمارة السلطان محمد رشاد خان الذي بدأت عام ١٢٣٤ هـ على اثر سيل عظيم طغى على المسجد وقد توقف العمل في هذه العمارة بعد ان اعلن الشريف حسين بن علي استقلاله بالحجاز بسبب الحرب التي وقعت بينه وبين الاتراك . ثم اتمها بعد انتهاء الحرب .

وبدأت عمارة اخرى بالمسجد في عهد آل سعود سنة ١٣٤٤ هـ حتى عام ١٣٥٤ هـ نظم فيها المسجد تنظيما جميلا واتسعت ارجاؤه .

ثم حظى المسجد بمشروع يعتبر اضخم المشاريع التي مر بها في تاريخه الطويل تضمنت اضافات خارجية تبلغ سبعين الف متر مربع بحيث يتسع لنحو نصف مليون من المصلين . كما شمل بناء طابق علوى خصص جانب منه للسيدات كما يضم ايضا المسعى .

ولقد كرم الله البيت وجعل له حدودا تحده من مختلف جوانبه ونواحيه - تكريما له - لا يتجاوزها الا المسلم .

فمن الشرق (الجعرانة وتبعد عن مكة ١٢ كم ومن الشمال الشرقى وادى نخلة ويبعد ١٤ كم وتقع (أحناء) في حدها الجنوبي ويفصلها عن مكة ١٢ كم . أما شمال مكة فحد الحرم (التنعيم) وبينه وبين مكة ٦ كم . والحد الخامس (الشميس) بالقرب من الحديدية .

ولقد كرم الله بيته وضاعف فيه المثوبة . فالحسنة الواحدة فيه بمائة الف حسنة ، والصلاة فيه بمائة الف صلاة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام : « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة » .

وسيرا مع رحلة الطهر والغفران حيث عرفقات والمشعر الحرام يتلقى المسلمون خير ربهيم الذي طاب ، ونعمته التي اتمها عليهم . . عن انس رضى الله عنه انه قال : وقف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفات وقد كادت الشمس ان تثوب فقال : يا بلال انصت لى الناس . فقال بلال : انصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنصت الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا معشر المسلمين اتانى جبريل آنفا فاقترانى السلام واخبرنى ان الله عز وجل غفر لاهل عرفات ولاهل المشعر الحرام وتلقى عنهم التبعات . قال عمر : أهذا لنا خاصة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هذا لكم ولمن يأتى بعدكم الى يوم القيامة . فقال عمر رضى الله عنه : كثر خير الله وطاب .

وموضع وقوف ابراهيم هذا هو ما يسمى بمقام ابراهيم - أى المكان الذى كان يقوم عليه وقت البناء . ولما انتهى ابراهيم من بناء البيت نظر الى السماء قائلا : « يارب قد فرغت » فأمره الله تعالى ان يؤذن فى الناس بالحج . فقال : يارب وما يبلغ صوتى ؟ فقال له الله عز وجل : انما عليك الاذان وعلينا البلاغ .

فصعد ابراهيم فوق جبل أبى قبيس ونادى بأعلى صوته : أيها الناس حجوا قبل ألا تحجوا فجاوبه من الارحام والاصلاب كل من قدر له الحج : بلبك اللهم لبك : فليس حاج يحج من يومئذ الى ان تقوم الساعة الا قد اجاب دعوة ابراهيم من وراء القيب البعيد . وقبيل بعثة النبي صلوات الله وسلامه عليه اصاب السيل منطقة البيت فتصدع جدران الكعبة فقامت قريش بإعادة البناء . ولكن على هيئته الاولى . واشترك الاشراف من قريش فى حمل الاحجار .

ولما تم البناء ثمانى عشرة ذراعا وارادوا وضع الحجر الاسود . . دب الخلاف بينهم . . كل منهم يريد أن يحظى بهذا الشرف فحكموا أول داخل . . فكان الصادق الامين صلى الله عليه وسلم قبسط رداءه وأمر كل قبيلة ان تأخذ بطرف ورفعوه حتى انتهى الى موضعه فأخذه الرسول ووضع فيه . وظل البيت يحظى بالعناية والتقدير والحب من كل قبائل العرب قبل الاسلام وبعده .

وفى عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأبى بكر رضى الله عنه اتخذ المسلمون مكان المطاف مسجدا .

وفى عهد عمر رضى الله عنه ضاق المسجد بالمسلمين فوسع عمر رقبته وادخل البيوت المحيطة به ضمن مساحة المسجد ، واقام حوله سورا به عدة أبواب .

وجاء عثمان رضوان الله عليه وفعل مثل هذا . وظل المسجد هكذا حتى جاء عبد الله بن الزبير فزاد فيه زيادة كبيرة سنة ٦٦ هـ ثم عبد الملك بن مروان فأحدث فيه تجديدا اذ رفع جدرانه وزين رأس كل اسطوانة بخمسين مثقالا من الذهب .

معالم الطريق



نص خطاب السيد الرئيس أنور السادات بطنطا في ٤ يناير ١٩٧١

وصل الرئيس أنور السادات الى طنطا في الساعة
الحادية عشرة من صباح ٤ يناير ١٩٧١ .

وتوجه الرئيس فور وصوله الى مسجد السيد أحمد
البدوي .

وعلى باب المسجد تقدم طفل بباقة من الزهور
للرئيس . ثم ادى الرئيس ركعتين تحية للمسجد ،
وزار اضرحة السيد البدوي والسيد مجاهد والسيد
عبد العال .

وبعد انتهاء الزيارة التي استغرقت نحو نصف
ساعة ، تحرك الراكب الى الاستاد الرياضي ، وسط
عشرات الالاف الذين قدموا من كل مكان لتحية

الرئيس يقول

- الحرب القادمة شاملة ..
وليس أمامنا إلا دغولنا ..
ورفع أي حمت تطليه !
- لا نريد الحرب .. ولكننا نريد
تحرير أرضينا فقط ...



خليفة السيد البدوي يقدم مسحة السيد البدوي مع التهانم المكتوبة بخطه حيث زار الرئيس متحف ومخلفات السيد البدوي ويضم عصاه ومشطين لتشطيت شعره والمسحة وتضم ١٠٠٠ حبة .

على مواجهة الامتحان الكبير الذي يفرض نفسه على شعبنا وعلى امتنا .
اننى لم آجىء اليكم ايها الاخوة لاقوم بحملة توعية . ذلك أن الكفاح كله كفاح الشعب وهذا الشعب هو قائده وموجهه . . . ولم آجىء اليكم ايها الاخوة ضمن حملة تعبئة شاملة لجماهيرنا وذلك لان جماهيرنا معبأة بالكامل .
ان الشعب لايحتاج الى توعية او تعبئة فهو مشبع بالالم . والانسان يشعر بالالم لاحتلال الارض . ولايحتاج شعبنا الى توعية او تعبئة لان شعبنا هو أبو التاريخ ومحرك التاريخ وصانع التاريخ .
لم آجىء ايها الاخوة لكي اتقول للشعب وانما لكي أسمع منه .
لم آجىء هنا لاختار الشعب بقرار جاهز اتخذناه فيما سوف يقابلنا ولكن لاستلهم من هذا الشعب هذا

الرئيس ورفعوا شعارات « لتكن آلامنا طاقة ابداع واندفاع » وسنحرر الارض ولو كان على كل شبر شهيد ! .

وفي الحادية عشرة و٤٠ دقيقة وصل الرئيس الى السرايق الكبير بالاستاد حيث استقبله ٢٠ ألفا من القيادات السياسية يمثلون ١٦ محافظة بالوجه البحري وسيئات ، بالهتاف . وبدأ المؤتمر بقلادة آي الذكر الحكيم .

وفيما يلي نص خطاب السيد الرئيس :

ايها الاخوة المواطنون

ان حشد القيادات السياسية الموجود في هذا الاجتماع الذي نشترك فيه اليوم هو قوة هائلة في تمثيلها لجماهير شعبنا العاملة المؤمنة الصابرة المناضلة القادرة بعملها وايمانها وصبرها ونضالها

القرار . ذلك أيها الاخوة لان مقياس قدرتنا هو تصميم هذا الشعب ومقياس طاقتنا هو ارادة هذا الشعب .

ومضى الرئيس قائلا : أيها الاخوة كان جمال يقول ان الشعب هو القائد والمعلم . ولم يكن هذا واضحا أمامي بكل الذي أتمثله الان الا بعد أن وضعتني الظروف في موضع المسؤولية من بعده وكنت اشعر بذلك ولكن المسألة الان تتعدى الاحساس بالمشاعر الى التجربة العملية من واقع المسؤولية .

اليقين الكامل من ارادة الشعب

وقال الرئيس : ان التجربة العملية تقول انه لا يستطيع اي قائد او قيادة ان تقرر وتكون على ثقة من القرار مهما كانت الخطورة فيه الا على اشتراط واحد وهو اليقين الكامل من ارادة الشعب .

أيها الاخوة .

بهذا يستطيع القائد وتستطيع القيادة اتخاذ القرار . والمسئولية في هذا تكبر وتتزايد بطبيعة الحرب الشاملة .

ان الحرب الشاملة ليست جيشا يقابل جيشا آخر . وليست جبهة قتال تواجه جبهة أخرى . الحرب الشاملة حرب في كل مكان . والسلاح في الحرب الشاملة لا يقتصر على المدفع والبنشينة والغواصة والطائرة وغير هذا ، ولكنه يمتد أيضا الى الآلة في المصنع والى المحراث في الحقل ، والى السلوك الانساني نفسه بل والى المشاعر الداخلية في كل بيت . هي حرب الوطن كله . هي حرب الشعب كله وبالتالي فان التعرض للخطر في كل مكان . والتعرض للخطر موجه لكل انسان . لهذا فان الامر النهائي يبقى في يد الشعب لان الارض أرضه والحرية حريته والارادة ارادته والقتال قتاله . والنصر باذن الله انتصاره .

جئت اليكم أسمع

لهذا أيها الاخوة جئت اليكم لكي أسمع ولكي أحس ولكي أتزود بالطاقة والامل . . في نفس الوقت أريد أن تكونوا على بينة بكل ما حدث . . وهنا كما عودنا جبال فالشعب هو صاحب المسؤولية . الشعب هو القائد ولا بد أن نضع الحقائق كاملة أمام الشعب .

عودة الى ما حدث

وقال الرئيس السادات : في هذا البلد . . في طنطا وفي سنة ١٩٦٩ شرفني جمال بأن أتى اليكم وبأن أشرح لكم مرحلة سنة ١٩٧٠ . أهداف العدو وأهدافنا . خطة العدو وخطينا . والتقينا هنا في طنطا مع قيادات الوجه البحري كله وتحدثنا في تلك الايام وحدث ما توقعناه في عام ١٩٧٠ . حاول العدو الاسرائيلي ومن وراءه امريكا . حاولوا أن يجعلوا من السنة شهور الاولى لسنة ٧٠ سنة الانتصار بالنسبة لاسرائيل وبالنسبة لامريكا في حسم المعركة عن طريق تفوق الطيران . . وبدأوا معركة الطيران وكلنا نذكر الاجتماع الذي دعا اليه الرئيس جمال في أواخر ٦٩ وحضره كل السياسيين والعسكريين وانتهى الى أن

عودنا سيجاول عن طريق تفوقه في الطيران أن يضرب الجبهة الداخلية .

٢٦٤ طائرة في يوم

ولم يمر وقت طويل . ففي ٢٥ ديسمبر ١٩٦٩ والرئيس في الرباط بالمغرب لم تنتقل اسرائيل بداية ١٩٧٠ وبدأت تهاجمنا بسلاح الطيران وبدأوا يهاجمونا بـ ٢٦٤ طائرة في هذا اليوم ٢٥ ديسمبر . من ٨ صباحا الى ٤٣٠ حتى المغرب بينما في يونيو ٦٧ ايام العدوان استخدموا ٢٢٠ طائرة . في ٢٥ ديسمبر ألغوا آلاف الاطنان من القنابل في مواقعنا في القنال بهدف اظهار تفوقهم في الجو حتى يكسروا الروح المعنوية لقواتنا على خط القتال تمهيدا للانتقال الى الجبهة الداخلية . الى الشعب بعد ما يكسرون الجبهة العسكرية .

وشرح الرئيس السادات خطة العدو في تلك المرحلة فقال : لقد بناوا خطتهم على كلمة لم يخفوها . ففي ٢١ ديسمبر عام ٦٩ وقف رئيس الاركاب الاسرائيلي حاييم بارليف ليقول ان اسرائيل في حرب ٦٧ استطاعت أن تحطم القوة العسكرية للجيش العربي ولكنها لم تستطع أن تحقق اهدافها .

لماذا لم تحقق اسرائيل اهدافها ؟ ان الشعب هو الذي قاوم وقام يومى ٩ و ١٠ يونيو . وقال الشعب لنستمر . وفرض على جمال أن يبقى في مكانه لقيادة المعركة .

وفي عام ٧٠ قال بارليف انه لا بد من ضرب مقاومة الشعوب العربية من الداخل لتحقيق الاهداف السياسية لاسرائيل وقد رد عليه الرئيس جمال رحمه الله في ذلك الوقت باستاد الخرطوم أثناء احتفالات عيد استقلال السودان في أول يناير ٧٠ .

قواتنا تكتب صفحات بطولة

وقال الرئيس السادات : مع بداية ٧٠ بدأت معركة الطيران تأخذ شكلا ثانيا وأنا اذكر في ذلك اليوم ٢٥ ديسمبر أن ابنائنا على الجبهة كتبوا أروع وأمجد آيات البطولة . . ثمانى ساعات ونصف ساعة وقواتنا تحت الغارات . . ٢٦٤ طائرة تناوب الضرب علينا ولم يترك أحد موقعه .

ومضى الرئيس السادات قائلا : بل الاكثر من هذا انه عندما انتهت الغارات وبلغوني حيث كان الرئيس في الرباط أعطيت أمرا الى بطاريات الصواريخ لتغيير أماكنها حيث كانت هناك اطنان من القنابل الزمنية التي لم يبطل مفعولها بعد ما زالت مرماة حولها .

وقبل ظهور أول ضوء ليوم ٢٦ ديسمبر كانت جميع بطاريات الصواريخ قد تغيرت أماكنها . . وبذل أينأونا جهدا فوق طاقة البشر وكتب ابنأونا صفحات بطولة وسياتي اليوم الذى سنتحدث فيه عن ذلك بالتفصيل .

ولما عاد الرئيس جمال وبدأت المعركة تأخذ شكلا آخر وتركوا الخط الاول وبدأوا على الخط الثانى . . النل الكبير . . انشاص . . وادى خوف . . وحلوان وأثاروا دعايات بأنهم ضربوا على بعد خمسة

الرئيس السادات
يفادر ضريح السيد
احمد البدوي بعد ان
قرا الفاتحة . وقد زار
مسجده قبل بدء المؤتمر
الشعبي الكبير في طنطا



ولقد ازددنا عنادا وازددنا كراهية وتمسكا
بمعركتنا . وقال الرئيس جمال رحمه الله ان ابو
زعبل مقدمة لشيء أبعد في الستة اشهر القادمة .
وبالرغم من انه كان مصابا بالانفلونزا وكانت درجة
الحرارة في موسكو ٢٠ درجة أو ٢٥ تحت الصفر فانه
سافر الى موسكو في ٢٢ يناير في رحلته السرية .

وسيأتي اليوم الذي أضع فيه امامكم تاريخ هذه
الرحلة والايام الخمسة التي قضاها هناك لانها ملك
للشعب .

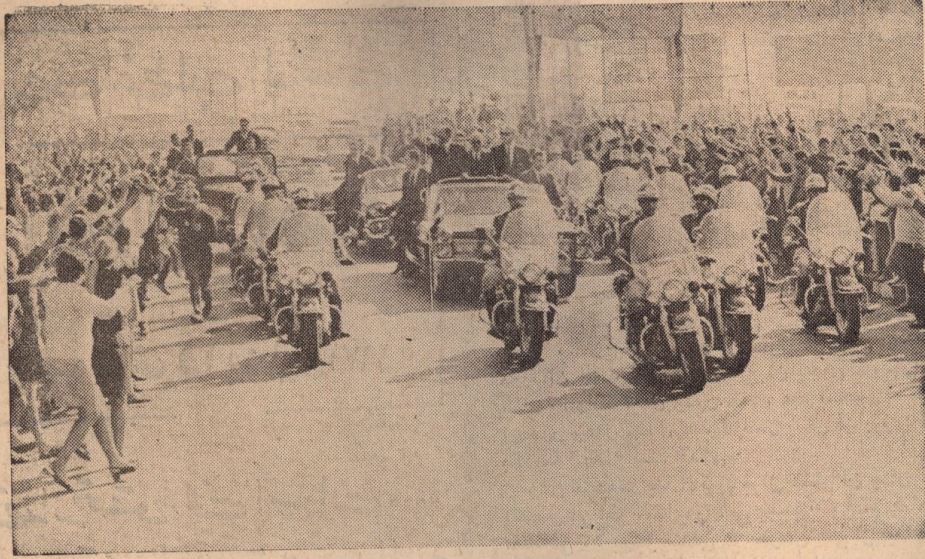
وفي اليوم الذي وصل فيه الرئيس جمال الى
موسكو وقع الضرب في شدون . وضرب أبنائنا في
البحرية والجيش والطيران اروع مثل في معركة
شدون وسيأتي اليوم أيضا الذي أضع فيه تفاصيله
امامكم .

وعاد الرئيس جمال رحمه الله من موسكو بعد أن
اتفق مع أصدقائنا السوفيت على الصواريخ الجديدة
لحماية أهدافنا الحيوية وعمق الجبهة الداخلية .

كيلومترات من القاهرة وعشرة كيلومترات من القاهرة
وآثاروا حريا نفسية بادعائهم أن سماء مصر أصبحت
مفتوحة ومعناها أيها المصريون أريحوا أنفسكم .
ولما لم يجدوا نتيجة للضرب على الخط الاول وعلى
الخط الثاني كما رأى المراسلون الاجانب بانفسهم .
دخلوا المرحلة الثالثة على مصنع ابو زعبل وكان
المقصود من ذلك اختيار منشأة مدنية فيها تجمع كبير
بقصد احداث خسائر كبيرة لجعل الروح المعنوية في
الشعب تهتز لنيل كما تصور بارليف ومن ثم يمكن
ان يحققوا النصر بعد ذلك .

أرادوا اربابنا فزدنا تصميمنا

انهم عندما ضربوا مصنع ابو زعبل كان مفروضا
ان تتأخر الضربة لمدة خمس دقائق انتظارا لقطار
غيار وردية العمال . وكانوا يهدفون بذلك الى قتل
٨٠٠ من عمال المصنع بدلا من ٨٠ . وقد انقلب
العالم كله عليهم وبدلا من أن يخاف شعبنا ازداد
صلابة وایمانا وكراهية للذين يوردون الطائرات
والطيارين والقنابل وهي من صنع أمريكا .



موكب الرئيس انور السادات عند وصوله الى طنطا - محاطا بجماهير الشعب - التي قال الرئيس في خطابه انه جاء اليها لكي يستلهم منها قراراته .

ملحمة بطولية الصواريخ

وبعد أن وصل الرئيس في أواخر يناير بدأت ملحمة بطولية ليست من قواتنا المسلحة فحسب ولكن أيضا من المهندسين والعمال المصريين .. عمال مصر الذين بنوا الهرم والفلاحين الثرغاء البسطاء .

ان مهندسينا وعمالنا وأجهزتنا كانت تعمل لمدة ٤٠ يوما وكنا ننفق مليون جنيه يوميا على مبانى قواعد الصواريخ بأيدٍ مصرية وتصميم مصرى ومهندسين مصريين كائى دولة كبرى تنجز عملا يحتاج الى سنين .

وكان أصدقائنا السوفيت عند كلمتهم .. وكان واضحا مثلما قلت لكم أن الرئيس جمال رغم أصابته بالانفلونزا ودرجة الحرارة ٢٥ تحت الصفر فى موسكو كان يشعر بخطورة المعركة . وبعد ضرب مصنع أبو زعبل وهو من أهدافنا الحيوية . كان يشعر بأنه سيأتى اليوم الذى يضربون فيه منشأتنا الحيوية الأخرى لضرب جبهتنا الداخلية لكن الرئيس جمال كان يعرف شعبه جيدا ويريد المحافظة على كل ما بناه عمالنا ومهندسون لانها ثروة قومية .. وكان الحفاظ عليها اهم من كل شيء .

وكان أصدقائنا السوفيت عند كلمتهم .. وفور انتهاء تشييد مواقع للصواريخ كانت الصواريخ الجاهزة تحتل مواقعها فوراً .

حلال لهم حرام علينا :

اننى أقول أن الحقائق لابد ان تكون أمام الشعب بصراحة .

وحين تحدث الرئيس رحمه الله عن الصواريخ الجديدة كان أولادنا يحتاجون لشمانية أشهر للتدريب فى الاتحاد السوفيتى فهل يا ترى نترك البلد هكذا والعدو يريد ستة أشهر حتى منتصف عام ١٩٧٠ . يكونوا سرحوا على مؤسساتنا ومنشأتنا داخل عمق الجمهورية . فطلب الرئيس الصواريخ بالخبراء ووافق الاصدقاء السوفيت .

ويأتى الامريكان ليقولوا فى دعاياتهم . الوجود السوفيتى والاحتلال السوفيتى ... هل أترك أهدافى تضرب فى الوقت الذى يأتى فيه الاصدقاء ليدافعوا معى .. ولكن عندما كان تشرشل رئيس وزراء بريطانيا وروزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية اثناء الحرب العالمية الثانية يجرون الى موسكو ويرجون ستالين لم يكن هذا عيبا . وعندما نستعين بأناس لى اذافع عن بلدى أكون قد أتيت منكرا . وعندما يعملون هم فعملهم هذا حلال وكانهم أوصياء علينا احنا خلصنا بن الوصاية من سنة ٥٢ . خلاص محدش وصى علينا .

البقية صفحة ١١٩

نص خطاب الرئيس

أنور السادات

بأسوان في ١٥ يناير ١٩٧١

انتصار تحقق في أسوان
وانتصار آخر لابد أن يتحقق على الجبهة

في ختام اليوم المجيد الذي عاشته أسوان في الخامس عشر من يناير ، وهي تحتفل باتمام بناء السد العالي : مع ذكرى مولد القائد الخالد جمال عبد الناصر قال الرئيس أنور السادات : أننا نشهد الآن انتصارنا في معركة ، وعدنا نقف على أبواب تحدٍ آخر ، حيث ينتظرنا انتصار جديد ، لا يبدل عن حقيقة .

وكان الرئيس السادات يتحدث في مؤتمر شعبي ضخم ، أقيم باستاد أسوان في مناسبة الحدث التاريخي الكبير ، وتكلم في المؤتمر أيضا الرئيس نيقولاى بودجورنى ، الذى أعاد تأكيد موقف الاتحاد السوفيتي المؤيد للحقوق العربية المقتضية ، وأعلن أن الحكومة السوفيتية قررت المساهمة في مشروع كهربة الريف المصري .

وفي المؤتمر الشعبى الكبير الذى أقيم في استاد أسوان ، ألقى الرئيس أنور السادات خطابه الهام ، وهذا نصه :

باسم الله ..

قبل أن أبدأ حديثى - أيها الاخوة - لابد لى أن أتوجه الى الاخ والصديق الرئيس بودجورنى بخالص الشكر والعرفان على قرار الحكومة السوفيتية بكهربة الريف المصري ..

ان هذا القرار يسجله شعبنا مع قرارات عرفناها فى ساعة الظلام . واليوم ونحن نبني بلدنا بمد الاتحاد السوفيتي المساعدة ليس فقط فى ساعات الظلام والشدة وانما لى نبني بلدنا وننير قرانا لى تطور مجتمعنا فى ساعات الشدة وفى ساعات

الرخاء لن ننسى للاتحاد السوفيتي أبدا هجته القرارات وباسمكم أقول لهم ستكون دائما الاصدقاء الاوفياء الاقوياء ..

أيها الاخوة

لا يسعنى أن أبدأ هذا الحديث من هذا الموقع .. فى هذه المناسبة .. الا بذكر انسان عظيم كان له الفضل الاول والاكبر فى بلوغ الهدف وتحقيق الحلم ..

ان جمال عبد الناصر وسد أسوان العالى كلاهما رمز عظيم ..

الاول - جمال عبد الناصر - رمز للامة ..

والثانى - السد العالى - رمز لطاقة هذه الامة .. ولقد امتزج كلاهما بالآخر الى درجة يمكن أن نقول معها ان السد العالى يستطيع ان يحكى كل جوانب القصة الهائلة لعمل ودور جمال عبد الناصر .. كما ان دور وعمل جمال عبد الناصر يمكن أن يروى كله بالقصة الهائلة للسد العالى .

ومن عجب - أيها الاخوة - أن نتذكر ان جمال عبد الناصر فى آخر خطاب رسمي وشعبي له أمام جماهير أمتنا فى ٢٣ يوليو الماضى .. حرص على أن يبدأ ذلك الخطاب .. وبطريقة لافتة للنظر الان .. برسالة جاءت من وزير السد العالى يخطر فيها بأن السد قد تم بناؤه ..

كأنه كان يريد أن يقول لنا : ان الامل تحقق ..

كأنه كان يريد أن يقول لنا : ان الطريق واضح ..

وان نلتقى اليوم هنا بعد رحيل القائد الخالد لنحتفل مع أعز الاصدقاء بتمام وكمال هذا البناء الانشائى الكبير .. فان هناك معان لا يمكن أن تغيب عنا ..

أمامنا هنا الحياة التى ظلت أحقابا طويلة .. وقرونا طويلة .. تنتظر ارادة التغيير كان هذا هو الحلم ..

أمامنا هنا سيرة البطل الذى استطاع أن يحمل فى صدره آمال أمته المكبوتة ثم يفجرها فى دعوة للثورة ..

أمامنا هنا انجاز عظيم قام به شعب أصيل .. ولم يكن هناك غير شعب أصيل يتحمل مثله هذه المسؤولية الكبرى .. شعب أصيل حافظ على آماله عبر العصور .. ثم استجاب لقيادته الوطنية فى لحظة حاسمة من تاريخ النضال يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ..

باختصار أمامنا هنا أيها الاخوة .. الحلم .. والقائد .. والعمل ..

أو بتعبير آخر .. أمامنا هنا أيها الاخوة .. المبدأ .. والثورة .. والشعب .. وهناك معان أخرى - أيها الاخوة - نستشعرها فى هذه اللحظة المجيدة .. أن نحتفل بتمام وكمال بناء السد العالى فى غياب بطله ..

فذلك معنى الاستثمار ..

وأن نحتفل بتمام وكمال بناء السد العالى وسط جو المعركة ..



حديث بين الرئيسين بودجورنى وانور السادات بعد افتتاح محطة كهرياء السد العالى. وتظهر فى الصورة آثار اندفاع مياه السد التى تعتمد عليها محطة الكهرباء .

ولكن الذين قطعوا على أنفسهم هذا العهد...
كانوا هم الذين كسروه ونقضوه وتصوروا بذلك أنهم
قادرون على أن يهزوا ثقة أمتنا بنفسها وبأحلامها.
وقيادتها الثورية وآمالها فى التطور والثورة...
وتوجه جمال عبد الناصر إلى الاتحاد
السوفيتى...
لم يكن الاتحاد السوفيتى مقيدا بالتزام ولا
بوعد...
ومع ذلك تقدم الاتحاد السوفيتى... التقى بجمال
عبد الناصر... والتقى بشعبنا... وتم بناء بناء السد
العالى...
ان الوعد الأمريكى المكسور... لم يكن أول
وعد... ولا آخر وعد قطعه ثم نقضه أصحابه...
والدعم السوفيتى لنا فى بناء السد العالى... لم
يكن أول ولا آخر دعم قدم لنا... أو بالأصح قدم
تعبيرا عن آمال الحرية والسلام للشعوب المتطلعة
اليهما... والمتمردة على الاستغلال الاستعماري
والقهر الامبريالى...

البقية صفحة ١٢٢.

فذلك معنى الإصرار...
وان نحقق بتمام كمال بناء السد العالى وسط
أخلص الاصدقاء...

فذلك معنى أننا لسنا وحدنا فى المعركة...
وانما معنا كل قوى الخير والمحبة والحرية والسلام
فى هذا العالم...

أيها الاخوة والاصدقاء

من دواعى سعادتي... ومن دواعى الشرف أن
أقف فى هذه المناسبة أمام التأييد الكبير والفعال الذى
قدمه لنا الاتحاد السوفيتى وشعوبه العظيمة وقياداته
المقتدرة فى تشييد هذا العمل الكبير... وهذا الرمز
الكبير فى نفس الوقت...

ان دور الاتحاد السوفيتى فى هذا العمل العظيم لا
يحتاج منى الى مقارنة بدور سواء...
ولكن المكان هنا... والمناسبة الآن... والجو
المحيط بنا... والشواغل التى تلج علينا... تفرض
اشارة الى هذه المقارنة...
كان هنا على هذه الارض... تعهد أمريكى
بالمساعدة فى بناء السد العالى...

حديث السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية

إعداد: عبد العليم المرزوق



الرئيس تيتو يستقبل السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية

صاحب الكلمة في تقرير مصيره . وانني أثق ثقة كاملة بأن قادة مصر سيواصلون السير على طريق عبد الناصر إلى تحقيق أهدافه في تحرير الأرض العربية والحفاظ على حقوق شعب فلسطين » .
كنت معه قبل سفره إلى يوغوسلافيا ، وكنت معه في هذه الرحلة الموفقة ، وكنت معه في طريق العودة إلى القاهرة ، وتحدثت إليه كثيرا ، وسمعت منه أكثر ، ومن خلال ذلك اجتزىء حديثي : الأول قبل الرحلة ، والثاني بعدها ، وكلاهما إلى « منبر الاسلام » عن احتمالات الحرب والسلام :

قال الرئيس اليوجوسلافي يوسيب بروز تيتو في حفل استقبال الوفد العربي برئاسة السيد حسين الشافعي نائب الرئيس عقب الجلسة الأولى للمباحثات بالقر الصيفي للرئيس تيتو بجزيرة بريوني :

« ان صداقة يوجوسلافيا وتأييدها للجمهورية العربية المتحدة هي بنفس القوة التي كانت عليها في حياة صديقي العظيم الزعيم الراحل جمال عبد الناصر . ان تأييدنا لقضيتكم العادلة لم يتغير للحظة واحدة ، بل بالعكس سوف يتزايد إلى أقصى حد ممكن ، بما يكفل للشعب المصري أن يكون



السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية يتحدث بعد صلاة الجمعة في مسجد بلغراد وبجانبه الشيخ حمدي مومفتش وهو خريج جامعة الأزهر على منصة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

حق شعب فلسطين وذلك هو الحد الأدنى لتفكيرنا في شيء اسمه السلام .

وقال السيد نائب الرئيس : ان التحرك السياسي للقاهرة يستهدف مواجهة العريضة لحملات التشكيك التي تشنها أبواق الدعاية الصهيونية ، وخاصة بعد اعلان اتفاق الاتحاد الرباعي العربي ، طبقا لمخطط اسرائيل ، وهي تشرك معها في التنفيذ الولايات المتحدة الامريكية ، وهما تحرصان على أن تكون فترة وقف اطلاق النار فرصة مواتية لانطلاق حرب نفسية مسعورة : تحاول عبثا أن تنال من عزائنا واصرارنا على تحرير أرضنا المحتلة واسترداد حقوق شعب فلسطين المقتصة .

ان لديهم من وسائل الدعايات وامكانياتها الموفرة ما يستخدمونه في النواح والتباكي من الصواريخ

البقية صفحة ١٢٤

قال السيد حسين الشافعي قبل سفره ، في حديث له عن التحرك السياسي للجمهورية العربية المتحدة :

ان استمرار الصراع القائم في الشرق الاوسط : لم يعد يهدد المنطقة العربية وحدها : وانما يتجاوزها بالعدوان على السلام العالي .. وقد حان الوقت الذي تستشعر فيه شعوب الدنيا خطورة الموقف الناجم عن التواطؤ الصهيوني الامريكي : وقد انكشفت عنه كل الاقنعة ..

ان يوم ٥ فبراير ١٩٧١ هو موعد استئناف القتال لتحرير الارض العربية المقتصة : أو يكون موعد سلام عادل واضح المعالم : يبدأ بانسحاب غير مشروط من الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل بعد اغتصابها بالعدوان في ٥ يونية ١٩٦٧ ، ويعلو

السيد يوسف رسول أبو بكر سفير الفلبين بالقاهرة
يقول :

لقيت زيارة الوفد الإسلامي للمجلس الأعلى
للشؤون الإسلامية برئاسة الأستاذ محمد توفيق
عويضة ترحيبا خاصا سواء من الحكومة أو من
الشعب أو من الهيئات المختلفة لأننا نسعد في الفلبين
دائما باستقبال أصدقائنا ..

وقد التقى الأستاذ محمد توفيق عويضة برئيس
الفلبين (فرديناند ماركوس) وبعض الشخصيات
الكبيرة والمسؤولين .. واستطاع الشعب الفلبيني عن
طريق الاتصال بالوفد أن يلم الماما تماما بمدى الإرادة
والعزم القويين الموجودين في شعب الجمهورية
العربية المتحدة .. وحكومتها لإزالة آثار العدوان ..



وشعب الفلبين يحمل التقدير الخاص للاستاذ
محمد توفيق عويضة فهو شخصية بارزة ومثقفة ..
يمتاز بالإيمان والصلابة ..

وقد حققت هذه الزيارة مزيدا من الفهم العميق
لتقاليد وظروف حياة كل من الشعبين الشقيقين ..
وأملهم في المستقبل للتقدم والرفاهية ..

كما أدت الى تدعيم وتوطيد العلاقات بين البلدين
في المجالات الثقافية كما كانت فرصة طيبة لتأكيد
تضامنا ومساندتنا المتبادلة ..

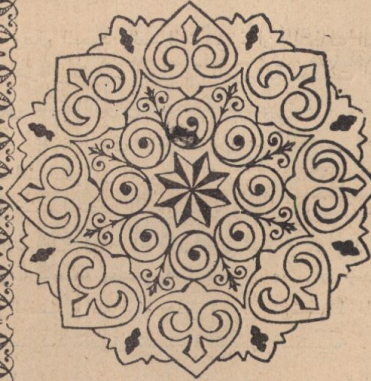
ان المساعدات القيمة التي تقدمها الجمهورية
العربية المتحدة الى مسلمي الفلبين في مجالات التعليم
بإرسال مبعوثين من المدرسين .. وتعليم الطلبة
الفلبينيين في القاهرة .. هذا ما جعل شعب الفلبين
يتعاطف مع شعب الجمهورية العربية المتحدة ..
ويحمل له أعظم مشاعر الحب والتقدير والزيارات بين
البلدين متبادلة .. فهناك وفود من الفلبين قد زارت
الجمهورية العربية المتحدة .. على المستوى الرسمي
والديني .. كذلك قامت وفود من الجمهورية العربية

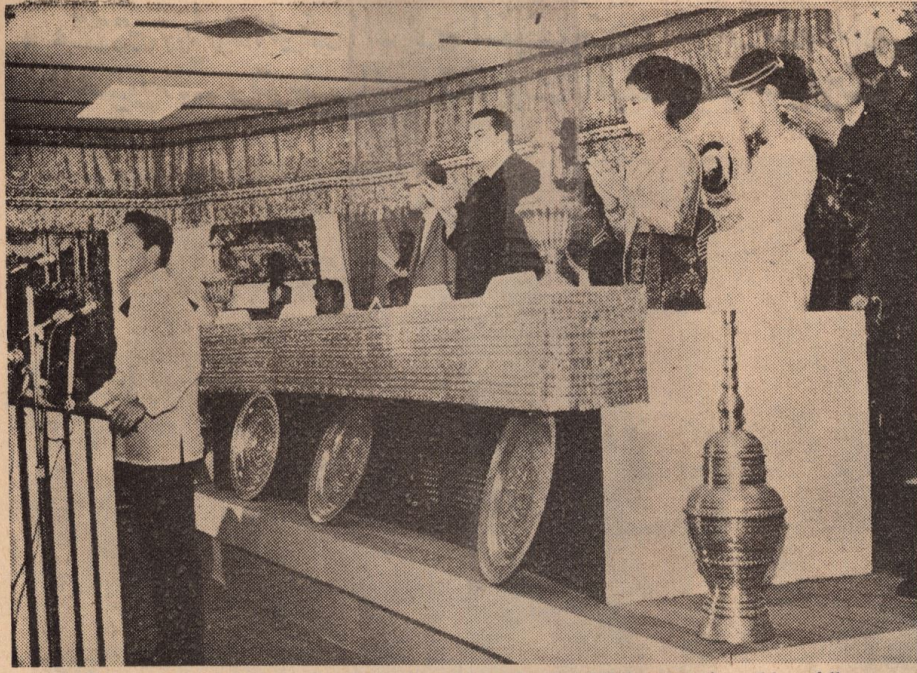
حديث
مع

السيد

يوسف رسول أبو بكر

سفير الفلبين
بالقاهرة





الرئيس ماركوس رئيس جمهورية الفلبين يلقي كلمته في الحفل الكبير الذي أقيم بمناسبة افتتاح المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالفلبين .

• الرئيس الفلبيني يشيد جهود الجمهورية العربية في خدمة الإسلام والمسلمين • السّالحي يحقّق الرفاهية والرفاء والتّقدم الإنسانيّ ...

وأهم المناطق الإسلامية في الفلبين هي : دافاو -
كوتاباتو - دافاو - سولو - وهذه كلها تقع في جنوب
الفلبين .

وتبلغ نسبة المسلمين ٧ في المائة من عدد السكان
ويتبعون المذهب الشافعيّ ذلك لأن العرب الذين حملوا
لواء الإسلام إلى الفلبين كانوا يعتنقون المذهب
الشافعيّ وتكثر المساجد الإسلامية في المناطق التي
تضم أغلبية من المسلمين سواء في المحافظات أو
الولايات مثل سولو - زيمونجا - وجنوب وشمال
كوتاباتو وشمال وجنوب لاناو وتقع أهم المساجد في
مدينة مراوي - كوتاباتو - جندال سانتس
زيمونجا - باسيلان - هولو .

• • ولا توجد حالياً لدينا مجلات إسلامية • • ولكن
تأتينا المجلات الإسلامية من بعض الدول مثل باكستان
والجمهورية العربية المتحدة .

المتحدة بزيارة الفلبين • • وفي الشهر القادم سيزور
القاهرة نائب رئيس جمهورية الفلبين (فرناندو
لوبيس)

وعن الإسلام في الفلبين يتحدث السيد السفير قائلاً :
- دخل الإسلام إلى الفلبين في القرن ١٤ • عن
طريق الرحالة العرب والتجار والمدرسين والدارسين
وقد حملوا معهم الدعوة الإسلامية إلى هناك وانتشر
الإسلام في تلك الجزر بعد أن انتشر في آسيا من الهند
إلى ماليزيا إلى اندونيسيا إلى الفلبين • وهناك
شخصيتان عظيمتان يرجع إليهما الفضل في انتقال
الإسلام إلى الفلبين (هما أبو بكر ومقدوم) • •

وفي القرن ١٦ عندما غزا الأوروبيون جزر الفلبين
وبسطوا نفوذهم الاستعماريّ لم تهدأ مقاومة المسلمين
لهم • • ولا شعب الفلبين عامة • • فقد قام بعدة ثورات
ضد المستعمر الغاصب • • واستشهد الكثير في
معارك التحرير • •

• حققت زيارة الوفد العربي للقيبيين : المزيد من الفهم العميق ... وتوطيد العلاقة بين البلدين الشقيقين



السيد محمد توفيق عويضة رئيس المجلس الاعلى للشئون الاسلامية يلقى كلمة الجمهورية العربية المتحدة في المؤتمر الكبير الذي ضم أكثر من ٣٠ ألفاً من مختلف الهيئات والجمعيات الدينية .
في حفل افتتاح المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقيبيين

الجمهورية العربية المتحدة منذ قيام ثورتها المجيدة حتى اليوم .. خاصة في الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وشتى المجالات الأخرى من أجل تقدم الإنسان ورفاهيته ..

وعن تطور العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والقيبيين قال سيادته :

— ان العلاقات الودية العميقة تربط بلدينا منذ بداية التاريخ .. خاصة في المجالات الثقافية .. التي بدأها التجار العرب والمدرسون والمفكرون الذين حملوا لواء الثقافة الاسلامية الى ناحية الشرق .. ونتيجة لهذه العلاقات الثقافية القديمة نجد اليوم أن عددا كبيرا من طلاب القليبيين يتلقون تعليمهم في الجمهورية العربية المتحدة في جميع مراحل التعليم .. وفي المعاهد والجامعات .. وعلى نفقة الازهر الشريف .. والمجلس الاعلى للشئون الاسلامية ..

وقد تأسست [الجمعية الاسلامية القليبية] سنة ١٩٥٢ .. وفي نفس العام تأسس [المركز الاسلامي] في مانيلا العاصمة .. وتوجد مدارس ومعاهد وكليات اسلامية في جنوب داناو — وسور — وكوتاباتو شمالا .. وهولو .. كذلك تنتشر الجمعيات الاسلامية في هذه المناطق .. وتعتبر جمعية (انصار الاسلام) اكبر جمعية اسلامية .. وقد اُنشئ حديثا في مالاوي (المجلس الاعلى للشئون الاسلامية) ..

وعن انطباعات سيادته عن الجمهورية العربية المتحدة .. قال:

— كنت أحمل شعورا عظيما للبطل العظيم الراحل الرئيس جمال عبد الناصر .. وقد فقدته العالم بأسره .. وليست مصر وحدها .. كما انني اكن كل تقدير واحترام واعزاز للرئيس أنور السادات ونواب الرئيس ورئيس الوزراء والوزراء ..

وأعجب أشد الإعجاب بالتقدم الهائل الذي حققته



السيد محمد علي ديباويري رئيس المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالفلبين يلقي كلمته في المؤتمر الاسلامي الكبير في مراوى سبتي بمناسبة افتتاح المجلس الاعلى للشئون الاسلامية في الفلبين ويرى على المنصة الرئيسية السيد فرديناند ماركوس رئيس جمهورية الفلبين والسيدة قرينته والسيد محمد توفيق عويضة رئيس الوفد العربي الاسلامي .

خصصت قطعة ارض لبناء مسجد ومركز اسلامي في مانايلا .. كما أعلن عن تبرعه بمبلغ ٢٠٠ ألف بيزو لاسهام في البناء ..

وقد التقى الاستاذ محمد توفيق عويضة رئيس الوفد الاسلامي قبل مغادرته مانايلا بالمستولين في الفلبين ورئيس مجلس الشيوخ ووزير التعليم لبحث تقوية العلاقات المصرية الفلبينية .. كما قام سيادته بشرح تطورات الموقف الراهن في أزمة الشرق الاوسط ..

والسيد سفير الفلبين قد ولد في (سولو) في ٦ أكتوبر سنة ١٩١٧ .. وحصل على شهادة الحقوق من جامعة الفلبين عام ١٩٤٠ .. وفي نفس العام نجح في امتحان الحكومة لنيل شهادة الحقوق .. ثم درس العلوم الدبلوماسية في واشنطن بأمريكا سنة ١٩٤٧ ..

وقبل ذلك كان يعمل في سلك القضاة في سولو في الفترة من ١٩٤٠-١٩٤٢ .. ثم عمل في وزارة الخارجية بالدرجة الرابعة في عام ١٩٤٨ .. وفي الفترة من ١٩٤٨-١٩٥٠ كان يعمل نائب قنصل في لوس أنجلس بكاليفورنيا .. ثم قنصلا في سنغافورة بالدرجة الثالثة حتى عام ١٩٥٢ .. وفي الفترة من ١٩٥٢-١٩٥٥ أصبح سكرتير ثاني وقنصل وقائم

وسالت سيادة السفير عن رأيه في أزمة الشرق الاوسط الراهنة ..

قال : اننى مقتنع تماما بأن الجمهورية العربية المتحدة تعمل من أجل تحقيق السلام المبنى على العدالة .. وهي تهتدى في خطاها بالثقة والإيمان والتمسك بالمبدأ والإصرار على صيانة السلام وتحقيق مبادئ هيئة الأمم المتحدة ..

وأنا وافق كل الثقة ان الجمهورية العربية المتحدة ستحقق أهدافها في السلام والتقدم والرخاء والحرية والعدالة ..

وبانتهاء بناء السد العالي العظيم .. والمشروعات الأخرى الكثيرة الاقتصادية والزراعية والصناعية فان مستقبل الجمهورية العربية المتحدة سيكون مستقبلا ساطعا .. مستقبل الرفاهية والتقدم والرخاء ..

كما اننى مؤمن تمام الإيمان .. بأنه في عهد الرئيس أنور السادات سوف تحل مشكلة الشرق الاوسط .. وستعود للعرب حقوقهم .. بمبادئ السلام والعمل ..

واشاد الرئيس الفلبيني (فرديناند اماركوس) بجهود الجمهورية العربية المتحدة في خدمة المسلمين .. ونوه بنشاط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية في العالم .. وأعلن ان حكومة الفلبين قد



في مراوي سيني بالفلبين تجمع آلاف المسلمين والهبات والجمعيات الدينية الإسلامية والسبحية لاستقبال الوفد العربي الإسلامي برئاسة السيد محمد توفيق عويضة رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

مفوضا وفوق العادة في كوالالمبور . تم سفيرا
مفوضا فوق العادة في كولمبو بسيلان . تم سفيرا
فوق العادة في الجمهورية العربية المتحدة .
والبلاد التي زرتها هي معظم البلاد الآسيوية
والولايات المتحدة والشرق الأوسط وبعض
بلدان أمريكا الجنوبية .

أما اللغات فهي الفلبينية . والإسبانية .
والإنجليزية .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية كنت أعمل ضابط
سياسي في مندناو في الفلبين ثم مستشار سياسي
لمحافظه سولو . ثم عضو في الصحافة في الجرمال
القانوني الفلبيني الذي تطبعه جامعة الفلبين .

وبعد . أضيف فأقول إن جزر الفلبين تقع في
الشرق الأقصى من آسيا . يحدها المحيط الهادي
تشرقا . وبحر الصين غربا وفرموزا تسمالا .
وسيليبس جنوبا . ويبلغ مساحتها (١١٥٦٠٠٠ ميل
مربع) وتتكون جزر السيبين من ٧١٠٠ جزيرة ويبلغ
عدد السكان ٢٧ مليون نسمة . وقد تعرضت
لرسمعمار الإسباني سنة ١٥٢١ وامتد أربعة
قرون . ثم كان الاحتلال الأمريكي سنة ١٨٩٨ .
وقد مالت الفلبين استقلالها سنة ١٩٤٦ .

بالاعمال في القاهرة . وفي عام ١٩٥٦/١٩٥٨ أصبح
في الدرجة الاولى . وفي عام ١٩٥٩ قنصلا في
جاكارتا بأندونيسيا . وفي عام ١٩٦٠ وزير
مفوضا . ثم سفيرا فوق العادة في كوالالمبور من
١٩٦١-١٩٦٢ . ورئيس البعثة درجة ثالثة . وفي
سنة ١٩٦٢ سفيرا فوق العادة في كولمبو . وفي عام
١٩٦٢ مندوب الفلبين في مؤتمر وزراء الخارجية
الذي عقد في (آسا) في الكامبيرون .

وفي أغسطس ١٩٦٠ . كان عضوا في وفد
الفلبين في مؤتمر القمة لرؤساء حكومات أندونيسيا
وماليزيا والفلبين والذي عقد في مانابا عاصمة
الفلبين .

وفي يولييه ١٩٦٢ عضو في مؤتمر وزراء الخارجية
الذي عقد في (بايج كوك) .

وفي ١٩٦٨ . رئيس مشروع كولمبو الفني لصوت
جنوب آسيا .

ثم صار سفيرا فوق العادة ومفوضا في الجمهورية
العربية المتحدة سنة ١٩٧٠ .

- كنت أعمل نائب قنصل في لوس أنجلس
بكاليفورنيا . وقنصل في سانفورد . ثم سكرتير
ثاني وقنصل وفائم بالاعمال في الجمهورية العربية
الم المتحدة تم فقصلا في جاكارتا بأندونيسيا ثم سفيرا

التشريع
الفقه • الأبحاث
الدراسات الصوفية
في الإسلام

تفسير سورة الليل

ومشكلة..
القضاء والقدر

الأستاذ
أحمد حسين



بسم الله الرحمن الرحيم •

- والليل إذا يغشى •
- والنهار إذا تجلى •
- وما خلق الذكر والأنثى •
- ان سعيكم لشتى •
- فاما من أعطى واتقى •
- وصدد بالحسنى •
- فسندسره لليسرى •
- وأما من بخل واستغنى •
- وكذب بالحسنى •
- فسندسره للعسرى •
- وما يغنى عنه ماله إذا تردى •
- ان علينا للهدى •
- وان لنا للآخرة والأولى •
- فانذرتكم نارا نظلى •
- لا يصلاحها الا الأتقى •
- الذى كذب وتولى •
- وسيجنبها الاتقى •
- الذى يؤتى ماله يتزكى •
- وما لأحد عنده من نعمة تجزى •
- الا ابتغاء وجه ربه الأعلى •
- ولسوف يرضى •

صدق الله العظيم

سورة مكية :

سورة مكية باتفاق ، وان كان كالعامة لا تعد من يقول عنها « مدنية » بغير سند أو دليل الا مجرد القول ، فترى القرطبي على سبيل المثال يقول لنا : السورة مكية وقيل مدنية ، ثم لا يقول لنا من هذا الذى قال انها مدنية ، وهو أسلوب نأخذ على بعض المفسرين القدامى وهو ولعهم بذكر كل ما يصل الى علمهم بغير أن يبذلوا أى جهد فى التمهيص وقد أشرنا من قبل الى قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى معاذ الصحابي الجليل عندما اشتكى منه الناس لتطويله فى الصلاة : « أين أنت من « سبح اسم ربك الأعلى » و « الليل » و « إذا السماء انفطرت » •

والليل إذا يغشى • والنهار إذا تجلى • وما خلق الذكر والأنثى • ان سعيكم لشتى •

يقسم الله عز وجل على أسلوب القرآن الذى أخذ فيه بأسلوب العرب وهو هنا يريد أن يلفت نظر الانسان - كل انسان - الى آيتى الليل والنهار بكل ما فيهما من خصائص وتمايز وتناقض فحيث يمثل الليل الظلام وعندما يغشى الأرض أى يلفها ويغطيها تسيطر عليها السكينة ويستسلم كل كائن حى للنوم والرقاد ، حتى اذا أشرقت الشمس وطلع النهار انغمس الكون كله بالنشاط والحياة •

وما خلق الذكر والأنثى •

وبعد اذ يلفت القرآن العقل البشرى الى اكبر الظواهر الطبيعية ينتقل الى لفت نظره الى أعظم ما فى الكون على الإطلاق وهو الحياة فى جميع صورها

وقد أعجبنا أننا وجدنا أن ابن العربي قد سبقنا في رأينا إذ قال تعليقا على هذا الحديث في كتاب الأحكام قال : « هذا مما لا يلتفت إليه بشر إنما المولى عليه ما في المصحف فلا تجوز مخالفته لأحد ثم بعد ذلك يقع النظر فيما يوافق خطه مما لم يثبت ضبطه حسب ما بيناه في موضعه فإن القرآن لا يثبت بنقل الواحد وإن كان عدلا وإنما يثبت بالتواتر الذي يقع به العلم وينقطع معه العذر وتقوم به الحجة على الخلق » .

الذكورة والانوثة :

وقد أشار القرآن الكريم الى قيام الحياة بكل اشكالها على الذكورة والانوثة إذ يقول : « وخلقناكم أزواجا » ثم عمم القرآن الذكورة والانوثة على كل ما خلق الله عز وجل فقال وقوله الحق « ومن كل شيء خلقنا زوجين » ومعنى إحدى معجزات القرآن التي لم يكن أحد يعرفها ساعة نزول القرآن وهو أن كل شيء في هذا العالم يقوم على الأزواج ومعنى حقيقة قد كشفها العلم الحديث فقط فليست الحياة وحدها تقوم على الأزواج بل المادة نفسها فنحن نعلم اليوم أنه حتى الذرة الواحدة مهي تقوم على كهارب سلبية وأخرى موجبة ويكون قول القرآن الكريم على لسان رسول الله منذ قرابة أربعة عشر قرنا « ومن كل شيء خلقنا زوجين » هو آية اعجازه والدليل على أنه كان وحى يوحى فلم يكن أحد من العالمين يعرف هذه الحقيقة بما في ذلك سيدنا محمد نفسه ففهم ذلك يوم على بعض الفلاحين في المدينة فوجدهم يبثون النخل أى يقطعون أجزاء من نخل معين ويضعونها في بقية النخل فسألهم لماذا يفعلون ذلك فقالوا له اعتدنا أن نفعل ليكون البلح جيدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أظنكم لو تركتم هذا العمل تضررون البلح بشيء فصدع المزارعون بهذه الملاحظة وتوقفوا عما كانوا قد اعتادوه من تأبير النخل فلم ينضج البلح في هذه السنة أو لعله لم يكن بالحلاوة التي اعتادوها فشكوا الى رسول الله ما حدث فقال لهم قوله المشهورة الخالدة : « أنتم اعرف بشئون دنياكم » أى أن على الناس أن تصدع بأوامره وملاحظات في شئون الدين وما ينزل عليه من الوحي أما شئون الدنيا وما فيها من مختلف الفنون والصناعات والحرف فكل صاحب فن أو حرفة أو صناعة أعرف بشئون فنه وليس وراء ذلك حث للمسلمين على العمل والابتكار والتفنت دون أن يزجوا بحديث الدين في صناعاتهم وإنما عليهم أن يطبقوا قواعد العلم والذي يعيننا في هذا الوطن من هذه القصة أن المزارعين على أيام سيدنا محمد كانوا يقومون بعملية تلقيح اناث النخل ببذور التلقيح من ذكور النخل وهم لا يدركون ماذا يفعلون ولم يدر بخلاصهم لحظة واحدة أن النبات كالانسان والحيوان يقوم بدوره على الذكورة والانوثة فعندما يقول لنا القرآن الكريم : « ومن كل شيء خلقنا زوجين » فيجب

النباتية والحيوانية والانسانية وأن سرها الكبير العميق الخفى يقوم على الذكورة والانوثة وعلماء المادة يقفون حيارى أمام سر الحياة ولا يستطيعون أن يفسروا أو يجدوا تفسيرها الا مجرد أن يلقوا الكلام على عواهنه وهو ضرب من ضروب الجهل مهما سمي القائل أعلم العلماء ، أقول ان علماء المادة لا يستطيعون ان يفسروا كيف تنقلب المادة الجسامدة الثابتة الى مادة حية تأكل أى تتغذى وتنمو وتتكاثر وتنفس وتتحرك حتى اذا استطاعوا أن يقولوا أى كلام لتعليل ذلك عادوا للوقوف حيرى من جديد أمام افتراق الحياة الى صنفين اثنين ذكورة وانوثة فلو سلمنا جدلا بتخرصات الماديين من أن المادة تطورت الى حياة فلماذا أخذت الحياة هذه الصورة الذكورة والانوثة الا يدل ذلك على سبيل القطع واليقين أن ذلك يتم اذا تم وفق تخطيط مسبق وحكمة عالية والمخطط الأعلى هو الله والحكيم الذى قسم الحياة الى ذكورة وانوثة لحكمة يعرفها هو الله عز وجل .

كتب التفسير القديمة :

حرصت حتى الآن أن لا أشير عن قرب أو بعدلما تضمنته كتب التفسير القديمة من أقوال تتعرض لبعض آيات القرآن باضافة كلمة أو حذفها ، والمتبعون لهذا التفسير يروننى أقول دائما أن لنا ما في المصحف الذى فى أيدينا بعد أن تداولته جماهير المسلمين ثلاثة عشر قرنا فلم يعد من الجائز أن نشكك فى حرف واحد مما جاء فى المصحف حتى ولا من حيث قواعد الاملاء وقد أعجبني من شيخنا الكبير عبد الجليل عيسى أنه عندما أراد أن يقرب قراءة المصحف من أبناء الجيل الجديد جعل الشكل الجديد تفسيراً فى الهامش مبكيا على نص القرآن بصورته كما هى فى المصاحف وعندنا أن هذا هو ما يجب أن يكون فكل ما اشتمل عليه المصحف حتى من حيث الشكل يجب أن يظل مقدسا لاتمذد اليه يد التشكيك فى حرف من حروفه حتى من حيث الخط .

سقت هذه المقدمة لآنى سأخرج عن هذه القاعدة هذه المرة فأشير الى بعض ما قيل فى آية « وما خلق الذكر والانثى » وإنما أشير اليها على سبيل العينة مما كانوا يجيزوا لانفسهم أن يخوضوا فيه قديما وما أصبح اليوم محظورا علينا بعد أن أصبح مصحف سيدنا عثمان والذي جميعه تحت اشراف الصحابة جميعا هو عمدتنا ومرجعنا الذى لا نقبل فى حرف من حروفه الا ولانمة .

روى البخارى بسنده « قدم أصحاب عبد الله (أى عبد الله بن مسعود) على أبى الدرداء فطلبهم فوجدهم فقال : أيكم يقرأ على قراءة عبد الله قالوا : كلنا قال : فأيكم يحفظ فأشاروا الى علقمة قال : كيف سمعته يقرأ والليل اذا يغشى قال علقمة : والذكر والانثى . قال : أشهد أننى سمعت النبى يقرأ هكذا وهؤلاء يريدوننى على أن أقرأ « وما خلق الذكر والانثى » والله لا أتابعهم .

ان نسبح بحمد الله عز وجل وان نؤمن بأن القرآن الكريم وحى من لدن الخالق الذى يعرف ما خلق « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

ان سعيكم لشتى • فأما من أعطى واتقى • وصدق بالحسنى •

فسنيسره لليسرى • وأما من بخل واستغنى • وكذب بالحسنى • فسنيسره للعسرى • وما يفنى عنه ماله اذا تردى • ان علينا للهدى • وان لنا للأخرة والأولى •

ان سعيكم لشتى :

هذا هو جواب القسم وكما قامت الطبيعة على النور والظلام ، وعلى الذكورة والانوثة اى على التضاد فكذلك شأن البشر تقوم أعمالهم على الخير والشر والحسن والقبح •

لغز القضاء والقدر :

تثير هذه الايات مشكلة المشاكل والتي لا يمكن للعقل أن يحلها وليس سوى الوجدان أو بالأحرى الايمان ما يجعل قلوب المؤمنين آمنة مطمئنة وعندنا أنه لا يجب أن تكذ الاذهان فى محاولة الاحاطة بها عن طريق العقل فهى فوق قدرة العقل ولا يتحججن أحد فيقول ليس هناك شيء فوق مستوى العقل البشرى فلو سألت أعلم العلماء ما هى المادة لما استطاع أن يجيبك جوابا شافيا ولاكتفى بالتحدث لك عن خصائصها ، لو سألتهم ما هو السالب وما هو الموجب لما استطاع أن يقول لك أن كل الذى نعرفه أن هناك سالبا وموجبا ولكننا لا نعرف لماذا كان هذا سالب وهذا موجب انهما ظاهرتان فى الطبيعة ووجودهما مؤكد وهذا يكفيننا فعندما نقول أن القضاء والقدر حق ويقين وأن كل ما يقع من الانسان أى انسان انما يقع بتقدير سابق ولا فكاك منه فذلك حق ثابت وأمر مشاهد بالتجربة فأى منا لم يشهد ويجرب بنفسه كيف يسعى جاهدا لتحقيق أمر من الامور ولكن الذى يحدث فعلا قد يكون عكس الذى أراد ولست فى حاجة لان أضرب الامثلة فكل قارئ يستطيع أن يسوق مئات الامثلة من واقع حياته ، ولقد أعجبنى دائما قول من قال لآخر : « بم عرفت الله » فأجابه « بنقض العزائم » أى أنه لا يوجد انسان لا يحس من نفسه أنه يعتزم أمرا ولكن قوة خفية أعلى منه تحقق شيئا آخر • فالقضاء والقدر وأن كل ما يقع فى هذه الدنيا انما يقع بتقدير سابق او ما تسميه فى الحديث الشائع « مكتوب » مسألة لا شك فيها •

ومن ناحية أخرى فليس فينا من لا يحس من نفسه فى كثير من المسائل على حرية الاختيار وهل يفعل هذا الشيء او لا يفعله وهذه حقيقة أخرى لا نستطيع أن ننكرها والا أنكرنا الواقع الملموس المحسوس •

فعلينا أن نؤمن بالظاهرتين معا فنجتهد فى كل أعمالنا وحركاتنا وأقوالنا ما وسعنا الجهد ونؤمن أننا سنحاسب على هذه الاعمال فى الوقت الذى نؤمن فيه بالقضاء والقدر •

وهذا الذى تشير عليك به ليس الا تطبيقا حرفيا لحديث رسول الله بمناسبة هذه الايات فقد روى البخارى بسنده عن سيدنا علي كرم الله وجهه قال : كنا فى بقيع الفرقد فى جنازة فقال مأمكم من أحد الا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار فقالوا يا رسول الله : « أفلا ننكل ؟ » فقال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ : فأما من أعطى واتقى • وصدق بالحسنى • فسنيسره لليسرى • الى قوله للعسرى •

وروى الحديث بصيغة أخرى عن عبد الله بن عمر هذا نصها : قال عمر يارسول الله ارايت مانعمل فيه أفى امر قد فرغ منه (اى مكتوب) او مبتدأ أو مبتدع ؟ قال (اى رسول الله) فيما قد فرغ منه (اى مقرر مقدما) فاعمل يا ابن الخطاب فان كلا ميسر لما خلق له) فأما من كان من اهل السعادة فانه يعمل للسعادة وأما من كان من اهل الشقاء فانه يعمل للشقاء •

وقد وعى سيدنا عمر بن الخطاب الدرس جيدا فالنار يخ يحدثنا انه بينما كان ذاهبا الى الشام قيل له وهو فى أثناء الطريق أن الطاعون منتشر فى الشام فطلب ممن كانوا معه أن يقللوا راجعين فاعترض ابو عبيدة الجراح وقال له : أفرار من قضاء الله يا عمر ؟ فقال سيدنا عمر : أجل نفر من قضاء الله الى قضاء الله • أى أنه لو واصل السفر ودخل الارض الموبوءة فان ذلك يتم بقضاء الله وقدره وهو ان يعود احترازا لنفسه ولأصحابه من الوباء فان ذلك يتم ايضا بقضاء الله وقدره •

ولما كان الانسان أى انسان لا يعرف ما هو المقدر عليه فعليه كما قدمنا أن يستدخم الملكة المودعة وهى حرية الاختيار فيختار لنفسه الصالح من الاعمال ويتجنب مزالق الشيطان خاصة وان الله عز وجل قد زودنا بالعقل الذى يميز بين الاشياء وزودنا بالوجدان والضمير الذى يفرق بين الخير والشر وعلى ضوء هذا الذى قدمناه اصبح من السهل فهم هذه الايات • فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى اى عمل صالحا وانفق فى سبيل الله فقد فعل ذلك بتيسير ونعمة من الله وصدق بالحسنى أى آمن بكل ما هو حسن وجميل وخير وهو ما جاء به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام من دعوة الى التوحيد ومحاربة الوثنية والايان بيوم القيامة والثواب والعقاب والتحلّى بمكارم الاخلاق الى آخر ما اشتملت عليه قواعد الاسلام من خير عميم فكل هذا هو ما يصفه القرآن بالحسنى ولا يعجبنا من المفسرين القدامى

وأما الطرف الاخر الذي يقف على النقيض من أمية ابن خلف بحيث كان أول من صدق سيدنا محمد وآمن به فهو سيدنا أبو بكر الصديق (وسيجنبها الأتقى . الذي يؤتى ماله يتزكى ● وما لأحد عنده من نعمة تجزى ● الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ● ولسوف يرضى ●

ولقد كانت شخصية سيدنا بلال أحد المحاور التي دارت حولها أعمال الرجلين المتناقضين حيث كسان أحدهما هو ذروة الشر والاخر هو ذروة الخير .

واليك الحديث :

كان بلال (عبدا) لبعض بنى جمح . وهو بلال بن رباح واسم امه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكسان (صاحبيه) أمية بن خلف يخرجه اذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة أى الضخمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو فى ذلك البلاد أحد ، أحد فمر به أبو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك . وكانت دان أبى بكر فى بنى جمح فقال لامية : ألا تتقى الله تعالى فى هذا المسكين فقال له : أنت أفسدته فأنقذه مما ترى قان أبو بكر : افعل عندى غلام اسود أجلد منه (أى أقوى منه) وهو على دينك أعطيكه فقال (أمية) قد قبلت فاعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالا فاعتقه وكان بلال هو سابع رقيق اشتراه أبو بكر واعتقه قربه لله عز وجل .

وقد روى المفسرون قصة أخرى يقولون أنها سبب نزول الآيات وأن الصحابى المقصود بآيات « وسيجنبها الأتقى » الى آخر السورة هو أبو الدحداح ويذكرون قصة خلاصتها انه كان فى المدينة مزارع يملك عددا من النخيل وكان فرع أحد هذه النخلات يطل على بيت رجل فقير فكان بعض البلح ينساقط فى بيت هذا الرجل الفقير فيأكله أولاده لفراط جوعهم فكان صاحب النخلة يتشاجر مع الرجل الفقير ويعنفه .

فشكا الرجل الفقير للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لصاحب النخلة : أتبيعنى نخلك هذه بنخلة فى الجحيم ولكن صاحب النخلة رفض هذه الصفقة وسرع أبو الدحداح بالقصة فراح يساوم صاحب النخلة ان يبيعه اياها فأبى الا اذا دفع فى مقابلها أربعين نخله فدفعها له أبو الدحداح ثم ذهب الى سيدنا محمد وأخبره ان النخلة أصبحت ملكه وانه على استعداد ان يبيعها لسيدنا محمد بنخلة فى الجنة فوعده سيدنا محمد بنخلة فى الجنة واعطى النخلة للرجل الفقير . ولعل هذه القصة هى التى استند عليها المفسرون بمدينة السورة ولكننا نرجح مكية السورة وانها نزلت فى سيدنا أبى بكر .

محاولتهم تحديد مدلول الحسنى بأنه الجنة أو الصلاة والزكاة بل ويذهب بعضهم الى القول بأنها زكاة الفطر وكل هذا خلط واخراج للفظ الجميل عن عمومياته واشعاعه النورانى القرآنى وتخصيصه بغير مخصص . وكما ييسر الله فاعل الخير الى فعله فكذلك يمد للعاصى فى عصيانه وللطاغى فى طغيانه مادام قد اختار لنفسه هذا الطريق « وأما من يخلل واستغنى . وكذب بالحسنى » أى يخل بماله عن فعل الخير والاصلاح وكذب بالحق والدين وكل ما هو حسن وجبيل فى دعوة الاسلام فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله اذا تردى « أى ان الذين يبخلون باموالهم ويحبسونها عن التداول والاعمال الصالحة فلن تغنى عنهم هذه الاموال شيئا يوم يطرحون فى النار .

● ان علينا للهدى . وان لنا للآخرة والأولى ، فانذرتمكم نارا تلظى ● لا يصلاها الا الأتقى ● الذى كذب وتولى ● وسيجنبها الأتقى ● الذى يؤتى ماله يتزكى ● وما لأحد عنده من نعمة تجزى ● الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ● ولسوف يرضى ●

● ان علينا للهدى . وان لنا للآخرة والأولى . يسجل القرآن الكريم هنا احدى الظاهرتين اللتين اشربا اليهما من أن الهداية والتوفيق لصالح الاعمال هو من الله عز وجل وقد تكرر هذا المعنى فى عديد من آيات القرآن .

— قل ان الهدى هدى الله —

— انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء — الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

فليحمد الله كل مؤمن مسلم يعمل صالحا وليعرف ان هذا فضل من الله ونعمة ولا يختال بايمانه ولا يغتر او يتعالى على الناس وكم يعجبنا مقولة بعض المتصوفة عندما يفضلون ذل المعصية على كبرياء الطاعة والمقصود من ذلك ان لا يتكبر انسان فضلا عن أن يتجبر لانه يصلى ويصوم ويؤدى حق الله عليه فليس ذلك الا فضلا من الله عليه ونعمة عليه ان يعييهما بالشكر والتواضع .

وكون الآخرة والاولى هى ملك الله عز وجل من اوليات الايمان بالله والاولى هى الدنيا والآخرة هى الحياة .

أمية بن خلف وأبو بكر الصديق :

وجمهرة المفسرين على ان باقى آيات السورة حتى نهايتها قد نزلت فى رجلين من قريش يقفان على طرفى نقيض كالظلام والنور والخير والشر . فاما ممثل الظلام والشر من رجال قريش فهو أمية ابن خلف احد اعداء النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذى يتوعد الله سبحانه وتعالى ويتوعد أمثاله بنار جهنم (فانذرتمكم نارا تلظى ● لا يصلاها الا الأتقى)

وعلى أية حال فالآيات عامة تنطبق على أى مسلم صالح ينفق فى سبيل الله ابتغاء مرضاته وأن الله سوف يجزى الحسنة بعشر أمثالها وسوف يرضى كل من يعمل فى الحياة الدنيا على ارضائه يصالح الاعمال والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين

عود الى تكملة سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

● كلا ان الإنسان ليطغى

● أن رآه استغنى

● ان الى ربك الرجعى

● أرايت الذى ينهى

● عبدا اذا صلى

● أرايت ان كان على الهدى

● أو أمر بالتقوى

● أرايت ان كذب وتولى

● ألم يعلم بأن الله يرى

● كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية

● ناصية كاذبة خاطئة

● فليدع ناديه

● سندع الزبانية

● كلا لا تطعه واسجد واقترب

شبيهه :

الاجماع يكاد يتعقد على ان الآيات الستة الاولى من سورة العلق هى اول ما نزل من القرآن ورأينا كيف ان الاحاديث الصحيحة تكاد تتواتر بذلك ولكن ما اثار الشبهة عند البعض هو بقية سياق السورة الذى ينطوى على تقريع ومساجلة لبعض المشركين ولا تعارض بين ان تكون الآيات الستة الاولى هى اول ما نزل من القرآن وأن تكون بقية السورة نزلت بعد ذلك وهو ما نرجح حدوثه بالفعل فقد كان القرآن الكريم ينزل بالمتناسبات والوحى هو الذى يرشد سيدنا محمد عن موضع الآيات فى مختلف السور حتى لنجد بعض السور نزلت فى مكة ما عدا آية منها أو آيتان يكونا قد نزلتا فى المدينة .

تفسير الالفاظ :

والان فلنبدا فى تفسير بعض ألفاظ الآيات قبل أن نشير الى الواقعة التى تقال ان الآيات نزلت بسببها .
كلا ان الإنسان ليطغى : الطغيان هو تجاوز الحدود

أن رآه استغنى : أى الانسان قلما يكفر او يشرك بالله او يستهين بحقوق الخلق ويستبد ويطغى الا عندما يكثر ماله او جاهه وسلطانه وصحته ولذلك فان

من المتفق عليه ان الانسان أحوج مايكون لنور الايمان فى أوقات الشدائد والمحن .

ان الى ربك الرجعى : أى أن المرجع والمآل اليه سبحانه وتعالى .

لنسفعا : أى لنجدين ولنشدن .

الناصية : هى مقدمة رأس الانسان .

ناديه : أى انصاره وأعوانه وعزوته .

الزبانية : ملائكة العذاب

والآيات واضحة وصريحة ومبينة فى انذار كل من يحاول اضطهاد المؤمنين والحيولة بينهم وبين عبادة الله بأشد العذاب ومهما كان للطاغية والمعاند والكافر من انصار وأعوان فان قدرة الله فوق كل قدرة فعلى المؤمن بالله عز وجل أن لا يحفل بتخريصات المتخريصين وان يمضى فى عبادته لله الواحد القهار .

(كلا لا تطعه واسجد واقترب) هذا هو المعنى العام الذى تدل عليه الالفاظ وهو الذى عليه المعول فالقرآن قد نزل ليخاطب الناس فى كل زمان ومكان ومع ذلك فليس ما يمنع من ذكر الحادثة التى كانت المناسبة التى نزلت على أثرها الآيات فقد روى مسلم بسنده كما روى الحديث فى بقية كتب الاحاديث الصحيحة (مع اختلافات بسيطة فى بعض الالفاظ) .
ان الحكم بن هشام (أبو جهل) وكان من أعدى اعداء سيدنا محمد يسأل من حوله : هل يعقر محمد وجهه بين أظهركم (أى يسجد أمامهم عند الكعبة) قالوا : نعم قال : واللآلئ والعزى (يقسم بالاصنام) لئن رأيته يصلى كذلك لأطأن على رقبته (أى يدوس على عنقه) ولاعفرن وجهه فى التراب .

فأتى رسول الله وهو يصلى ليظاً على رقبته ، فما فاجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فقيل له : مالك ؟ فقال : ان بينى وبينه خندقاً من نار وهولاً واجنحة ، قال رسول الله : لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً .

ونزلت الآيات المتقدمة ابتداءً من « ان الانسان ليطغى » حتى نهاية السورة وقد كان من آيات سيدنا محمد الدالة على نبوته أن أبا جهل قتل فى غزوة بدر على كفره وشركه .

انتهى والحمد لله جزء عم والحمد لله رب العالمين .



عود على بدء

حول احياء موات كتب كالجوامع
الصغير والجامع الكبير للسيوطي ..
فيها كثير مما يشوه حقائق الاسلام .

- ٤٩ -

بينما نحن والامة العربية والمسلمون جميعا في شغل شاغل وليل ساهر في البحث عن كل ما يمكننا من دفع عدوان غاشم على أرضنا، وتطهير مقدساتنا من أرجاسه وإذا ببعض اخواننا الافاضل من علماء الازهر يفاجئنا برسالة صغيرة في نحو (٥٠) ورقة تحمل عنوان العدد الاول من الجزء الاول - من جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير للسيوطي * يعلوها ختم مجمع البحوث الاسلامية *

وقد خالجتنا الشك بعد ما كتبنا في عدم جدوى نشر هذا الكتاب خاصة وقد ملئت الاسواق ونضرت بالكتب الصحاح التي آلفت في جمع الاحاديث الصحيحة في القرون الاولى أيام ازدهار ونشاط التأليف في العلوم الاسلامية - خالجتنا الشك في أن يكون مجمع البحوث الاسلامية قد أقر هذا العمل *

وقلنا ان كتاب الله الكريم تولى الله سبحانه حفظه وبيانه للناس بقوله (ان علينا بيانه) وقال لرسوله صلى الله عليه وسلم [وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم] ٤٤ النحل وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأدى الامانة وبلغها ، ولم يفرط في تبليغها من بعده أصحابه رضوان الله عليهم .

وقلنا أيضا ان كل ما أراد الله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم تم بيانه ، ومن لم ينتقد ذلك يقع في خطر كبير حيث يوهم ان الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم فرط او قصر فيما أمر بتبليغه ، اعاده الله من ذلك *

وقلنا ان العلماء أفرغوا جهدهم في فهم كتاب الله واحاطوه بكل ما صح من الاحاديث التي ما تركت بابا من ابواب الدين وبينته وسار الاسلام على ذلك مطمئنا اكثر من ثمانية قرون *

فهل يتصور عاقل ان الاسلام كان ناقصا في جانب من جوانبه حتى يأتي رجل كالمرحوم الشيخ السيوطي فيخرج على الناس بتكميله .. هذا اذا كان ما أجهد المرحوم الشيخ السيوطي فيه نفسه احاديث صحيحة

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ



فضيلة الشيخ عبد الحليم عيسى

لم تكن موجودة بين العلماء قبل ذلك ونشرتها المطابع حتى صارت في متناول كل راغب .

اما اذا كانت كتب السنة قبل عصر السيوطي وبعده قد ملأت الافاق مفردة ومجموعة فما معنى هذه الحركة ؟

فمن الكتب التي جمعت كثيرا من غيرها كتاب (جامع الاصول من حديث الرسول) للإمام محمد بن الشيباني بن الاثير الجزري توفي بالموصل ٦٠٦ هـ وقد طبعته بمصر جماعة أنصار السنة ٠٠ وجاء في مقدمته :

أنه جمع فيه كتب البخاري ، ومسلم ، وموطا مالك ، وجامع الترمذي ، وسنن أبي داود وسنن النسائي ٠٠ ثم قال ٠٠ لأن هذه الكتب هي أم كتب الحديث وأشهرها في أيدى الناس وبأحاديثها أخذ العلماء واشتغل الفقهاء فاثبتوا الأحكام وشادوا مباني الاسلام ومصنفوها أشهر علماء الحديث وأكثرهم حفظا وأعلم بمواضع الخطأ والصواب واليهم المنتهى في هذا الفن العظيم .

ومئذ حوالي خمسة عشر عاما شرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في جمع كتب السنة المشهورة في مجموعة واحدة طبع منها الى الآن عشرة مجلدات ضخام من القطع الكبير بعنوان المنتخب من السنة جاء في مقدمته :

أن مصادره التي اعتمد عليها هي الكتب الستة المشهورة (البخاري ، ومسلم ، وموطا مالك ، وسنن أبي داود ، والترمذي وابن ماجه والدرامي ، ومجمع الزوائد ، ومستدرك الحاكم ، ومشكاة المصابيح ومصابيح السنة ، ومستدرك الامام احمد ، والترغيب والترهيب ، ورياض الصالحين ، وتيسير الوصول لحديث الرسول ، وجمع الفوائد في جامع الاصول .

بيننا كل هذا في أعداد مجلة منبر الاسلام من أول عدد ربيع الأول ١٣٨٩ هـ وقلنا في هذه الأعداد : ان كل ما في السيوطي من الاحاديث الصحيحة موجود فيما كتب قبله . ومن يدعى أن فيما كتبه - على كثرته - حديث واحد صحيح ليس فيما كتبه المحدثون قبله فليفضل وليدلنا عليه ٠٠ وهذا ما لم يكن ٠٠ وقلنا أيضا : ان المرحوم الشيخ السيوطي لم يسلك طريق علماء الحديث قبله في غربة ما يسمعون ، والتحري الدقيق في رجاله الذين نقلوه ، بل سجل في كتابه الكبير كل ما سمعه حتى بلغ ١٠٠ ألف حديث كما صرح به هو نفسه وصرح به حضرات السادة علماء الازهر انفسهم فيما طبعوا به على الناس اليوم .

ويظهر خطر سلوكه هذا اذا قارناه بسلوك رجال

مثل البخاري ومسلم في صحيحهما ومالك في الموطا وغيرهم ممن تحروا وصرفوا كل أعمارهم في البحث عن حالة رواة الحديث ، وهل هم أهل لأن يحمل عثم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا ؟ وكانت نتيجة ذلك المجهود الجبار أن البخاري بعد ما جمع أكثر من ٢٠٠ ألف حديث انتقى منها في صحيحه ٢٦٠٢ حديثا فقط والباقي اضرب عنه صفحا . والامام مسلم في صحيحه اطلع على أكثر من ٣٠٠ ألف حديث واختار منها ٤ آلاف حديث فقط وكذلك الامام مالك اطلع على أكثر من ١٠٠ ألف حديث ولم يسجل في الموطا الا نحو ٩٠٠ حديث فقط وهي التي بنى عليها مذهبه .

ومعنى هذا أن البخاري ومسلم ومالك ومن نحا نحوهم فنوا عمرهم في التحري وتصفية السنة مما يكون قد علق بها ٠٠ ولكن المرحوم السيوطي لم يبحث كما بحثوا ولم يتحر كما تحروا بل شغل نفسه بتأليف كتب أخرى في علوم شتى ما بين مطولات ومختصرات بلغت أكثر من ٢٥٠ كتابا ، ولذلك جاء فيما جمعه كثير من الضعيف والموضوع المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بينا الكثير منها وخطر اتساعها في هذا الوقت التي فغرت فيه الزندقة فاهأ وتجرأ السفهاء على اللمز في الدين حتى بلغ بهم الطيش الى اللمز في أحاديث الرسول نفسه .

فهل في زمن ابتلينا فيه بمثل هؤلاء نقدم لهم طعاما شهيا وفاكهة ينعمون بها مثل : [ان للمؤمن في الجنة من الحور العين ألف ألف زوجة وسبعمائة) ومثل : (في البطيخ عشر فوائد ٠٠ وعد فيها تقوية الباه) ومثل (العنكبوت شيطان فاقتلوه) وعلق عليه بأنه حديث مرسل ، وقال شارحه العزيزي ، اما ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم : جزى الله العنكبوت عنا خيرا فمحمول على عنكبوت خاص .

ينسب ذلك السيوطي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعام والبساده تقول : أنه من افتراء أبناء صهيون .

وقلنا : ان الاولى بالسادة أعضاء مجمع البحوث

ان كان عندهم مال ووقت وزمن مناسب ان يطبعوا كتباً فيمبعضها طبع منه جزء واحد ثم توقف مثل كتاب (الذخيرة) في فقه مالك . ومنها كتاب (المحيط البرهاني) أوسع كتاب في فقه مذهب أبي حنيفة يتعرض فيه للمقارنة بالمذاهب الاخرى : أو يريحو طلاب العلم . من عناء البحث في الكتب الصحيحة : ان يصنعوا فهرسا على حروف المعجم لصحيح البخاري ومسلم وغيرهما من الكتب المتداولة بأيدي الناس من قديم الزمان ٠٠ وهم بذلك يؤدون خدمة جديدة وناقمة كما فعل المرحوم الاستاذ فؤاد عبد الباقي في فهرس معجم القرآن .

الذى فى الجامع الصغير الذى هو منتقى من الجامع الكبير : وأخرج منها عددا وأوشك أن يتمه : وفوق عمله هذا فاته خرج الأحاديث ، وتكلم عن سندها رجلا رجلا بحثا وفحصا يدل على القدرة والتخصص فى هذا العلم بما يندر وجوده فى عصرنا هذا •

وقبل أن أذكر لك نموذجاً منه نقول - آسفين - أن أخواننا الذين يريدون الإشراف على طبع الجامع الكبير لا يعرفون ما هو السند الذى تجب العناية بفحصه ، فاسمع اليهم إذ يقولون فى [ص ٨] :

(وقد راعت اللجنة عند الطبع ما يأتى : أولا : كتابة متن الحديث فى أعلى الصفحة •• الى أن قالوا : ثانيا : كتابة سند الحديث بعد متنه مباشرة) •

وبمراجعة لتطبيق هذا البند الثانى وجدناهم لم يذكروا الا الصحابى الذى روى عن رسول الله مباشرة •

والسند عند علماء الحديث هو جميع رجال الحديث من أول من روى عنه المؤلف حتى يصل الى الصحابى الذى روى عن الرسول •

فإذا قال البخارى مثلا :

حدثنا الحميدى ، قال ، حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، قال : أخبرنى محمد بن إبراهيم التميمى ، أنه سمع علقمة بن وقاص الليثى يقول : سمعت عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، على المنبر يقول : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول :

[أنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى] •

فإن السند هنا الذى يجب البحث عن رجاله بدقة هو : (الحميدى ، وسفيان ، ويحيى بن سعيد ، ومحمد ابن ابراهيم التميمى : وعلقمة بن وقاص الليثى) •

وعمر بن الخطاب هو الصحابى الذى روى عن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ولا يحتاج الصحابى الى البحث والتحري ، وأنما السند الذى ينبغى التحري عنه هو كل من سمع منه مباشرة أو بواسطة •

● وإذا قال مسلم :

(حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن أبى سهيل عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد •• الخ) فالسند هنا هو :

ومن العجيب أن أحد الاستاذين الكبريين سجل فى المقدمة التى تصدرت هذه الوريقات التى طبعت •• سجل خطأ سبق أن نبهته له •• ذلك أنه لما أخذته الحجة ، وطوقته كثرة الأحاديث الموضوعية التى ذكرناها منسوبة للسيوطى قال ما يأتى بالحرف الواحد : (والامام السيوطى لم يلتزم ، ولم يعلن ، ولم يقل ، ولم يشر فى هذا الكتاب السامى الى أنه التزم الصحة أو التزم الحسن •••)

هذا الخطأ والجرأة على الشيخ السيوطى سبق أن نبهته له وقلت له :

يظهر يا استاذ - أنك لم تقرأ ما كتبه السيوطى نفسه فى خطبة الجامع الصغير الذى فيه هذه الأحاديث الموضوعية •• قال رحمة الله بالنص :

(••• اقتصر فى على الأحاديث الوجيزة ، ولخصت فيه من معادن الاثر ابريزه ، وبالغت فى تحرير التخريج ، فتركت القشر وأخذت اللباب وصنته عما تفرد به وضاع أو كذاب)

فايكما نصدق : المؤلف ، وهو أعلم بما ألف

أو سيادتكم ، وأنت لم تقرأ ما ألف • !!

ثم نقول للسادة الغيورين على المرحوم السيوطى •• ارجعوا الى ما كتبناه فى جمادى الاول ١٣٨٩هـ من كلام النووى فى مقدمة شرحه على صحيح مسلم وكلام المرحوم الشيخ الخضر حسين فى عدد رجب ١٩٨٩ من التحذير من الوضاعين وهم كثيرون ، وكذلك من علماء صالحين تغلب عليهم الغفلة فيروون عن غير الموثوق به

وقال فى ذلك الامام مالك :

لا يؤخذ العلم عن أربعة ويؤخذ عن سواهم •• الى أن قال :

(•• ولا من شيخ له فضل صلاح ، وعبادة ، لا يعرف ما يحمل ولا ما يحدث به) ••

فما رأى الدكتور عبد الحليم محمود فى المرحوم الشيخ السيوطى : أنه فضل صلاح وعبادة أم لا ؟ ولم يعب أحد العماء الذين تعرضوا لتجريح الرواة ، لأن الحامل عليه - كما قال النووى - الحرص والحفاظ على سنة رسول الله أن تمسها يد دساس خبيث •

وبعد كل هذا ألا يكفى مطمئنا للسادة المولعين بطبع الجامع الكبير أن تعلمهم أنه قد وصلتنا رسائل من تاليف الاستاذ الكبير محمد ناصى الدين الالبانى تدل على أنه أجهد نفسه جهدا كبيرا حتى نقل الصحيح

(قتيبة ، ومالك ، وأبو سهيل ، وأبو وه ، وطلحة بن عبيد الله) والذي يحب البحث والتحري عنه بدقة فيه هو الرجال الأربعة ما عدا طلحة بن عبيد الله فهو صحابي ولا يبحث عنه . وهكذا . . .

وقد فهم أخواننا أن السند هو الصحابي فقط .

ويفهم من هذا أن السادة الذين يشرفون على إخراج الجامع الكبير وتخريج أحاديثه لا يعرفون قيمة الحكم بصحة الحديث أو غيره ما داموا لم يبحثوا عن رجاله . ولكن الأستاذ الألباني سلك غير هذا فيما كتب . . فهو يبحث عن الرجال واحدا واحدا فإذا وجد في أحدهم مغمزا . . أعده مغمزا في الحديث وهذا نموذج من طريقة بحثه ، ففى سلسلة ما كتبه على الجامع الصغير - منشورات المكتب الإسلامي بسوريا قال أولا عن السيوطي :

« والسيوطي معروف بتساهله في التصحيح والتحسين من جهة ، وبأنه ليس من أهل النقد والدقة فيه من جهة أخرى ، وكتاب المناوي الذي شرح به هذا الكتاب (الجامع الصغير) من أكبر الأدلة على ما ذكرت فإن الأحاديث التي رمز لها السيوطي بالصحة والحسن وهي في نقد المناوي وغيره من الأئمة النقاد . . ضعيفة أكثر من أن تحصر .
فمن شاء الاطلاع على المثبات منها فليراجع كتابنا « سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة » أو يراجع الأرقام الآتية من « شرح المناوي على الجامع الصغير » :

المجلد الأول : (٥٣ ، ٦٢ ، ٢٠٢ ، ٢٣١ ، ٤٨٦ ، ٥٠٧ ، ٥٨١ ، ٦٦٨ ، ٦٩٦ ، ٧٢٨ ، ٨٤٠ ، ٨٤٧ ، ٨٧١ ، ٩١٩ ، ٩٢٤ ، ٩٣٦ ، ٩٣٤ ، ٩٥٠ ، ٩٦٠ ، ٩٦٠ ، ١٠٠٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠٣٢ ، ١٠٦٠ ، ١٠٧١) .

المجلد الثاني : (١٢٢٢ ، ١٢٣٤ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٧ ، ١٢٩٧ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤١٢ ، ١٤٢٢) .

المجلد الثالث : (٤١٤١ ، ٤٢٤٤ ، ٤٢٨٢ ، ٤٢٨٣ ، ٤٢٨٧ ، ٤٣٠٥ ، ٤٣٢١ ، ٤٣٣٦ ، ٤٣٤٥) .

المجلد الرابع : (٤٣٨٥ ، ٤٤١٢ ، ٤٤٣٢ ، ٤٥١١ ، ٤٥١٥ ، ٤٦٤٢ ، ٤٦٧٤ ، ٤٦٧٨ ، ٤٦٨٢ ، ٤٦٨٧ ، ٤٧٠١ ، ٤٧٠٢ ، ٤٧٠٣ ، ٤٧٠٤ ، ٤٧٠٥ ، ٤٧٤٩ ، ٤٧٦٧ ، ٤٧٧٧ ، ٤٧٨٥ ، ٤٧٩٢ ، ٤٧٩٦ ، ٤٨٠١ ، ٤٨٨١ ، ٤٩٩٩ ، ٥٠٠٢ ، ٥٠٠٣ ، ٥٠٠٥ ، ٥٠٠٦ ، ٥٠٢٤ ، ٥٠٥٨ ، ٥٠٦٨ ، ٥١٣٣ ، ٥١٣٤ ، ٥٢٦١ ، ٥٢٦٩ ، ٥٢٧٧ ، ٥٢٨٩ ، ٥٣٤٩ ، ٥٣٠٧ ، ٥٣٩٩ ، ٥٤١٧ ، ٥٤٣٠ ، ٥٤٧٥ ، ٥٤٨٠ ، ٥٥٧٧ ، ٥٩٩٧ ، ٥٨٩٢ ، ٦٠٢١ ، ٦٠٣٩ ، ٦٠٦٨ ، ٦٠٩٣) .

المجلد الخامس : (٦٣٥٦ ، ٦٣٧١ ، ٦٤٧٦ ، ٦٢٩٣ ، ٦٢٩٩ ، ٦٣٠٠ ، ٦٣١٥ ، ٦٣١٨ ، ٦٣٧١ ، ٦٣٧٣ ، ٦٣٩٦ ، ٦٣٩٦ ، ٦٤٩٢ ، ٦٥٤١ ، ٦٥٦٥ ، ٦٥٩٦ ، ٦٦١٣ ، ٦٦٢٣ ، ٦٦٣٠ ، ٦٦٣٧ ، ٦٦٣٨ ، ٦٦٥١ ، ٦٦٧١ ، ٦٦٨٢ ، ٦٦٨٦ ، ٦٦٨٧ ، ٦٦٩٦ ، ٦٧٣٥ ، ٧٩١٠ ، ٦٨٤٦ ، ٦٨٦٤ ، ٦٨٨٠ ، ٦٨٨١ ، ٦٨٨١ ، ٦٨٨٢ ، ٦٩٨٢ ، ٦٩٨٥ ، ٦٩٩٧ ، ٧٠٠٣ ، ٧٠٤٠ ، ٧٠٦٩ ، ٧٠٧٢ ، ٧٠٨٦ ، ٧١٩٦ ، ٧١٥٦ ، ٧٢٠٨ ، ٧٢٢٣ ، ٧٢٧١ ، ٧٢٧٨ ، ٧٢٩٦ ، ٧٣٩٧ ، ٧٤٨٥ ، ٧٦٣٦ ، ٧٧٠٣ ، ٧٧٦٤ ، ٧٧٦٩ ، ٧٧٧٣ ، ٧٧٨٦ ، ٧٨١١ ، ٧٨١٢ ، ٧٨١٩ ، ٧٨١٢ ، ٧٨١٩ ، ٧٨٢٠ ، ٧٨٣٠ ، ٧٩٨٢ ، ٨٠٤٩ ، ٨٠٩٣ ، ٨١٤٠ ، ٨١٦٠) .

المجلد السادس : (٨٢٧٣ ، ٨٣٨٥ ، ٨٤٠٠ ، ٨٤٣٩ ، ٨٤٦٣ ، ٨٤٩٨ ، ٨٧٦٨ ، ٨٩٠٠ ، ٩٠٠٣ ، ٩٢٤٩ ، ٩٣٣٦ ، ٩٥٥٨ ، ٩٨٧٥ ، ٩٨٧٨) .

تلك هي أرقام بعض الأحاديث التي قواها السيوطي وانتقدها عليه المناوي . وأما الأحاديث التي سكت عليها وهي ضعيفة ، فحدث عن البحر ولا حرج .

أما طريقة بحث الأستاذ الألباني في السند فهذا نموذج منها :

(من خرج من بيته الى الصلاة فقال : اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك ، وأسألك بحق ممشاي هذا . . فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا . . أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له ألف ملك) .

ضعيف : أخرجه ابن ماجه (١ - ٢٦١ - ٢٦٢) وأحمد (٢ - ٢١) والبغوي في (حديث على بن الجعد) [٩ - ٩٣ - ٣] وابن السني [رقم ٨٣] من طريق فضيل مرزوق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مرفوعا به .

وهذا سند ضعيف من وجهين : الأول : فضيل ابن مرزوق ، وثقة جماعة .

وضعفه آخرون : وقول الكوثري في بعض مقالاته (ص ٣٩٣) :

« وقال أبو حاتم ضعيف الحديث ، ولم يضعفه سواه وجرحه غير ما فسر ، بل وثقه البستي .

فيه أخطاء مكشوفة :

الأول ، قوله « لم يضعفه غير أبي حاتم » فإنه باطل وما أظن هذا يخفى على مثله فإن في ترجمته من التهذيب بعد أن حكى أقوال الموثقين له ما نصه :

يخفى على البصير بهذا العلم فلا تطيل الكلام بذكرها
ولهذا جزم الذهبي في «الميزان» بأنه «ضعيف» .
أما تدليسه فلا بد من بيانه هنا لأن به تزول شبهة
يأتي حكايتها ، فقال ابن حبان في «الضعفاء» ما
نصه :

سمع من أبي سعيد أحاديث فلما مات جعل يجالس
الكلبي ، يحضر بصفته ، فإذا قال الكلبي : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كذا ، فيحفظه ، وكناه أبا
سعيد ، ويروي عنه ، فإذا قيل له من حدثك هذا ؟
فيقول : حدثني «أبو سعيد» فيتوهمون أنه يريد أبا
سعيد الخدرى ! وإنما أراد الكلبي ! قال : والكلبي لا
يحل كتب حديثه إلا على التعجب .

وأما تحسين الترمذي له فلا حجة فيه بعد قيام
المانع من تحسين الحديث ، والترمذي متساهل في
التصحيح والتحسين ، وهذا شيء لا يخفى على
الشيخ - عفا الله عنا وعنه - فقد نقل هو نفسه في
كلامه على حديث الأوعال (١) عن ابن دحية أنه
قال : «كم حسن الترمذي من أحاديث موضوعة
وأسانيد وأهية ؟» وعن الذهبي أنه قال : «لا يعتمد
العلماء على تصحيح الترمذي» .

ثم بدا لي وجه ثالث في تضعيف الحديث وهو
اضطراب عطية أو ابن مرزوق في روايته حيث أنه
رواه تارة مرفوعا كما تقدم وأخرى موقوفا على أبي
سعيد كما رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» [١٢-
١١٠-١] على ابن مرزوق موقوفا وفي رواية
اليغوى من طريق فضيل قال ، «احسبه قد رفعه»
وقال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢-
١٨٤) ، «موقوف أشبهه» .

وجملة القول أن هذا الحديث ضعيف من طريقه
واحداهما أشد ضعفا من الآخر وقد ضعفه البوصيري
والمنذرى وغيرهما من الأئمة ومن حسنه فقد وهم أو
تساهل .

للبحث بقية

«وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : صالح الحديث ،
صدوق ، يهيم كثيرا (أى يقع في الوهم) يكتب حديثه ،
قلت : يحتج به ؟ قال : لا . وقال النسائي :
ضعيف » . قال مسعود بن الحاكم : ليس هو من
شرط الصحيح ، وقد عيب على مسلم إخراج
لحديثه . قال ابن حبان في الثقات : «يخطئ» وقال
في الضعفاء : «كان يخطئ على الثقات ، ويروى عن
عطية الموضوعات» .

فأنت ترى أنه قد ضعفه مع أبي حاتم . . النسائي
والحاكم وابن حبان مع أنهما من المتساهلين في
التوثيق كما تقدم .

الثاني : قوله : «وجرحه غير مفسر» .

فهذا غير مسلم بل هو مفسر في نفس كلام أبي
حاتم الذي نقلته وهو قوله : «يهيم كثيرا» وقد اعتمد
الحافظ ابن حجر هذا القول فقال في-
ترجمته : «صدوق يهيم» فمن كان يهيم في حديثه كثيرا
فلا شك أنه لا يحتج به كما هو مقرر في محله من علم
المصطلح .

الثالث : قوله : «بل وثقة البستي» .

قلت : البستي هو ابن حبان وقد علمت أنه كان له
فيه قولان ، فمرة أورده في «الثقات» وأخرى
في «الضعفاء» والاعتماد على هذا أولى من الأول
لأنه بين فيه سبب ضعفه فهو جرح مفسر يقدم على
التعديل كما تقرر في المصطلح أيضا .

الوجه الثاني في تضعيف الحديث : أنه من رواية
عطية العوفى وهو ضعيف أيضاً ، قال الحافظ
في «التقريب» : «صدوق يخطئ كثيرا ، كان شيعيا
مدلسا» فهذا جرح مفسر يقدم على قول من وثقه مع
أنهم قلة وقد خالفوا جمهور الأئمة الذين ضعفوه وتجد
أقوالهم في «تهذيب التهذيب» وعبارة الحافظ التي
نقلتها عن «التقريب» هي خلاصة هذه الأقوال كما لا

[١] يشير بذلك إلى ما رواه الترمذي عن العباس بن عبد المطلب عن تفسير قوله تعالى [ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية] ١٧ الحاقة . أنهم ثمانية من الملائكة على صورة أوعال والاعمال جمع وعل بكسر العين وهو تيس الجبل الكبير وذكروا من أوصافه أن له أربعة أجنحة أما جناحان فعلى وجهه بخافة أن ينظر إلى العرش فيصعق وأما جناحان فيطير بهما .
وقال أبو حبان وذكرنا في صفات هؤلاء الثمانية اشكالا متكاذبة ضرينا عن ذكرها صفحا .
نقول ومن الأدب مع علام القيوب سبحانه وتعالى عدم الخوض في أوصاف هذه المخلوقات في يوم عظيم هو له وهو يوم القيامة .



— ٨ —

السفر الى الكواكب

فإذا ما انتقلنا الى علم الفلك وجدنا القرآن الكريم يستثير العقول الى التأمل في الكواكب والنجوم ، للاستدلال بها على وحدانية الله وقدرته . وأنه ليسترعى النظر أن الله تعالى أقسم بها مرات ، أقسم بالثريا أو بأى نجم على صدق النبي عليه الصلاة والسلام في تبليغه عن ربه ، فقال : « والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم ، وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » .

واقسم بالنجوم التي تسير في مداراتها من اول البرج الى آخره ، فتظهر وتختفي على أن القرآن منزل من عند الله ، فقال سبحانه : « فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ... انه لقول رسول كريم » (١)

واقسم بمنازل النجوم ومسارها على عظمة القرآن الكريم ، ووصف هذا القسم وصفا مؤكدا بأنه عظيم ، فقال : « فلا أقسم بمواقع النجوم ، وأنه لقسم لو تعلمون عظيم ، انه لقرآن كريم في كتاب مكنون ، لا يمسه الا المطهرون : تنزيل من رب العالمين » .

ونذكر سبحانه وتعالى من الدلائل على قدرته وعظمته أنه رب الشعرى قال تعالى : « وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى ، وأن عليه النشأة الاخرى ، وأنه هو أغنى وأقنى ، وأنه هو رب الشعرى » (٢) .

فلا عجب في أن كان للمسلمين في علم الفلك تاريخ حافل مجيد ، اذ كانوا منذ القرن الاول للهجرة يعرفون بالملاحظة والمشاهدة وطول المراتة كثيرا من الاجرام السماوية وما يتصل بالسحب والأمطار ، كما تحدثنا أشعارهم وأخبارهم والكتب المؤلفة في تاريخ الفلك .

ثم ارتقوا فتفوقوا في علم الفلك تفوقا لم يستطع انكاره احد .

وحسبهم من الفخار أنهم صححوا في عصر هارون الرشيد وابنه المأمون كثيرا من اغلاط بطليموس في كتابه المجسطي المتصلة بقياس محيط الكرة الارضية والدرجة الارضية ، وعينوا مواقيت الاعتدالين ، وطول السنة الشمسية ، وحددوا سمت الشمس بدقة ، وعينوا مواعيد الكسوف والخسوف ولاحظوا البقع الشمسية ، وعلاقة المد والجزر بالقمر ، ووضعوا

[١] الخنس : التي ترجع من اول البرج الى آخره . الجوارى : السيارة ، الكنس : التي تغيب وتختفي ، قبل هي الدرداء الخمسة : بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري ، تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تختفي تحت ضوء الشمس ، وقبل هي جميع الكواكب تظهر ليلا وتختفي نهارا عن العيون .
[٢] أقنى : أعطى المال الذي يقتنيه الناس . الشعرى : كوكب عظيم خلف الجوزاء كان يسبى في الجاهلية .

كذلك لا يصح أن ننسى جهود علماء مصر في علم الفلك ، ولا أن ننسى المرصد الذي كان على جبل القطم ، ففي هذا المرصد وضجع ابن يونس (٣٩٨ هـ - ١٠٠٧ م) في عهد الحاكم الزنج الكبير الذي سماه الزنج الحاكمي ، فحل محل الأزياج التي سبقته ، ونقله علماء الفلك في كتبهم ، ومنها الكتاب الذي ألفه كوشونك في الصين سنة ١٢٨٠ م .

وذكر ابن السنيدي الذي كان يقيم بالقاهرة سنة ٤٣٢ هـ - ١٠٤٠ م أن مكتبته كانت تشتمل في القرن الحادي عشر الميلادي على كرتين فلكيتين وستة آلاف كتاب في الرياضيات وعلم الفلك .

وقد قرر سيديو أن عرب الاندلس سبقوا كبلر وكوبرنيك في القول بأن حركات الكواكب السيارة على شكل بيضي ، وفي القول بدوران الأرض .

وإنه لما يعلى من شأن هذه الحقائق أن الذين ادعواهم هم المنصفون من المستشرقين مثل سيديو ونلزيو وجوستاف لوبون .

فكيف يزعم أحد أن الاسلام يغفل العلماء عن البحث في الفلك ؟

وكيف يختلق أحد أن القرآن الكريم يعارض ارتداد الفضاء ، والوصول الى القمر أو الى أى كوكب ؟

إن الاسلام يشجع على ذلك كما رأينا وكما سنرى .

العبد بين مخافتين

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس أن لكم معالماً فانتهوا الى معالمكم ، وأن لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم » . فإن العبد بين مخافتين : أجل قضى لا يدري ما الله فاعل فيه ، وأجل باق لا يدري ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن نياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعجب ، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ، .

جداول فلكية وخرائط سماوية للكواكب والنجوم راوها . وسموها باسماء عربية ما تزال معروفة بها ، وصنعوا خريطة بارزة للخليفة المأمون رسموا فيها العالم المعروف بأفلاكه وسجومه وبره وبحره وعامره وغامره . وهم الذين صنعوا الاسطرلاب ، وفي مكتبة باريس ثلاثة منه ، ويتبين لمن ينعم النظر فيه أنه ثمره للحق والمهارة .

وكنت مراراً منهم بفارس والعراق والشام ومصر والاندلس وغيرها مراكز للرصد وللدراسة الفلكية . وما زالت كلمات كثيرة مما وضعوه في الفلك والرياضة متداولة في لغات الغرب مثل كلمة السموت (جمع سمت) Azimuth وكلمة السميت Zemith وكلمة لوغارتم Logarithm نسبة الى الحوررعى وكلمة جبر Algebra وهكذا .

ومن أشهر علمائهم أبو جعفر البتاني (٣١٧ هـ - ٩٢٩ م) وهو بين علماء المسلمين مثل بطليموس بين علماء الاغريق . وقد وضعه العلامة لالاند في صف العشرين الذين وصفهم بأنهم أعظم علماء الفلك في العالم كله من القديم الى الحديث .

ومنهم أبو الريحان البيروني (٤٤٠ هـ - ١٠٤٨ م) الذي عرض لدوران الأرض حول محورها ، وضبط أبعاد خطوط الطول والعرض ، وخلف بحوثاً مبتكرة حولت العلامة سنحوا أن يعده أعظم عقلية فلكية الى اليوم .

ومنهم محمد بن موسى الخوارزمي الذي وضع زيجاً نفحه بعد قرنين العالم المسلم مسلمة المجرطي (٣٩٨ هـ - ١٠٠٧ م) ثم نقله الى اللاتينية او لاردينث سنة ١١٢٦ م ، وصار هذا التقويم وغيره من التقاويم الاسلامية أساساً لكل المؤلفات الرياضية الفلكية التي ظهرت في أوروبا .

ومنهم أبناء موسى بن شاكر وهم اخوة ثلاثة عاشوا في القرن العاشر الميلادي ، وكان لهم الفضل في أنهم عيوا زمن الاعتدالين بدقة . ووضعوا تقاويم لماكن النجوم السيارة ، وقاسوا في سنة ٩٥٩ م عرض بغداد ، فقيده ٣٣ درجة و ٢٠ دقيقة أي برقم لا يختلف عن الحقيقة التي عرفت فيما بعد إلا بنقص عشر تون .

كذلك ظهرت طائفة من العلماء أشهرهم أبو الوفاء (٣٨٩ هـ - ٩٩٨ م) الذي اهتدى الى حقائق كثيرة في الفلك ، منها ما يختص بالقمر وتصحيح نظرية بطليموس في شأنه ، وقد سبب هذا التصحيح بعد أبي الوفاء بسنة قرون الى تيخو براهة ، ولكن العلامة سيديو أنصف أبا الوفاء ، واستدل من مخطوطته التي عثر عليها على وصول مدرسة بغداد الى أقصى ما يمكن أن يبلغه علم الفلك بغير منظار وتلسكوب .

من أحكام الشريعة



القرآن خطاب الله العام لجميع البشر وهو يعلم أن من المواقع مالا شهور فيها ولا أيام معتدلة بل السنة كلها قد تكون فيها يوما وليلة تقريبا كالجبهات القطبية ، فالمدة التي يكون فيها القطب الشمالي في ليل وهي نصف السنة يكون القطب الجنوبي في نهار وبالعكس ويقصر الليل والنهار ويطولان على نسبة القرب والبعد عن القطبين ويستويان في خط الاستواء وهو وسط الأرض — أريت هل يكلف الله تعالى من يقيم في جهة القطبين وما يقرب منها أن يصلي في يومه (وهو سنة أو مقدار عدة أشهر) خمس صلوات أحدهما حين يطلع الفجر والثانية بعد زوال الشمس الخ ٠٠ — ويكلفه أن يصوم شهر رمضان بالتعيين ولا رمضان له ولا شهور ٠ كلا ٠ أن من الآيات الكبرى على كون هذا القرآن من عند الله المحيط علمه بكل شيء لا من تأليف البشر ما تراه فيه من الاكتفاء بالخطاب العام الذي لا يتقيد بزمان من جاء به ولا مكانه ولو كان من عند النبي صلى الله عليه وسلم لكان كل ما فيه مناسباً لحال زمانه وبلاده وما يليها من البلاد التي يعرفها ، ولم تكن العرب تعرف أن في الأرض بلادا نهارها كعدة أيام أو أشهر من أيامنا وأشهرنا ولياليها كذلك ، فممنزل القرآن وهو علام الغيوب وخالق الأرض والافلاك خاطب الناس كافة بما يمكن أن يمثلوه ، فأطلق الأمر بالصلاة ، والرسول بين أوقاتها بما يناسب حال البلاد المعتدلة التي هي القسم الأعظم من الأرض حتى إذا وصل الاسلام لاهل البلاد التي أشرنا اليها يمكنهم أن يقدروا للصلوات بساقتهم ، والقياس على ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم من أمر الله المطلق وكذلك في الصيام ٠ ما أوجب رمضان الا على من شهد الشهر وحضره والذين ليس لهم شهر مثله عليهم أن يقدروا له قدره ٠

وقد ذكر الفقهاء مسألة التقدير بعدما عرفوا بعض البلاد التي يطول ليلها ويقصر نهارها ، والبلاد التي يطول نهارها ويقصر ليلها واختلفوا في التقدير على أي البلاد يكون ؟

تحقيقا لما وعدنا به في المقالين السابقين واتماما لحديث الصوم ورؤية الهلال نرى لزما أن نبين أحكام الشريعة الإسلامية وآراء الفقهاء فيما يلي

١ - الصوم بالنسبة لاهالي البلاد القطبية التي يدوم فيها النهار أو الليل في بعض الاحيان أكثر من ٢٤ ساعة

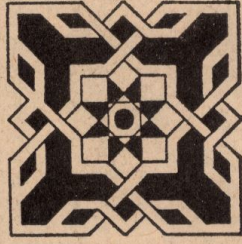
٢ - صوم يوم الشك ٠

أما عن الموضوع الاول - فلقد كان فيما أسلفناه من بيان بشأن الفارق الزمني بين معظم البلاد الإسلامية شرقا وغربا وأنه لا يؤثر في اتحادها في بدء الصوم لاجتماعها كلها في ليل واحد ولو في جزء منه إذ قد أوضحنا أن الفارق الزمني بين أقصى بلد إسلامي في المشرق وأقصاها في المغرب هو تسع ساعات وذلك لا يؤثر في اتحادها في البدء إذ أنها تشترك في ليل واحد ولو بجزء بسيط منه كما قلنا وبهذا يمكن أن تكون رؤية أي بلد فيها رؤية للجميع -

ولما كان الامر كذلك وكان هناك من أهل البلاد القطبية من تنعدم عندهم علامات أوقات الصلاة اليومية لدوام النهار أو الليل في بعض الأحيان أكثر من ٢٤ ساعة كان لابد من بيان رأي الفقهاء بالنسبة لهؤلاء وكيف يصومون ويؤدون الفرائض ؟؟

لقد قرر العلماء أن هؤلاء يقدرون بدء الشهر عندهم بزمن مبدئه في العواصم المشهورة على خطوط أطوالهم اما من ساعة المغرب في أقرب البلاد المعتدلة اليهم واما من ساعة المغرب لخط الاستواء أي أنهم يرجعون الى أعدل الايام ثم يحسبون فترة الصوم بالساعات طبقا لأقرب البلاد اليهم وهكذا ٠٠٠٠

وفي ذلك يقول صاحب تفسير المنار في تفسير قوله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ما نصه وانما عبر بهذه العبارة ولم يقل فصومه لمثل الحكمة التي لم يحدد القرآن مواقيت الصلاة لاجلها ، وذلك أن



الإسلامية وآدابها

فضيلة الشيخ محمد فاطم
منصة الجمهورية

ويؤيد ذلك ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تستقبلوا الشهر بصوم يوم أو يومين إلا أن يوافق ذلك صياما كان يصومه أحدكم » . هذا وقد ذكر ابن الجوزي في التحقيق للامام أحمد في هذه المسألة عدة أقوال منها أنه لا يجوز صومه فرضا ولا نفلا مطلقا بل قضاء وكفارة ونذرا ونفلا يوافق عادة للصائم - ومنها أن المرجع في ذلك إلى رأى الامام في الصوم والفطر .

ولقد ذهب الفقهاء في بيان الحكمة من النهي عن صوم يوم أو يومين إلى أقوال كثيرة - فقال البعض إن الحكمة في النهي هي التقوى بالفطر لرمضان ليبدل فيه بقوة ونشاط وقد يعترض على هذه الحكمة بجوان صوم من له عادة على نحو ماورد في الحديث السابق « لا تستقبلوا الشهر بصوم يوم أو يومين إلا أن يوافق ذلك صياما كان يصومه أحدكم » .

وقال آخرون إن الحكمة هي خشية اختلاط الغرض بالنقل وهذه الحكمة تعارض أيضا بما عورضت به الحكمة السابقة -

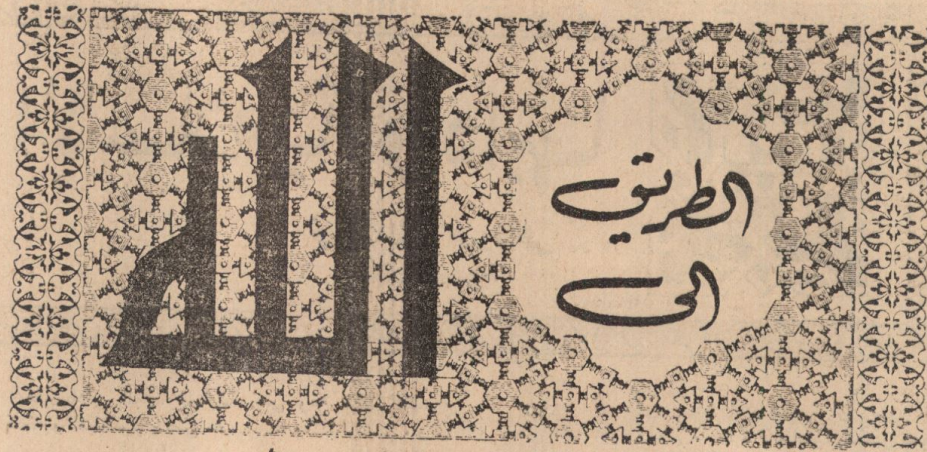
وأظهر ما قيل في حكمة النهي عن صوم يوم الشك . هو أن الحكم بالصوم معلق بالرؤية فمن تقدمه بيوم أو يومين دون عادة فقد حاول الطعن في ذلك الحكم - وهذه الحكمة أولى بالاعتماد والقبول لأنه لا يناقضها ما نوقضت به الحكم السابقة وذلك لأن من كان الصوم له عادة قد وردت السنة بشأنه وأجازته وليس في عمله أي مظهر للطعن على الحكم بشأن الصوم وتعلقه بالرؤية إذ أنه يقوم بعمله المعتاد - ولا يعارض هذه الحكمة أيضا صوم يوم الشك قضاء أو نذرا لوجوب ذلك بالأدلة القطعية الدالة على وجوب الوفاء فلا يبطل القطعي بالظني - وإلى لقاء في حديث آخر أن شاء الله نبين فيه رأى الفقهاء في صوم يوم عرفه والعديد من أيام التشريق وغير ذلك من أيام النفل .

فقل على البلاد المعتدلة التي وقع فيها التشريع كمكة والمدينة وقيل على أقرب بلاد معتدلة اليهم ، وكل منهما جائز فانه اجتهادى لا نص فيه » انتهى كلام صاحب تفسير المنار وهو يؤيد ما أشرنا إليه بشأن التقدير ، ويؤيد ذلك أيضا ما أخرجه مسلم في صحيحه من رواية يونس بن سمان عن حديث الدجال « قلنا يا رسول الله فهذا اليوم الذي كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم قال لا فاقدروا له » وحديث مسلم وإن كان قد ورد في الصلاة إلا أنه يؤيد ما ذكرناه في الصوم بشأن التقدير بحسب أقرب الجهات المعتدلة بالنسبة لأهالي البلاد القطبية على نحو ما أوضحناه آنفا - أما عن الموضوع الثاني : وهو صوم يوم الشك . فقد بينا فيما مضى آراء الفقهاء بشأن هلال رمضان وكيف يثبت ومتى يبدأ الصوم على ضوء ماورد بحديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكموا عدة شعبان ثلاثين يوما » ويوم الشك وهو يوم الثلاثين من شعبان إذا لم ير الهلال في ليلة غيم فيجوز كونه من رمضان وكونه من شعبان ، وفي هذا ما يوضح معنى يوم الشك ، وفيما نورد الان يتبين لك أيضا حكم صوم يوم الشك مما جاء بالسنة وما استنبطه منها الفقهاء .

فقد روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام ستة أيام أحدها اليوم الذى يشك فيه » .

وعن عمار بن ياسر قال من صام اليوم الذى يشك فيه فقد عصى أبا القاسم محمدا صلى الله عليه وسلم . رواه الخمسة .

وقد استدلل بذلك من رأى من الفقهاء المنع من صوم يوم الشك - قال النووي وبه قال مالك والشافعي والجمهور ، وحكى الحافظ في الفتح عن مالك وأبى حنيفة أنه لا يجوز صومه عن فرض رمضان ويجوز عما سوى ذلك -



الأستاذ أحمد زيت

تذكره أن الله أكبر من كل ما تستطيع الدنيا أن تقدمه ..

وتأتي بعد ذلك الكلمة الثانية .. لا اله الا الله .. هو وحده الذي نعترف بالهويته ونؤمن به .. ونسجد له .. هو وحده الخالق البارئ المصور سبحانه تبارك وتعالى ، لا نعبد غيره ولا نقدر الا اسمه ..

وكلمة لا اله الا الله هي حصن جديد للنفس المؤمنة تقيها من أي انحراف عن تعاليم الله .. ذلك اننا جميعا كبرنا وصغرنا من مكنهم الله في الارض ومن لم يملكهم .. نحن جميعا على اختلاف درجاتنا عبيد لله سبحانه وتعالى - بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير .. فاذا تذكرنا انفسه لا اله الا الله فانه لا شيء يصل عندنا أو في نفوسنا الى مرتبة الألوهية والتقديس الا الله سبحانه وتعالى ..

كل شيء في هذه الدنيا ينبع من الله .. الحياة والموت بيد الله سبحانه وتعالى .. هو الذي خلق الانسان .. وقدر له حياته .. ثم هو الذي يبعثه يوم الدين .. الرزق بيد الله سبحانه وتعالى «أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين» .. العلم من عند الله سبحانه وتعالى فهو الذي «علم الانسان ما لم يعلم» القوة والنصر والعافية من عند الله .. لا اله الا الله لا قوة الا بالله سبحانه وتعالى .. فمن هنا فاننا لا نخاف ولا نخشى الا الله سبحانه .. نفعل ما يأمر به .. ونبتعد عما نهانا عنه ..

ولانتجبه الا الى الله .. لانتجبه لغير الله في

بدأت الحديث في الشهر الماضي عن كلمات الاذان .. وقلت ان هذه الكلمات التي تتردد على ملايين المآذن كل يوم خمس مرات إنما تتردد ليست ككلمات والفظ .. ومن معني عميق جدا .. وانها اذا وصلت الى القلب كانت كسباح واق للانسان يحميه من الخطيئة والاثم ويقوده الى طريق النور والامل والحب طريق الله ..

فكلمة الله اكبر اول كلمات تقى الانسان اذا تذكرها دائما من طريق الخطيئة .. فهو حين يبهره المال الحرام يتذكر أن الله اكبر .. وحين تغره قوته على ظلم الناس يتذكر أن الله اكبر .. وحين يواجه عدوا قويا ظالما يتذكر أن الله اكبر .. فيقدم ولا يخاف .. وحين تغريه نفسه أن يأكل مال اليتيم أو الضعيف يتذكر أن الله اكبر .. وحين يهم أن يفعل شيئا يرضى به انساناذا نفوذ ويغضب به الله .. يتذكر أن الله اكبر .. والله اكبر كلمة تملأ النفس بإشجاعة والقلب بالطمأنينة والروح بالإيمان .. ونحن محتاجون لأن نتذكرها في كل لحظة تماما كالهواء الذي نتنفسه .. ومع القلب الذي لا يتوقف عن النبض .. ذلك أنها تذكرنا أن كل ما تعرضه الدنيا من مغريات .. وكل ما تقدمه من متع حسية .. وكل ما يزينه لنا الشيطان إنما هو صغير جدا بالنسبة لما عند الله .. والله عنده أكثر من ذلك بكثير ..

كان هذا هو ملخص سريع لما كتبتّه بإسهاب عن معنى إحدى كلمات النور التي تتردد ملايين المرات في الدنيا كل يوم لتذكر الانسان وما أكثر ما ينسى ..

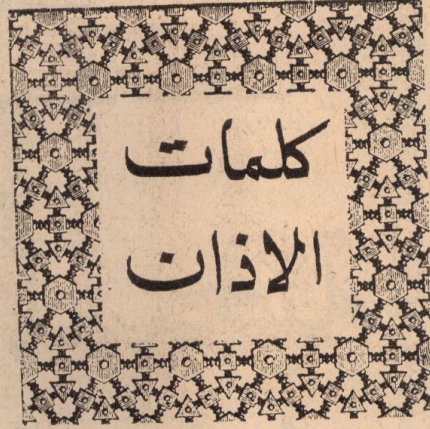


وتخلّى عنا الناس جميعاً وصحناً من قلوبنا يارب فهو
الذى يفتح أمامنا باب الأمل .. هو الذى يفتح لنا
أبواب الرزق كل يوم .. رزقنا ورزق أولادنا .. هو
الذى يمسح برحمته دموع المحروم ومرارة المكلم ..
وهم المحزون .. وهو الذى يجيب الرجاء ..

فلنتجه الى السماء دائماً .. لننتجه صباح كل يوم
الى الله .. لنترك الخلق ونتجه الى الخالق نقول
يارب لا اله الا انت .. ونحن نؤمن بالوحيته ..
ونقدس اسمك .. ولا نسأل الا ذاك الكريمة .. يارب
اذا لم تعطنا فلا معطى غيرك .. واذا لم تبسر امورنا
فلا شئ الا بارادتك .. واذا لم ترجمنا ضعننا فى هذه
الدنيا .. وأصبحنا من الضالين ..

يارب نحن لا نعبد الا أنت .. فلا تتركنا فريسة
لاغواء الشيطان يزين لنا الباطل .. حتى نغتر ونتوه
عن الحق .. يارب انت الرجاء حين يتخلّى عنا كل
رجاء وانت الأمل حين يملأنا اليأس .. وانت
المستعان على كل الامور .. تذكرنا دائماً بأنه لا اله
الا أنت حتى لا ننسى ونعتقد أن تصادم الامور
بيد الناس .. وأن الشقاء بيد الناس .. وأن الرزق
بيد الناس .. وأن الجاه والسلطان بيد الناس فلا
جاه الا جاهك .. ولا سلطان الا لك .. ولا امر الا
امرك ..

حين نصل الى هذا نكون قد تحصنا من
الشيطان .. ذلك أن الشيطان يغرى ويسيطر على من
ينسى كلمة الله - لا اله الا أنت - من لا يتذكر قوة الله
وعظمته سبحانه وتعالى .. انما من يتذكر فانه لا
يضل ذلك أنه يحس أنك سبحانه وتعالى الحصن
الحصين الذى لا حصن غيره .. ومن هنا لا يرجو الا
رضاك وحدك .. ولا يهمله غضب احد فى هذه الدنيا
كلها .. لا اله الا الله .. لا تطيع الا الله .. لا تخشى
الا الله لا تعبد الا الله .. لا ترجو الا من الله ..
ومن هنا فنحن أقوياء بالله .. وبطاعة الله والى
مقالة قادمة ان شاء الله ..



شئ .. لانه لا حول ولا قوة الا به .. فتملأنا فى
الحياة عزة الايمان .. ننظر حولنا ونقول فلانا سيفعل
لى كذا .. ولذلك يجب أن أجامله فى الحق « ابدأ » ان
احدا لا يفعل شيئاً .. ولكن الله سبحانه وتعالى هو
الذى يقدر ويقرر .. فاذا أغضبناه فانه لا اله
غيره .. ولا احد فى هذه الدنيا كلها مهما بلغت قدرته
وعظمته ونفوذه يستطيع أن يفعل لنا شيئاً لم يقسمه
الله لنا .. وعند مايتأتى قضاء الله يقف جميع ما فى
الارض عاجزين لا يستطيعون ان يفعلوا شيئاً ..
وهذا موجود حولنا .. فى حياتنا موجود كل يوم ..
واذا تأملنا قليلاً فى انفسنا .. او فيمن حولنا .. واذا
بعدنا عن زحام احداث الدنيا قليلاً وتأملنا لوجدنا
اناساً تحيط بهم الابهة والعظمة .. وسلطان
وهيلمان .. ثم جاء قضاء الله فاذا بهم يجرون
فى الشوارع يحاولون الهرب بحياتهم .. ويتخفون
ويهربون .. ويهرب منهم كل من كان يتفاخر بصلته
بهم .. ذلك ان العزة لله جميعاً .. العزة لله وحده ..
وامام قضاء الله ليس هناك كبير ولا صغير كلنا
عبيد .. ومن هنا فانه لا اله الا الله .. ولا يجب ان
نعتمد الا على الله سبحانه وتعالى نرجو رضاه
ونبتعد عن معاصيه ونؤمن أنه هو المانع .. وهو
المانع .. العاطى وهو الرازق .. ولا حول ولا قوة الا
به ..

والله هو الأمل الكبير فى الحياة .. اذا أظلمت
الدنيا فهو الذى يأتى بالنور .. واذا ملا قلوبنا اليأس



صور مت التعاطف بيت الإسلام والمسيحية

الأستاذ مريد عبد الحميد مصطفى

جاءت زيارة الوفد العربى الإسلامى للفاثيكان برئاسة السيد الأستاذ محمد توفيق عويضة نائب وزير الأوقاف وشئون الأزهر ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . فتجا جديدا وأحياء وتأسيسا لما يجب أن تكون عليه العلاقات الإنسانية عامة والإسلام والمسيحية خاصة . . .
ونأمل أن تكون هذه الزيارة نواة لمزيد من التعارف والتعاون والتعاطف ودرءا لآى لون من ألوان الانقسام أو التعصب .
والإديان السماوية فى جوهرها تهدف الى اسعاد البشرية ، وتعمق جذورها فى قلوب من أراد الله لهم الهداية : فتملأ قلوبهم إيمانا ، وترشدهم الى الحق : وتهديهم الى الخير والبر ، وتوصلهم الى الاقرار بوحدانية الله ، وأنه لا معبود سواه ، لذلك كانت الحكمة العظمى من خلق الخلق هى معرفة الله بالتدبر والتفكر فى مخلوقاته ، وتعظيمه بعبادته وحسن طاعته ،

نفسك ، وكل عقلك هذه هى الوصية العظمى والاولى ، انجيل متى .

ولما كانت معرفة الله وعبادته ذات اصول وقواعد ، كان لابد من ارسال الرسل ، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعدهم ، فتعاقبت الرسل ، وكان النداء الاول لكل رسول منهم ، « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » . وصدق الله حيث يقول : « وما أرسلنا من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون » .

وجاء كل رسول مصدقا لمن قبله من الرسل . . . ومكملا للرسالات السابقة ، حتى كانت رساله الاسلام التى جاء بها محمد بن عبد الله ختام الرسالات ، يقول أشرف الخلق - صلى الله عليه وسلم - : مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فاكملها الا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس

يقول رب العالمين سبحانه ، « الله الذى خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما » ويقول جل شأنه : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » . ويقول رب العزة فى الحديث القدسى ، يا بنى آدم . انى ما خلقتكم لاستأنس بكم من وحشة ، ولا لاستكثر بكم من قلة ، ولا استعين بكم من وحدة ، على امر عجزت عنه ولا لجلب منفعة ، ولا لدفع مضرة ، وانما خلقتكم لتعبدونى طويلا ، وتذكرونى كثيرا ، وتسبحونى بكرة واصيلا » .

ولقد سأل سائل المسيح عيسى - عليه السلام : يا معلم . ما أعظم الوصايا فى الناموس ؟ قال له يسوع المسيح : « أحب الرب الهك بكل قلبك ، وكل

سوف يرشدكم الى الحق ويدلكم عليه ، لانه لن يتكلم عن نفسه ، ولكنه سوف يمجديني »
وأورد المؤرخ الهندي المسلم مولاي محمد على في كتابه « محمد رسول الله » كثيرا من آيات الانجيل التي تبشر برسول الله
فقد جاء في انجيل يوحنا ، الاصحاح الرابع عشر : ١٣ - ١٥ :

« ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ، وانا اطلب من الاب ان يعطيكم معزيا آخر ، ليمكث معكم الى الابد : روح الحق » .

وجاء - أيضا - في انجيل يوحنا :
« لكي اقول لكم الحق ، انه خير لكم ان اطلق ، لانه ان لم اطلق لا ياتيكم المعزي ، ولكن ان ذهبت أرسله اليكم » .

ثم قال المؤرخ المذكور : ان كل هذه النبوءات تبشر برسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم .
ولو استعرضنا صفحات التاريخ الاسلامي ، لوجدناها مليئة بصور حية مشرقة من التعاطف بين المسلمين ونبي الاسلام من جانب ، وبين المسيحيين والمسلمين من جانب آخر .

ويتضح لنا هذا جليا في قصة بحيرى الراهب المسيحي ، وما كان من أمره مع أبى طالب عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حينما أخذ أبو طالب محمدا معه في تجارة الى الشام ، وكان عمره اذ ذاك اثني عشر عاما ، ومرت القافلة على الدبر الذي يقيم فيه بحيرى راهبا ، وتصادف ان كان بحيرى يقف أمام الدبر ، فاسترعى نظره تلك الغمامة البيضاء التي كانت تلازم القافلة . وتظللها أينما سارت ، فاستضاف بحيرى كل أفراد القافلة ، فقبلوا ضيافته ، ولكنهم تركوا محمدا - لصغر سنه - يحرس تجارتهم وأمتعته ، وتفحص بحيرى الحاضرين فلم يجد فيهم من يبحث عنه ، ومن استضاف القافلة كلها من أجله ، فسأل : هل تخلف أحد من القافلة عن الحضور ؟ فكانت اجابة الحاضرين : تخلف غلام فى الرجال تركناه لحدثائه سنه ، فغضب بحيرى ، وأمر بإحضاره ولما حضر محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لاقى اهتماما كبيرا من جانب بحيرى ، وأخذ بحيرى يتفحص فيه ، ويفحص بعض اجزاء جسده ، وأخذ يحادثه حتى أيقن ان كل صفات النبی المنتظر الذي بشرت ببعثته الكتب السماوية السابقة قد تجمعت فى هذا الغلام ، فأخذ أبا طالب بعيدا عن الناس ، وهمس اليه بأن ابن أخيه هذا سيكون له شأن عظيم ، ونصحه بالعودة به الى بلاده خوفا عليه من اليهود حتى يظهر الله شأنه !!
وكذلك موقف ورقة بن نوفل الذى اعتنق المسيحية ، وصار عالما بأصولها ، متفقا بنصوصها المقدسة .
وكان على دراية كبيرة بالتوراة والانجيل والكتب العبرانية ، وكانت هناك صلة قرابة تجمعهم بخديجة بنت خويلد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو ابن عمها ، وحينما

يطوفون به ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فانا اللبنة ، وانا خاتم النبيين » .

والرسالة السابقة مباشرة لرسالة الاسلام التي جاء بها محمد بن عبد الله هي رسالة المسيح عيسى بن مريم - ولهذا فلا عجب أن تكون هناك صور مشرقة للتعاطف بين المسيحية والاسلام ، او بين المسيحيين والمسلمين .

فهذا دستور الاسلام يعرض لنا لوحة رائعة كريمة ، يتحدث فيها عن عيسى ومعجزاته ، نزلت من لدن حكيم عليم ، أقرأ معى قول الحق تبارك وتعالى :

« ان قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيبها فى الدنيا والاخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت رب اننى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله بخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون . ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرىء الاكهم والابرص واحيى الموتى باذن الله واننكم بما تاكلون وما تدرخون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لىكم ان كنتم مؤمنين . ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعوا ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » وجاء على لسان عيسى فى سورة مريم :

« قال انى عبد الله أتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا أينما كانت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرأ بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » .

ولئن سجل القرآن الكريم هذه الصورة الحية ، واللوحة الرائعة المشرقة لعيسى - عليه السلام - فقد جاء الانجيل قبل القرآن يمجّد محمدا ويبشّر به ، ذكره الاب عبد الاحد داود الاشورى العراقي مطران الموصل فى عهد السلطان عبد الحميد فى الباب الثانى من كتابه « الانجيل والصليب » :

« ان المبشر لوقا يبشر بالاسلام وبأحمد ، فقد جاء فى لوقا انه ظهر فى الليلة التى ولد فيها المسيح عليه السلام - جمهور من الجنود السماوية للرعاة الذين كانوا فى البرية ، يترنمون بهذا النشيد : الحمد لله فى الاعالى ، وعلى الارض السلام ، وللناس أحمد » .

وعلى الرغم من أن الترجمة العربية لهذه الآية ، « المجد لله فى الاعالى ، وعلى الارض السلام ، وبالناس المسرة » فان المؤلف قد نقلها أيضا ثم قال : ان الاصل الصحيح هو ما قاله يعنى ، « وللناس أحمد » .

وجاء فى انجيل يوحنا على لسان المسيح نفسه :
« لا تزال عندى أشياء كثيرة أقولها ، ولكنكم لا تحتمونها أو تطيقونها عندما يجىء روح الحق فانه

لتوحيد الله ، وأن لا نترك به شيئاً ، ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصديق الحديث ، وإداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم . . ثم قال جعفر : فأما به وصدقناه ، وحرمننا ما حرم علينا ، وحللنا ما أحل لنا ، فتعدى علينا قومنا ، فعذبونا ، وقتلونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان ، فلما قهرونا ، وظلمونا . وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، وأخترناك على من سواك ، ورجونا أن لا نظلم عذلك .

فقال النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله شيء ؟ قال جعفر : نعم . وبدأ يقرأ عليه سورة مريم ، فبكى النجاشي وأساقفته ، ثم قال النجاشي : أن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة ، ثم نظر إلى وفد قريش ، وقال : انطلقا ، والله لا أسلمهم اليكما أبداً فإغتاظ عمرو بن العاص .

وقال لعبد الله بن أبي ربيعة : والله لآتينه غدا بما يبببب خضرهم .

فلما كان الغد ، قال عمرو للنجاشي : أن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما ، فأرسل النجاشي إلى المهاجرين يسألهم عن قولهم في المسيح ؟ فقال جعفر : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا . هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول فتناول النجاشي عودا من الأرض ، وقال : ما عدا عيسى ما قلت قدر هذا العود ، فنخرت بطارقه ، فقال : وإن نخرت !! ثم قال للمسلمين : « اذهبوا فانتم آمنون ، ما أحب أن لي جبلا من ذهب وأنني أذيت رجلا منكم !! »

ورد هدية قريش ، وقال : ما خذ الله الرشوة مني حتى أأخذها منكم ، ولا أطاع الناس في حتى أطيعكم فيه !!

وعاش المهاجرون بجوار النجاشي في أمن وطمانينة وسلام ، وعاد وفد قريش يجر أذيال الخيبة ، وقد تحطم مسعاهم على صخرة التعاطف بين النجاشي والمسيحي ، وبين المسلمين أتباع محمد صلى الله عليه وسلم .

وإذا كنا قد عرفنا هذه الصورة الرائعة للموازنة والتعاطف من جانب النجاشي المسيحي للمسلمين المضطهدين ، فتعال يا أخى القارئ لنستعرض بعض صور الترابط والتعاطف والتراحم من جانب سيد المرسلين - عليه صلاة الله وسلامه - للمسيحيين . وذلك بعد أن عظم شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصبحت دولة الاسلام عزيزة السلطان ، مرهوية الجانب .

فقد أثبت التاريخ الاسلامي أنه كان تحالف بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض القبائل المسيحية مثل ، قبيلة تغلب النصرانية ، ونصارى نجران ، ونصارى اليمن ، ونصارى الجزيرة العربية .

نزل الوحي على رسول الله وهو يتحدث في غار حراء ، وعاد إلى خديجة مضطرب القلب ، ممتقع اللون ، وهو يقول : زملوني زملوني ، دشروني دشروني ، أخذت خديجة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وأخبرته بما حدث لمحمد ، فاهتز ورقة من الفرح والسرور وصاح : قدوس قدوس ، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة ، فلقد جاء الناموس الذي كان ينزل على موسى ، وإن محمداً لنبي هذه الأمة ، ثم قال ورقة مخاطباً رسول الله : ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال له سيد المرسلين عليه عليه السلام . « أو مخرجي هم ؟ فأجابته ورقة ، نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزراً !! »

وبعد أن بعث رسول الله - عليه صلاة الله وسلامه - ولأقوى من قومه ما لاقى ، وذائق أصحابه الأمرين على يد مشركي مكة الذين تحجرت قلوبهم ، وعميت بصائرهم ، وتمسكوا بضلال آباءهم ، اذن رسول الله لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة المسيحية ، حيث يوجد النجاشي العظيم ، ذو العقل الرشيد ، والفكر السديد ، والبصيرة النيرة ، والاعتقاد السليم في عيسى عبد الله ورسوله - عليه السلام - فعامل المسلمين الفارين بدينهم من طغيان الشرك والوثنية أحسن معاملة ، ووجدوا عنده أفضل ما يتمنون من أمان : وطلب جوار ، وكرم وفادة .

ولكن قريشا لم يهدأ لها بال ، ولم يستقر لها حال ، وعز عليهم أن يجد المهاجرون من المسلمين عذد النجاشي المسيحي أماناً لأنفسهم ودينهم ، فأرسلوا إلى النجاشي وفداً من عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة - قيل أن يترج الله صدرهما للاسلام - وحملوا الوفد بكثير من الهدايا ، ليقدّمها إلى النجاشي وحاشيته ، فيجدا منه أذنًا صاغية لكلامهما ، واستجابة عاجلة لطلبهما ، فيسلمهما من هاجر إلى مملكته من المسلمين ، فالتجأ الوفد أولاً إلى حاشية النجاشي ، وأغرقوا عليهم هداياهم ، ثم قالوا لهم ، « ان أناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دين الملك ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم » وطلب الوفد من حاشية الملك أن يقاتحوا النجاشي في طرد هؤلاء المهاجرين ، و لكن النجاشي بما أوتي من رجاحة عقل ، وسداد فكر ، رأى أنه لا بد من استجواب الطريف الآخر ، للوقوف على حقيقة الأمر ، فأرسل في طلب المهاجرين ، فحضروا ، فقال لهم النجاشي ، ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من الناس ؟ فأجابه جعفر بن أبي طالب نيابة عن اخوانه المهاجرين ، فقال : « أيها الملك : كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأثي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، وبأكل القوى منا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفاقه ، فدعانا

كما أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رسالة جامعة الى رهبان دير سانت كاترين في جبل سيناء ، تعتبر وثيقة تاريخية ، معبرة عن اسمى معاني التراحم والتعاطف ، والتضامن والتسامح ، يؤمنهم فيها على انفسهم ، وعلى عقيدتهم ، فجاء في هذه الرسالة :

« هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله بشير ونذير ، وأمين الخلق أجمعين ، لوديعه الله في خلقه . كي لا تكون حجة على الله بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ، كتبه لمن هم على دينه ، عهدا لأولئك القوم الذين هم على دين النصرانية من مشارق الارض الى مغاربها ، بعيدهم وقريبهم ، عربهم وعجمهم ، معلومهم ومجهولهم .. فمتى كان راهب أو سائح مجتمعاً في جبل ، أو واد ، أو مغارة ، أو معمورة ، أو سهل ، أو كنيسة أو معبد ، فنحن من ورائهم ، وإنى لأذب عنهم بنفسي ، والموالي ، وأنصارى وشعبي ، هم وأموالهم وأثوابهم ، إذ أنهم من رعيتي وأهل ذمتي ، وأدفع عنهم كل ما يكدرهم من تلك الاثقال التي نعطها أهل العهد ، فلا يعطون الا ما طابت لهم نفوسهم من الاشياء خراجا ، ولا يكدرهم ، ولا يكون عليهم جبر ولا اكراه ، ولا يتغير من كان عليهم قضاة منهم عن وظائفهم ، ولا رهبانهم عن رهبانيتهم ، ولا أرباب الخلوات عن الإقامة في صوامعهم ، ولا يسلب أحد سياحهم ، ولا يهدم بيتاً من بيوت كنائسهم ، ولا يثلمه ، ولا يدخل شيء منها الى بيوت المسلمين ، وكل ما أخذ شيئاً من ذلك فيكون قد أفسد عهد الله ، وخالف رسوله حقيقة .. غاثي أنا أحفظ ذمتهم في البحر ، والبر ، والمشرق ، والمغرب والشمال ، والجنوب أينما كانوا ، وهم في ذمتي وميثاق أمانى من جميع الاشياء التي يكرهونها .. ان المسلمون يحاربون عنهم ، ويجادلونهم على أحسن وجه ، اتباعاً لآية : (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) .. وتحترم كنائسهم فلا يمنعون من تعميرها ، ولا من حرمة أديرتهم ، ولا يلتزمون بنقل سلاح ، أو حمل حجارة ، وأنما المسلمون يذبون عنهم ، ولا أحد من الامة يخالف هذا العهد الى يوم القيامة وانقضاء الدنيا !! »

ليس هذا فحسب ، وإنما كانت مشاعر المسلمين تفيض حبا وأخلاصاً وأخاء تجاه اخوانهم المسيحيين ، ففي الفترة التي كان الصراع فيها قد بلغ أوج شدته بين الفرس الوثنيين والمجوس ، وبين الرومان المسيحيين وتمكنت حجاجل الفرس من هزيمة الروم ، وأستولت على ممتلكاتهم في آسيا ومصر حتى وصلت الى ابواب « بيزنطة » عاصمة الامبراطورية الرومانية ، وفي هذه الفترة الرهيبة التي أوشكت فيها الدولة الرومانية على الانهيار والاستسلام ، كان المسلمون يتمنون من كل قلوبهم أن تتحول هزيمة الرومان من الفرس الى نصر عليهم ، ونزل الوحي الالهى معبراً عن مشاعر المسلمين ، ومترجماً أمانيتهم ، ومبشراً بأن ما أرادوه سيحقق ، وماتنوه

سيكون « الم . غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون » !!

ولما بدأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ارسال كتبه الى الملوك والأمراء ، يدعوهم فيها الى دينه ، كان من بين هذه الكتب كتابه الى هرقل عظيم الروم . والى المقوقس حاكم مصر وعظيم القبط .

أما هرقل فعندما وصلته رسالة رسول الله أكرم حاملها « دحية بن خليفة الكلبي » ، ورد عليه رداً حسناً ، واستدعى أبا سفيان بن حرب ، ووجه اليه عدة أسئلة يريد بها التوصل الى الوقوف على أمر صاحب هذا الدين الجديد ، وبعد حوار طويل بين هرقل وأبي سفيان - المشترك في ذلك الوقت ، قال هرقل لأبي سفيان :

سألتك عن نسبه ، فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فذلك الرسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك : هل قال أحد منكم هذا القول قبله فلو قلت : نعم لقلت : رجل يتأسى بقول قيل قبله ، وسألتك : هل كان من آباءه من ملك ؟ فذكرت : ان لا . فلو كان من آباءه من ملك قلت : رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت : ان لا . فقد اعرف انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك : أشراف الناس أتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أنهم ضعفاؤهم ، وكذلك أمر الايمان حتى يتم ، وسألتك :

ايرتد أحد سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه ؟ فذكرت : ان لا ، وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب ، وسألتك : هل يغدر ؟ فذكرت ان لا وكذلك الرسل لا تغدر ، ويأمركم بالصلاة ، والصدق ، والعفاف ، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، ولم أكن أظن أنه منكم ، فلو أنى أعلم انى أخلص اليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت قدميه .

ولما استأذن الحارث بن أبي شعر الغساني هرقل في حرب محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان عرف عنه ما عرف لم يأذن له وأمره بأن يتغافل عنه .

ولما علم هرقل باسلام النجاشي ، قال له البتاق : أتدع عبدك لا يخرج لك خرجاً ، ويدين بدين غيرك ديناً محدثاً ؟ فاجاب هرقل : رجل رغب في دين فاختره لنفسه ، ما أصنع به ؟ والله لولا الضن يملكى لصنعت كما صنع !!

أما المقوقس عظيم القبط في مصر ، فحينما وصله كتاب رسول الله أحسن استقبالاً حمله : حاطب بن أبي بلتعة ، وأكرم وفادته ، ورد رداً كريماً ، وأرسل معه لرسول الله الكثير من الهدايا التي كان من بينها مارية القبطية التي تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنجب منها ابنه ابراهيم !!

حول مشكلة الاستشراق

الأستاذ محمد رباب

في مقال العدد الماضي من «منبر الإسلام» الغراء .. تحدثت عن مؤتمر الدعوة الإسلامية الذي عقد في مدينة طرابلس بليبيا يوم السبت الرابع عشر من شهر شوال الماضي .. وكان الحديث في إطاره العام مجرد انطباعات سريعة عن المؤتمر وخطة عمله وأبحاثه كخطوة جادة وواسعة على طريق التخطيط السديد والرشيد، من أجل عمل إسلامي جماعي لنشر دعوة الإسلام كما أرادها إليه : دعوة للحياة والمحبة والإخاء .. دعوة التقدم والفعل والسلام .. في وجه كل التحديات الفكرية والحضارية والعلمية التي تهدف أساسا إلى التمكن لإبشع ألوان التآمر الاستعماري الصهيوني من تدمير المعتقدات والمقدسات الإسلامية، حتى تركع الشعوب الإسلامية وترفع راية «الاستسلام إلى الأبد»

ولعل من أبرز التحديات الفكرية التي مازالت تمثل بالنسبة للإسلام والمسلمين مشكلة كبرى هي مشكلة الاستشراق . ولعل من إيجابيات المواجهة المطلوبة في هذا الصدد، ما أكد عليه المؤتمرون ودعا إليه من ضرورة تفسير القرآن الكريم تفسيراً صحيحاً وترجمة معانية إلى جميع اللغات، ومن ضرورة تحريك كل العلماء والمفكرين الإسلاميين في الوطن الإسلامي والانطلاق بالدعوة - وبكل الامكانيات - إلى كل مكان في الداخل والخارج على مستوى العالم كله .

وكننت قد أشرت في نهاية مقال الشهر الماضي إشارة سريعة إلى مشكلة الاستشراق، وضرورة مواجهتها ودراستها دراسة جدية، وتحديد موقفنا

ولو ظوينا بعض صفحات التاريخ لنصل إلى الفتح الإسلامي لفلسطين في السنة الخامسة عشرة من الهجرة النبوية، حينما تم فتح بيت المقدس على يد الجيوش الإسلامية بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح - رضي الله عنه - وطلب أهل مدينة القدس المسيحيون الصلح، واشترطوا أن يكون المقتول لعقد الصلح عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين بنفسه، لوجدنا صورة عظيمة أخرى من التعاطف، فقد استجاب عمر لطلبهم، وحضر بنفسه متحملاً مشقة السفر، وأعطاهم هذا الأمان الذي يفيض رفقاً وعدلاً، فجاء في نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا (بيت المقدس) من الأمان : أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيادهم معهم أحد من اليهود ..»

ولما أدركت الصلاة عمر بن الخطاب وهو في كنيسة القيامة لم يرض أن يصلي فيها ولا في كنيسة قسطنطين برغم الحاح البطريرق عليه بالصلاة في أحدهما، وذلك حتى لا يستولي المسلمون - مستقبلاً على مكان الصلاة قائلين : هنا صلى عمر بن الخطاب .

ولذلك أرسل بطريرق القدس إلى بطريرق القسطنطينية يقول له : «انه لم يصبنا من المسلمين أقل أذى أو عنف أو أهانة» !!

وبعد : فهذا قليل من كثير من صور التعاطف والتآلف والإخاء بين المسيحية والإسلام، أو بين المسلمين والمسيحيين، وصدق الله العظيم حيث يقول : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فأكتنينا مع الشاهدين » وإن علينا أن نبارك كل جهد يبذل : ونحیی كل خطوة تخطى في سبيل تدعيم أوامر الألفة والمحبة بين المسلمين والمسيحيين خاصة وأن عدونا مشترك يتربص بنا الدوائر، ويتحين الفرصة للوقعة بيننا، ووصل به حد العداء والسفه أنه اعتدى على المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس المحتلة، وهذا يحتم علينا جميعاً أن نقف وقفة رجل واحد أمام هذا العدو اللئيم : وأن نوحّد جهودنا لما فيه خيرنا وخير الإنسانية، ومما هو جدير بالذكر تلك الزيارة التي قام بها وفد إسلامي من الجمهورية العربية المتحدة إلى الفاتيكان . وتعتبر هذه الزيارة الأولى من نوعها، ونأمل أن تكون نواة لمزيد من التقارب والتعاون، والتضامن والتعاطف بين المسلمين وإخوانهم المسيحيين، ودرءاً لأي لون من ألوان الانقسام أو التعصب والله الموفق .

وحدها .. وهم طائفة خاصة أصبح زعماءها الان معروفين في مصر والبلاد العربية .. وارتبط الكثيرون منهم بكبار المتقنين في البلاد العربية برباط المودة والزمالة . وانتشر تلاميذهم في اقسام اللغة العربية بكلية الاداب في الجامعات العربية وبعض الكليات الاخرى ذات الصبغة العربية والدينية .

والاستشراق عملية قديمة بدأت منذ قرون .. ثم تطورت ولبست اثوابا شتى .. واستعملت اساليب مختلفة .. وتحكمت فيها دوافع متباينة .

كانت عملية الاستشراق في بداية امرها محاولة انفعالية لتصوير الاسلام والبلاد الاسلامية بصورة مشوهة .. لا تقوم على اساس دراسة الدين في مراجعة الوثيقة دراسة نزيهة مخلصه تعتمد على الاسلوب العلمى الصحيح .

ثم بدأ الاستشراق الحديث حينما أسست دراسة اللغات الشرقية واللغة العربية في بعض الجامعات والمعاهد الاوربية .. وقد ظهر الاهتمام بالعلوم العربية في القرن العاشر الميلادي .. وازدهرت هذه الحركة في القرن الثاني عشر وعينت بنشر العلوم ورفع المستوى الثقافى ترجمة وتاليفا .. وكان الغرض من حركة الترجمة الاوربية في ذلك الحين هو نفس الغرض الذى من أجله عنى المأمون وسواه بنقل العلوم اليونانية الى اللغة العربية .. ومن أجل هذا اتجه الاوربيون في كتب العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية .. فترجموا الكثير من هذه الكتب العربية وأقبل الناس على دراستها .

وفي القرن السابع عشر .. حدثت ظاهرة هامة جديدة في حركة الاستشراق من حيث مقاصدها .. فقد أصبح الاستشراق علما قائما بذاته ..

بل ظهرت نزعة الى تحرير هذه الدراسات والاتجاه بها الى البحث العلمى المستقل الذى يتحرى دراسة الاداب والاديان لذاتها مستهدفا المعرفة وحدها .

بل ان الاستشراق في نزعته العلمية الجديدة لم يلبث ان خضع لعامل جديد هو خدمة الاستعمار بما يقدمه من معلومات وآراء تساعد خطته وتحقق أهدافه .

يرى أحد كبار المستشرقين : ان مستر ايدن كان قبل ان يضع قرارا سياسيا في شئون الشرق الأوسط ، يجمع المستشرقين ويستمع الى آرائهم ، ثم يقرر ما يقرر في ضوء ما سمعه منهم !!

وأعمال المستشرقين الحديثين تنقسم الى ثلاثة أنواع : نشر الكتب العربية .. ترجمتها الى اللغات اللاتينية والفرنسية والانجليزية والألمانية .. التأليف في العلوم العربية والاسلامية .

منها تحديدا دقيقا يكتل المحافظة على قيمنا وصيانة تراثنا من العبث وسوء التصوير .

والواقع أن قضية مواجهة حركة الاستشراق قد أخذت من الجدل بين العلماء والمفكرين :

● هناك من يرى بحسن نية وإفراط في الثقة أننا يجب أن نتجاهل وجود المستشرقين ، ولا نشغل أنفسنا بالرد عليهم ، لانهم أمون شأننا من ذلك ، ولان الاسلام رغم كيدهم سيظل أقوى من كل كيد وتدبير .

● وهناك من يرى بسوء نية عدم التعرض لآراء وأفكار المستشرقين ، انطلاقا من اعتناق هذه الآراء والأفكار .. وهؤلاء في الغالب تلاميذ أو أصدقاء لبعض أولئك المستشرقين

● وهناك غير هؤلاء . أولئك من يرى ضرورة التصدى الفوري لما ينشره المستشرقون من دراسات وأبحاث ومؤلفات وما يقومون به من أنشطة ومؤتمرات .. وهذا الزفر من العلماء يرون أن من أسوأ السياسات الثقافية والدينية تجاهل وجود المستشرقين وأعمالهم .. ومن ثم فإنه من الضروري جدا التفكير بسرعة في مواجهة الموقف مواجهة علمية صحيحة . ومعالجة المشكلة بالحكمة التى تقتضيها طبيعتها وفقرضها خطورتها ، وبخاصة بعد أن تسربت أفكار المستشرقين وآراؤهم الى أجواء بعض الجامعات العربية واكتسبت من العاملين فيها أنصارا ودعاة وناشرين .

واعتقد أن من أهم الدراسات التى نشرت أخيرا حول مشكلة الاستشراق وما يجب أن نقوم به فى مواجهة تلك المشكلة ومعالجتها دون تردد ، تلك الدراسة العلمية الممتازة التى قام بها العلامة الدكتور ابراهيم عبد المجيد اللبان ، وتناول فيها طبيعة عمل المستشرقين وآثارهم العلمية والبواعث التى تدفعهم الى العمل ، والاهداف التى يسعون اليها والميادين التى يعملون فيها .

ولعلنى أستطيع هنا - وعلى قدر ما تسمح به سطور هذا المقال - أن أقدم تلخيصا سريعا لتلك الدراسة الهامة ، حتى يستطيع القارئ المسلم الامام بطرف من أصل المشكلة التى تتنادى بوجوب البحث عن ايجاد حلول لها ، تضمن احباط تأثيرها الخطير ، على وجه السرعة وبدون ابطاء .

أولا .. من هم المستشرقون ؟

ان المستشرقين اسم واسع يشمل طوائف متعددة تعمل فى ميادين الدراسات الشرقية المختلفة .. فهم يدرسون العلوم والاداب الخاصة بالعالم العربى والهند والفرس والصين واليابان وغيرها من أمم الشرق .. ولكن ما يهمنا هنا هم المستشرقون الذين اتجهوا الى دراسة العلوم العربية والاسلامية

أما أسلوب البحث الذي ينتهجه معظم المستشرقين .. فإنه يسجل عدداً من الظواهر الشاذة :

● أولاً : أن المستشرقين المستعربين لا يحسنون الكلام باللغة العربية ، وهذا العجز يعتبر ظاهرة شاذة ، فإن أبسط شروط البحث العلمي الذي يتصدى لدراسة آداب أى لغة ، هو معرفة هذه اللغة معرفة وثيقة .

● ثانياً : هذا النقص العلمى لا يقتصر أثره على الأغلاط الموضوعية التى يسببها سوء الفهم .. بل أنه يبدو على أنه يحينها يتعرض أولئك الباحثون للحكم على أسلوب الادب العربى وعلى أسلوب القرآن الكريم بوجه خاص .. فنرى اذ ذاك آراء تثير الدهشة وتدعو الى السخرية .

● ثالثاً : ان هؤلاء لم يتجهوا الى مهمتهم بمثل نزاهة العالم الرياضى أو الطبيعى الذى لا يعنيه الا البحث عن الحقيقة وحدها ، ولا تميل به الاهواء ذات اليمين أو الشمال .

● رابعاً : ما استحدثه أولئك المستشرقون من نظريات وآراء ، أكثره مغرض .. فان رغبتهم فى التجريح كثيراً ما حملتهم على التماس أسانيد ضعيفة ومنبوذة .. وكثيرا ما يغفلون النصوص والأخبار التى تنقض ما يقررون .. وهذا هو الانحراف العلمى بعينه .

● خامساً : ان النتيجة العامة أنه يجب ألا نفتخر بجدة آرائهم وطرافتها ، وأن نتذكر دائماً أن عملهم ينقصه فى كثير من الاحوال الطابع العلمى الصحيح ، وألا نأخذ نتائجهم بروح الثقة بل ننظر اليها بعين الحذر والتحفظ .

وانصافاً للحقيقة .. فان الحكم بالانحراف العلمى لا ينطبق على جميع المستشرقين .. فهناك عدد منهم حاول أن يتحرر فى بحوثه العلمية من أثر العواطف السياسية .. والا ينزل فى تقرير ما يقرر من نتائج إلا على حكم الأدلة الموضوعية التى تثبت صحتها التاريخية .. وقد أعرب كثير من هذا الفريق عن افكارهم للانحرافات العلمية التى وقع فيها كثير من زملائهم

● ● ●

وبعد ...
فما الذى يجب أن يكسبون عليه موقفنا من الاستشراق ؟

هناك منهج لهذا الموقف الذى ينبغي أن يتمثل فى عدة نقاط هى :

● احصاء اغاليط وأضاليل المستشرقين فى « دائرة المعارف الإسلامية » وغيرها من الكتب التى أصدروها .. وتصنيف هذه الأضاليل وجمعها فى سفر واحد يتضمنها ويتضمن الردود المقنعة التى

كتبت عليها .. وينطبق هذا على ما يصدر من كتبهم فى المستقبل .

● دراسة تاريخ حركة الاستشراق فى مصر والهند والعالم العربى وتتبع الشئبه التى أثيرت والردود التى وضعت للانتفاع بها فى موقفنا الحاضر من حركة الاستشراق .

● مراجعة صلة الدراسات العربية والإسلامية فى البلاد العربية بمدارس الاستشراق فى الغرب التى تقوم بنفس الدراسات .. حتى لا تندس نظرياتهم وآراؤهم فى ثقافتنا .. وتدخل فى عملية المراجعة تلك البعثات التى ترسلها الجامعات العربية الى مدارس الاستشراق .

● ضرورة تأسيس هيئة خاصة لدراسة مشكلة الاستشراق وتعقب انتاج المستشرقين المعاصرين وغير المعاصرين وتحديد مواقفهم ومنازعاتهم الخاصة فى الجامعات الأوروبية والأمريكية .. على أن تقوم هذه الهيئة بهيئة الرد وتنفيذ ما كتبه فى القديم والحديث .

● ● ●

هكذا تقدم لنا دراسته الدكتور اللبان تشخيصاً وعلاجاً لمشكلة الاستشراق .. باعتبارها مشكلة ملحة لم يعد من الممكن تجاهلها أو التغاضي عنها .. بل باعتبارها تحدياً خطيراً للعقيدة الإسلامية والقوة الإسلامية التى هى وليدة العقيدة .. اذ أنه ليست هناك قوى مادية أو نفسية تستطيع أن تحقق السيادة الحضارية أكثر من العقيدة .

ان القوى المضادة التى تخطط لحركة الاستشراق تعلم ذلك وبقايها الجيوب الاستعمارية فى الأرض الإسلامية لا تريد للمسلمين وقد نهضوا من رقاهم الطويل أن يستردوا ايجادهم الحضارية العظيمة . وهى تهدف الى تحقيق ذلك بمحاولة صرف الشعوب الإسلامية عن أمرين : الاعتصام بالدين .. واعزاز العقيدة . وتحت هذا المخطط تعمل حركة الاستشراق مع حركات أخرى نصب جميعها فى مجرى واحد .. هو زعزعة العقيدة بأشاعة ضروب من الانحلال والتهميع والبلبله والشك والتهمزق .

امام هذا التحدى العدائى السافر . فان من الزم واجبات التحرك الجماعى الذى دعا اليه مؤتمر الدعوة الإسلامية كل عزماء ومفكرى المسلمين ، أن يتخذ موقفه العلمى والفكرى السريع من حركة الاستشراق .. لا من موقع الدفاع فقط باعتباره أضغى المواقع ، أيضاً من موقع كشف هذه الحركة وفضحها ومهاجمتها وتعرينها امام العالم .. بذلك نضمن تطهير المناخ الفكرى امام انتشار الدعوة الإسلامية كدعوة إنسانية عالمية شاملة .. توحد ولا تفرق .. تتسامح ولا تتعصب .. تتسالم ولا تستسلم .

والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل .

تنص جميع الدساتير في الدول المتحضرة على أن للمنازل حرمة ٠٠ وقد نصت المادة ٢٣ من دستور الجمهورية العربية المتحدة الصادر في مارس سنة ١٩٦٤ على أن : « للمنازل حرمة ٠ فلا يجوز دخولها الا في الاحوال المبينة في القانون ، وبالكيفية المنصوص عليها فيه »

كما تنص القوانين الوضعية - لا في الجمهورية العربية المتحدة فحسب ، بل في جميع الدول المتحضرة على أنه لا يجوز لأحد أن يدخل في بيت مسكون لم يكن مفتوحا للعامة ولا مخصصا لصناعة أو تجارة الا في الاحوال المبينة في القوانين او في حالة تلبس الجاني أو في حالة الاستغاثة أو طلب المساعدة من الداخل أو في حالة الحريق أو الغرق .

وتنص المادة ٤٥ من قانون الاجراءات الجنائية على أنه : -

« لا يجوز لرجال السلطة الدخول في أى محل مسكون الا في الاحوال المبينة في القانون او في حالة المساعدة من الداخل أو في حالة الحريق أو الغرق او ماشابه ذلك

وتنص المادة ٩١ من القانون المذكور على أن :

« تفتيش المنازل عمل من أعمال التحقيق ولا يجوز الالتجاء اليه لا في تحقيق مفتوح وبناء على تهمة موجهة الى شخص مقيم في المنزل المراد تفتيشه بارتكابها لجناية أو جنحة أو باشتراكه في ارتكابها او اذا وجدت قرائن على أنه حائز لاشياء تتعلق بالجريمة .

« ولقاضي التحقيق أن يفتش أى مكان ويضبط فيه الاوراق والاسلحة والالات وكل ما يحتمل أنه استعمل في ارتكاب الجريمة أو نتج منها أو وقعت عليه وكل ما يفيد في كشف الحقيقة »

ويتبين من هذه النصوص انه لايجوز لرجل الضبطية القضائية أن يدخل أو يفتش أى منزل مسكون الا في الاحوال المبينة في القانون والسابق الاشارة اليها .

وقد نص قانون العقوبات في المادة ١٢٨ منه على أنه : -

إذا دخل أحد الموظفين او المستخدمين العموميين أو أى شخص مكلف بخدمة عمومية اعتمادا على وظيفته منزل شخص من آحاد الناس . بغير رضائه فيما عدا الاحوال المبينة في القانون أو بدون مراعاة القواعد المقررة فيه يعاقب بالحبس أو بغرامة لا تزيد على عشرين جنيتها مصريا »

ومن المقرر انه اذا دخل رجل الضبطية القضائية منزلا مسكونا في غير الاحوال المنصوص عليها في القانون أو قام بتفتيشه فانه - فضلا عن معاقبته بالعقوبات المشار اليها بالمادة ١٢٨ آنفة الذكر - فان دخوله أو تفتيشه يكون باطلا ويبطل كل ما يترتب عليه فاذا عثر رجل الضبطية القضائية على دليل ذلك ثبت ارتكاب جريمة ما فلا يجوز الأخذ بهذا الدليل ، بل يجب اهداره .

الشريعة الإسلامية و حرمة المنازل

المستشار عبد الستار آدم

وكذلك نص قانون العقوبات على معاقبة من دخل من افراد الناس منزل شخص آخر . فاذا كان يقصد من الدخول في المنزل منع حيازته بالقوة أو بقتال ارتكاب جريمة يعاقب بالحبس أو الغرامة المنصوص عليها في المادة ٣٧٠ منه التي تنص على أنه :-

« كل من دخل بيتا مسكونا أو معدا للسكنى أو في أحد ملحقاته أو في سفينة مسكونة أو في محل معد لحفظ المال وكانت هذه الاشياء في حيازة آخر قاصدا من ذلك منع حيازته بالقوة أو ارتكاب جريمة فيها أو كان قد دخلها بوجه قانوني وبقي فيها بقصد ارتكاب شيء مما ذكر يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنة أو بغرامة لا تزيد على عشرين جنيتها مصريا »
أما اذا لم يكن يقصد منع حيازة المنزل بالقوة أو ارتكاب جريمة فيه بل وجد مختفيا عن أعين من لهم الحق في اخراجه فيعاقب بنفس العقوبة فقد نصت المادة ٣٧١ على أن :-

« يعاقب بنفس هذه العقوبة كل من وجد في إحدى المحلات المنصوص عليها في المادة السابقة مختفيا عن أعين من لهم الحق في اخراجه »
ونصت المادة ٣٧٢ على أنه :-
« إذا ارتكبت الجرائم المنصوص عليها في المادتين السابقتين ليلا تكون العقوبة الحبس مدة لا تتجاوز سنتين

« أما لو ارتكبت ليلا بواسطة كسر أو تسلق أو من شخص حامل السلاح فتكون العقوبة الحبس »
« كما نصت المادة ٣٧٣ من القانون المشار اليه على أن :-

« كل من دخل بيتا مسكونا أو معدا للسكنى أو في أحد ملحقاته أو في سفينة مسكونة أو في محل معد لحفظ المال ولم يخرج منه بناء على تكليفه ممن له الحق في ذلك يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز ستة أشهر أو بغرامة لا تتجاوز عشرين جنيتها »
وحرمة المنازل لها أصل في الشريعة الإسلامية الفراء . . . قال تعالى

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ، ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون

قاله ، سبحانه وتعالى حرم على عباده دخول منازل الغير « حتى تستأنسوا » : (أي حتى تستأذنوا مما يحصل به انس) وتسلموا على أهلها .
وقال ، عز وجل :

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم » .

وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » .

كما أنه ، صلوات الله وسلامه عليه ، قد حرم النظر إلى داخل منازل الغير .
روى عن علي بن عبد الله عن سهل بن سعد ، رضى الله تعالى عنهما ، قال :

« اطلع رجل من حجر في حجرة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ومع النبي مدري يحك بها رأسه ، فقال لو أعلم أنك تنظر لطعنت بها في عينك إذا جعل الاستئذان من أجل البصر » .

وقد روى عن خليفة المسلمين الثاني ، عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ، أنه كان يعس في المدينة فسمع صوت رجل وامرأة في بيت ، ففسور الحائط فاذا رجل وامرأة عذبهما رق خمر (أي اناء به خمر فقال عمر للرجل :

« يا عدو الله . أكنت ترى أن الله يسترك وأنت على معصية ؟
فقال الرجل :

« يا أمير المؤمنين : أنا عصيت الله في واحدة وأنت في ثلاث ، قاله يقول (ولا تجسسوا وأنت تجسس علينا ، والله يقول (واتوا البيوت من ابوابها وأنت صعدت من الجدار ونزلت منه ، والله يقول (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) وأنت لم تفعل ذلك . . .

فقال عمر ، رضى الله تعالى عنه :

« هل عندك من خير أن عفوت عنك ؟ »

قال الرجل :

« نعم ، والله لا أعود » .

فقال عمر :

« اذهب قد عفوت عنك » .

ويقول المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه « عبقرية عمر » أن ما فعله عمر يطابق كل المطابقة لما يجري عليه النظام الحديث في إجراءاته الرسمية ، فالقضاء في عهدنا الحالي « لا يأخذ بدليل يمنعه الدستور ، ولا تثبت عنده الجريمة إلا بدليل مشروع ، والحكومة تضطر هنا إلى السكوت ومتابعة الحالة حتى تسفر عن بيبة يجوز لها أن تعتمد عليها أمام القضاء . . . وهي فيما تصنع من هذا القبيل أعجز من عمر فيما صنع ، لأنه جعل الاستطلاع سبيلا إلى العظة والتوبة واستغنى عن الإجراءات الرسمية التي نحن عليها حريصون وبها جد فخورين » .

وقد قلنا فيما سبق أن دخول المنازل أو تفتيشها في غير الأحوال المنصوص عليها في القانون يعتبر باطلا ويبطل كل ما يترتب عليه . . . وهذا هو ما فعله الخليفة عمر ، رضى الله تعالى عنه ، فقد قضى - بسبب دخول منزل الرجل بغير إذن - بالعفو عنه والكتفاء بوعظه مما دعاه إلى التوبة .

هذا ومما هو جدير بالذكر أن الحالات التي أجاز فيها القانون دخول المنازل - وهي حالات تلبس الجاني أو الاستغاثة أو طلب المساعدة من الداخل أو في حالة الحريق أو الغرق - إنما هي من حالات الضرورة ولها أصل في الشريعة الإسلامية الفراء .

رؤيا الرسول

من
قصص
السنة

صلى الله عليه وسلم

فضيلة الشيخ محمد أحمد هاشم

رجل قائم على وسط النهر رجل بين يديه حجارة
فاقبل الرجل الذي في النهر . فاذا أراد أن يخرج رمى
الرجل حجر فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء
ليخرج ، رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان فقلت ما
هذا ؟ قال : انطلق فانطلقنا حتى انتهينا الى روضة
خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان
واذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها
فصعدا بي الى الشجرة وأدخلاني دارا لم أر قط
وحسن منها فيها رجال وشيوخ وشباب ونساء
وصبيان . ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة
فأدخلني دارا هي أحسن وأفضل فيها شيوخ
وشباب . قلت طوفت معي الليلة فأخبراني عما رأيت
قالا نعم : أما الذي رأيته يشق شذقه فكذاب يحدث
بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الافاق فيصنع به ما
رأيت الى يوم القيامة والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل
عليه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار
يفعل به الى يوم القيامة . والذي رأيته في النقب فهم
الزناة . والذي رأيته في النهر أكلوا الربا . والشيوخ
في أصل الشجرة ابراهيم عليه السلام والصبيان
حواله اولاد الناس . والذي يوقد النار مالك خازن
النار . والدار الاولى التي دخلت دار عامة المؤمنين .
وأما هذا الدار فدار الشهداء وأنا جبريل وهذا
ميكائيل فأرفع رأسك فرفعت رأسي فاذا فوقى مثل
السحاب قال اذاك منزلك قلت دعاني ادخل منزلي قال :
انه بقي لك عمر لم تستكمل فلو استكملت آتيت
منزلك .

قال الكرماني : مناسبة العقوبات المذكورة
للجنابات ظاهرة الا الزناة ففيها خفاء وبيانه ، أن
العرى فضيحة كالزنا ، والزاني من شأنه طلب الخلوة

لقد تحدث القرآن عن كل ما ينطق به الرسول صلى
الله عليه وسلم وبين انه لا يصدر في شيء منه عن
نفسه وإنما هو عن طريق الوحي قال تعالى : « وما
ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » . لذا كانت
أحاديث صلوات الله وسلامه عليه ، وما يقوله او
يفعله او يقره او يتحدث به عن شاهده في اليقظة او
في المنام كل ذلك يأخذ طريقه في هداية الناس
والحديث الاتي يبين لنا صورة من ذلك رآها النبي عن
طريق الرؤيا قال البخاري رحمه الله : حدثنا موسى بن
اسماعيل حدثنا جرير بن حازم حدثنا أبو رجاء عن
سمرة بن جندب قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال ، من رأى منكم
الليلة رؤيا ؟ قال : فان رأى أحد قصصها فيقول ما شاء الله
فسألنا يوما فقال : هل رأى أحد منكم رؤيا قلنا :
لا . ولكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذنا بيدي
فأخرجاني الى الارض المقدسة فاذا رجل جالس ورجل
قائم بيده كlob من حديد ، قال بعض أصحابنا عن
موسى أنه كلب من حديد يدخله في شذقه حتى يبلغ
قفاه ثم يفعل بشذقه الاخر مثل ذلك ويلتئم شذقه هذا
فيعود فيصنع مثله قلت : ما هذا ؟ قال : انطلق ،
فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل
قائم على رأسه بفهر او صخرة فيشدخ به رأسه فاذا
ضربه تدهده الحجر فانطلق اليه ليأخذه فلا يرجع الى
هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد اليه
فضربه قلت من هذا قال ، انطلق فانطلقنا الى ثقب مثل
النور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتودد تحت نارا فاذا
أقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا فاذا خمدت
رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة فقلت من هذا :
قالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه

فما نسب التنوير ثم هو خائف حذر حال الفعل كأن تحته النار ، وقال أيضا : الحكمة فى الانتصار على من ذكر من العصاة دون غيرهم ان العقوبة تتعلق بالقول او الفعل ، فالاول على وجود ما لا ينبغي منه أن يقال ، والثانى اما بدنى واما مالى فذكر لكل منهم مثال ينبه به على من عداه .

أما بالنسبة للمعصية الاولى وهى الكذب فقد حذر الله منها أشد تحذير ونادى عباده أن يكونوا مع الصادقين فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » وقال تعالى : « فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم » وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

وأما المعصية الثانية وهى النوم عن القرآن بالليل لمن علمه الله آياه وعدم العمل فيه بالنهار فقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم مثلا آخر فى حديث آخر لمن لا يقرأ القرآن ويهجره : عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر . متفق عليه .

وأما بالنسبة للمعصية الثالثة وهى الزنا فقد صور الزناة بهذه الصورة المخزية لانهم لما انتهكوا حرمات الله كان عقابهم أن تهتك استارهم مع عذابهم وأما المعصية الرابعة وهم أكلوا الربا : فقد صورهم القرآن بصورة الذى يتخبطه الشيطان من المس ، قال تعالى : « الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يمحى الله الربا ويربى الصدقات » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال ، لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الربا وموكله رواه مسلم .

وهكذا نرى كيف أخذت تعاليم الرسول صلوات الله وسلامه عليه أشكالا كثيرة ، واتجاهات متعددة . فنراها مرة قولا ينبه به أصحابه رضوان الله تعالى عليهم ، ونراها مرة أخرى فعلا يفعله النبى عليه الصلاة والسلام فيقتدى به أصحابه ، ونراها كذلك تقريرا لفعل قام به بعض الصحابة فلا ينكره عليه وانما يقره عليه حسبما يرى كما علمه ربه واوحى اليه .

وكما كانت تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم مأخوذة عن الوحي الالهى فى اليقظة فقد كانت فى

بعض الاحيان تأتى له عن طريق النوم ، وفى الرؤيا لان رؤيا الانبياء حق ، والرسول صلى الله عليه وسلم تنام عنه ولا ينام قلبه ، وذلك كما هنا فى هذا الحديث الشريف الذى كشف فيه النبى ، صلوات الله وسلامه عليه عن بعض امور نبيه عليها وحذر منها ووضع مغبة أمر من يقع فيها وتلك الامور هى :

اولا ، الكذب ، وما يكون عليه الكذاب من عذاب حيث أنه يشق شدة لما قام به من كذبة حملت عنه حتى بلغت الافاق كما جاء فى الحديث .

ثانيا : شأن الرجل الذى علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار فكان عقابه ان يشدخ رأسه بالصخرة بفعل به الى يوم القيامة .

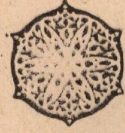
ثالثا : أمر الزناة ، وما هم عليه من صورة مزرية اليمة ، فيها العرى والفضيحة .

رابعا : أمر أكل الربا وكيف أنهم فى نهر من دم يرمون بالحجارة فى افواههم جزاء ما أكلوا من الربا فى دنياهم .

وأخيرا ظهور تلك الامور كموقف سيدنا ابراهيم ، وأولاد الناس ، وخازن النار ودار عامة المؤمنين ودار الشهداء ، وجبريل ، وميكائيل ، ومنزله صلى الله عليه وسلم أنها حقا صور نقية تعطى معانى رائعة فى حقل السنة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

قال ابن حجر: وفى هذا الحديث ان بعض العصاة يعذبون فى البرازخ وفيه نوع من تخليص العلم وهو ان يجمع الفضايا جملة ثم يفسرها على الولاء ، ليحتمس تصورهما فى الذهن والتحذير من النوم عن الصلاة المكتوبة وعن رفض القرآن لمن يحفظه وعن الزنا واكل الربا وتعمد الكذب وان الذى له قصر فى الجنة لا يقيم فيه وهو فى الدنيا بل اذا مات حتى النبى والشهيد وقبه الحث على طلب العلم واتباع من يلتبس منه ذلك ، وفيه فضل الشهداء وان منازلهم فى الجنة ارفع المنازل ولا يلزم من ذلك أن يكونوا ارفع درجة من ابراهيم عليه السلام لاحتمال أن اقامته هناك بسبب كفالته الولدان ومنزله هو فى المنزل التى هى أعلى من منازل الشهداء ، وفيه الاهتمام بأمر الرؤيا بالسؤال عنها وفضل تعبيرها واستحباب ذلك بعد صلاة الصبح لانه الوقت الذى يكون فيه البال مجتمعا وفيه استقبال الایام أصحابه بعد الصلاة اذا لم يكن بعدها راتبه واراد أن يعظهم أو يفتيهم أو يحكم بينهم وفيه أن ترك استقبال القبلة للاقبال عليهم لا يكره بل يشرع كالخطيب وحيث تتضح لنا معالم ديننا الحنيف من خلال تلك المشاهد الرائعة ، والعبر الغالية التى يستنبطها العقل من رياض السنة الشريفة يجدر بالمؤمن أن يقف عند كل موقف من هذه المواقف ثابتا عندها قلبه ، محاسنا فيها على دينه حاميا لتلك الحدود ، وحارسا لهذه الحرمات .

فاللهم امنحنا الفهم الصحيح لديك ، ووفقنا للعمل باخلاص ، وما توفيقى الا بالله . عليه توكلت واليه أنيب .



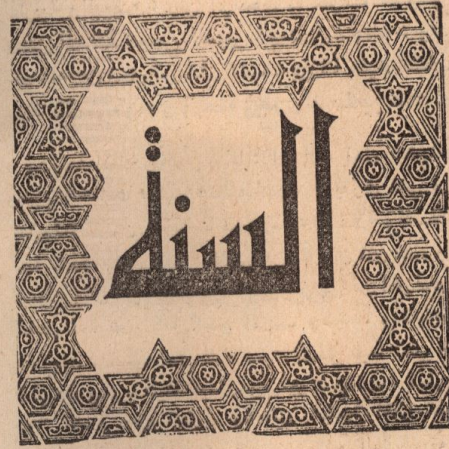
السنة ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير . وهى المصدر الناسى لسريعه الاسلاميه بعد خطاب الله عز وجل ..

وقد اطبقت على ذلك جماهير المسلمين من سلف وخلف حتى قال الشافعى فى كتابه « الام » . لم اسمع احدا ينسبه للناس او ينسب نفسه الى عم يخالف فى ان الله عز وجل مرض اتباع رسوله والتسليم لحكمه ...

وقال ابن كثير فى مقدمة تفسيره : ان قال قائل : ما احسن طرق التفسير ؟ فالجواب ، ان اصح الطرق فى ذلك ان يفسر القرآن بالقرآن ، فان ما اجمل فى مكان ، قد بسط فى موضع آخر ، فان اعياك ذلك فعليك بالسنة فانها شارحة للقرآن وموضحة له وروى احمد بن حنبل ان النبى عليه الصلاة والسلام لما بعث معاذ بن جبل الى اليمن قال له : بم تحكم قال : بكتاب الله . قال : فان لم تجد ، قال بسنة رسول الله . قال : فان لم تجد قال : اجتهد رايى .. فضرب رسول الله فى صدره سرورا — وقال : الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله !

والواقع ان رسول الله عليه اتم الصلاة والتسليم هو اولى الناس بان يشرح الكتاب الذى نزل على قلبه ، وان يدرك مراميه القريبه والبعيده ، وان تكون كلماته وأعماله بياناً دقيقاً لما فى القرآن من هدايات وأحكام ، فهو اذا حكم كان كاشفاً عن مراد الله لقوله سبحانه « انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله » ، واذا وضع وفصل فذلك وظيفة الرسالة ، وما يتوقع من انارتها للطريق وتفتيحها للاندھان ، وفى ذلك يقول الله « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » ، ولابد من طاعة رسول الله فيما سن وشرع ، وهذه الطاعة جزء من عبادة الله والقيام بحقه « من يطع الرسول فقد اطاع الله » وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ..

ان بعض القاصرين يتوهم ان مهمة الرسول لا تعدو تلقى الوحي الالهى ، ثم ترد يده على الناس ، كاذما

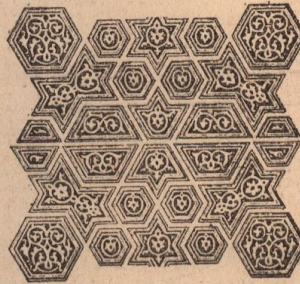


كمصدر

مت مصادر

التشريع الإسلامى

الأستاذ عبد المنعم مفرج



القريبة والبعيدة ، وأن الرسول ما شرعها إلا وهو يحقق أهداف الوحي المعجز ، ويفصل مجمله ، وقد قال الله عز وجل في شأن كتابه « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدي ورحمة وبشرى للمسلمين !! »

وشرحا لذلك يقولون مثلاً : ان الله أحل الطيبات وحرم الخبائث فبقيت هنالك أشياء لا يدري أهى من الطيبات أم من الخبائث فبين عليه الصلاة والسلام انها ملحقة بإحداهما • فنهى عن أكل كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير ، ونهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية ، كما الحق الارنب والضب وأشباهاها بالطيبات ، كذلك أحل الله صيد البحر فيما أحل من الطيبات وحرم الميتة فيما حرم من الخبائث • فدارت ميتة البحر بين طبقين وغمض حكمها فقال عليه الصلاة والسلام : « هو الطهور ماؤه الحل ميتة » وقال ، « أحلت لنا ميتتان ودمان : اما الميتتان فالسمك والجراد ، وأما الدمان فالكبد والطحال وقد حرم رسول الله الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها وعلى غرار تحريم القرآن للجمع بين الاختين ، وذلك لان حكمة التحريم واحدة فى الجميع وهو ما صرح به الحديث الشريف « فانكم ان فعلتم ذلك قطعتم ارحامكم » وعلى ذلك فانه يمكن القول بأن رجم الزانى المحصن نوع من العقوبة يشبه جزاء الذى يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ، وأن تحريم الذهب والحديد على الرجال ، وتحريم الشرب فى أوانى الفضة انما هو ضرب من الحيلولة بين الامة ومظاهر الترف التى تقسد المجتمعات ، وأن تحريم ربا الفضل انها هوسد للزريعة حتى لايقع الناس فى ربا النسينة وهكذا • • وهذا الرأى وان مال اليه الشاطبى وغيره من علماء الاصول ليس فيه أكثر من أن السنة تفسر مع القرآن فى مجاملة ، وتعين على تقريب غاياته وبيان هداياته ، ويكاد يكون الخلاف لفظيا بين النظرتين !

والنتيجة التى ينتهى اليها الكل أن السنة لا غنى عنها البتة ، وانها جزء من الشريعة الإسلامية لا يتجزأ وأن محاولة الخلاص منها والطعن فيها انما هو محاولة لإطراح الإسلام كله ، وترك الكتاب والسنة جميعا •

والمهم فى تناول السنة أن تؤخذ عن طريق الثقات ، وأن ينفى عنها ما شاع على مر الزمان من أحاديث موضوعة ، أو أخبار واهية هى الى الزيغ أقرب منها الى الرشاد •

هو مذباغ ينقح الملك وراءه ، أو شريط مسجل يدون ليفرغ ما فيه وحسب ! وهذا وهم خاطيء فان شخصية الرسول اسسمى من أن ينحصر فى هذا النطاق الضيق • والحقيقة أن دائرة التبليغ واسعة الاقطار ، أو انه - كما قال بعض العلماء - لايد أن تعرف ان للوحى الالهى صورتين ، صورة القرآن المتلو النازل لفظا ومعنى من السماء ، المعجز بأقصر سورة منه ، المتعبد بقراءته فى الصلوات وغير الصلوات ، وهذا القرآن جزء من الوحي وليس الوحي كله ، والصورة الاخرى له هى صورة السنة التى اثرت عن صاحب الرسالة قولاً وعملاً وتقريراً وحكماً ، فانها ليست من عند الرسول ، وانما هى من هداية الله له ، ومن الهامه الاعلى ، وعلى الناس أن يقتدوا به فى هذه السنة ، وأن يقرروا ولاهم لها جملة وتفصيلاً • • •

ومن هنا فان رفض اتباعه وجدد أحكامه يعد مروفاً من الدين ونفياً للإيمان قال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً »

وقد جاء عن رسول الله تأكيداً لذلك قوله « الا ائني اوتيت القرآن ومثله معه » نعم لقد أوتى الكتاب والحكمة ، أوتى القرآن وأوتى السنة التى تفسره وتوضحه ومن أين يعرف المسلمون كيف يصلون الخمس ، وكيف يخرجون مقادير الزكوات ، وكيف يؤدون مناسك الحج وكيف • • وكيف ، الا عن طريق ما تواتر أو صح من السنة العملية والقولية ، فضلاً عما فى السنن من كنوز للاداب والعبر والبيان المعجز • والكلم البليغ •

ولذلك يرى بعض العلماء أن السنة تنفرد بالتشريع وتنشئ احكاماً لم يجرى بها القرآن الكريم ، وعلى جماهير المسلمين أن يطيعوا هذه الاحكام كما يطيعون احكام الكتاب العزيز سواء بسواء • • وذلك مثل تحريم لبس الحرير والتحلّى بالذهب للرجال وحرمان القاتل من الميراث ، ووقف القصاص من الاصل للفرع ، ورجم الزانى المحصن ، وتحريم الصور المجسمة والقياب المشرقة • • الخ واعتماد هؤلاء العلماء هو على ما فى الكتاب من نصوص عامة توجب طاعة رسول الله باطلاق ، فى كل ما يأمر به أو ينهى عنه • • •

وهناك فريق آخر من الاصوليين يقولون أن القرآن الكريم هو المصدر الاوحد للتشريع وأن السنة بكل ما ورد بها من احكام لم تخرج عن نطاق الكتاب ، وانها لم تستقل بإنشاء حكم فان الاحكام التى تدو وقد انفردت بها السنة داخلة ضمن دلالات القرآن

صور من الصبر الجميل

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

ان الانسان الذى خلق ضعيفا لا يدرك ما فى علم الله من أسرار ولا يعلم حكمته وشئونه « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت ان الله عليم خبير » .

ومن الخطأ أن يعتقد المرء أن البلاء آية ابعاد العبد عن ربه : كلا : فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أشد الناس بلاء الانبياء » ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل » .

ويقول : « يتلى الرجل على حسب دينه فان كان فى دينه صلاية زيد فى بلائه » .

والابتلاء أمر يحص الله به المؤمنين فى احتمال الكاره عند نزول الصوائق : والالتقاء بالشدائد « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » .

والصبر والمصابرة والمرابطة من صفات المؤمنين المناضلين « يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

والزمن مشحون بالمكاره ، فاذا لم نصبر ونصابر اكتويننا بنار الجزع والفرع وتجرعنا غصص المتاعب والمصاعب « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » .

وتحمل الصبر ليس هينا . فقد يصطدم المرء بعدو داخلى مستتر ملازم للانسان وهو « النفس » وان النفس لامارة بالسوء . فلا تستطيع صبرا ولا تبتغى اجرا وقد يتلمس الشيطان مدخلا للنفس القلقة التى فقدت السكينة والطمأنينة ، فابتعدت عن ربها الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير : وفى الاعراض عن الاهواء والشهوات انتصار على النفس المتمردة الشاردة من طاعة ربها .

والله يمنح الصبر على طاعته لذوى اليقين الجازم والخلق الحازم ولأولى العقاف والنهى .

ولذلك كان الصبر على الصلاة من أعظم الطاعات (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) . واستعينوا بالصبر والصلاة وأنها لكبيرة الا على الخاشعين »

الصبر هو الصورة الحية للرجولة الصادقة فى الرجل القوى الذى لا تزعجه عن ايمانه الحوادث ولا تزعجه عن يقينه الكوارث .

الصبر هو السكينة فى قلوب المتقين يليقها رب العالمين . ليزدادوا ايمانا .

الصبر قوة تدل على سيطرة النفس المطمئنة على وساوسها وهواجسها وعلى نزواتها وشهواتها . الصبر رمز الهمة القوية والعزة الالهية فى خلق المؤمن الذى يسير فى الحياة على المنهج القويم والصراف المستقيم .

الصبر عنصر من عناصر البطولة التى تجعل المسلم يتحمل اتقال المحن التى لا يتحملها المهازيل ولا يطيقها مرضى النفوس ولا ضعاف القلوب .

الصبر من الايمان والايمان صلة بين المخلوق والخالق . ولا بد أن تخضع هذه الصلة لمن بيده ملكوت كل شئ . وهو القاهر فوق عباده .

والصبر عند الابتلاء أمر تحتمه المروءة ويفرضه الايمان ويتقبله رب العالمين بالجزاء والاحسان . والابتلاء أمر مبهم الاسباب وليس أمام المسلم الا أن يتقبل حكم ربه صابرا راضيا قائلا « واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور » « واصبر وما صبرك الا بالله » .

والصبر عند البلاء دليل الرضا بالقضاء . والله يقول فى الحديث القدسى :

« من صبر على بلائى ورضى بقضائى وشكر لنعمائى كتبه صديقا وبعثته يوم القيامة مع الصديقين ، ومن لم يصبر على بلائى ولم يرض بقضائى ولم يشكر لنعمائى فليخرج من تحت سمائى وليطلب له ربا سواى » .

والصبر زاد المؤمن مادامت الحياة الدنيا محفوفة بالبلايا التى تقتحم النفوس ، وتضعها أمام الامتحان الرهيب الذى لا ينجح فيه الا الصابرون الصادقون :

« أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » .

لها ، « انه ايليس فالتعنه لعنا كبيرا لانه يريد ان يفتنك
عن دينك فتوبى الى ربك وارجمي واسجدى لله واقتنى
واركعى له مع الراكعين » ثم خر ساجدا لله
وقال ، « رب انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب ، انى
مسنى الضر وانت ارحم الراحمين » .

فقيل له ارفع رأسك فقد استجاب الله لك . اركض
برجلك فركض فنبعت عين فاغتسل منها فشفى ثم
ركض مرة أخرى فشرب فلم يبق فى جوفه أثر لمرض أو
سقم ثم خرج من فراشه سليمان جميلا وقد رد الله له
شبابه وعافاه .

[فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله
ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين] .

وأما قوله وآتيناه أهله ومثلهم معهم ، فقيل ان الله
أحياهم بأعينهم وقيل أجره قيم من سلف وعوضه عنهم
فى الدنيا بدليلهم وجمع شمله بالجميع فى الاخرة
رحمة من عند الله التى شملت كل من حوله حتى
زوجته التى أظهرت شيئا قليلا من الضجر فاقسم
عليها لئن شفاه الله ليضربها مائة سوط فلما عافاه
سبحانه قال له ربه :

« وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنت » .

والضغث العشكال الذى يجمع الشماريخ . أو هو
حزمة قش فيها مائة عود . ولتجمعها وتضربها بها
ضربة واحدة بذلك : لينزل منزلة مائة ضربة وهذا
تيسير ومخرج وفرج لمن صبروا تقى الله حق تقاته
ولقد كانت صابرة راشدة ... !

ان أيوب كان شاكرا فى السراء راضيا بالقضاء فى
البأساء فهو خالص الايمان لله ثابت اليقين بمولاه
صبر حين هلك الزرع والضرع فكان أقوى أهل الأرض
إيمانا وأشداهم ادعانا وأعمرهم قلبا وأحسنهم رأيا
ولما ... أنه نبى مؤمن قانت ساجد غابد أن كان يقول
أن المال عارية مستردة . فهو مال الله وأما العيال
فهم خلق الله وقد نعمنا بذلك فالحمد لله على
النعم . ثم سلينا آياها فالحمد لله معطيا وسالبا
ضرا ونافعا فهو المحيى الميت الضار النافع المعطى
المانع مالك الملك .

« أن الشيطان حاول أن ينقص من ايمان أيوب فلم
يستطع أن يذهب بقطرة من ايمانه ويقينه أوبدرة من
دينه . فانصرف عنه الشيطان هاربا خاسئا مذموما
مدحورا :

لانه حينما قيل له ان أولادك خر عليهم السقف من
وقوفهم فماتوا جميعا قال : ان لله ما أعطى وله ما أخذ
وله الحمد على كل حال ثم خر ساجدا لله . . . كفا
جزاؤه على صبره أن رزقه الله أموالا وقيرة ونعما
كثيرة وأولادا وشملت رحمة الله زوجته وضربها
ضربة واحدة بحزمة من القش . ضربها ضربة خفيفة
رخصة فى اليمين ورحمة بمن شاركته فى محنته
وآلامه !!

وهكذا أسبغ الله عليهم فضلا من فيضه فكانت
قصته عبرة للمصابين وعظة للمبتلين وسلوى
للمنكوبين وعزاء لملكرويين وذكرى للعابدين » .

ومما لا شك فيه أن الصلاة تحتاج للصبر على
أوقاتها وعلى أدائها (ان الصلاة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا) ولقد صبر أولو العزم من الرسل على
طاعة الله وتحملوا أذى أعدائهم فما وهنوا لما أصابهم
فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ...

وليس للشيطان سلطان على من يستعين بالله
منه (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى
رئهم يئولكون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين
هم به مشركون) .

ذلك لان المؤمن يسلم وجهه لله وهو محسن : فيعزو
لرب العالمين ويصبر لحكمه .

والحى القيوم يقول : (ولنبلوكم بشيء من الخوف
والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر
الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا
اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
وأولئك هم المتهجدون) .

وفى الحديث « ان الله لا يرضى لعبده المؤمن اذا
ذهب بصفية من أهل الأرض فصبر واحتسب بثواب
سوى الجنة » .

وقد ابتلى الله نبيه أيوب فوجده صابرا نعم العبد
انه أواب .

ابتلاه بفقد أولاده وهلاك أمواله ثم ابتلاه بالمرض
حتى بعد عنه الانيس وانقطع عنه الجليس : ولم يبق
يجواره الا أمراته وقد قل مالها وساء حالها !! ولكنها
كانت صابرة على ضياع المال والولد . كل هذا وأيوب
صابر على ضياع المال والولد والصحة ، يحمد ربه
ويشكر خالقه حتى ضرب به المثل فى الصبر الجميل .

يقول عز وجل فى سورة الانبياء :
« وأيوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وانت ارحم
الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه
أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين »
ويقول فى سورة ص :

« وانكر عبدينا أيوب اذ نادى ربه انى مسنى
الشيطان بنصب وعذاب . اركض برجلك هذا مفتسل
يارد وشراب ووهينا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا
وذكرى لأولى الابواب . وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا
تحنت انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب » .

ولكن هل ترك الناس أيوب على حاله ؟ كلا . فلقد
قال لئام الناس : لو كان الله يحب أيوب ما ابتلاه !!
عند ذلك لجأ أيوب الى الله قائلاً له :

« اللهم انك تعلم انى لم أبت ليلة شعبانا وأنا أعلم
مكان جائع . فصدقنى فصدق من السماء وهم
يسمعون !! »

وقالوا ان أمراته قالت له لو دعوت الله ؟ فقال لها
لا ادعو ربي استحياء مادامت مدة البلاء أقل من مدة
الرخاء . وقد أراد الشيطان أن يفتن زوجة أيوب فى
دينها اذ قال لها :

« انى اله الأرض فعلت بزورك ما فعلت لانه تركنى
وعبد اله السماء » . فقالت لزوجها ذلك فقسال

ولذلك رفق الله قدره وشرح صخره وأعلى شأنه .
وكما أن الصبر على البلياء مطلوب فإن الصبر عن
المعاصي من أعظم القربات عند الله لأن همم الرجال
تقهر الضعف والهزال .

ولقد كان في يوسف عليه السلام عبرة للصابرين
وموعظة : للصامدين . إذ نشأ في بيت كريم فهو
نبي ابن نبي . ابن نبي ، ابن نبي الله إبراهيم خليل
الرحمن عليه السلام عاش كريما لا يتحمل الضيم
عزير الإيتقبال الصبر اجتباؤه واصطفاه ثم جعله يستقبل
المحن فيخرج من ضائقة الى ضائقة ليلقى المصير
المجهول ثم أخذته السيارة وباعوه في سوق الرقيق
بشئ بخس دراهم معدودة حيث اشتراه ملك مصر
وأواه القصر .

ثم تعرض للدسائس الماكدة والخدائع الفاجرة
فاتهم بها اتهم به وهو المحسن العفيف النقي التنظيف ،
ومع ظهور فضله ونبله وطهارة سمعته ونقاء سيرته
ألقى به في السجن بضع سنين مع المسجونين
المحرفين . فلم يتنكر للسماء ولم يضيق بالأرض
ذرها وظل في السجن يذكر الناس بالله ويصبرهم
بهدهاء ويرشددهم الى تقواه قائلا « يا صاحبي السجن
أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ما
تعبون من دونه الا أسماء سميتوها أنتم وآباءكم ما
أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر الا
تعيذوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا
يعلمون » هذا شأن يوسف لم تهزمه نفسه ولم يفقد
صفاء صلته بربه لكدر الدنيا ونكباتها فكان نور
الايمن مشرقا في وجهه وكان في السجن مظلوما لم
ينصفه القضاء فأسلم نفسه لعدالة السماء معتقدا أن
السجن سينجي من فتنه أرادت له فصم على أن يقوم
معلما ومرشدا وناصحا وموجها وكان في السجن
واعظا يطهر نفوس الاشقياء من رجس الذنوب
والعيوب ويعلمهم الدين الخالص مع سلامة العقيدة .
وظل ينشر عليهم في كل صبح فيضا من فضله وقبسا
من هديه حتى أحبه المسجونون واطمان اليه
المتعطلون . ثم جاءت امرأة العزيز لتعترف بأنها
راودته عن نفسه إذ قالت الان حصص الحق أنا
راودته عن نفسه وأنه لمن الصائقين ذلك ليعلم أني لم
أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي الخائنين وما أبرئ
نفسى ان النفس لامارة بالسوء ولقد كان يوسف أعف
الناس وقد ظهر ذلك للدنيا كلها وحفظ ذلك له التاريخ
ووعاه الزمن . كان أمينا عقيفا رشيدا حنيفا
فجعل الله على خزائن الأرض وعينه الملك وزيرا
مطلق اليد واسع السلطان بعد أن كان سجينا أسيرا .
« وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوا منها حيث
يشاء نصيب برهتنا من النساء ولا نضيع أجر
المحسنين » وأصبحت امرأة العزيز التي كانت بالأمس
تقول للعزيز ما جزاء من أراد بأهلك سوءا الا أن
يسجن أو عذاب أليم ؟ ! تقول على الملا أنا راودته عن
نفسه وكان اتهم يوسف لونا من ألوان الكيد الماكر
المتكبر وصورة من صور الغرور اللبث المتهور أما
يوسف فقد رفع يديه الى السماء شاكرًا لله فضله
الكبير وخيره الكثير بعد ما حدث له وهو يقول :

« رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل
الاحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا
والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين » .

هذه صور حية من الصبر الجميل يقصها علينا
القرآن الكريم وهو أحسن القصص والصبر الجميل
هو صبر لا ضجر فيه ولا كدر ولا بث فيه ولا شكوى
ولكنه التسليم والرضا وإذا كان الواقع يقرر أن
الاموال والانفس والسماء والأرض والحياة والموت كل
أولئك ملك لله وحده لا شريك له « لله الامر من قبل
ومن بعد » .

أما الصبر على طاعة الله فلا بد منه لمن أراد
مرضاة ربه وطمع في رحمته ومغفرته والنفوس
الصابرة هي التي تتواصى بالحق وتتواصى بالصبر
تتواصى بالبر وتتواصى بالرحمة فلا يخذعها بريق
المال ولا يغررها جاه ولا سلطان .

كان سيدنا سليمان عليه السلام نبيا وملكا علم
منطق الطير وسخرت له الريح وأوتى ملكا كبيرا
وسلطانا عظيما فلم يبطره ملك ولا جاه لانه نبي قوى
أمين وما كان قوله الا أن قال :

هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم اكفر ومن شكر
فأنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غنى كريم » وبهذا
أعلن سليمان عليه السلام أن المال مخبة الله لعباده
وقد أعطاه الله الملك ليلبوه به فان شكر لله أنعمه كان
شاكرًا لنفسه وسيزيد الله الشاكرين ومن طغى وكفر
بالنعم فإن الله غنى عن العالمين . فهو يعالج النعم
بالرضا والمؤمن كذلك لا يجد فضل الله ولا يبذل
النعمة كفرًا لعلمه بأن الكون كله في قبضة من بيده
ملكوت كل شيء كما أن النفس المطمئنة هي التي وجهت
اليها الدعوة من ربها الى أن ترجع اليه راضية
مرضية تدخل في عبادته وتدخل في جنته قائله
لخالقها .

فليتك تحلو والحياة مريرة

وليتك ترضى والانام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر

وبيني وبين العالمين خراب

إذا صبح منك الود فالكل هين

وكل الذي فوق التراب تراب

والصبر على طاعة الله قادر على أن يجعل حياة
المؤمن راضية صافية تنأى ، عن الجزع والفزع .
والصبر أفضل العدة على الشدة .

وهناك نفس لم تستقم فهي في معيشة ضنكى لانها
أعرضت عن ذكر ربها فضلت بها السبل وتعدت
والنوت فتعدت وشحنت بالسيئات إذ استجابات
للسيطان والهوى والشهوات فقمرت وشردت وطفقت
ويغت فلا تكتسب أجرا ولا تستطيع صبرا فهي جامحة
لا تقبل نصحا ولا تكتسب أجرا ولا تستطيع صبرا .
ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وسئل
الحسين البصري عن الدنيا فقال شغلنى توقع بلائها
عن الفرح برخانها والله يقول (يا أيها الذين آمنوا
استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) .

براعة الاستهلال

وروعة الأساليب

ف فواتح سور القرآن

فضيلة الدكتور عبد الفتاح الراحمي

أنتم عليه . ثم الى ذلك كله ، ينضم هذا المعنى الدقيق البديع ، الذي يختص بإفادته في العربية الحرف « قد » ، فان علماء اللغة يقولون ، ان من خصائصه أنه يؤتى به للدخول على الامر المتوقع المرتقب الذي تتطلع النفوس اليه وتشرئب نحو سماعه ، لانها انتظرت قبل ذلك متشوقة اليه ، فاذا كان الناس في انتظار الامير ليخرج اليهم ، فانه يقال قد خرج الامير ، ويقولون قد قامت الصلاة ، لان الناس يكونون في انتظارها ، وهي في هذا المعنى بعكس الاداة « لما » فاذا كان « قد » يؤتى به لإفادة وقوع ما كان مرتقبا ومنتظرا ، فان « لما » يؤتى بها لإفادة عدم وقوع ما هو مرتقب ومنتظر ، مع افادة أنه يقع ويكون بعد ذلك ، يقول القائل ، لما يثمر بستاننا ، فيكون مراده أنه لم يثمر الان ولا فيما مضى ، ولكنه سيثمر فيها هو مستقبل ، واذا كان الناس في انتظار الامير ليخرج ، فانه يقال لهم قبل خروجه ، لما يخرج الامير .

فاذا كان ذلك كذلك ، وكانت الاداة « قد » تنصدر الجملة في فاتحة السورتين ، لتفيد في الاولى تأكيد فلاح المؤمنين ، الذي كان منتظرا : وتفيد في الثانية تأكيد سماع الله للمجادلة ، فما هي مظاهر التوقع والانتظار ، وترقب نفوس السامعين لما أخبروا به في كل من السورتين ؟؟

اما سورة المؤمنون ، فقد حفز النفوس الى التطلع نحو الحكم بفلاح المؤمنين ، عدة ملابسات أحاطت بهذه الفاتحة الجليلة للسورة الكريمة ، الملابسة الاولى ختم السورة التي قبلها بقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » . فهذا حفز الى ترجى فلاح المؤمنين والتطلع اليه ، لاسيما وقد جاء في الآية التي

نحن الآن . وفي هذا المقال ، نستقبل بالدرس والتحليل ، سورتين من سور القرآن ، لبيان ما فيهما من براعة الاستهلال في فاتحتيهما ، وروعة الأساليب في سائر آياتهما ، وهاتان السورتان ، وحدت بينهما طريقة التعبير في فاتحتيهما ، فقد جاءت بالاسلوب الخبري ، الذي تنطوي عليه الجملة الماضية ، المسبوقة بقدر التحقيق ، وهاتان السورتان ، لم يجيء غيرهما في القرآن كله ، بهذا الاسلوب وهذه الطريقة في فاتحتيهما ، السورة الاولى هي سورة المؤمنون حيث يقول سبحانه « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون » . الآيات . السورة الثانية هي سورة المجادلة ، حيث يقول تعالى « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله ، والله يسمع تصاوركما ان الله سميع بصير » الخبر عن الله تعالى ، واذا جاء الخبر عن الله ، ولا يبينك مثل خبر ، فانما هو الحق والصدق ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلا يتطرق الى صدقه وحقيقته خلجة من شك أو بادرة من تكذيب ، وفي السويداء من القلوب تصديقه ، وفي الصميم من النفوس تحققه . والى كونه خبرا من أخبار الله ، ينضم الى ذلك أنه أتى بالجملة الماضية التي تفيد تحقق الشيء ووقوعه فيما مضى لا فيما يستقبل ، ولا شك أن الشيء الذي مضى وسبق وقوعه . يكون أوغل في باب التحقق والوقوع ، ثم الى ذلك كله ، ينضم تصدير الجملة بحرف « قد » الذي يدخل على الجملة الماضية فيعطيهما زيادة تأكيد في التحقق ، بل انه قد يزيد التحقق حتى اذا دخل على جملة مضارعية ، كما في قوله تعالى « قد يعلم الله المعوقين منكم » وقوله تعالى عن نفسه « قد يعلم ما

بعدهما ، وهى ختام السورة الكريمة ، أن الله اجتبى المؤمنين ، وأن ابراهيم سيماهم المسلمين ، وأن الله هو مولاهم فنعم المولى ونعم النصير . الايتان ٧٧ و ٧٨ من سورة الحج . الملبس الثانية ما يتضمنه المناخ الدينى وطبيعة الديانات والرسالات والكتب السماوية من التنويه دائما ابدا بفلاح المؤمنين وارثاق الحديث عنه فى أكثر من مناسبة ، الملبسة الثالثة ما ورد فى صحاح الاحاديث ، من أن النبى كان يجلس مع أصحابه ، فسمعوا عند وجهه كدوى النحل ، فلما سرى عنه رفع يديه نحو السماء وقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا علينا ، ثم توجه الى أصحابه بعد هذا الدعاء ، الذى يوحى بتوقع وانتظار الخير والبشرى والفلاح للمؤمنين ، فقال لهم نزل على هذه الساعة عشر آيات ، من أقامهن دخل جنة الله ، قد أفلح المؤمنون » الايات الى قوله تعالى « أولئك هم الوارثون » .

وإذا كان لفلاح المؤمنين ، تهديد فى نهاية سورة الحج ، وتصريح فى أول سورة المؤمنون ، فقد جاء الفلاح للمؤمنين مرة أخرى فى نفس السورة ، فى قوله تعالى « فمن نفلت موازينه فأولئك هم المفلحون » . ثم جاء ضده وهو خسران الكافرين ، فى قوله تعالى « ومن خفلت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون » وجاء نفيه الصريح فى ختام السورة ، فى قوله تعالى « ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه أنه لا يفلح الكافرون » .

وإذا كان الحكم بالفلاح للمؤمنين فى أول السورة ، قد استدعى ذكر طرف من صفاتهم الذبوية الفاضلة ، وجزائهم العظيم فى الآخرة ، والخلود فى جنة الفردوس فان هذه المعانى قد تطرقت إليها السورة مرة أخرى فى قولها فى الآية ٥٧ وما بعدها « أن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون ، والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجة أنهم الى ربهم راجعون ، أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون » . ثم مرة أخرى فى خواتيم السورة فى قوله تعالى للكفرة يوم القيامة « أنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فأغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكراى وكنتم منهم تضحكون ، انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الغانزون » .

وإذا كان الحكم بالفلاح للمؤمنين فى أول السورة ، قد استتبع ذكر الكثير من أوصافهم ، فى الدنيا ، وأجزيتهم فى الآخرة ، فى أكثر من مقطع من مقاطع السورة الكريمة فان ذلك استتبع واستلزم ذكر الكثير من أوصاف اضدادهم الكفرة وأجزيتهم فى الآخرة والاضد أقرب خطورا بالبال الى الضد ، يرى ذلك بوضوح فيما ذكرته السورة الكريمة عن كفرة قوم نوح ، وقوم هود ، وقوم موسى وهارون

وغيرهم من استوعبت السورة الكريمة ذكرهم من الآية ٢٣ الى الآية ٥٢ ثم فى آيات أخرى كثيرة ، تذكر كفرة مكة وسوء حالهم ومآلهم ، فى الآية ٦٣ وما بعدها « بل قلوبهم فى غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، حتى إذا أخذنا مقر فيهم بالعذاب إذا هم يجارون ، لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون ، قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون ، مستكبرين به سامرا تهجرون ، أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يات آباءهم الأولين » . الى أن قال فيهم « وانك لندعوهم الى صراط مستقيم ، وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كيون » . الى أن قال عنهم « بل قالوا مثلما قال الأولون ، قالوا إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمعوثون ، لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الأولين » . الى أن قال عنهم فى نفس السورة « فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ، فمن نفلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفلت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون ، تلفح وجوههم النار وهم فيها كالخون ، ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ، قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ، ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون ، قال أخسئوا فيها ولا تكلمون » .

الايات وإذا كانت السورة الكريمة قد جاءت فاتحتها بهذا الاسلوب المصدر بالحرف « قد » ، والذى تناول فلاح المؤمنين والصفات الحميدة التى أفلحوا بسببها ، وكانوا هم الوارثين الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فان السورة الكريمة قد عادت بعد هذه المجموعة من الايات ، وفى الآية الثانية عشرة منها الى نفس الاسلوب المذكور فى فاتحتها ، والمصدر بالحرف « قد » ، فتناولت فى عدة آيات خلق الانسان الاول من طين ، وخلق الانسان الثانى فى بطن أمه ، فى أطوار النطفة ، والعلقة ، والمضغة الى أن كان خلقا آخر فقالت « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، ثم انكم بعد ذلك ليعتقون ، ثم انكم يوم القيامة تبعثون » . وذلك كله مما يبعث على الايمان بالله ، واتصاف الانسان بالصفات المذكورة فى سبب فلاح المؤمنين السابق ذكره فى فاتحة السورة . وبعد أن فرغت الايات من ذكر العالم الصغير ، وخلقته وتكوينه فى بطن أمه ، شرعت فى ذكر العالم الكبير السموات والكائنات الاخرى ، بنفس الطريقة والاسلوب فى فاتحة الايات ، المتضمنة لهذه المعانى فقالت « ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ، وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون » .

الى قوله فى الانعام « وعليها وعلى الفلك تحملون » ، وعقب أن ذكرت السورة الكريمة هذه النعم الحسية والمادية المقصود بها تربية الانسان ومنفعته ، ذكرت بنفس الطريقة والاسلوب ، نعم الله الروحية والدينية

مت أخلاق القرآن

الاعتبار

فضيلة الدكتور أحمد الشرباصي

رؤياي ، ان كنتم للرؤيا تعبرون » أى تفسرونها ببيان المعنى الحقيقى المراد من المعنى الخيالى .

وفى الاعتبار معنى الاحساس بدلالات الايات ، سواء أكانت حسية أم معنوية . وفيه معنى التأمل والتفكر ، مما يربى فى نفس المعتبر فضيلة التأثر بالعظة ، والاستجابة للنصيحة ، والتقبل للتوجيه ، والافادة من سابق التجارب ، أو قائم الدلائل والمشاهد ، وقد أمر القرآن الكريم بالاعتبار ، فقال فى سورة الحشر : « فاعتبروا يا أولى الابصار » وربط بين العبرة ومواطنها المتعلقة بما خلق الله وأبدع فى كونه من أشياء دالة على قدرته داعية الى خشيته ، فنراه يقول فى سورة النحل : « وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ويقول فى سورة المؤمنون : « وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها : ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون » . ويقول فى سورة النور : « يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار » .

ولقد أشار القرآن الكريم الى غزوة بدر فى سورة آل عمران فقال : « قد كان لكم آية فى فئتين القتلتا : فئة قتلت فى سبيل الله وأخرى كافرة : يرونهم مغلوبين رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار » . وجاء « تفسير المنار » فتحدث عن معنى الآية ، ثم أشار الى فضيلة الاعتبار

ان مادة « عبر » كما يذكر « معجم مقاييس اللغة » لها أصل واحد يدل على النفوذ والمضى فى الشيء ، والعاير هو الناظر فى الشيء ، والعبرة كالموعظة مما يتعظ به الانسان ويعمل به ، ويعتبر ليستدل به على غيره . والعبرة - بفتح فسكون - هى الدمع لانه يجرى ، والاستعبار تحلب الدمع ، وفى حديث أبى بكر أنه ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ثم استعبر فبكى .

والعبرة - بكسر فسكون - هى الحالة التى يتوصل بها العاقل من معرفة المشاهد الى ما ليس بمشاهد . والعبرة أيضا هى الدلالة الموصلة الى اليقين ، المؤدية الى العلم ، وهى من العبور ، كأنها طريق يعبر به ، ويتوصل به الى المراد ، وقيل ، العبرة هى الآلة التى يعبر بها الانسان من منزلة الجهل الى منزلة العلم . وقد جاء فى حديث أبى نر : فما كانت صحف موسى ؟ قال : كانت عبرا كلها . ومن طبيعة المعتبر بالاشياء أو الايات أو الاخبار أن تتكون له صفة يقتدر بها على ترك الجهل وبلوغ العلم ، حسبما يلوح له من عبر . وحينما يقول الحق جل جلاله : « فاعتبروا يا أولى الابصار » كأنه قد قال وهو أعلم بمراده : أنظروا الى من فعل ما فعل ، فجوزى بما جوزى به : فتجنبوا صنيع الاشرار من السابقين ، لتلا ينزل بكم مثل ما نزل بأولئك .

وفى مادة « العبرة » معنى الضبط والتمييز ، ولذلك تقول اللغة : عبر الصيرفى الدناير تعبيرا : أى وزنها دينارا دينارا . وفيها معنى البيان والايضاح ، ولذلك يقول القرآن الكريم : « يا أيها الملا افوتنى فى

وجمعه مع والديه وأخوته على ما أحب : بعد المدة الطويلة ، لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته .

الثاني : أن الإخبار عنه جار مجرى الإخبار عن الغيب ، فيكون معجزة دالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم .

الثالث : أنه ذكر في أول السورة : (نحن نقص عليك أحسن القصص) ، ثم ذكر في آخرها : (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) تنبيه على أن حسن هذه القصة إنما كان بسبب أنه يحصل منها العبرة ومعرفة الحكمة والقدرة .

والمراد من قصصهم قصة يوسف عليه السلام وأخوته وأبيه ، ومن الناس من قال : المراد قصص الرسل ، لأنه تقدم في القرآن ذكر قصص سائر الرسل ، إلا أن الأولى أن يكون المراد قصة يوسف عليه السلام . فإن قيل ، لم قال عبرة لأولي الألباب ، مع أن قوم محمد صلى الله عليه وسلم كانوا ذوي عقول وأحلام ، وقد كان الكثير منهم لم يعتبر بذلك ؟ قلنا : أن جميعهم كانوا متمكنين من الاعتبار . والمراد من وصف هذه القصة بكونها عبرة كونها بحيث يمكن أن يعتبر بها العاقل . أو نقول : المراد من أولى الألباب الذين اعتبروا وتفكروا وتأملوا فيها ، وانتفعوا بمعرفتها ، لأن أولى الألباب لفظ يدل على المدح والثناء ، فلا يليق إلا بما ذكرنا .

ونحن نفهم من هذا البيان أن فضيلة الاعتبار بالوقائع والأحداث والإخبار الماضية أو اللاحقة إنما هي من نصيب العقلاء الفضلاء ، الذين ينظرون ويتفكرون ويتدبرون ، فتأثر قلوبهم وألبابهم بما علموا أو شاهدوا ، وتستجيب أرواحهم لدواعي الخير والبر ، وتتصرف نفوسهم عن وساوس الشر ودواعي الأثم .

ونفهم أيضا أن خير ما يثب أضواء الاعتبار في صدر الإنسان العاقل هو ما قصه القرآن المجيد من قصص وأنباء ، فخير الحديث كتاب الله جل وعلا ، ومن أصدق من الله حديثا .

ونفهم كذلك أن من يمر على العظة أو العبرة ، دون أن يدركها أو يتأثر بها أو يعتبر عندها ، يكون كمن فقد العقل ، أو فقد البصر ، ويكون قد تبدل شعوره وإحساسه ، وتجمد تفكيره وأدراكه « أولئك كاللغام بل هم اضل » ، « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

ويقبل النيسابوري ليحدثنا أيضا عن آية سورة يوسف السالفة الذكر ، فيذكر أن العبرة نوع من الاعتبار ، وهي العبور من الطرف المعلوم إلى الطرف المجهول ، ووجه الاعتبار على العموم أن يعلم الإنسان أنه لا خير إلا في العمل الصالح ، والتزود بزيادة

التي ينوه بها كتاب الله تعالى ويوجه إليها ، فقال فيما قال :

« وجملة القول أن الآية ترشد إلى الاعتبار بمثل الواقعة المشار إليها (يعني غزوة بدر) التي غلبت فيها فئة قليلة فئة كثيرة باذن الله ولذلك قال : (أن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) أي لأصحاب الأبصار الصحيحة التي استعملت فيما خلقت لأجله من التأمل في الأمور بقصد الاستفادة منها . إلا لمن وصفوا بقوله : (لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها : أولئك كالأنعام بل هم اضل : أولئك هم الغافلون) .

وقال بعض المفسرين أن الأبصار هنا بمعنى البصائر والعقول من باب المجاز ، وقال بعضهم : يعني بأولى الأبصار من أبصروا بأعينهم قتال الفتتين ، وما ذكرته أظهر ، ولا أحفظ عن الأستاذ الإمام في هذا شيئا ، وإنما تكلم عن العبرة فقال ما مثاله مبسوطا مزيدا فيه .

وجه العبرة أن هناك قوة فوق جميع القوى قد تؤيد الفئة القليلة فتغلب الكثيرة باذن الله . وقد ورد في القرآن ما يمكن أن نفهم به سنته تعالى في مثل هذا التأييد ، لأن القرآن يفسر بعضه بعضا ، ويجب أخذه بجملة . بل هذه الآية نفسها تهدي إلى السر في هذا النص ، فإنه قال : (فئة تقاتل في سبيل الله) ، ومتى كان القتال في سبيل الله - أي سبيل حماية الحق والدفاع عن الدين وأهله - فإن النفس تتوجه إليه بكل ما فيها من قوة وشعور ووجدان ، وما يمكنها من تدبير واستعداد ، مع الثقة بأن وراء قوتها معونة الله وتأييده » .

ولقد عاد الكتاب المجيد إلى التنويه بشأن العبرة والاعتبار فقال في ختام سورة يوسف : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » . وجاء في « تفسير سورة يوسف » للبيطار أن أولى الألباب هم أصحاب العقول الراجحة ، لأن أهل البصيرة والروية من العقلاء هم الذين يعتبرون بعواقب الأمور التي تدل عليها أوائلها ومقدماتها ، بعد التأمل في حقيقتها وصفاتها . وأما الأغرار الغافلون ، والظالمون المعاندون ، فلا يمتنون عقولهم على الاستقلال في النظر ، والاعتبار بما جرى على الأفراد والأمم ، فلا يفيدهم النصيح والتذكير . ولا سوء العاقبة والمصير .

ويقبل الرازي ليقول في الآية نفسها : « اعلم أن الاعتبار عبارة عن العبور من الطرف المعلوم إلى الطرف المجهول ، والمراد منه التأمل والتفكير ، ووجه الاعتبار بقصصهم أمور :

الأول : أن الذي قدر على اعزاز يوسف ، بعد لقائه في الجب ، وإعلائه بعد حبسه في السجن : وتمليك مصر بعد أن كانوا يظنون به أنه عبد لهم :

التقوى ، فإن الملوك الذين عمروا البلاد ، وقهروا العباد ، ثم لم يراعوا حق الله في شيء من ذلك ، ماتوا وانقرضوا ، وبقي الوزر والوبال عليهم ، والذي قدر على اعزاز يوسف بعد القائه في الجب ، واعلاء شأنه بعد سجنه ، واجتماعه بأهله بعد غربته ، قادر على نصر محمد واعلاء كلمته .

ويقص القرآن الكريم علينا قصة موسى باختصار في سورة النازعات ، ثم يعقب عليها بقوله : « ان في ذلك لعبرة لمن يخشى » أى ان فيما قصه الله تعالى من قصة موسى وفرعون لعبرة وموعظة لمن يخاف الله ويخشى عقابه ، ولئن له عقل يتدبر به عواقب الامور ومصائرهما ، فينظر في حوادث الماضين واحوال الحاضرين ، ويتعظ بها ، ثم يعقب القرآن على ذلك بعرض صور من كتاب الله المنظور ، وهو الكون ليفجر في نفس المؤمن الواعى ينابيع هذا الخلق الكريم ، وهو الاعتبار ، فيقول عقب ذلك مباشرة : **انتم أنشد** **خلقاً أم السماء بناها ، رفع سمكها فسوها ، وأغطش** **ليلها واخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك نحاها : أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها ، متاعا لكم ولأنعامكم »** . ثم يتبع ذلك بذكر العاقبة التي ستختلف باختلاف الناس ما بين بر وفاجر ، أو صالح وطالح ، أو معتبر وغافل ، فيقول : « فإذا جساءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الإنسان ما سعى ، وبرزت الجحيم لمن يرى ، فاما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هي المأوى : وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى » .

وإذا كان القرآن المجيد قد تحدث عن فضيلة الاعتبار هذا الحديث الواظع الناصح ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أشار الى العبرة والاعتبار في نهاية الحديث المنسوب اليه الذى يقول ، « أوصانى ربي بتسع أوصيكم بها : أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية ، والقصد فى الغنى والفقر ، والعدل فى الرضى والغضب ، وأن أصل من قطعنى ، وأعطى من حرمنى ، وأعفو عمن ظلمنى وأن يكون نطقى نكرا ، وصمتى فكرا ، ونظري عبرا » . وإذا كان الحديث هنا قد ذكر مادة الاعتبار الذى ينشأ عن التأمل والنظر والتفكر ، فإنه فى مقام آخر قد أشار الى هذا الاعتبار وان لم يصرح بمادته أو اسمه ، وذلك فى قوله : « ان الرائد لا يكذب أهله : والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم : ولو غششت الناس جميعا ما غششتكم ، والله الذى لا اله الا هو لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبين على ما تعملون ، ولتجزون بالاحسان احسانا ، وبالسوء سوءا : وانها لجنة أبدى ، أو لنار أبدى ! » .

وإذا رجعنا الى كتاب « نهج البلاغة » وجدنا الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه ، يقول : « انما ينظر المؤمن الى الدنيا بعين الاعتبار ، ويقفاتها منها ببطن الاضطراب : ويسمع منها باذن الحقت والايقاض » . وفى موطن ثان يقول : « أو ليس لكم فى آثار الاولين من دجر : وفى آباءكم الاولين تبصرة ومعتبر ، ان كنتم تعقلون ؟ أولم تروا الى الماضين منكم لا يرجعون ، والى الخلف الباقين لا يدقون ؟ أولستم ترون اهل الدنيا يمسون ويصبحون على أحوال شتى ، قميت يبكى ، وآخر يعزى ، وصريع مبتلى ، وعائد يعود : وآخر بنفسه يجود : وطالب للرنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، وعلى أثر الماضى يمضى الباقى » .

وفى موطن ثالث يقول : « ان الامور اذا اشتبهت اعتبر آخرها بأولها » . ويعلق على هذا ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة فيقول : « وذلك ان المقدمات تدل على النتائج ، والاسباب تدل على المسببات ، وطالما كان الشيطان ليسا علة ومعلولا ، وانما بينهما أدنى تناسب ، فيستدل بحال أحدهما على حال الآخر ، وإذا كان كذلك ، واشتبهت أمور على العاقل الفطن ، ولم يعلم الى ماذا تؤيل ، فإنه يستدل على عواقبها بأوائلها ، وعلى خواتمها بفواتحها ، كالرعية ذات السلطان الركيك الضعيف السياسة ، اذا ابتدأت أمور مملكته تضطرب ، واستبهم على العاقل كيف يكون الحال فى المستقبل ، فإنه يجب عليه أن يعتبر آخرها بأوائلها ، ويعلم أنه سيضئ أمر ذلك الملك الى انتشار وانحلال فى مستقبل الوقت ، لان الحركات الاولى منذرة بذلك ، وواعدة بوقوعه ، وهذا واضح » .

وفى موطن رابع يقول الامام على : « من حاسب نفسه ريح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن خاف أمن ، ومن اعتبر أبصر : ومن أبصر فهم ومن فهم علم » . ويعلق ابن أبى الحديد بأنه قد جاء فى الحديث المرفوع : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ! » وقوله : « من خاف أمن » أى من اتقى الله أمن من عذابه يوم القيامة . وقوله : « ومن اعتبر أبصر » أى من قاس الامور بعضها ببعض ، واتعظ بآيات الله فهم ، ومن فهم علم . فان قيل : الفهم هو العلم فما الحاجة الى أن يقول : ومن فهم علم ؟ فالجواب : ان الفهم هاهنا هو معرفة المقدمات ، ولا بد أن تعقب معرفة المقدمات معرفة النتيجة ، فمعرفة النتيجة هي العلم ، فكانه قال : من اعتبر تنور قلبه بنور الله تعالى ، ومن تنور قلبه عقل المقدمات البرهانية ، ومن عقل المقدمات البرهانية علم النتيجة الواجبة عنها ، وتلك هي الثمرة الشريفة التى فى مثلها يتنافس المتنافسون .



الاستاذ محمد كامل المطاوعة

حسبنا الله

« قل الله ، ولا تسأل عن احد ، وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » ، قاله لك مهما كان الامر .
جاءت تلك الكلمات المشرفة في رسالة بعث بها سيدي وشيخي الشيخ عبد السلام الحلواني ، نور الله ضريحه ، لتلميذه الصالح المبارك الصديق السيد/ سالم جمعه ، زاده الله من فضله ، وهي تكشف لنا عن القطب الذي يدور عليه التصوف كله ، فانه يدور على الفنى بالله ، والاستغناء عن سواه ، لانه سبحانه وتعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .
وذلك التوجيه الذي يوجهنا اليه سيدي الشيخ عبد السلام هو نهاية اشواط في التربية الصوفية ، وهو يرفعنا به الى مقام الخواص وهم الواصلون الى الله تعالى ، وليس بينك وبين ربك مسافة تقطعها للوصول اليه ، وانما هو جهاد نفسك حتى يزول الحجاب بينها وبين الله فتراه اقرب اليها من كل قريب واحب اليها من كل حبيب ، كما ترى بيده وهذه المعطاء والمنع والضرر والشفع ، ليس كمنه شيء وهو السميع البصير .
ولذلك يقول سيدي ابن عطاء الله السكندري ، رضى الله عنه في مناجاته :

الهي ، هذا ذلي ظاهر بين يديك ، وهذا حالي لا يخفى عليك ، منك اطلب الوصول اليك ، وبك استدل عليك ، فاهدني بتورك اليك ، واقمني بصدق العبودية بين يديك .
الهي ، اغنني بتدبيرك عن تدبيرى ، وبإخفائك عن اهتبارى ، وواقفنى على مراكز اضطرارى .

الهي ، بك استنصر فانصرنى ، وعليك اتوكل فلا تكلنى ، واياك اسأل فلا تخيبنى ، وفي فضلك ارجب فلا تهرمنى ، ولجنانك انتسب فلا تبعدى ، وببابك اقف فلا تطردنى .

انت الذى اشرقت الانوار فى قلوب اوليائك حتى عرّفوك ووجدوك ، وانت الذى ازلت الاغيار من قلوب اهباك حتى لم يحبوا سواك ، ولم يلجأوا الى غيرك ، انت المؤنس لهم حيث اوحشتهم العوالم ، وانت الذى هديتهم حتى استبانتم لهم المعالم .
ماذا وجد من فقدك ؟ وما الذى فقد من وجدك ؟ لقد خسر من بقى عنك متحولا ، وقد خاب من رضى دونك بدلا ، كيف يرجى

وفى موطن خامس يقول الامام : « ما أكثر العبر وأقل الاعتبار » . وفى الشرح تأتى هذه العبارة : « ما أوجز هذه الكلمة ، وما أعظم فائدتها » . ولا ريب أن العبر كثيرة جدا ، بل كل شيء فى الوجود ففيه عبرة ، ولا ريب أن المتعبرين بها قليلون : وأن الناس قد غلب عليهم الجهل والهوى ، وازدادهم حب الدنيا ، وأسكروهم خمرها ، وأن اليقين فى الاصل ضعيف عندهم ، ولولا ضعفه لمكانت أحوالهم غير هذه الاحوال » .

هذا للاعتبار عند الاصحاء من الصوفية شأن وأى شأن ، فان الصوفى الصادق هو خير من ينظر ويفكر ويعتبر ، وخير من يتذكر على الدوام قول القائل :

وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وما أكثر ما يثيره الاعتبار فى نفس هذا المتدبر المعتمر من لواجع الخشية ودوافع التقوى ، ومن هنا رأينا الامام ابن القيم فى كتابه « مدارج السالكين » يشرح لنا كيف يستلزم الاعتبار الانتفاع بالعظة عند القوم ، فيقول : « الانتفاع بالعظة هو أن يقدح فى القلب قادح الخوف والرجاء ، فيتحرك للعمل ، طلبا للخاص من الخوف ، ورغبة فى حصول المرجو . والعظة هى الامر أو النهى المعروف بالترغيب والترهيب . والعظة نوعان : عظة بالمسموع وعظة بالمشهود ، فالعظة بالمسموع الانتفاع بما يسمعه من الهدى والرشد ، والنصائح التى جاءت على لسان الرسل وما أوحى اليهم ، وكذلك الانتفاع بالعظة من كل ناصح ومرشد فى مصالح الدين والدنيا . والعظة بالمشهود الانتفاع بما يراه ويشهده فى العالم من مواقع العبور وأحكام القدر ومجاريه ، وما يشاهده من آيات الله الدالة على صدق رسله » .

وأما استبصار العبرة فهو زيادة البصيرة عما كانت عليه فى قوة التفكير بقوة الاستحضار ، لأن التذكر يعقل المعانى التى حصلت بالتفكير فى مواقع الآيات والعبر ، فهو يظفر بها بالتفكير ، وتنصل له وتتجلى بالتذكر ، فيقوى العزم على السير بحسب قوة الاستبصار ، لانه يوجب تحديد النظر فيما يحرك المطلب ، اذ الطلب فرع الشعور ، فكلما قوى الشعور بالمحذوب اشتد سفر القلب اليه ، وكلما اشتغل الفكر به ازداد الشعور به ، والبصر فيه ، والتذكر له » .

ويقول أبو عبد الله السجزي الصوفى : « العبرة أن تجعل كل حاضر غائبا ، والفكرة أن تجعل كل غائب حاضرا » . وبإلها من طاقة روحية أخلاقية لا يقدر عليها الا السابقون فى التحلى بمكارم الاخلاق . وكذلك يقول حاتم الاصم الصوفى : « الشهوة ثلاثة : شهوة فى الاكل ، وشهوة فى الكلام ، وشهوة فى النظر ، فاحفظ الاكل بالنقّة : واللسان بالصدق ، والنظر بالعبرة » .

نسأل الله جل جلاله أن يجعلنا من أهل العبرة والاعتبار ، « ان فى ذلك لشكرى لمن كان له قلب ، أولقى السمع وهو شهيد » .

سواك وانت ما قطعتم الاحسان ٢٠ ام كيف يطلب غيرك وانت ما بدلت عادة الابتان .

وینصحن رضى الله عنه فيقول :

« تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه ، تحقق بذلك يمدك بعزته ، تحقق بمعزك يمدك بقدرة ، تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته ، « كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته ؟ ام كيف يرحل الى الله وهو مكمل بشهوته ؟ ام كيف يطعم ان يدخل حضرة الله وهو لم يظهر من جنابة غلالته ؟ ام كيف يرجو ان يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب من هفواته ؟

ويرى سيدى وشيخى الشيخ على عقل ان محبة الله هي معراج الوصول اليه سبحانه وتعالى ، فيقول رضى الله عنه في الهامه النورى الذى تلقناه عنه :

الحب ان ملك النفوس اعزها

والعاشقون بربهم علماء

والاصل في الدنيا المحبة والهدى

لولا الهدى لم تخلق الاشياء

فاذا اتقينا الله جل جلاله

قضيت حوائجنا وسال الماء

من صدقوا فازوا ومن سهروا علوا

ولهم اقصاء في الدجى الزهراء

من لم يذوقوا ذكر خلاق السما

هم والبهائم في المقام سواء

بل ربما قطن البهيم لربه

والفائقون عن الهدى بلهاء

كونوا على هدى الطريق يعزكم

رب الورى هذا هو الاهداء

ليس العطاء المال عند اولى انتهى

العلم عند الموقنين عطاء

وقد وقف رضى الله عنه نفسه على محبة ربه ، فلم يحفل بالناش فهو يقول الهامه لوقت من عطاء الله تعالى لاويلاته :

انا صلب ثابت القدم	مستهام القلب من قدم
يجلننى الحب فى سهرى	وتجوم الليل من خدعى
املى فى الله يقبلنى	فمسوى الرحمن لم ارم
لم يثرنى الناس فى كلم	انما الله مدى كلمى
انا ممن جنى لحضرت	تارك للناس كلهم
انا ممن جنى لحضرت	لم افق من لذة التغم
لم ازل فى حى حضرت	مرتعا للعلم والحكم
وفؤادى من هدايته	يرتوى من مورد الكرم
ويقلنى من محبتهم	همة من اعظم الهمم
هاجنى وجدى وبى حرق	لم تكن من شدة الضرم
بل هى الانوار يقدفها	فسرت فى مهجتي ودى

وقد طالب الله المؤمنين ان يقيموا الدليل على محبته تعالى بينامة من اخذوا عنه محبة الله تعالى والاستغناء به عن غيره وهو مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) كما بين لنا سبحانه ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هي طاعة لله (من يطع الرسول فقد اطاع الله) كما بين ان طاعته صلى الله عليه وسلم هي سبيل الاهتداء (وان تطيعوه تهتدوا) وان مخالفته صلى الله عليه وسلم هي نذير الفتنة والعذاب الاليم (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم)

وعلى نور تلك الايات اللينات تاسى الصحابة الكرام باقوال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقواله واحواله ففازوا فوزا عظيما (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) ومن ثم الحقم الله باكرام البررة (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا)

ويقول الامام سهل بن عبد الله رضى الله عنه :

اصول مذهبنا (يقصد الصوفية) ثلاثة : (١) الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم (٢) الاكل من الحلال (٣) واخلاص التية في جميع الاعمال .

وقال سيدى ابو عثمان الحيرى رضى الله عنه : من امر السنة على نفسه قولا وفعلنا نطق بالحكمة ، ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة ، ويرى السادة الصوفية الحديث الشريف « من أحب تستنى فقد احبني ، ومن احبني كان معى فى الجنة » .

ويقول الامام القشيري رضى الله عنه : اعلم ان ربكنا السنة توصل المبد الى حقائق القربة وتجعله اهلا لخصائص الرافة . ويقول شيخه الامام ابو على الدقاق رضى الله عنه : من استهان بآداب من آداب الاسلام عوقب بحرمان السنة ، ومن ترك سنة عوقب بحرمان الفريضة ، ومن استهان بالفرائض قبيض الله له مبتدعا يذكر عنده باطلا فيوقع فى قلبه شبهة .

ويحكى السادة الصوفية ان الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه قال : كنت يوما مع جماعة يتجردون ويدخلون الحمام ، فاستعملت خير رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر » ولم اخبر ، فرأيت تلك الليلة فى المنام قائلا يقول لى : ابشر يا احمد فان الله قد غفر لك باستعمال السنة فقلت من انت فقال جبريل ، وقد جعلك الله اماما يقتدى بك . وحكوا عن بعضهم انه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقد تبا رسول الله اشفع لى ، قال قد شفعت لك ، فقلت : متى ؟ فقال : اليوم الذى احييت فيه سنة من سنتى وقد أميتت .

وفى تفسير قوله تعالى (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) يقول السادة الصوفية ان الحكمة هي السنة . وفى تفسير قوله تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) يقولون ان العمل الصالح هو الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى مناسبة تلك الآية الكريمة حكى لى المرحوم والذى اوسع الله له فى رضوانه انه حين كان بمكة المكرمة حاجا (من نحو ثلاثين سنة) رأى فى المنام ان تلك الآية تنلى عليه فقام من نومه مسرورا ومستبشرا باداء حجه وكرم ربه ، ثم نسي الآية واخذ يفكر طويلا فى تذكرها فلم يستطع ان يتذكرها فانسف غاية الاسف لنسيانها ثم دخل المسجد الحرام وجلس قريبا من الكعبة المشرفة متطلعا اليها ، فاذا بقارىء يجاوره فى مجلسه يستعيز بالله من الشيطان الرجيم ويقرا على مسمع سيدى الموالد رحمه الله (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ...) فكان سروره بذكر الآية بالغا للغاية واعتبر ذلك فضلا جديدا من الله عليه ، ولحرصه على دوام تذكرها ، سأل القارىء بعد ان فرغ من قراءته عن سورتها فقال له : هي فى سورة فاطر .

وترشدنا الآية الكريمة الى طلب العزة فمن يملكها وهذه سبحانه ينوحيد الله وطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم اذ لا عزة الا عزة الله ، ولا هدى الا هداية . الا ترى انه تعالى علمنا فى فاتحة الكتاب ان نقول (اهدنا الصراط المستقيم) ويقول الامام القشيري رضى الله عنه فى معناها : بل بقولنا اليك ، واقم همنا بين يدك ، وكن دليلنا منك عليك ، ويضيف رحمه الله قائلا : وكما يهديهم اليه بحسن التعريف ، يهديهم الى محاسن الاخلاق ومعالى الامور بحسن التشريف ، قال سبحانه (ونفس وما سواها قالهها فجوهرها ونقاها) .

وفى تفسير قوله تعالى (الله نور السموات والارض) يقول الامام القشيري رضى الله عنه معناه : منور السموات والارض ، وقيل الهادى لاهل السموات والارض ، وقيل سمي النور لان منه النور ، فاذا كان بمعنى المنور فانما هو منور الانوار بالنجوم والانوار ، ومنور القلوب بفنون الدلائل وصنوف الحجج والالطاف ، ومنور الابدان بانوار العبادات ، فالطاعات زينة النفوس والاشباح والمعارف زينة القلوب والارواح ، والتأيد بالموافقات نور الظواهر والنوحيد بالموصلات نور اله اثر ، وان الله سبحانه يزيد قلب العبد نورا على نور بنور البرهان ثم يمده بحسن البيان ، قال سبحانه (نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء) .

وقد قيل لبعض الصوفية : سل حاجتك ، فقال : من وضع قدمه على بساط المعرفة لا يحسن ان يكون لغير الله عليه منه ، وقيل لبعضهم : لك حاجة ؟ فقال : لا حاجة لى الى من لا يعلم حاجتى . وفى مناسبة اسمه تعالى « ذو الجلال والاكرام » يقول الامام

القشيري رضى الله عنه : قيل الاجلال ان ترى ما دونه بعيد الاقلال،
أما الاكرام فقريب من معنى الانعام الا انه اخص لانه ينعم على
من لا يقال اكرمه ولكن لا يكرم الا من يقال انعم عليه ، اما ترى
كيف اكرم موسى عليه السلام حيث سلطته اليه أمه كيف رياه في
حجر عدوه وكيف صرف عنه كيدته ، اسلمته الى البحر متوكلة على
الله بالنفذة (صباحا) فرده اليها قبل الظهر ، واذا سلطت اليه
ولدها فرباه في حجر عدوه وصرف عنه كيدته ، فمن سلم اليه قلبه
حفظه كما في الخبر : القلب بين اصبعين من اصابع الرحمن ، أى
بين تميمين من نعمه ، ترى أنه يضعه ولا يحفظه ، حاشا لله .

ولما كان للشيخ الصوفية مدخل في تربية قلوب المريدين في
سلوكهم الى الله تعالى ، قال السادة الصوفية ان بر المريدين
لشيخهم يجب ان يكون اكثر من برهم بوالديهم ، وعلوا ذلك
بان الاب يحمي ولده عن آفات الدنيا والشيخ يحمي تلميذه عن
آفات الآخرة ، والاب يربي ولده بنعمته والشيخ يربي تلميذه
بهمته . كما انهم يقولون : من حفظ حق استاذة وشيخه لا يكافأ
في حياة الشيخ ثلثا يسقط تعظيم الشيخ من قلبه ، ومن لم يحفظ
حرمة الشيخ لا يعاقب في حياة الشيخ لان لهم بهم رحمة وشفقة
فندخلهم الشفقة عليهم ، بل ينقم الله منهم ويكافئهم بعد موت
شيخهم ونعوذ بالله من سوء الخاتمة .

وحبة العبد لربه تقتضى منه لزوم طاعته والانتهاز بآمره والانتهاز
بنهييه ، كما تقتضى من العبد تعظيمه لربه وهيبته منه ، فكل من كان
اكثر طاعة له واشد تعظيما كان اكثر محبة ، ومن كان عاصيا لآمره
ومخالفا له كان بعيدا من محبته ، وتقتضى محبة المؤمن لربه ايثاره
سبحانه على كل ما سواه ، ومن ثم لا يترك في مرضاة ربه مجهودا
الا بذله ولا مكنيا الا استعماله ، وانشدوا في ذلك :

لئن بقيت في العين منى قطرة

فأني اذن في العاشقين دخیل

ويقول سيدي وشيخي الشيخ على عقل طبيب الله ثراه في الهامه
الغوري الذي نقلناه عنه :

وعيب على ذي الحب ان يالف الكرى

وهل نام من في قلبه كين الجمر

لقد دار مني الحب من كل جانب

الى ان تسلاوى عندي الليل والفجر

كما يقول رضى الله عنه :

انا قد خلوت عن الورى

وجعلت حبى فيك وحدا

وجعلت ذكرك غايى

وسهرت ليلى بالهدى

ومشيت أنصح فى الملا

ويقول رضى الله عنه :

رايتك لى من الدنيا كفىلى

ولم ار غير ركك من مقيل

تجنبت الشكوك فما عرتنى

وادركت الحقيقة فى منولى

وفتشت العلوم وعارفيها

فلم ار كالحبة من دليل

محبة خالقي مشكاة قلبى

على انوارها القى وصولى

وان الحب اشواق وصبر

يعز على الخائف والكسول

ورى الناس من ماء ولكن

شراب الحب يذكى من غلىلى

ولى من مشرق الايمان علم

سموت به على كل الفحول

علومى فى الورى نفحات ربي

فما بلفوا مراقى او شمولى

ولانه رضى الله عنه رأى في كفالة ربه ما اغناه عن غيره فقد
اكفى به سبحانه وسأله حاجاته وخافه ولم يخف سطوة عباده
فقال رضى الله عنه :

مذ البدين اليك افضل شرعة

ولغير وجهك لا يصح تسؤالى

فاجعل هداك شريعتى وذريعتى

واجعل شهودك لى مبرة مالى

يارب قلبى قد غسلت من الورى

اذ ليس غيرك ما ذكرت ببالى

بالحب كنت ولا ازال فلن ايت

لم تاتر روحي بشوب زوال

ان مر بى عصف الزمان وقصفه

والله لنست بها شهدت ابالى

الحبه واصاف سطوة غيره

هذا وحك لا تعيه خصالى

روض الحبة قد شهدت جلاله

وجسماله ثبت فى احوالى

ومن كلام سيدي الشيخ على رضى الله عنه نذكر ان اهل
الله وهم الاولياء الاصفياء يكتفون بالله ولا يسألون سواه ، لان
شعار الولي (حسبي الله) أى يكفى ربي ، وهو الشعار
الاكرم الذى اختاره الله لرسوله الاعظم صلى الله عليه وسلم
حين قال له (فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم) وهو الشعار الذى استمسك به سيدنا
ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حين القى فى النار فقد قال :
حسبي الله فكفاه ربه شر اعدائه وقال لل نار (كونى بردا وسلاما
على ابراهيم) .

وقد كان نقش الخاتم الذى يليه الامام مالك رضى الله عنه :
(« حسينا الله ونعم الوكيل ») وقد سألوه في سبب اتخاذ ذلك
الشعار فقال لهم لان بعدها (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم
ييسسهم) مشيرا بذلك الى ما كاه الله عن ساداتنا الصحابة
الكرام الذين نزل فيهم قوله تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسينا الله ونعم الوكيل .
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم ييسسهم شئوا وانبعوا رضوان
الله والله ذو فضل عظيم)

والتوكلون على الله في امورهم في ثقة واطمئنان يكفيهم الله
ما اهمهم ، وقد كان مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
(انى لا أعلم آية لو اخذ الناس بها لكفهم) (ومن ينق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو
حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شئ قدرا) فما زال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ويعيدها .

ويقول سيدي ابن عطاء الله السكندري في حكمه : شعاع
البصيرة يشهدك قربه منك ، وعين البصيرة يشهدك عذبك لوجوده ،
وحق البصيرة يشهدك وجوده لاعدبك ولا وجودك . وفسروا ذلك
بان شعاع البصيرة نور العقل ، وعين البصيرة نور العلم ، وحق
البصيرة نور الحق ، فالعقلاء بنور عقولهم شهدوا انفسهم وشاهدوا
ربهم قريبا منهم (أى قرب بالعلم والاحاطة لا بالمشافة) والعلماء
بنور علمهم شهدوا انفسهم عذبا في وجود ربهم ، والمتحققون
بنور الحق شاهدوا الحق ولم يشاهدوا معه شواهد .

ويقول كذلك رضى الله عنه : لا يكن تأخر أمد العطاء مع الالاح
في الدعاء موجبا لياسك ، فهو الذى ضمن لك الاجابة فيما يختاره
لك لافيا تختاره لنفسك ، وفي الوقت الذى يريد لا فى الوقت
الذى تريد . ويقول سيدي الامام ابو الحسن الشاذلي في تفويض
الامور الى الله سبحانه : لا تختار من امرك شيئا ، واختر الا تختاره
وغير من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شئ الى الله عز وجل
(وربك يخلق ما يشاء ويختار) وقوله هذا يفسر لنا قول سيدي
الشيخ عبد السلام الوارد في صدر المقال : فالحق لك مهما كان
الامر ، ويزيدنا سيدي ابن عطاء شرعا فيقول : اذا أعطاك اشهدك
بره ، ومتى منعك اشهدك قهره ، فهو في كل ذلك متعرف اليك
ومقبل بوجود لطفه عليك .

وختمنا اقول ما كاه الله عن ساداتنا الصحابة ، واحب ان يقوله
معى كل مؤمن (حسينا الله ونعم الوكيل) .

مع القرآن الكريم

القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه

دكتور عبد الله محمود شحاتة

طالب ، وأبو موسى الأشعري ، وسالم مولى أبي حذيفة . وقد استشهد سالم مولى أبي حذيفة في معركة اليمامة .

وقد اختير زيد بن ثابت من بين الصحابة ليشرح على جمع القرآن ، لأنه حضر العرصة الأخيرة للقرآن ، ولأنه شاب ، فهو أقدر على العمل منهم . وهو لشبابه أقل تعصبا لرأيه واعتزازا بعلمه ، وذلك يدعو إلى الاستماع لكبار الصحابة من القراء والحفاظ والتدقيق في الجمع دون إثارة لما حفظه (المرجع السابق) .

(٢) حديث البخاري

روى البخاري في صحيحه أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : « أرسل إلى أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضي الله عنه أن عمر أتاني فقال ، ان القتل قد استحر (أي اشتد) يوم اليمامة بالناس ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه ، وإني لأرى أن تجمع القرآن ، قال أبو بكر فقلت لعمر : كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ؟ فقال ، هو والله خير ، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر . قال زيد : وعنده عمر جالس لا يتكلم فقال لي أبو بكر ،

(١) لم يجمع القرآن في كتاب واحد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بل كان مجزءا في العسب والخاف والعظام وما تيسر من الرقاق وغيرها مما يكتب عليه .

وإنما لم يجمع القرآن في حياة الرسول لاستمرار نزول الوحي واحتمال نزول ناسخ لبعض الآيات ، ولعدم الحاجة إلى جمع المصحف طالما رسول الله بين المسلمين ، وهو المرجع الأوفى للقرآن الكريم . فلما تولى أبو بكر خلافة المسلمين ، نشط لحرب المرتدين عن الإسلام ، واستشهد جمع من المسلمين في هذه الحروب خصوصا في معركة اليمامة التي قتل فيها مسيلمة الكذاب واستشهد فيها من المسلمين مائتان ألف بينهم تسعة وثلاثون من كبار الصحابة وسبعون من حفاظ القرآن « الصديق أبو بكر » للاستاذ محمد حسين هيكل .

وحزن المؤمنون لموت قراء القرآن وخافوا أن يضيع شيء من القرآن بموت حملته ، فاقترحوا على أبي بكر رضي الله عنه جمع القرآن في مصحف واحد موثقا بلجنة من كبار القراء الذين تلقوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان من أشهر القراء زيد بن ثابت ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب وعلى بن أبي

انك رجل شاب عاقل ولا تنهك ، كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه . فقال له لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن . قلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر ، هو والله خبير .

فلم ازل اراجعه حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر ابي بكر وعمر . فقيمت فقتبعت القرآن اجمعه من الرفاع والاكتاف والعصب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الانصارى لم اجدهما مع غيره : (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) فلما نسختنا الصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الاحزاب ، كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها لم اجدتها مع أحد الا مع خزيمة الانصارى الذي جعل رسول الله شهادته بشهادة رجلين : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) فالحققت في سورتها فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند ابي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر .

(٣) توضيح وبيان :

ذكرنا حديث زيد بن ثابت برواية البخارى ، وقد اجمعت الروايات على صحته ، بيد أنه يحتاج الى بيان وتوضيح أسجله فيما يلي :

١ - أصل القرآن كان محفوظا في الصدور مثلوا في المحاريب .

٢ - أصل القرآن كان مكتوبا في جذاذات ورقاق متفرقة .

٣ - عمل زيد ومن معه كان ترتيب هذه الجذاذات والرقاق وجمعها ومقابلتها بالمحفوظ المتواتر .

٤ - لم يعتمد زيد على حفظه وذاكرته ولا على ما كتبه لرسول الله ، وهو من أوثق كتاب الوحي ، وإنما جمع كل ما كتب من القرآن ، وجلس هو وعمر بن الخطاب على باب المسجد وقال « من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فليأتنا به (الاتقان : ١ - ١٠٠) » .

٥ - استوثق زيد ومن معه في جمع القرآن زيادة في الحيلة والعناية والتثبت « وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدين على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتقان : ١ - ١٠٠ » .

٦ - كان زيد قد سمع القرآن جميعه من رسول الله ووعاه معه جموع المسلمين ، وكتبوه أيضا . وكان الحفظ مستقيضا والكتابة معروفة لجميع نصوص القرآن ، غير أن آيتين من آخر سورة براءة لم تكونا مكتوبتين الا عند ابي خزيمة الانصارى ، وهو الرجل الذي اختصه النبي بشهادة رجلين فكتبهما زيد في مكانهما من المصحف .

٧ - المصحف المجموع احتفظ به كوثائق العقود التي تودع للحاجة والمستقبل ، أما حقيقتها الخارجية فليست محل جدل ، لأنها أشبه بالمحسوسات المادية الراسخة .

٨ - ثبت نص القرآن بالتواتر المستفيض ، وروته جموع غفيرة يؤمن تواترها على الكذب وتكفل الله بحفظه ، وتمت كتابته على أوثق وجه بمشورة عمر واقتناع ابي بكر وهمة زيد بن ثابت وصدق عزيمته . فهو أصدق وثقة عرفها التاريخ لم يدخله تبديل ولا تغيير ، (لا تبديل لكلمات الله)

٩ - شهد المنصفون بالدقة البالغة في جمع القرآن والصدق والتثبت في روايته ، قال المستشرق الانجليزى سيروليم ميور : « ان القرآن بمحتوياته ونظامه ينطق في قوة بدقة جمعه ، فقد ضمت الاجزاء المختلفة بعضها الى بعض ببساطة تامة ، لا تعمل فيها ولا تكلف ، وهذا الجمع لا أثر فيه ليد تحاول الماهرة او التنسيق ، وهو يشهد بايمان الجامع وخالصه لما يجمع ، فهو لم يجزئ على أكثر من تناول هذه الايات المقدسة ووضع بعضها الى جانب بعض « الصديق ابي بكر » للاستاذ محمد حسين هيكل .

فعمل زيد كان مقتصر على جمع الرقاق من القرآن وريطها بخيط وحفظها عند الخليفة ، لتكون نصا خالدا باقيا مدى الحياة .

ويقول سبير وليم ميور أيضا : « والارجح أن العالم كله ليس فيه كتاب غير القرآن ظل اثني عشر قرنا كاملا بنص هذا مبلغ صفائه ودقته (المرجع السابق : ٤) روايات حول جمع القرآن :

١ - تذهب رواية الى أن عمر بن الخطاب أول من جمع القرآن في المصحف (الاتقان : ١ - ٥٩) ذلك انه سأل يوما عن آية من كتاب الله فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة . فقال انا لله ، وأمر بالقرآن فجمع ، ويمكن ان نجعل بين هذه الرواية وبين المتواتر بأن عمر كان أول من رأى جمع القرآن وأشار على ابي بكر به ، وظل يناقشه حتى أقنعه . أما الجمع نفسه فقد تم في عهد ابي بكر ، ويؤيد ذلك ما روى عن علي بن ابي طالب أنه قال : « رحمة الله على ابي بكر كان أعظم الناس أجرا في جمع المصاحف وهو أول من جمع ما بين اللوحيتين » وقد تواترت بذلك شهادة عدد كبير من اصحاب رسول الله .

ب- يذهب بعض الرواة الى أن جمع القرآن بدأ في عهد ابي بكر وتم في عهد عمر ، ورواية البخارى أوثق فهي تفيد أن جمع المصحف تم في عهد ابي بكر واودعت عنده الصحف ثم عند عمر بعد وفاة ابي بكر ، ثم عند حفصة بنت عمر ثم انتقلت الى عثمان ، ليعتمد عليها في جمع الناس على مصحف واحد .

ج - وتذهب بعض الروايات الى أن علي بن ابي طالب أول من جمع القرآن بعد وفاة الرسول .

ونرى ان عمل علي كان عيلا فرديا ليحفظ لنفسه بمصحف ، وهو جهد خاص شجعه ابو بكر كما شجع غيره من الصحابة على جمع المصحف . أما مصحف

أبي بكر فقد كان مصحفاً توفرت له جهود جهنوز المسلمين وجميع الصحابة .

روى أشعث عن محمد بن سيرين ، « لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ، أقسم على ألا يرتدي برداء إلا لجمعه حتى يجمع القرآن في مصحف ، ففعل ، فأرسل إليه أبو بكر بعد أيام ، أكرهت أمارتي يا أبا الحسن ؟ قال لا والله ، إلا أنني أقسمت ألا ارتدي برداء إلا لجمعه فبايعه ثم رجع » .

قال ابن حجر هذا الاثر ضعيف لانقطاعه وبتقدير صحته ، فمراده بجمعه حفظه في صدره (الاتقان : ١ - ٥٩ ، فانه يقال للذي يحفظ القرآن قد جمع القرآن (المصاحف ١ - ١٠)

ونسبة جمع القرآن الى علي ذكرت من عدة روايات في الاتقان وغيره ، كما نسب الى سالم مولى أبي حذيفة انه أول من جمع القرآن في مصحف الاتقان : ١ - ٥٩ وهو محمول على أنه كان من أول الجامعين بأمر أبي بكر .

ومن هذا نرى أن نسبة جمع القرآن الى عمر أو علي أو أبي حذيفة أو غيرهم روايات فردية لا تناهض الصحيح المتواتر ، وهي على فرض صحتها مؤولة . وأرى أن أبا بكر لم يعارض في جمع علي أو سالم أو غيرهما مصحفاً لنفسه على أنه مصحف خاص لقراءته . وإن جمع أبي بكر للمصحف كان توثيقاً تضافت له أوثق صفات الجمع الصحيح .

ولذلك قال علي - فيما حدث به سفيان عن السدي عن عبد خير - « أعظم الناس أجراً في المصاحب أبو بكر رحمة الله على أبي بكر ، هو أول من جمع ما بين اللوحين (المصاحف : ١ - ٥ وفي الاتقان ١ - ٥٩ هو أول من جمع كتاب الله) .

(٥) القرآن في عهد عمر

اتسعت الفتوحات في عهد عمر ، وامتدت خريطة العالم الاسلامي فشملت بلاد الفرس والروم وغيرها . ولم تمض عشر سنوات على وفاة النبي الكريم حتى كانت دعوة الاسلام تزحف بقوة ذاتية فتطوى ممالك ودولا وتحتوي شعوبا وامما - والاسلام دعوة عالمية لا تعرف العنصرية ولا العصبية - ودخل الاعاجم في دين الله افواجا - واقبلوا على السدين الجديد يستوعبون احكامه ويرتلون قرآنه بلهجات متعددة ، وقراءات متنوعة

وكان عمر رضي الله عنه يرسل القراء والمعلمين الى الامصار لياخذ الناس عنهم كتاب الله . كما كانت هناك مدرسة بالمدينة لتعليم الصبية القرآن ، وكان عمر يتعهد هؤلاء الصبية حتى اذا سافروا الى الشام بعد فتحها استوحش الصبية للقائه فخرجوا لاستقباله عند عودته على مسافة يوم .

وفكر عمر في كتابة السنن وجمع الاحاديث وأخذ يستخير الله في ذلك ، ثم عدل عنه حتى لا تصرف الناس عن كتاب الله .

روى عن قرظة بن كعب انه قال : لما سيرنا عمر الى العراق مشى معنا عمر ، وقال ، اتدرون لم شيعتكم ؟ قالوا : نعم ، مكرمة لنا . قال : ومع ذلك فانكم تاتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل ، فلا تصدوهم بالاحاديث فتشغلوهم جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله وأنا شريككم ، فلما قدم قرظة قالوا ، حدثنا قال : نهانا عمر

ولم يضمن عمر على البلاد المفتوحة بالقراء والمعلمين للقرآن ، فكان ينتقى شيوخ القراء من المدينة ويرسلهم الى المدن المفتوحة . وحين طلب منه أهل الشام قراء لبي طلبهم ورسم لهم خطة تجمع الناس على قراءة سليمة واداء سليمة .

روى محمد بن سعد في طبقاته عن محمد بن كعب القرظي باسناده قال : جمع القرآن في زمان النبي (صلى الله عليه وسلم) خمسة من الانصار - معاذ بن جبل ، وعبداد بن الصامت ، وأبي بن كعب وابو أيوب ، وابو الدرداء - فلما كان زمن عمر بن الخطاب كتب اليه يزيد بن أبي سفيان : ان أهل الشام قد كثروا وربلوا وملثوا المدائن ، واحتاجوا الى من يعلمهم القرآن ويفقههم ، فاعنى يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم ، فدعا عمر أولئك الخمسة ، فسال ان اخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمن يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين ، فأعينوني ، رحمكم الله بثلاثة منكم ان اجبت فاستسهموا وان انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا ، فقالوا : ما كنا لنتساهم هذا شيخ كبير ، لابي أيوب ، وأما هذا فسقيم : لابي بن كعب ، فخرج معاذ وعبداد وأبو الدرداء فقال عمر : ابدعوا بحملي فانكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة منهم من يلقي ، فاذا رأيتم ذلك فوجهوا اليه طائفة من الناس ، فاذا رضيتم منهم فليقسم بها واحد وليخرج واحد الى دمشق ، والآخر الى فلسطين ، وقدموا حمص فكانوا بها ، حتى اذا رضوا من الناس اقام بها عبادة وخرج ابو الدرداء الى دمشق ومعاذ الى فلسطين أما معاذ فمات في طاعون عبواس ، وأما عبادة فسار بعد الى فلسطين فمات بها ، وأما ابو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات (الطبقات الكبرى ٢ - ٣٥٦) .

وقد كان اتساع الفتوحات وانتشار الاسلام في ممالك الفرس والروم ومصر ، وتيسير القراءة على الناس حسب ما تساعدهم عليها عضلات اصواتهم ولهجات قبائلهم مع ضعف الرقابة على القراءة وسماع الدين أن يقرأ القرآن على سبعة اوجه ، كان كل ذلك مما أحدث خلافا كبيرا بين الناس في طريقة القراءة . فلما جاء عهد الخليفة الثالث عثمان ورأى هذه الفتنة جمع الناس على مصحف واحد هو المصحف الامام ، وأحرق ما عداه من المصاحف وكتب نسخة من المصحف العثماني الى عدد من الامصار الاسلامية ، وقد تلقت الامة بالقبول خلفا عن سلف .

الجهاد والجنديّة في تعاليم الإسلام

مناصب رجال الجيش



سماعة الأستاذ مبشر الطرازي الحسيني

ويتبعين آخر : على رأس عشرة من النقباء قائد ، كما كان على رأس عشرة من القواد (أو قل على رأس عشرة آلاف من الجنود أمير الجيش .

نظام الجيش في الحرب

لم يكن في العهد الجاهلي نظام عسكري يذكر في الحرب ، وإنما كان نظام الحرب بين العرب في الجاهلية على نسق يسمونه الكر - والفر - وكان الكر عبارة عن الحملة على العدو ، والفر عن الفرار عند شعور الضعف .

ولما جاء الإسلام قرر ترتيب صفوف الجيش احد الامور الحربية وشئونها ، فقد نزل في القرآن المجيد « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص (الآية ٤ الصف) » .

وينزل هذه الآية حث الاسلام ابنائه المقاتلين الى نظام الصف ، وبشرهم بان الله تعالى يحبهم

ولهذا فان نظام الجيش في الحرب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بترتيب الصف (ص ١٩٠ اتمام الوفاء) ذلك لان الرسول صلى الله عليه وسلم (بصفته القائد الاعلى) كان يقوم بتنظيم افراد

يفهم من اقوال المؤرخين انه كان الجيش في اوائل الاسلام تحت قيادة عدد من « العريف » الذي يتعين على رأس كل عشرة من الجنود طبق ما كان عليه العرب في الجاهلية وكان منصب « العريف » انما يعتمد لرجل له سابقة في شئون الجيش وخبرة في القيادة

وبالاجمال : كان نظام الجيش الاسلامي في ادوار فتوحاته الاولى على هذا المنوال ، ثم تطور النظام فيما بعد ، حيث كان العريف يعين على رأس سبعة من الجنود ، وعلى رأس كل عريف صاحب منصب باسم « الامير » وكان المجموع يلقب « امراء الاسباع » .

وكانت العطايا العسكرية تقدم من الامراء الى العرفاء ومنهم الى افراد الجنود . وقد تطورت المناصب في عهد بني امية الى حد اما في عهد العباسيين فكان العريف على رأس كل عشرة من الجنود وكانوا يسمون خمسة عرفاء بـ « الخميس » يتعين على رأسه رئيس ويتعين على رأس مائة من الجنود قائد ، ثم اتخذ ترتيب المناصب في الجيش تنظيما وتنسيقا على حسب مرور الزمان واقتضائه .

فكان على رأس كل عشرة من الجنود عريف ، وعلى رأس عشرة من العرفاء رئيس باسم « النقيب »

والواقع ان النظام العسكري احد العوامل المهمة للعبية والتهصار . وان هذه الكلمة تظهر بصديقتها وصحتها في وقائع أمثال السلطان سليم : ونابليون بونابرت أكثر ظهورا .

ولقد ازداد عدد جيوش المسلمين في أيام خلفائهم أمية ، وتطورت التعبئة عندهم ، بحيث أن شخص الخليفة أو القائد العام كان يقوم (برأياته واعلامه) وسط الجيوش وهو القلب ويقوم امام القلب فوج مركب من الفرسان (غالبا) وهو المقدمة ، ويقوم على يمين القلب فوج مرتب وهو الميمنة ، ويقوم فوج آخر على يسار القلب وهو الميسرة ، ويقوم على مقابل القلب من الظهر فوج منظم وهو الساقة ، كما كانوا يسمونها (الصفحة ١٤٦ ج ١ التمدن الاسلامي) . بهذا الشكل :

المقدمة

الميمنة ... القلب ... الميسرة

وبالاجمال كانت التعبئة تنظم وترتب على هذه الاقسام الخمسة ومن هنا كانوا يسمون الجيش « الخميس » وكانوا يقيمون في بعض الحروب فوجا كبيرا منظما خلف الخميس ، تقوية وتطمينا للمحارب .

ولما تقدمت المدنية بين المسلمين تفننوا في أشكال التعبئة ، وإذا عبرنا عنها بالاجمال فإنها كانت بأشكال « الهلال المرسل » و « الهلال الحاد » و « الهلال المركب » و « الهلال المربع » و « المربع المنحرف » وبشكل المثلث ، وكان اخر اشكال التعبئة عندهم بشكل الدائرة المزدوجة . كما يستفاد من الصفحة ١٤٢ ج ١ من « التمدن الاسلامي » .

الجيش وترتيب وتسوية الصفوف . وقد قام به في غزوة بدر الكبرى السنة الثانية من الهجرة حيث عدل على المسلمين صفوفهم ، مناكبهم متلاصقة فصاروا كأنهم بنيان مرصوص (صفحة ١١٢ - نور اليقين) .

قال بروفيسور جوزيف الالماني « ان ساحة المسجد الاسلامي أول ميدان عرض للجيش الاسلامي » .

وقد أصاب في قوله ذلك لأن المسلمين يقومون في الصلوات الخمس التي يؤدونها اثناء الليل والنهار ، يقومون بنظام عسكري بديع ، بنية واحدة متوجهين الى جهة واحدة في حركات معينة منظمة متحدة ، وهم خلف امام يتبعونه في قيامه وقعوده ، وركوعه وسجوده لا يتخلفون عنه أي تخلف ، ويتكرر هذا الاجتماع يوم الجمعة كل اسبوع في صلاة الجمعة ويوم العيدين كل سنة في صلاة العيد في صورة أكثر جماعة وأكبر شأنا واحكم نظاما ، مما يمكن تصور المسلمين المجتمعين مصطفين خلف قائد عسكري في عرض عسكري عظيم في ساحة ميدان الحرب . . .

ولهذا يمكن أن نقول : أن المسلمين يقومون بالتدريب على النظام العسكري خلف الامام (قائدهم) خمس مرات كل يوم وليله (في خمس فترات معينة أو مرة واحدة كل اسبوع ، أو مرتين في كل سنة ، على الأقل وبهذا يمثلون جنديا كل فرد منهم ، واستعداداه لإجابة داعي الحق والوطن الاسلامي ، هذا وقد ثبت في التاريخ أن تنظيم الشؤون العسكرية في عهود الخلفاء الاربعة الراشدين رضى الله عنهم كان على ما كان عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد استنتجوا منه نتائج جلية في فتوحاتهم الاسلامية التي نالوها . وإذا نظرنا الى مجرى الامور والوقائع الحربية التي كانت في صدر الاسلام وفي عهود الخلافة ، فإن الادعاء الانف الذكر يثبت ثبوتا واضحا . وبخاصة في واقعة اليرموك التي وقعت سنة ١٣ هـ في ساحة الشام . ومعركة القادسية التي وقعت سنة ١٤ هـ في ساحة العراق ، ومعركة نهاوند (فتح الفتوح) التي وقعت سنة ٢١ هـ تلك الوقائع التي مكنت أجيالا من المسلمين من المقايسة والاستفادة (٢٢٨٢ ج ٢ تاريخ ابن الاثير) مما لا يمكن تفصيلها في هذا البحث . وإنما يمكن أن نقول : ان نظام سوق الجيش واساليب القيادة الحربية وإدارة شؤون الدفاع والتقدم الى الامام ، التي اتخذت في تلك الميادين والوقائع التاريخية (من قبل سيف الله خالد ابن الوليد المخزومي ، وسعد بن أبي وقاص ، ونعمان ابن مقرن المزني) كانت كفية للتسلط التام على تلك الجيوش الجاراة ، حيث أن أولئك القواد قد استفادوا منها نتائج ايجابية « استفادتهم من الاسلحة الموجودة » أثبتتها التاريخ بتقدير وتجليل ، ولقد صدق حكيم حيث قال : « ان الجندية عبارة عن التنظيم » .

« دعاء أعرابي وهو يطوف بالكعبة »
قال الأصمعي : حججت قرأيت أعرابيا يطوف بالكعبة ويقول :
« يا خير موفود سعى اليه الوفد » قد ضعفت قوتي ، وذهبت همتي ، وأتيت اليك ذنوب لا تغسلها إلا أنهار ولا تحملها البحار ، استجير برضاك من سخطك ، وبغفوك من عقوبتك — ثم التفت فقال : ايها المشفقون ارحموا من شملته الخطايا ، وغمرته البلايا ، ارحموا من قطع البلاد ، وخلف ما ملك من التلاد ، ارحموا من وبخته الذنوب ، وظهرت منه العيوب ، ارحموا اسير ضري ، وطريد فقر ، اسألكم بالذي أعملتم الرغبة اليه إلا ما سألتم الله أن يهب لي عظيم جرمي — ثم وضع في حلقة الباب خده وقال — : ضرع خدي لك ، وذلل مقامي بين يديك — ثم أنشأ يقول :
عظيم الذنب مكروب من الخيرات مسلوب
وقد أصبحت ذا فقر وما عندك مطلوب

قد يتصور لبعض الانهزام أن الصبر على آلام الحياة وشدائدها من الفضائل السلبية التي لا يبدى الصابر فيها شيئاً من الإرادة ، ولا يقوم فيها بعمل إيجابى يدفع به عن نفسه الشدة ومرارة الألم ، ويتمرد به على ما أصابه من الظلم ، ومما نزل به من الضيم ، وإنما يقف مكتوف اليدين فى ترقب ما يأتى به القدر ، ليفك به عقده ، ويحل به أزمته ، ويرد عليه ما سلب من حقه ، وما ذهب من كرامته .

وذلك أكثر المقاييس خطأ فى قياس الفضائل الانسانية لأن الصبر بهذا المفهوم الخاطئ ، أو بذلك التفسير الواهى ، يحول رذيلة من أقبح الرذائل التى يوصم بها الانسان ، وتبتلى بها كرامته ، ويمتهن شرفه . لأن الصبر يصبح حينئذ مرادفاً للجبن ، وقريناً للذلة والضعف والهوان ، وأبعد ما يكون عن العزة التى كرم الله بها بنى آدم .

والصبر فى الحقيقة فضيلة من كبريات الفضائل التى يتحلى بها الانسان السوى المتماسك ، بل هو من أكثر الفضائل ايجابية ، وأبعدها عن السلبية ، وأقربها الى فضيلة الشجاعة . ومصادق ذلك كثرة الايات التى ذكر فيها الصبر فى كتاب الله تعالى فى معرض القتال ، والحث على الجهاد . ففى قول الله تعالى : « وكاين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين » .

مدحهم الله عز وجل بنفى الوهن عن عزائمهم ، وبعدم فتورهم عن الجهاد بعد الذى أصابهم فى سبيل الله ، وبعدم استكانتهم وخضوعهم لعدوهم . ثم ختم الله تعالى تلك الآية الكريمة بحب الله للصابرين على جهاد عدوهم .

وفى آية أخرى يقول جل وعز : « ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . قد أمر الله عباده المؤمنين بالصبر والثبات فى ملاقة الاعداء ، كما أمرهم بمصابرة أعداء الله فى الجهاد ، أى مغالبتهم فى الصبر على شدائد الحرب ، فلا يكونون أقل منهم صبراً وثباتاً ، كما أمرهم بالمرابطة والاقامة فى الثغور رابطين خيلهم فيها ، مترصدين مستعدين للقاء عدوهم .

ولاشك ان ميادين القتال التى يتعرض فيها الذين يخوضونها للقتل ، وتعرض أرواحهم للازهاق هى المختبر الذى تمتحن فيه عزائم الرجال لمعرفة مدى ما يتصف به المقاتل من شجاعة القلب ، والصبر على مجابهة الاموال فى عمل يعرف صاحبه أنه قاتل فيه لابد أو مقتول ، وغالب فيه أو مغلوب .

بل ان الحكماء الذين يقولون باشتقاق الفضائل بعضها من بعض ، وتركيب بعضها مع بعض ، لينشأ من هذا التركيب فضائل آخر ، يرون أن الصبر على

الصبر

بيت
فضائل
الإنسان

الدكتور
بدوى طبانة

الملامات ونوازل الخطوب ليس فضيلة مستقلة وليس بفضيلة مشتقة من بعض الفضائل الأصلية ، ولكنه إحدى الفضائل الكبرى التي نشأت عن امتزاج فضيلتين أصليتين ، هما فضيلة الشجاعة ، وفضيلة العقل الذي ميز الله تعالى به الإنسان .

وهذا مما يعظم فضيلة الصبر ، لأنه يجعلها جماع فضيلتين من الفضائل النفسية التي يشرف بها الإنسان ، بل هو يباهى إذا حظى بشرف الاتصاف بواحدة منهما .

وتبدو فضيلة الصبر في صور كثيرة ، تزيد صاحبها في كل صورة منها جمالا وجلالا ، ومن تلك الصور الصبر على قسطن الدنيا ، وقهر أهواء النفوس . وتلك منزلة عالية يتميز بها الإنسان على سائر ما خلق الله من أجناس الحيوان ، لأن تحكم الإنسان في هواه ، وسلطانه على نفسه آية من آيات الكمال ومرتبة من مراتب السمو لا يبلغها إلا المخلصون الصابرون .

ولله در الغزالي الذي رأى أن الصبر ، خاصية الأنس ، ورأى أن الصبر لا يتصور في البهائم ، كما لا يتصور في الملائكة ، أما في البهائم فلنقصاتها ، وأما في الملائكة فلكمالها فقد سلطت على البهائم الشهوات فهي مسخرة لها ، وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها ، حتى يسمى ثبات القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا .

وأما الملائكة عليهم السلام فانهم جردوا للشوق إلى حضرة الربوبية ، والابتهاج بدرجة القرب منها ، ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادرة عنها حتى يحتاج إلى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف .

وأما الإنسان خلق في ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة ، لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو محتاج إليه ، ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ، ثم شهوة النكاح على الترتيب . وليس له قوة الصبر إذ الصبر ثبات جند في مقابلة جند آخر . وليس في الصبا إلا جذب الهوى كما في البهائم . ولكن الله تعالى بفضله وسعة جوده أكرم بني آدم ، ورفع درجاتهم عن درجة البهائم .

فمن آيات الصبر القدرة على ضبط النفس ، وعدم الاستسلام لدواعي الغرائز والشهوات ، وفي رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري « عليك بالصبر ، وأعلم أن الصبر صبران ، أحدهما أفضل من الآخر : الصبر في المصنوعات حسن ، وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى . وأعلم أن الصبر ملاك الإيمان ، وذلك بأن التقوى أفضل البر ، والتقوى بالصبر » وقال على كرم الله وجهه : بنى الإيمان على أربع دعائم : اليقين ، والصبر ، والجهد ، والعدل . ومنها العفة وقلة الشره ، وطهارة الأزار ، والعفة آية غنى النفوس الذي

ينعكس على وجوه أصحابه الذين وصقهم الله تعالى في قوله « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف » .

ومنها تبرئة النفس وتطهيرها من دواعي الحقد والحسد ، والرضا بما صار في اليد من نعم الله وإيثار الغير على النفس ، وهي من كبريات الفضائل الإنسانية ، لأنها سمة من سمات الترفع بالنفس والزهد والرضا ولكنها دلالة على الإيمان الذي استقر في قلوب أصحابه فغدت الدنيا في عيونهم لا تعدو جناح بعوضة ، فالقادرين يبذلون ، وذوو الحاجة يزهدون وترفعون ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وأولئك هم الأغنياء حقا وهم المتكبرون على الدنيا وهم الكبار في أعين الناس كما مدح الشاعر قوما فأنشئ على القادرين وعلى ذوي الحاجة بالعفة وضبط النفس .

متراحمين ، ذوو يسارهم

يتعاطفون على ذوي الفقر

وذوو معاسرهم كأنهم

من صدق عفتهم ذوو وفء

متجملين لطيب خيمهم

لا يلهعون لنوبة الدهر

وما أحسب تواضع العلماء إلا ضربا من ضروب الصبر ، لأنهم استطاعوا أن يقهروا نفوسهم ، ويخطموا كبرياءهم ، فحاربوا الجاه وهم أهله ، وصبروا على ما يبذلون للناس من عصارة عقولهم محتسبين ذلك عذد الله .

أن الصبر قوة إيجابية فعالة لها أثرها في حياة الفرد واعتدال مزاجه ، ولها أثرها أيضا في الجماعات لأنه إذا استطاع كل فرد أن يكبح جماح أهوائه ، ويصبر على آلام الحياة ومتاعبها ، وما يرى مما قد يسوء النفس ويثير الانفعال هذا المجتمع وقر قراره ، وعرف كل إنسان عمله ، وأقبل عليه راضيا مطمئنا ، وصارت المجتمعات كخلايا النحل تعمل وتبنى في غير ضجيج ولا ضجيج ، لأن كل فرد صبر وصابر ، ونبت الأثر ، وأنكر الذات .

والصبر هو الذي يثبت الجنود في حومات القتال لأنهم يصبرون ترقبا لأحدى الحسنيين ، النصر المؤزر على عدوهم ، أو شرف الخلود والفوز بالنعيم ، و « إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب » .

وما من صورة من صور الصبر إذا عرفت حقيقتها إلا كانت قوة النفس وشجاعة القلب قرينا لها ، سواء أكان ذلك الصبر قوة يتغلب بها الصابر على المكاره والشوائد الأليمة والأحداث القاسية ، أم كان قوة يتغلب بها على هواه ، وعلى ما تتطلع إليه نفسه الأمارة بالسوء .

والصبر في كل الأحوال كمال للنفس البشرية ، وأي كمال ثم هو منزلة من أكبر المنازل عذد الله « وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » .

أتماط مت السلف الصالح

فضيلة الشيخ مصطفى الحريزي

شاربيها، فإن القوم كانوا حريصين على السمع والطاعة فلهذا كفوا تماما عن شربها بمجرد نزول التشريع السماوي، وأراقوا ما بقى منها في الدنان في الشوارع والأفنية حول المدينة، حتى ظلت رائحتها تنفوح أياما وتنبعث من مراميتها كما جاء في بعض الروايات الأخرى.

واليك مثالا آخر - عن صفية بنت شيبة عن عائشة رضي الله عنها قالت (والله ما رأيت أفضل من من نساء الانصار، ولا اشد تصديقا لكتاب الله ولا ايمانا بالتنزيل لما نزلت في سورة النور **وليضربن بخمرهن على جيوبهن**) انقلب رجالهن اليهن يقتلون عليهن ما انزل الله اليهن منها، يتلوه الرجل على امراته وابنته وأخته، وعلى كل ذي قرابة، فما منهن امرأة الا قامت الى مرطها المرحل فاعتجرت به، تصديقا وايمانا بما انزل الله من كتاب).

والخمر اغطية رؤوس النساء، والجيوب فتحات الصدور، والموط كساء من صوف أو حرير أو غيرهما ومرطها المرحل كساءها المعلم المنقوش، واعتجار المرأة به انها غطت به رأسها وشذلت على صدرها، فهل ترى اروع من هذا واضرا به مثلا لقوة الوازع، والانبيات السريع الى الامتثال ولقد كان حب الجهاد دفاعا عن الدين والوطن والرغبة في الشهادة في سبيل ذلك يخالط قلوبهم وأرواحهم وما كان احدهم ييخل على ذلك بنفسه وأولاده بل ان بعضهم من ذوى الاعذار ضرب اروع الامثال في ذلك.

فهذا عمرو بن الجموح من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان أعرج شديد العرج ومع أن الله اعفاه من الجهاد لعرجه «ولا على الأعرج حرج» ومع أنه دفع بابنائه الاربعة ليجاهدوا مع الرسول في

ما أروع ايمان اسلافنا الصالحين، وما أسرع امتثالهم لما كانوا به يكلفون، وما أعظم مضربهم نحو المثل العليا في ابتهاج ورضا وارتياح مهما قدموا من بذل، ومهما ضحوا في سبيل الله من غالي الفداء

لقد كان القرآن العظيم ينزل بالتشريع مخالفا لما كانوا عليه في الجاهلية ومباينا لما تأصل في نفوسهم من الطباع والعادات فيسارعون الى الامتثال وينزعون عما هم عليه راضين مستريحين الخواطر

ومن ذلك ما رواه بريدة عن أبيه قال (بينما نحن قعود على شراب لنا ونحن نشرب الخمر، اذ قمت حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وقد نزل تحريم الخمر، فجئت أصحابي فقرأت الآية عليهم الى قوله «فهل أنتم منتهون» قال - وبعض القوم شربته في يده، شرب بعضها وبقي بعض في الإناء، فأراقوا ما في كئوسهم، ثم صبوا ما في ياطنهم، وقالوا انتهينا ربنا: انتهينا ربنا).

فانت ترى ايها القارئ الكريم ان تحريم الخمر لم يحتج تنفيذه الى تجنيد رجال الشرطة والمباحث العامة، مع ان حب الخمر له جذور عميقة في نفوسهم ففضلا عما تحدثه من النشوة المحببة اليهم يرون أنها باعثة لصفات النجدة والمروءة والكرم وغير ذلك من الظواهر الاجتماعية التي يحبونها، فقد سارعوا الى الكف عن شربها فورا، دون ان تحدثهم نفوسهم ولو باكمال مجلس الشراب الذي كانوا فيه، ولم يحدث ان تكونت عصابات لتهريب الخمر سرا كما يحدث الآن في أمريكا التي حرمتها، وكما يحدث في البلاد العربية بالنسبة الى المخدرات الممنوعة لديهم بحكم القانون، ولم تجد الدولة الاسلامية حينئذ ما يقتضى مصادرة الاموال في تجارة الخمر الاثمة او عقاب

غزواته ، ومنهم معاذ قاتل أبي جهل فإنه في موقعة أحد صمم على أن يشترك فيها ، فمنعه أبناؤه لعرجه ، فشكاهم إليه صلى الله عليه وسلم ، وقال له اني لارجو ان اطا بعرجتي هذه في الجنة فقال الرسول له « اما انت فقد عذرك الله » فلما رأى اصراره على الجهاد طلب من بنيه ان لا يمنعه لعل الله أن يرزقه الشهادة فخرج معه وكان من الشهداء الأبرار .

وكان الرجل منهم اذا اسر لا تلين له قناة ولا يسخط دينه ونبيه ، بل يظل وفيًا لهما حتى يلفظ انفاسه في شوق الى لقاء الله .

فهذا خبيب بن عدي أسره المشركون مع زيد بن الدثنة ، وباعوهما بمكة ، وكانا قد قتلوا من رعوس اهلهما يوم بدر ، فاما ابن الدثنة فقد ابتاعه صفوان بن أمية فقتله بآبيه ، واما خبيب فقد احتسبه من اشتراه ، وكانت ابنته ترى خبيبًا وفي يده كطف من العنب وما بمكة ثمرة ، فتعجب من شأنه وما أكرمه الله به ، وتحسن اللقاء عليه .

ولما أزمعوا صلبه قال لهم دعوني أركع ركعتين لله تعالى ، فتركوه فصلاهما ، فلما سلم قال ، والله لولا أن تقولوا جزع من الموت لزدت ، ثم قال . اللهم احصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تبق منهم احدا ، فقال أبو سفيان أسرك أن يكون محمد في مكانك هنا ، وانك في أهلك معافي . فقال والله مايسرنى انى فى اهلى ، وان محمدا فى مكانه الذى هو فيه . تهيبه شوكة تؤذيه وأشد قصيدة منها ،

ولست ابالى حين اقتل مسلما
على أى شق كان فى الله مضجعى
وذلك فى ذات الإله وان يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

وكانوا لا ينامون عن الجرائم حتى يعاقبوا مقترفيها ، ليستتب الأمن والسلام ، فاذا صادفتهم جريمة غامضة لم يهدأ لهم بال حتى يكشفوا عن خوافيها ، ويعاقبوا مقترفيها ، وقد ضربوا فى هذا أروع الأمثلة بحيث يعتبرون عباقرة وأئمة ومخططين فيه .

ومن ذلك ما رواه الليث بن سعد ، أن عمر بن الخطاب أتى اليه بفتى أمرد وجد قتيلا بالطريق ، فسأل عن أمره طويلا فلم يهتد الى قاتله ، فشق ذلك عليه ، فقال اللهم اظفرنى بقاتله ، وبعد زمن يقرب من الحول وجد مولودا ملقى بموضع القتل ، فلما جرى به الى عمر قال ظفرت بقاتل الغلام ان شاء الله تعالى ، فدفع الصبى الى امرأة وقال قومي بشأنه وخذى منا نفقة ، فاذا طلبته امرأة وقبلته وضيمته الى صدرها فأعلمينى ، وبعد مدة جاءت بها جارية وطلبت الصبى لسيدتها لقرأه وترده اليها ، فذهبت معها بالصبى الى سيدتها فلما رآته قبلته وضيمته الى صدرها فاذا هى ابنة شيخ من الانصار فأتت عمر فأخبرته فأخذ سيفه وأقبل على منزل المرأة ، فوجد أباهما متكئا على باب دار ، فقال يا فلان ما فعلت ابنتك فلانة ، قال جزاها الله خيرا يا أمير المؤمنين ، هى من أعرف الناس بحق

الله وحق أبيها ، مع حسن صلاتها وصيامها والقيام بدينها ، فقال عمر أريد أن ادخل اليها وأزيدها رغبة فى الخير ، فدخل أبوها ومعه عمر ، فأمر من عندها فخرج ، فكشف عمر عن السيف وقال اصدقينى والا ضربت عنقك ، فقالت والله لاصدقك ان عجزا كانت تدخل على فاتختها اما ، وكانت تقوم من امرى كما تقوم الوالدة ، وكنت لها بمنزلة البنت ، وفى يوم قالت يا بنية : انه قد عرض لى سفر ، ولى ابنة فى موضع اتخوف عليها فيه ، وقد احببت ان اضمها اليك حتى أرجع ، فعمدت الى ابن لها شاب أمرد فهيأته كهيئة الجارية ، وأتت به لا أشك أنه جارية . فكان يرى منى ما ترى الجارية من الجارية حتى اغتفلنى يوما وأنا ناشمة فما شعرت حتى علانى وخالطنى ، فمددت يدي الى شفرة كانت بجانبى فقتلته ، ثم أمرت به فأنقى حيث رأيت ، فاشتملت منه على هذا الصبى ، فلما وضعتة القيته فى موضع أبيه ، فهذا والله خبرهما ، فقال صدقت وأرضاهما ودعا لها وأوصى بها أباهما .

وكانوا أسخياء الى درجة تفوق الخيال ، روى المؤرخون ان قراء البصرة اجتمعوا الى عبد الله بن عباس وقت أن كان واليا بالبصرة ، فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله ، وقد زوج بنته من ابن اخيه وهو فقير ، وليس عنده ما يجهزها به فقال عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره ، وفتح صندوقا فأخرج منه ست بدر فقال احملاوا فحملوا ، فقال ابن عباس ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن صيامه وقيامه ، ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ماتشغل به مؤمنا عن عبادة ربه ، وما بنا من الكبر ما يمنعتنا عن خدمة اولياء الله تعالى ، ففعلوا

ونختم هذا المقال بدرة يتيمة فى الاحسان والسخاء والايتار يرويهها الامام الغزالي عن محمد بن المنكدر عن ام درة ، وكانت تخدم عائشة رضى الله عنها ، قالت ، ان معاوية بعث اليها بمال فى غاريتين ثمانين ومائة الف درهم ، فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس ، فلما أمسست قالت يا جارية هلمى فطورى فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام درة ، ما استطلعت فيما قسمت اليوم ان تشتترى لنا بدرهم لحما نفطرن عليه ، فقالت لو كنت ذكرتني لفعلت . .

قهل فى الدنيا مثل هذا الايتار ، وهل فيها من يتصدق بهذا القدر الهائل من المال ولا يذكر نفسه ، وهل فى الدنيا صائم عنده هذا المال كله ويفطر على خبز وزيت ، رضى الله عنك يا ام المؤمنين ، يا عاصمة الايامى والارامل والايتام ، واصحاب البيوت الخفية على الناس من ذل السؤال

اما بعد فهؤلاء انماط من السلف الصالح ذكراهم كنماذج لهم وأمثال يحتذى بهم فاتخذهم لنفسك أسوة ، والله تعالى يكلوك ويعينك على الخير ايها القارئ الكريم

رقة التشبيه في البيان النبوي

- ٢ -

وبناء العبارة على حذف أداة التشبيه ، يزيد في تقرير تحول البيت الذي لا يصلي فيه ولا يقرأ القرآن قبرا ، ويؤكد وجوب النهي عن جعله كذلك ، وكلما تأكد النهي تأكد الإمتثال .

اننا لتطالعنا الوحشة والانقباض في المقابر ، ويستولى علينا الشعور بالحزن ، وتنطلق بخیالنا الالوف من الاوهام . . فلم نسكنها مختارين ونحن أحياء ؟ ولم لا ننتفع بالحياة النابضة والبشر الباسم ؟

لنتمثل دائما هذا الحديث ، لنعرف ما قررره بالتشبيه المؤكد المجمل من شأن بيوتنا ، ومن جنايتنا عليها وعلى قلوبنا ، ومن يعاشروننا فيها ، اذا اخطبناها من قراءتنا وصلاتنا . .

انه تشبيه يحمل معنى التقييد والتنقيص ، للبيوت التي هذه مقابقتها ، ومعنى التوبيخ على التقصير لمن يكون صاحبها وساكنها . .

وعن انس رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسمعوا وأطيعوا ، وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة ، ما اقام كتاب الله تعالى » .

يريد الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، ان يبين المقياس الحق للوالى الذى يجب له السمع والطاعة ، دون نظر الى اعتبار آخر ، أما ما يوجب هذا الحق فهو ان يقيم الوالى كتاب الله فيمن ولى عليهم ، فيجل ما أحل ويحرم ما حرم ، ويوجب ما أوجب ويسير على هدى الله ، وأما الاعتبارات الأخرى التى لا يصح النظر اليها ، ولا تبيح الخروج وشق عصا الطاعة ، فقد مثل لها النبى عليه السلام بأدناها افتراض وجود ، ليكون ما سواه أولى بلاغة بالحكم ، فقال : « وان استعمل عليكم عبد حبشي » ولما كان العبد قد يرد لونه على غير السواد ، قيده بهذه النسبة ليؤكد سواده ، ثم زاد في التأكيد بعبارة التشبيه التى تبين مقدار ما وصل اليه هذا العبد من السواد وتجعد الشعر فقال : « كان رأسه زبيبة » .

هذا التشبيه الدقيق يرسم فى رءوس المسلمين صورة لا تنسى لطاعة الوالى ، كلما نظروا اليه اقترنت

عن ابن عمر رضى الله عنه قال ، « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبورا » .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تجعلوا بيوتكم مقابر . ان الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة » .

كما لانفسنا على انفسنا حق ، ولاهلينا علينا حق ، ولغيرنا كذلك ، لبيوتنا التى تؤويننا حق .

اننا نملا رحابها بما يستطيع ، مما يجلب أنسنا ، ويريح نفوسنا ، ولكن شيئا قد لا يعرفه الكثير من الناس ، اذا فقدته بيوتنا كانت قبورا . . موحشة . . مظلمة . . وان امتلات نشيدا وتالقت بالمصاييح . .

عجبا ! اهنأك انس غير هذا الانس ونور غير هذا النور ؟

نعم . ان انس الحياة ونورها اللذان يبعدان عن الدين ويتبعان من الفانى ، لا ينفذان الى الروح ، ولا يتصلان بالسما ، فهما والعدم سواء ، والبيوت معهما مقابر .

الصلاة نجعل منها شيئا فى بيوتنا ، والقرآن نتلوه فيها ، يلد فى البيوت حياة ترفعها عن المقابر ، تدفع عنها الوحشة والظلمة ، اللتين لا تحسان بالبصر وانما تدركان بالبصيرة

والبيان الكريم ينهانا ، ويجعل الامر فى ايدينا ، فنحن الذين نجعل بيوتنا مقابر باختيارنا ، اذا لم تصل فيها ولم نقرأ ، ونحن الذين نرفعها عن هذه الصفة اذا صلينا فيها وقرأنا .

(جعل) من أفعال التصيير والتحويل تصور لنا استعواء الميوت لما يراد بهامنا ، وبراءتها من فعلنا ، فهى فى ذاتها ظرف صالح لجعله مقابر أو غيرها بما نزاول فيها من العمل .

٧٠

الكتبة عز الدين على السيد

صورته بها ، فرضيت نفوسهم عنه واطمأنت قلوبهم اليه .

وليس الرسول عليه السلام حاقرا بذلك أحدا ، وهو الذى جاء بفك الرقاب ومحو الرق ، واثبات الاخوة والمساواة بين الابيض والاسود ، والعربى والعجمى ، فلا مفاضلة الا بالتقوى . وانما هو المجارة الاسلوبية لمألوف العرب والناس ، وقد جاءت العبارة لاثبات الحق له بالسمع والطاعة لا لنفيه ، واقامته كتاب الله فى معنى التقوى التى تحصل بها الاكرمية والتفاضل بين الناس ، بهما تنسى كل العيوب الحسية ، لانها ليست هنا فى الميزان ، فאלله لا ينظر الى صورنا وابشارنا ولكن ينظر الى قلوبنا .

وهن حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فى النصيحة : « ان احذركم امرأة اخيه ، فان رأى به اذى فليمطه عنه » وفى رواية ، « المؤمن امرأة أخيه يرى فيه حسنة وقبحه » .

كلما سمت نفس الانسان واشرقت بنور ربها ، واستيقنت أنها مع غيرها من النفوس الزاكية بالايمان تمثل طاقة واحدة تتبع من مصدر واحد . وتملا صعيدا واحدا ، أحست ان عيبا صغيرا فى اى جانب يتصل بها هو عيب فيها ، فأتجهت الى اصلاحه حرصا على كمالها الذى لا يتحقق مع هذا العيب ، فبذلت النصيح أمينة ، وساعدت فى الخلاص جاهدة ، وقابلت النفس المنصوحة هديها شاكرة ، ونصحتها عاملة ، مادامت تشعر بالتضامن معها فى الهدف والتكامل فى البناء .

والحديث الشريف بأوجز لفظ وبأبين عبارة يحدثنا عن هذا المعنى ، ويؤكد ويقرره بما نرى أول الكلام من حرف التوكيد (ان) وما جعله مستندا اليه فى الجملة وهو الاحد الدائر الذى يشمل الجميع على الهدل ، لانه مضاف الى ضمير جمى المخاطبين ، ثم بأسقاط اداة التشبيه حتى كان الناصح أخاه المشبه والمرأة المشبه به شئ واحد فى تخيل السامع ، ثم يزيد فيضيف المرأة الى أخ الناصح ، ليظهر اختصاصه به ، وتؤكد ولأنه له ، وأنه يجب عليه أن يضع نفسه فى

نصحه موضع الشئ الذى يملكه ويرى فيه صورته ، فاذا لوحظ مع ذلك أن المرأة لا تكذب الرأى ، لزم هذا المعنى وجوب الصدق فى الناصح المشبه بالمرأة ، وجوب التصديق فى المنصوح الذى لا يتهم مرآته .

وقد أمر المؤمن الناصح فى الحديث والمشبه بالمرأة - أن يميظ الاذى عن أخيه المنصوح ، زيادة فى تقرير واجبه المفهوم من عبارة التشبيه ، وتوسيعا فى جوانب ذلك الواجب ليشمل ما يستطيع أن يسديه من عمل ، مع ما يستطيع أن يقدمه من قول ، ليسلم عرض أخيه ويصح فيسلم عرضه هو الآخر ويصح ، لان جمال المرأة وكمالها جمال ما ينعكس عليها من الصور وكمالها ، وما دام المؤمن الزكى مرآة حية قادرة تملك تجميل ما ينطبع على وجهها ، فهو لا يرضى النقص والتشويه دون أن يجهد جهده ويخلص ما أمكنه الاخلاص فى بذل النصيحة .

ترى هل نحن مرايا صالحة فى المجتمع الصالح الناهض ، الذى يرجو أن يتماسك ويتكامل على أحسن صورة وأقوى مظهر يسر الحبيب ويهرب العدو ؟

اللهم فقها فى دينك وانتقاعا بهدى رسولك الذى كان المع مرآة فى الوجود ينعكس عليه نورك المشرق وكتاك المبين .

« فى الحث على الاضحية ! »

عن عائشة [رضى الله عنها] ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا احب الى الله من هراقة دم ، وأنه لتأتى يوم القيامة بقرونها وظلافها واشعارها ، وأن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الارض فطيبوا بها نفسا ...

وعن زيد بن ارقم [رضى الله عنه] قال : قلت : يا رسول الله ما هذه الاضاحى ؟ قال : سنة ابيكم ابراهيم . قالوا : مالنا منها ؟ قال : بكل شعرة حسنة ...

وعن ابي هريرة [رضى الله عنه] قال : قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] : « من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا » .

هذه الاحاديث الشريفة تدل على مشروعية الاضحية ، وانها أحب الاعمال الى الله يوم النحر ، وانها تأتى يوم القيامة على الصفة التى ذبحت عليها ويقع دمه من الله بمكان من القبول قبل أن يقع على الارض ، وانها سنة ابراهيم [عليه السلام] لقوله تعالى : « وفديناه بذبح عظيم » ، وأن للمضحى بكل شعرة من شعرات أضحيته حسنة ، وأنه يكره لمن كان ذاسعة تركها ، وأن الدراهم لم تنفق فى عمل صالح فى يوم النحر أفضل من الاضحية ولكن اذا وقعت عملا بالسنة المحمدية واقرنت بالنية الحسنة

العقيدة .. أساس التشريع الإسلامى

ركتور عبد المجيد محمود عبد المجيد

النفقة على الزوجة - على الرغم من وجوبها على الزوج - صدقة وعبادة ، عندما قال ما معناه ، « حتى اللقمة يضعها الرجل في فم امراته صدقة » ، بل جعل قضاء الشهوة الجنسية في الحلال عبادة ، معللاً هذا لمن أنكر عليه بأنه لو وضعها في حرام لعوقب عليها .

إن الحياة كلها بهذا التصور تتحول الى معبد كبير لا يعبد فيه غير الله . بهذا يتحرر الانسان من عبادة الانسان ، كما يتحرر من عبادة ذاته وعاداته وهواه . يتحرر من الخوف الا من الله ، ومن الخضوع والذلة الا لله ، لا يحتاج في عمله الى رقيب غاب الناس أو حضروا ، لأنه يعلم أن الله مطلع عليه ، فهو سبحانه يعلم السر وأخفى ، ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب اليه من حبل الوريد ، ويؤمن المسلم أن مرجعه الى الله ، وأنه مسئول عما استخلفه عليه في هذه الدنيا ، فهو يؤدي ما أمر به ، ويتنهي عما نهى عنه ، ويستغفر لما فرط منه ، ويتقيد راضى النفس مطالباً بتوقيع العقوبة عليه أن غلبه جهله أو ضعفت ارادته . والنماذج الحية لهذه التربية الاسلامية أكثر من أن تحصى وأشهر من أن يشار اليها .

إن الاسلام حين يقرر الضوابط للسلوك الانسانى في الحياة - لا ينسى أن يعد الانسان أولاً ، وأن يثير في نفسه الدوافع التي تحثه على تقبل هذه الضوابط ، وترغبه في تطبيق الاحكام التي يكلف بها ، ولا ينسى أن يطلق قوى الخير الكامنة فيه عن طريق الترغيب والترهيب والتذكير الدائب بأن هذه الحياة التي نعيشها ليست كل شيء ، ولن تكون خاتمة المطاف ، بل هي لا تعدو أن تكون ميداناً للعمل : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

إن الاسلام يؤكد أن حياة الانسان ليست الا فترة مرحلية ، وأن الموت لاينهى الانسان ، وإنما تنتهى به مرحلة من مراحل تطوره ، لتبدأ بعده مرحلة اخيرة لها سماتها الخالدة . ويبين الله سبحانه في آيات كثيرة المراحل التي يمر بها الانسان ، منبهاً على أنها دليل على حتمية الآخرة ، ونكتفى هنا بموضع واحد عرض القرآن فيه هذه القضية في قوله تعالى : « يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقه ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في

التشريع الحق هو الذى يستهدف صلاح الانسان ، وتمكينه من أن يعيش حياته على أكمل الوجوه وانفعها .

وليس العبرة بكثرة الاحكام وبنق القوانين ، لكن الاهم هو احترام الاحكام ، وتنفيذ القوانين والوقوف عند حدودها . وهذا يتطلب اعداداً خاصاً لعقول الناس وقلوبهم حتى تتآلف مع التشريعات ، وتستجيب للقوانين بدافع ذاتي صادر عن اقتناع وإيمان بعدالة القانون وتحقيقه المصلحة ومواءمته للفكرة الكلية عن الحياة والغاية منها .

والتشريع الإسلامى مبنى على العقيدة ، فهي أساسه وركيزته يكونها أولاً في نفس الانسان ، ويمتحنه تصوره عن الحياة ، وخالق هذه الحياة ، والغاية منها ، وماذا وراءها .

قبل أن يقول الاسلام للمسلم (افعل) أو (لا تفعل) وينتهى معه من قضية الوجود وسببه ، مؤكداً أن الله هو خالق هذا العالم ومن فيه وما فيه ، وأنه واحد متفرد في ذاته وصفاته ، لا شريك له ولا اله الا هو ، له الاسماء الحسنى ، وأن هناك بعثاً وحساباً وجنة ونارا ، وملائكة لا يعلم كنههم ولا صفتهم ، الا خالقهم ، وأنه تعالى أرسل للناس رسلاً وأنزل عليهم كتباً ، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

يؤمن المسلم بهذا كله ، ويؤمن به يقيناً واعياً - لا عن تقليد وترديد - فيستحضر في كل أوقاته عظمة ربه وسعة علمه وقربه اليه ، فهو يرجو رحمته ويخشى عذابه . وينعكس هذا الايمان على سلوكه في الحياة ومنهجها فيها ، فلا يصدر عنه فعل عفواً أو عادة أو استجابة لهوى ، بل تصدر أعماله كلها عن وعى أى عن نية وقصد ، يبتغى بها وجه الله ويمتثل بها أمره ، فيكون بهذا محققاً للغاية من حياته ، مقتدياً برسوله الذى أمر أن يقول : « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين » لا شريك له ، وبذلك أمرت « الانعام ١٦٢ ، ١٦٣ صادقاً عليه قوله تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ، إذ ليست العبادة مقصورة على الشعائر المعروفة من صلاة وصيام وزكاة وحج ، بل العبادة تشمل الحياة كلها بكل مظاهرها وأنشطتها ، حتى الضرورات البشرية تتحول الى عبادة حين تصدر عن وعى وقصد ونية . ومن هنا جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ، ثم نُخرجكم طفلاً ، ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتسوفاً ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً . وتترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيى الموتى ، وأنه على كل شيء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور . (الآيات ٥٠ و٦٠ و٧٠ من سورة الحج ●)

إن الإيمان بحتمية الساعة أهم عنصر بعد الإيمان بالله وصفاته ، ولقد حرص القرآن على بيان هذه الحقيقة والبرهنة عليها حرصاً شديداً . يوضح لنا مكانة الإيمان بحتمية الساعة ، أنها كانت تاليفة للإيمان بالله فى أول مكالمة بين الله وموسى : فحين ناداه بالوادى المقدس عرفه أن الله ربه فعليه أن يفرد به العبادة ، ثم عليه أن يؤمن بالساعة أى بالآخرة فهى آتية لا محالة . وأن عدم الإيمان بها يستلزم اتباع الهوى وسيطرة الشهوات وسيادة المادة : يقول تعالى فى سورة (طه) « وهل أتاك حديث موسى . إذ رأى ناراً فقال لاهله امكثوا انى أنست نارا لعلى آتيكم منها يقيس . أو اجد على النار هدى . فلما أتاهم نودى بالموسى . انى انا ربك فاخضع لعليك انك بالسواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى أننى انا الله لا اله الا أنا فاعبدنى ، وأقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى . » (الآيات ٩-١٦ ●)

والتركيز على أهمية الإيمان بالله وصفاته والإيمان بالغيب والآخرة أمر ضرورى حين يراد تطبيق منهج الهى يحكم سلوك الناس ويقيم واقعهم على وفقه . وقد أمضى الرسول صلى الله عليه وسلم ما يزيد على عشر سنوات فى ارساء الإيمان بهذه الحقائق وتدعيمها ، وصرف الله سبحانه القرآن فيها تصريفاً ، حتى اذا ثبتت الدعائم واستقرت الأركان ، نزلت الاحكام تترى ، وهى توجب أو تحرم أو تحلل ، فوجدت آذاناً سمعية ، وقلوباً واعية ، وأرضاً خصبة طيبة ، أحسن اعدادها لتقبل التشريعات ، فما كاد يلقى فيها البذر ، حتى انشق عنها الزرع ، ثم بادر الطرف استواؤه ونماؤه ، « كزرع أخرج شطاه فآزره ، فاستغلظ فاستوى على سوقه » .

هكذا يربى الاسلام المسلم ، بقوى أرادته ويوقظ مشاعره ، ثم يعينه على نفسه بايجاد المجتمع الصالح والبيئة الطيبة التى تتخذ شعارها : أمر بمعروف ونهى عن منكر . مثل هذا الفرد فى هذا المجتمع هو الذى يبادر بتنفيذ احكام الله ويقف عند حدوده ، وبهذا يكون للاحكام ثمرتها ، وتسمو عن أن تكون مجرد قوانين جامدة ، يتربص بها أول فرصة لمخالفتها وتعيديها . وبهذا الاعداد الجيد يتم التناسق واللفة بين

المجتمع وما يراد به ومثله ، ويوجد نوع من المصالحة بين التشريعات والبيئة المهيأة المدة لتلقيها . واغفال هذا الاعداد الروحى الذى يضىء القلب ، ويهذب الوجدان : ويوقظ الصلة بين العبد وخالقه : ويثير الاشواق الى الله ويوحى بالتنافس فى رضاه . يؤدي الى انفصال المجتمع الاسلامى عن تشريعاته ، ويتسبب فى ايجاد هوة عميقة تفصل بين واقع الناس وما يلقى اليهم من احكام ، فيعيدون الى تأويلها والتحايل على اخضاعها لواقعهم . وكلما اتسعت الفجوة ، اشتدت الجفوة ، وهن سلطان هذه الاحكام واستخف الناس بها واستعلنوا بعصيانها ، فيصبح الناس وعلاقاتهم وسلوكهم فى جانب ، وتقع الاحكام والتشريعات فى جانب فصى عنهم ، لا تأثير لها ولا حياة فيها .

ان من الخطأ أن تقرر للناس احكام الهية دون أن يمهّد لهم الطريق الى معرفة الله ، وأن من التناقض أن يعترف المؤلفون فى الفقه الاسلامى بأن الله هو مصدر احكامهم وغاية جهدهم ، ثم يهملون توجيهه المشاعر اليه تعالى ، واثارة الخوف من غضبه والامل فى رحمته ، ودون أن يحركوا سائر الاحاسيس التى ترفف الوجدان وتوقظ الضمير ، مع أهمية ذلك ، ومراعاة التشريع القرآنى له وانبائه عليه . ولهذا كان مفهوم الفقه عند السلف مفهوماً رجباً ، يتسع لمعرفة الاحكام العملية والدوافع الالهية معا .

ولتوضيح منهج القرآن فى تقرير الاحكام وبنائها على العقيدة ، وربطها بالإيمان بالله وصفاته وباليوم الآخر وما فيه ، نأخذ مقتطفات من عرض القرآن احكام الطلاق ، فانه وثيق الصلة بحياتنا ، والمشاكل التى نعانى منها آثاره ليست نابعة من الاحكام ذاتها ، لكن مرجعها هو سوء التطبيق نتيجة القصور فى التربية الاسلامية .

يقول تعالى فى سورة البقرة (آية ٢٢٨) : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر . » الخ الآية .

فهذه الآية تقرر أن التى طلقها زوجها يجب عليها أن تمسك نفسها عن الزواج من غيره حتى تنتهى عدتها ، وهى ثلاثة قروء ، أى ثلاثة أطهار أو ثلاث حيضات ، لحكمة ليس الان موضع بيانها . ولما كانت هذه القروء لا تعرف الا من جانبها ، ولما كان من صالحها ان تطيل العدة احياناً وان تقصرها احياناً أخرى - حثتها الآية على اعلان الحقيقة بتعليق عدم الكتمان على الإيمان بالله واليوم الآخر : فالإيمان بالله إيمان بعليه واطلاعه على السرائر وقدرته ورحمته وغضبه وسائر صفاته . والإيمان باليوم الآخر إيمان برجعة الى الله للحساب ، أن خيراً فخير وأن شراً فشر - وهذا ما يدفع الى اعلان الحقيقة مهما كان فى اظهارها اضرار بالمصالح الخاصة ، لان ما عذ الله هو حير وأبقى . وتذكر الآية (٢٢٩) من السورة نفسها أن الطلاق

مرتان ، كما تذكر حكم الفداء أو الخلع ، ثم تختتم بقوله تعالى : « تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » ، كما تختتم الآية : ٢٣٠ بقوله سبحانه : « وتلك حدود الله ، يبينها لقوم يعلمون » . فأحكام الله هي التي تحكم سلوكنا وتصرفاتنا ، وهي حدود نقف عندها ولا نتخطاها ، فإذا تخطيناها كان هذا اعتداء . والمعتدى ظالم لنفسه ولجتمعه .

ثم تتوجه الايتان (٢٣١ ، ٢٣٢) بالخطاب الى الرجال فتنهاتهم عن الاعتساف في استعمال الحقوق الممنوحة لهم ، وتصف الآية الاولى منهما من يسيء استعمال الحق بأنه ظالم لنفسه ، مستهزئ بآيات الله ، ثم تمن على المسلمين بأن هذه الاحكام جزء من كل أنعم الله به عليهم ، وتطالب في الختام بتقوى الله العالم بكل شيء . وتنبه الآية الثانية على ان الايمان بالله واليو الاخر ، ركيزة هذه الاحكام ، فالؤمن هو الممثل بها المستفيد منها أن طبقها والتزم بها . يقول تعالى في هاتين الايتين : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لاعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، وانكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم . وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ذلكم أزكى لكم وأظهر ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

ومن أهم ما يلاحظ على سياق الايات التي تتحدث عن أحكام الأسرة في سورة البقرة - وجود ظاهرة واضحة تؤكد ما سبق أن ذكرناه من وحدة التصور الاسلامي في العقيدة والعبادة واحكام المعاملات . هذه الظاهرة هي تخلل آيتين تأمران بالمحافظة على الصلاة في السلم والحرب ، في وسط الايات التي تتحدث عن أحكام الأسرة . وهذا الامر بالصلاة في هذا المكان ليس مقعما بين أحكام الأسرة ، لكنه في موضعه المناسب تماما ، إذ المحافظ على صلاته في عبادة .

والممثل لامر الله في أحكام الأسرة هو أيضا في عبادة ، ان المحافظ على الصلاة هو الذي ينتهي عن الفحشاء والمنكر ، وهو الذي أعد الاعداد الروحي الذي به يمثل أمر الله في السر والعلن .

أما سورة النساء الصغرى - وهي سورة الطلاق - فقد قسمت آياتها بين بيان الاحكام ، والحض على تنفيذها ، والتحذير من مخالفتها ، بل كان نصيب التحريض والتحذير أكبر من نصيب الاحكام في هذه السورة التي خصصت لبيان أحكام الطلاق ، لان العبرة - كما قلنا - ليست بكثرة الاحكام ، وإنما باحترامها وتنفيذها ، وبخاصة اذا كانت مما تتعلق بحالة الثورة النفسية التي يعانيها الزوجان عند الطلاق ، وما تتطلبه هذه الاحكام من ضبط للرغبات

والشهوات والميول ، أو من ضبط للهوى ، كما هو تعبير القرآن والسنة . من هنا جاء الامر بتقوى الله في هذه السورة في أكثر من موضع :

في أول آية منها يأتي الامر بالتقوى وسط ما تأمر به من أحكام خاصة بالطلاق ، وتختتم الآية ذاتها بالتحذير من تعدى أحكام الله بالعبارة نفسها التي عهدناها في سورة البقرة : « وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه »

وتختتم الآية الثانية بقوله سبحانه : « ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، ومن يبق الله يجعل له مخرجا » والعبارة الاولى من هذا الختام عهدناها كذلك في الايات التي عالجت موضوع الأسرة من سورة البقرة . وهذا يفيد أن الايمان بالله واليوم الآخر أساس ليس منه بد ، وأننا يجب أن نهتم بغرس هذا الايمان في النفوس حتى يكون للاحكام عظمتها وفائدتها .

ولما كانت المشاكل النفسية والمادية من الامور التي تصاحب الطلاق - نبهت العبارة الاخيرة من الآية إلى أن من يراقب الله وينفذ أحكامه ولا يتعداها يجعل الله له مخرجا من ضيقه . ولعل هذا الجزء من الآية يشير الى علاج الحالة النفسية المصاحبة للطلاق . أما المشاكل المادية فتشير اليها الآية التالية : « ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه » ، وكذلك ختام الآية (٤) من السورة : « ومن يبق الله يجعل له من أمره يسرا » . وتتحدث الآية الخامسة عن التقوى كذلك مبينة عاقبة المتقى : « ذلك أمر الله أنزله اليكم ، ومن يبق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا » .

فانظر كيف أن التقوى - وهي الخوف من الله ومراقبته والوقوف عند حدوده - لازمت كل حكم في سورة الطلاق ؟ ! ليس هذا فقط بل ختمت السورة بخمس آيات ليس فيها من أحكام الطلاق شيء ، لكن فيها تحذيرا من عصيان الله ، والا وقع على الامة من العذاب ما وقع على أمم سابقة عصت الله ورسله ، ثم تأمر العقلاء - وهم المؤمنون - بالتقوى ، مذكرة لهم بأن ارسال محمد صلى الله عليه وسلم نعمة من الله ، يخرج المؤمنون به ويتعاليمه من الظلمات الى النور ، وتعد المؤمنين العاملين بالجنة ، مؤكدة ان الله على كل شيء قدير وأن علمه قد أحاط بكل شيء .

هذا هو منهج القرآن في تقرير الاحكام ، لا يعرضها جافة جامدة ، وإنما يعرضها حية نابضة ونحن على يقين من أن تشريع الاسلام فيه شفاء الامراض الانسانية ، طالما تمسك به المسلمون ، وطبقوه التطبيق الصحيح ، بعد أن يربوا أنفسهم على وفق التصور الاسلامي ويخضعوا هواهم له ، فقد قال عليه السلام ما معناه : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ، وصدق الله العظيم : « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن ، بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ! »

اللغة منظمة رمزية عرقية، تشتمل على أنظمة فرعية، ويقوم كل منها على الارتباط العرفي بين المبني والمعنى. ولا شك أن المعنى هو ضالة المستعملين للغة، وأن أمن اللبس فيه أعلى ما يحرص عليه الاستعمال اللغوي، وأن أمن اللبس هذا يتحقق بمعونة القرائن اللفظية والحالية، وأن القرائن اللفظية يشتمل عليها المقال، وأن القرائن الحالية يشتمل عليها المقام، ولا يتم فهم المقال إلا في ظل المقام.

هذه العبارات الشديدة التركيز تمثل جملة الرسالة التي أريد لها أن تصل إلى فهم القارئ، ولو أنني وثقت من أنها على صورتها الحاضرة يمكن أن تكون تامة الوضوح، ما كان بي حاجة إلى شرحها في مقالة كاملة كهذه. لكنني أدراكاً مني لما يجلبه هذا التركيز الشديد للفكرة من سمات عسر الهضم، أوشر أن أخف من هذا التركيز، على نحو ما يخفف الماء من تركيز أشربة الفاكهة، لجعلها سائغة يسيرة التناول. ومن ثم أرى أن أتناول بالشرح الأفكار الآتية:

- ١ - العرف اللغوي
- ٢ - المنظمة الرمزية
- ٣ - الأنظمة الفرعية
- ٤ - المبني والمعنى
- ٥ - القرائن اللفظية
- ٦ - المقال والمقام
- ٧ - القرائن الحالية
- ٨ - أمن اللبس

١ - العرف اللغوي. إن التعارف هو أقوى أساس المشاركة في حياة اجتماعية ما، بل إن الحياة الاجتماعية لا يمكن أن تتم بدون التعارف. فالتناس في المجتمع الواحد يلبسون ملابس متشابهة، ويخضعون لعادات واحدة، وتقاليد واحدة، فيأكلون بطريقة واحدة، ويحتفلون بالمناسبات بطريقة واحدة وبمناسبات معينة مشتركة بينهم، وينظرون إلى الخطأ والصواب بطريقة واحدة، وإلى الشرف والعار بطريقة واحدة أيضاً. ولكن أهم ما يجري عليه التعارف في مجتمع ما هو لغة هذا المجتمع، فالتناس يستعملون كلمات بعينها، ويركبون الجملة على طريقة بعينها، ويستخدمون عبارات بعينها في مناسبات بعينها. فهناك عبارات متعارف عليها تقال للتحية، وأخرى للوداع، وثالثة للتعزية، ورابعة للتهنئة، فكل مقام مقال. ولولا اللغة ما صح نظرياً ولا عملياً أن تقوم حياة اجتماعية من أي نوع ولو تصورت نفسك في أسرتك ولا لغة تربط بينكم لأصبحت الروابط الأسرية نفسها في خطر داهم، لأن الأسرة مجتمع صغير. فاللغة إذن عرقية، وليست توقيفية والمعنى المقصود من قوله تعالى: «وعلم آدم الأسماء كلها» هو أنه تعالى أعطاه ملكة استخدام اللغة وأقدره عليها.

المقال

المقام

الدكتور تمام حسان

٢ - المنظمة الرمزية : وماذا قد وصلنا الى هذه النقطة ، فينبغي لنا أن نناقش هذا المجال من مجالات التعارف ، وهو الذى أطلقنا عليه لفظ « اللغة » . فما طبيعة اللغة ؟ اذا جرى التعارف بينى وبينك على أن من الرأس من أعلا الى أسفل يفيد الموافقة ، وهزها من اليمين الى الشمال يفيد الرفض ، فان من الرأس فى الحاليتين « رمز » . وقد استحق هذه التسمية لما يحمله من سمات عرقية الاستعمال . فاذا تعارفنا على أن نقره واحدة بالاصبع على الباب معناها أنا قادم وحدى ، وأن نقرتين معناهما معى شخص آخر ، فذلك رمز تعارفنا عليه ، فهو عرفى . واذا كان من الرأس يدرك بالبصر ، وكانت النقرات تدرك بالسمع ، فمعنى ذلك أن التعارف يمكن أن يدخل فى مجال أى من هاتين الحاستين ، بل أنه حقا يمكن أن يتناول غيرهما من الحواس . وليس يغريب عنا ما تعرفه الان من كتابة المكفوفين ، وهى تدرك بحاسة اللمس فقط .

واللغة منظمة من الرموز التى تدرك سمعيا بالالفاظ المتطرفة ، وتدرك بصريا بالخط المكتوب . والرموز اللغوية هى : الحروف ، والكلمات ، والصيغ ، والرتب ، والادوات ، والمطابقة ، والربط بعود الضمير ، وبحروف الربط ، والتضام بين الكلمات بحيث تتطلب واحدة منها الاخرى ، ونفقات الكلام أثباتا أو توكيدا أو استفهاما أو غير ذلك . فكل واحد من هذه الرموز يؤدى الى معنى ربط العرف اعتبارا بينه وبينه ، والعلاقات بين هذه الرموز علاقات عضوية ، وتحكمها من حيث ورودها فى السياق قواعد اللغة .

٣ - الانظمة الفرعية : واذا كانت اللغة منظمة رمزية عرفية ، فينبغي أن نعلم أنها ليست بسيطة . إذ هى مركبة من أنظمة فرعية متكاملة ، متكاملة ، متناسقة الاداء ، متداخلة الوظيفة ، احدها النظام الصوتى ، وثانيها النظام الصرفى ، وثالثها النظام النحوى . فمثل اللغة فى هذا التركيب مثل الجسم الانسانى ، وهو منظمة حيوية مركبة من أجهزة فرعية ، متكاملة ، متكاملة ، متناسقة الاداء ، متداخلة الوظيفة كالجهاز الهضمى ، والدورى ، والتنفسى ، والافرازى ، والتناسلى ، والغدد الصماء الخ . فلا يتصور المرء أن يكون هناك نظام صرفى دون أن يكون أساسه نظاما صوتيا ، ولا أن يقوم نظام نحوى دون أن يكون أساسه معطيات النظامين الصوتى والصرفى . وذلك شبيه - كما قلت - بما بين أجهزة الجسم من ترابط فى الوظيفة والاداء .

٤ - المبنى والمعنى : لكل نظام من هذه النظم الثلاثة معانيه التى تسمى المعانى الوظيفية . ولكن المعنى على مستوى النظام الصوتى معنى سلبي لا ايجابى ، فكل حرف فى موقعه من الكلمة لا يعبر ايجابا عن شيء ، ولكنه من الناحية السلبية يفرق بين هذه الكلمة

وكل كلمة أخرى تشبهها فى الشكل ، الا من جهة هذا الحرف المعين . وهذا التفريق لم يأت الا من قبيل المقابلة سلبي بين هذا الحرف وبين كل حرف يمكن أن يحل محله من الكلمة ، فيتغير المعنى . وهذا النوع من الدلالة بالتفريق والمقابلة هو دلالة سلبية ، أو معنى سلبي ، مثال ذلك أن الشين من كلمة شباب لا تدل ايجابا على شيء ، ولكنها تفرق سلبي بين الكلمة التى هى فيها وبين كلمة ضباب . ومن حيث كان هذا التفريق وظيفة للشين فى هذا الموقع ، كان للشين معنى وظيفي ، هو كونه « مقابلا استبداليا » لكل حرف يمكن أن يستبدل بها فى هذا الموقع مفتوحا قبل الباء والالف والياء . وهذا الحرف هو المبنى الوحيد الذى يقدمه النظام الصوتى ، ليدل به على معنى .

أما المعانى الصرفية ، فمثالها « الاسمية » ومبناه الاسم ، و « الفعلية » ومبناه الفعل ، والافراد ومبناه المفرد ، والتذكير ومبناه المذكر ، والتكلم ومبناه المتكلم ، و « المطاوعة » ومبناه انفعال ، والطلب ومبناه استفعل ، والتانيث ومبناه المؤنث ، أو تساء التانيث فيما أنت بها ، والتعريف ومبناه المعرفة ، أو اللام فيما عرف بها ، وهلم جرا .

وأما المعانى النحوية ، فبعضها معانى جمل ، وبعضها معانى مفردات . فالخبر معنى ، ومبناه الجملة خبرية ، والنفى فرع عليه ، ومبناه الجملة النفية وأخص ما فيها أداء النفى ، حتى ليتمكن أن تعتبر الاداة تجوزا هى مبنى النفى ، والفاعل معنى ، ومبناه الاسم المرفوع المتأخر رتبة عن الفعل ، والابتداء معنى ، ومبناه الاسم المرفوع المتقدم على الخبر برتبة غير محفوظة ، والطريقة معنى ، ومبناه الظرف أو حرف الجر (فى وما جاء بمعناها) ، والسببية معنى ، ومبناه المصدر المنسوب على المفعول لاجله ، أو حرف الجر (اللام وما جاء بمعناه) ، والاضافة معنى ، ومبناه المضاف اليه . ومن هنا نرى أن كل المباني التى يستخدمها النحو فى التعبير عن معانيه هى مبان صرفية وصوتية .

والمعانى على مستوى النظام الصوتى والصرفى والنحوى جميعا هى وظائف المباني ، ولذلك تسمى معانى وظيفية ، ويصدق عليها الاصطلاح العام « المعنى الوظيفى » ، وهو المعنى التحليلي الذى لا يرقى الى مستوى معنى الكلمة المفردة .

٥ - القرائن اللفظية ، فاذا كانت المعانى لا يمكن الوصول اليها الا من طريق المباني ، فلا بد أن تكون المباني هى « القرائن اللفظية » على المعانى . وقد عرفنا من قبل أن المعنى يوصل اليه بواسطة مبان صوتية وصرفية ، لا تخرج عن أن تكون علامة اعرابية ، أو رتبة ، أو صيغة ، أو تطابقا ، أو تضامنا ، أو أداة ، أو نغمة فى الكلام (تقوم فى الجملة المنطوقة مقام الترقيم فى الجملة المكتوبة) ، أو دلالات لفظية لاجزاء أخرى من السياق . ولست أرى

هذه العجالة موضعاً صالحاً للخوض في وصف سلوك كل من هذه القرائن، فلن أحاول الدخول في ذلك هنا • ولكن كتاباً لي جديداً عنوانه «الفصحى: مبناها ومعناها» سيظهر - يعون الله قريباً - مشتملاً على ذلك وغير ذلك من مشكلات تحليل المعنى، وكل أت قريب • غير أنني أستطيع هنا أن أضرب مثلاً واحداً أكشف فيه كيف تكون الجملة مسرحاً للقرائن اللفظية على اختلاف أنواعها، وكيف يدل على المعنى الواحد بمبنى واحد أو أكثر • ومثالنا هو: «قال الرسول الكريم» فنحن لم نزع أن «قال» فعل ماضٍ إلا بعد النظر في قرينة الصيغة، وقرينة رتبتها قبل الفاعل، وقرينة بنائها على الفتح، وقرينة تذكير الفعل لتذكير الفاعل • ولم نزع أن «الرسول» فاعل إلا بعد اعتبار قرينة الاسم المرفوع، وقرينة رتبة التأخر عن الفعل • ولم نزع «الكريم» صفة إلا بعد معرفة ما بينها وبين الموصوف من تضام (وإن كان غير افتقاري)، وبعد معرفة رتبتها بالنسبة للموصوف، ومطابقتها له في الأعراب والأفراد، والتذكير، والتعريف • فكل ذلك قرائن لفظية على المعنى النحوي • وقد جاءت هذه القرائن من النظام الصوتي والصرفي فقط لأن النحو يشتمل في نظامه على المعاني والعلاقات السياقية فحسب، وليس له مبان خاصة به، وإنما يستعين بما يقدمه له النظامان الآخران من المباني •

٦- المقال والمقام

يضاف إلى المعاني الوظيفية المتقدمة نوع آخر من المعنى يسمى المعنى المعجمي، وهو معنى الكلمة المفردة • وإذا كان المعنى الوظيفي يمكن العثور عليه في كتب القواعد، فإن المعنى المعجمي يمكن العثور عليه في المعاجم • ففي جملة «قال الرسول الكريم» التي سبقت نجد المعاني الوظيفية وهكذا:

- قال، فعل ماضٍ •
- الرسول: فاعل •
- الكريم: صفة •

ولكن المعاني المعجمية لها كما يلي:

• قال، تكلم •

• الرسول: النبي المرسل •

• الكريم: صاحب الكرم والكرامة - ضد اللئيم •

فالمعنى الوظيفي معنى التحليل والمعنى المعجمي معنى الكلمة المفردة، أي التي ينظر إليها خارج الجملة، وكلا هذين المعنيين (الوظيفي والمعجمي) متعدد ومحتمل، فمثال تعدد المعنى الوظيفي للمبنى أن الاسم المرفوع يمكن أن يكون معناه الفاعل، أو نائب الفاعل، أو المبتدأ، أو الخبر، أو أن يكون اسماً

لكان، أو خبراً لأن، أو تائباً مسروقاً • وكذلك «ما» - باعتبارها مبنى من المباني الصرفية - يمكن أن تكون موصولة، أو نافية، أو كافة، أو زائدة، أو تعجبية، أو استفهامية، وهلم جرا • ومثال تعدد المعنى المعجمي ما يمكن أن يكون للكلمة الواحدة من المعاني في المعجم، فإذا أخذنا «ضرب»، مثلاً، أمكن لنا فيها أن ننسب إليها عدداً من المعاني يوضحها ما يأتي:

- ١- صدم ومثاله ضرب زيد عمراً •
- ٢- ذكر ومثاله ضرب الله مثلاً •
- ٣- حدد ومثاله ضرب له موعداً •
- ٤- أقام ومثاله ضرب له قبة •
- ٥- سك ومثاله ضرب نقوداً •
- ٦- ارتبك ومثاله ضرب اخماساً في اسداس، وهلم جرا •

وهذا العدد والاحتمال إنما يكونان خارجاً الجملة • أما إذا وضع المبنى أو الكلمة في سياق جملة، فإن القرائن اللفظية والحالية تتضافر على تحديد المعنى، حتى لا يكون هناك مجال للاحتتمالات المتعددة، التي كانت له خارج الجملة، بدليل تحديد المعنى في كل مثال من الأمثلة التي سبقت لمعنى «ضرب» • لأن كل مثال منها جملة كاملة، تحمل من القرائن ما يعبر على تحديد معنى معين، وتخرج ما عداه من المعاني التي كانت من قبل محتملة •

ولكن ما يأتي عن تضافر المعاني الوظيفية والمعاني المعجمية في السياق ليس إلا معنى المقال فقط، وهو معنى حرفي غير تام، يفتقر إلى ما أطلق عليه البلاغيون «المقام» • والمقام ليس مناسبة معيارية تقتضي كلاماً بعينه فحسب، على نحو ما يقتضي مقام التحية عبارة «السلام عليكم»، أو مقام الوداع عبارة «إلى اللقاء» • لا • المقام هو مجموع الظروف المحيطة بالتلفظ بالمقال، سواء ما كان منها فردياً، أو اجتماعياً، أو نفسياً أو تاريخياً أو جغرافياً الخ • فعبارة: «جاء الشتاء» ليس فيها من معنى المقال إلا ما يحمله اسناد المجيء إلى الشتاء على طريقة الجملة الفعلية التي فعلها ماضٍ، وليس فيه من معنى المقال أكثر من ذلك ولا أقل • ولكن هذه العبارة بحسب «المقام» قد تكون: شكوى من حلول البرد لأن المتكلم أو السامع يتأذى به ••

٢ - تذكير بما يتطلبه حلول هذا الفصل من وجوب توفير نفقات الكساء •

٣ - استئجاز لوعده كان السامع قد حدده للمتكلم من قبل بحلول الشتاء •

٤ - إشارة مازحة الى الايات التي أوردها
الحريرى فى مقاماته مبدوءة بهذه الجملة . الخ .

فكل معنى من هذه المعانى انما يكون نتيجة ظروف
مختلفة عن الظروف التى تنتج المعنى الآخر ، وهذه
الظروف المختلفة هى المقامات المختلفة ، التى لا يتم
المعنى الا بأخذها فى الاعتبار . ولقد حافظ المفسرون
دائما على ذكر المقام فى تفسير القرآن ، غير أنهم
يسمونهم « أسباب النزول » . كما يحرص رواة
النصوص قبل كل نص على التقديم له بشرح المقام
الذى قبل فيه النص ، وذلك لعلم هؤلاء وأولئك أن
معنى المقال مبتور غامض ، لا يغنى بحال عن معنى
المقام . وكلاهما معا يصنعان ما يسمى « المعنى
الدلالى » وهو قمة المراد من الاستعمال اللغوى .

٧ - القرائن الحالية ، والعناصر التى يتكون منها
المقام تسمى القرائن الحالية . فالكثيرون يفهمون من
قول الله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاؤون » ذما
للشعر على إطلاقه ، وهم بهذا يستغنون بمعنى المقال
عن معنى المقام . ولا شك أن فهمهم لهذه الآية سيتغير
إذا نظروا الى مجموعة العناصر التى يتكون منها
المقام المحيط بهذه الآية . ومن هذه العناصر :

١ - أن الشعراء المقصودين بهذه الآية هم الثلاثة
المكيون الذين كانوا يهجون الاسلام ونبي الاسلام صلى
الله عليه وسلم .

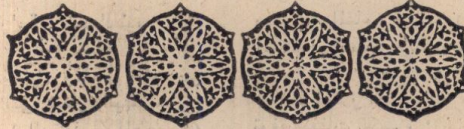
٢ - أن موقف النبي صلى الله عليه وسلم من
الشعر لم يكن موقفا عدائيا ، بل كان يقول لحسان :
قل وروح القدس تؤيدك !

٣ - هناك استقهام تقريرى بعد ذلك يقول : « ألم تر
أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون » .
وهذه ليست صفة الشعراء جميعا (وربما اعتبرنا
هذا العنصر الثالث قرينة لفظية بنفس الدرجة ، لانه
يدخل تحت اشارات السياق) .

٨ - أمن اللبس : لعل أفضل تعريف لللبس هو
أنه « تعدد الاحتمالات فى المعنى دون مرجح » .
ويكون اللبس دائما نتيجة من نتائج نقص القرائن

اللفظية أو الحالية . ويأتى نقص القرائن اللفظية من
أن كل قرينة منها هى مبنى من المباني الصوتية أو
الصرفية ، وقد أشرنا من قبل الى أن كل مبنى خارج
النص يحتمل عددا من المعانى ، أى أن من سماته تعدد
الاحتمالات ، وهذا هو عينه تعريف اللبس الذى سقته
منذ قليل . فإذا قلت ، « هذا عدل » فإن معنى هذه
العبارة متلبس سواء على المستوى الصرفى وعلى
المستوى المعجمى ، أما على المستوى الصرفى فإن
صيغة « فعل » (باعتبارها مبنى صرفيا) تعتمد
معناها بين المصدر والصفة المشبهة فى احتملهما
جميعا على مستوى الصرف . فلما تقدمنا بهذا الى
مستوى النحو ، وركبناها فى جملة ، لم نجد أن خبر
المتبدا يتطلب فى صيغته أن تكون مصدرا ومن ثم لا
يتعين أن يكون « عدل » مصدرا ، ولا يتطلب فيها أن
تكون صفة مشبهة ، ومن ثم لا يتعين أن يكون « عدل »
صفة مشبهة . ومعنى ذلك أن النحو لم يسعفنا بتحديد
المقصود من الصيغة ومعنى هذا انه لا يعيننا على أمن
اللبس فيها . فلما تقدمنا خطوة أخرى الى مستوى
المعجم ، وجدنا أن الكلمة « عدل » المصوغة على مثال
صيغة « فعل » صالحة للمعنيين فى المعجم ، محتملة
لهما جميعا . وبذلك أصبح معنى « المقال » متلبسا ،
وأصبح الملجأ الوحيد لتحديد المعنى هو « المقام » .
ومما يشتمل عليه المقام فى هذه الحالة تحديد المشار
اليه بلفظ « هذا » . فإذا كانت الإشارة الى حكم
أصدره حاكم ، فالمعنى « هذه عدالة » . وإذا كانت
الإشارة الى حاكم أصدر حكما ، فالمعنى « هذا
عادل » . ومن هنا يصبح المقام فيصلا فى تحديد
المعنى . ولقد كان هذا اللبس فى المثال السابق متعلقا
بأحدى القرائن اللفظية ، وهى الصيغة . وقد يتعلق
مثله بالعلامة الاعرابية ، كما فى : « أخى صديقى » ،
فنلجأ عند لبس العلامة الاعرابية الى قرينة لفظية
أخرى هى الرتبة ، فنعتبر الاول مبتدا والثانى
خبرا . وقد يكون اللبس فى الاداة ، كما فى الواجه
الجائزة فى (كم عمة لك يا جرير وخالة) ، وهلم
جرا .

ويتم أمن اللبس باحكام استخدام القرائن فى
النص ، سواء منها اللفظى والحالى ، وبذلك يتضح
لنا النص مادامنا قد تأكدنا من الوصول الى الوضوح
التمام فى المقال والمقام جميعا .



فواصل القرآت الكريم

الشيخ محمود خليل الحصري

فواصل ، ويحتمل أن يكون الوقف عليها للاستراحة ،
ووصله عليه السلام لها في المرة ليست فواصل
وليست رؤوس فواصل في الواقع - لتقدم تعريفها
وبيان أنها فواصل .

ومن هنا نشأ اختلاف علماء الامصار • مكة ،
المدينة ، الكوفة ، البصرة ، الشام في مقدار عدد آي
القرآن • وعدد آي كل سورة •

الطريق الثاني : قياسي وهو ما الحق فيه غير
المنصوص عليه بالمنصوص عليه لعلاقة تقتضي ذلك
وليس في هذا محظورا لانه لا يترتب على زيادة ولا نقص
في الايات • بل قصارى ما فيه تعيين محل الفصل
والوصل •

ولمعرفة فواصل الايات ورؤوسها فوائد جمة ومنافع
جليلة منها :

● صحة الصلاة فان صحتها - في بعض
الاقوات - تتوقف على معرفة الفواصل وذلك ان فقهاء
الاسلام - وبخاصة الشافعية - قرروا ان من لم يحفظ
الفاتحة يتعين عليه أن يأتي بسبع آيات بدلا منها •
فمن لم يكن عالما بفواصل الايات لا يستطيع أن يأتي
بما يصح صلاته •

● ومنها صحة الخطبة ، فان صحتها - في بعض
المذاهب - تتوقف على معرفة الفواصل وذلك ان
فقهاء الشافعية وغيرهم نصوا على أن الخطبة لا تصح
الا بقراءة آية تامة ، فمن لم يعلم الفواصل يعسر عليه
معرفة ما يصح خطبته •

● ومنها التمكن من الحصول على الاجر الموعود
به على قراءة عدد معين من الايات في الصلاة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحب أحدكم اذا
رجع الى أهله وبيته أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام
سمان ؟ قالوا نعم : قال : فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم
في صلاته خير من ثلاث خلفات عظام سمان » رواه
مسلم • والخلفات بفتح الخاء وكسر اللام الحوامل
من الابل والواحدة خلفه • وفي سند الدارمي أنه

من روائع القرآن الكريم اشتماله على الفواصل -
رؤوس الاي - وهي جمع فاصلة والفاصلة أخسر
كلمة في الآية • وسميت فاصلة لانها فصلت بين
الايتين • الآية التي هي رأسها والآية التي بعدها ،
ولعل هذه التسمية أخذت من قوله تعالى « كتاب
فصلت آياته » •

ولمعرفة فواصل القرآن الكريم ورؤوس آيه
طريقان :

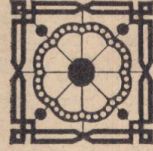
الطريق الاول : توقيفي سماعي ثابت من قراءة
النبي صلى الله عليه وسلم وسماع الصحابة له
كفواصل سورة الفاتحة •

فقد روى أبو داود وغيره عن أم سلمة رضى الله
عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع
قراءته آية آية • يقول : « بسم الله الرحمن الرحيم
ثم يقف ثم يقول : الحمد لله رب العالمين ثم يقف : ثم
يقول : الرحمن الرحيم ، ثم يقف ، ثم يقول : مالك
يوم الدين ثم يقف ، ثم يقول : اياك نعبد وياك نستعين
ثم يقف ، ثم يقول : اهدنا الصراط المستقيم ثم يقف
ثم يقول صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين » •

وانما وقف صلى الله عليه وسلم على هذه
الفواصل ليعلم الصحابة أن كل كلمة من الكلمات التي
وقف عليها فاصلة • ورأس آية يصبح الوقف عليها
اختيارا •

وهكذا كل ما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان
يقف عليه في قراءته دائما نتحقق أنه فاصلة ورأس آية
ويصح أن نقف عليه حال الاختيار ، وما وصله ولم
يقف عليه أبدا فهو غير فاصلة وغير رأس آية قطعا •
وفي القرآن العظيم كلمات وقف عليها صلى الله
عليه وسلم حينما وصلها حينما وهذه محل نظر
العلماء وموطن اختلافهم • لان وقفه عليه
الصلاة والسلام عليها في المرة الاولى يحتمل أن يكون
لبيان أن هذه الكلمات فواصل ورؤوس آيات ، ويحتمل
أن يكون لبيان صحة الوقف عليها وان لم تكن

عدالة الثوريت ف الإسلام



الأستاذ محمود السعيد الطنطاوي

الميراث صلة شرعية شرعها الله تعالى بين الميت وأهله الذين لهم حق الوراثة فيه ، وتولي الله سبحانه . توزيع الميراث بنفسه وتحديد نصيب كل من الورثة . وقسم تركته الميت . وأنزل بذلك قرآنا كريما فرض فيه نصيب كل وارث حسب درجة قرابته من الميت قال تعالى « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » آية ٧ سورة النساء — ثم فصل الله تعالى نظام الموارث بعد أن أنزل هذه الآية الكريمة التي أثبتت حق الورثة من أهل الميت ، فقال عز وجل « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان أبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما » آية ١٢ سورة النساء .

ومما جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة . ما رواه جابر رضي الله عنه قال عاذني النبي صلى الله عليه وسلم — يعني زارني — هو وأبو بكر في بني سلمة يشيان فوجداني لا أعقل . فدعا بهاء . فتوضأ ثم رش علي منه فافتت . فقلت . كيف اضنع في مالي يا رسول الله . فنزلت — يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف — رواه البخاري ومسلم .

وعن جابر . أيضا قال — جاءت امرأة سعد بن الربيع . بابنتها من سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت . يا رسول الله . هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك يوم أحد شهيدا وإن عهدهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا تنكحان إلا ولهما مال — تريد أنه لا يرغب في زواجهما إلا إذا كانتا ذا مال — فقال

صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ في صلاة الليل عشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قرأ بخمسين آية كتب من الحفاظ ومن قرأ بمائة آية كتب من القانتين . ومن قرأ بمائتين كتب من الفائزين ومن قرأ بثلاثمائة كتب له قطار من الاجر .

● ومنها العلم بما تسن قراءته بعد الفاتحة في الصلاة فقد نص العلماء على أنه لا تحصل السنة الا بقراءة ثلاث آيات قصار ، أو آية طويلة ، ومن يرى منهم وجوب القراءة بعد الفاتحة لا يكتفى بأقل من هذا العدد . فمن لا يعرف الفواصل لا يتيسر له تحصيل هذه السنة أو هذا الواجب .

● ومنها معرفة الوقف المسنون وهو الوقف على رؤوس الأي وإذا لم يكن القارئ خبيراً بالفواصل لا يتأتى له معرفة الوقف المسنون وتمييزه من غيره .

ان القرآن الكريم — مع بالغ عنايته بالمعنى الدقيق والاسلوب الفذ — لم يغفل أمر الفواصل ، بل عني بها أيما عناية فجعلها متناسبة متكافئة متناسقة متآخية : لا متنافرة ولا متعادية ومن أجل ذلك خرج عن مقتضى ظاهر الاسلوب في بعض المواضع . ومن أمثلة ذلك : قوله تعالى في ختام آية ٨٧ من سورة الفرقان « ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » فكان مقتضى الظاهر ان يقال : وفريقا قتلتم ولكن لما كانت فواصل السورة مبنية على تحقق حرف المد قبل الحرف الاخير في الكلمة قيل « وفريقا تقتلون » حتى تتناسب مع بقية فواصل السورة .

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى في خاتمة آية ٤٦ من سورة يوسف « لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون » كرر كلمة « لعلى » مراعاة لفواصل الآية السابقة واللاحقة ولولا هذه المراعاة لقال : « فاعلموا » أو « ليعلموا » وحينئذ لا يكون ثم تناسب بين هذه الفاصلة وبين ما قبلها وما بعدها من الفواصل

ومنها قوله تعالى في سورة طه آية ٦٧ « فاعجب في نفسه خيفة موسى » قدم في الآية المفعول وهو خيفة وأخر الفاعل وهو موسى على خلاف الاصل الذي يقتضى تقديم الفاعل على المفعول لرعاية فواصل السورة المختومة كلها بالالف .

ومثلها الآية ٤١ من سورة القمر « ولقد جاء آل فرعون النذر » آخر فيها الفاعل وهو « النذر » على المفعول وهو « آل » لرعاية فواصل السورة التي بنيت كلها على الراء الساكنة .

ومن الأمثلة قوله تعالى في ختام آية ١٠ من سورة الاحزاب وهو « وتظنون بالله الظنونا » وختام آية ٦٦ في السورة المذكورة وهو « وأطعنا الرسولا » وفي ختام آية ٦٧ من السورة المذكورة أيضا وهو « فاضلونا السبيلا » زيدت الالف في ختام الآيات الثلاث « الظنونا ، الرسولا ، السبيلا » لتتناساوى مقاطع السورة كلها ، وتتناسب فواصلها لان جميع فواصلها الفات منقلبة عن تنوين في الوقف . والله ولي التوفيق .

صلى الله عليه وسلم . بقضى الله في ذلك . فنزلت آية المواريث — يوصيكم الله في أولادكم — فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . إلى عهدهما فقال — أعط ابنتي سعد الثلثين . وأعط أمهما الثلث وما بقي فهو لك — رواه أبو داود والترمذي . قالت العلماء . وهذا لا ينافي ما تقدم من أن آية المواريث نزلت جوابا لسؤال جابر لاحتمال أن السؤالين تقاربا فنزلت الآية بعدهما .

وبعد ذلك بين الله تبارك وتعالى فرائض الزوجين ، فقال تعالى « ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركن إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثلث مما تركن من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم خليم » آية ١٢ سورة النساء .

وهكذا أثبتت أغلب أحكام المواريث بالقرآن الكريم ، وأمر الله تعالى الوقوف عندها لأن هذه الأحكام جاءت من عند الله ، وجعل الله تعالى — جزاء من يعمل بها ولا يتخطاها ويطع الله ورسوله . الثواب والتعيم الخالد ، وجزاء من يتجاوز حدود الله ولا يعمل بأحكامه وشرائعه العذاب المهين والخلود في النار — فقال تعالى « تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالدًا فيها وله عذاب مهين » آية ١٣ ، ١٤ سورة النساء .

تنبيه وتشديد من الله على المسلمين أن لا يتجاوزوا شرائعه لأن الشرائع الإسلامية كالحديد المضروبة على المكلفين لا يجوز لهم أن يتخطوها ويتركوا ما أمر الله به سبحانه وتعالى جل شأنه . وقد بين الله للمسلمين . فرض الكلالة . وهو من لا والد له ولا ولد . وله أهل ينتسبون إليه بالواسطة من غير مباشرة — والكلالة في اللغة عبارة عن الإحاطة . ومنه الكليل لإحاطته بالرأس . فما عدا الوالد والولد من قرابة الميت سموا كلالة لأنهم أحاطوا بالميت من جوانبه وليسوا منه ولا هو منهم وقرابتهم مقابلة لقرابة الولادة .

وإن الناظر إلى نظام المواريث في الشريعة الإسلامية وإلى نظام المواريث في الأمم السابقة والأمم الحاضرة التي أخذت بأسباب مظاهر الحضارة الدنيوية ليجد أنه شتان بين نظام المواريث في الإسلام وبين غيره فقد جاء نظام المواريث في الشريعة الإسلامية محكما قائما على العدل والإنصاف بين المسلمين ، ولقد فرض الله نظام المواريث ليحمي الأسرة ويحفظ المجتمع ويرفع الظلم الفاحش الواقع على الناس من ظلم القوى للضعيف .

وحتى يظهر فضل عدالة التشريع الإسلامي في الميراث . فنسذكر مع الاختصار طرعا من نظم التوريث عند الأمم السابقة .

ففي الأمم القديمة كان الرومان واليهود يجعلون لصاحب المال حق سلطة الاستبداد به بعد مماته يوصى به إن شاء من غير إبنائه ويجعله هو صاحب السلطة عليهم ويترك ذريته عالة على الناس . حسب هواه .

ومنهم من لا يجعل للزوجة نصيبا في حق زوجها ولا للزوج نصيبا في مال زوجته ، ومنهم من يجعل الثروة للأب الأكبر أو يجعل له ضعف اثنين من أخوته .

وكان قدماء المصريين يسوون بين الذكر والأنثى ، وكان العرب في جاهليتهم . لا يورثون الأطفال ولا النساء ، وكان نظامهم في الميراث أنه لا يرث إلا من طاعن بالرمح وحاز الفتيحة — لأنهم كانوا يميلون إلى الفروسية والحرب ، بل كان منهم قبائل ترث نساء الميت . كان أهل يثرب إذا مات الرجل منهم في الجاهلية ورث أمراته من يرث ماله . فنهى الإسلام عن ذلك . قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها » آية ١٩ سورة النساء .

وكانت أسباب الأثر عند العرب في الجاهلية ثلاثة ، النسب . وهو خاص بالرجال الذين يركبون الخيل ويقاثلون الأعداء ويأخذون الفنائم . وليس للطفل والمرأة شيء ، وثانيا . التبنّي . فقد كان

الرجل يتبنى ولد غيره فيرثه ويكون له مالا من الشرعي . فأبطل الإسلام ذلك . قال تعالى « وما جعل ادعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . ادعواهم لأبنائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فاعخوانكم في الدين ومواليكم » آية ٤ ، ٥ سورة الأحزاب — وبأبطل التبنّي بطل كل ما يترتب عليه

من ميراث وأحكام كان العرب في الجاهلية يسونونها بالنسبة لولد التبنّي — وثالثا . الحلف والمهادنة . كان الرجل في الجاهلية يقول للرجل . بمى دمك وهدمى هدمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك . فإذا تعاهدا على ذلك فمات أحدهما قبل الآخر كان للحي ما اشترط من مال الميت . فابطلت الشريعة الإسلامية ذلك . قال تعالى « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » آية ٧٥ سورة الأنفال ، وقال تعالى « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » ونزلت آية المواريث ولم تجعل للحلف والمهادنة شيء . فيبطل ذلك .

وهكذا أبطل الإسلام النظم البالية والأحكام الفاسدة وأبدلهم منها خيرا وجاءهم بأبدع نظام وأحكم تشريع في التركات والمواريث، وجعل أسباب الميراث ثلاثة القرابة والنسب والهواة ، وأمر الإسلام أن يبدأ أولا بتجهيز الميت ثم دفنه ثم تقضى ديونه ثم تنفذ وصاياه من ثلث ماله . ثم يقسم الباقي بين الورثة .

وبهذا لم يترك المشرع الإسلامي صاحب المال يستبد بها له بعد وفاته فيوصي لمن يشاء ويمنع من يشاء . فلم يطلق يده إلا بمقدار الثلث ، كما منع الإسلام النظام الذي كان يجعل الابن الأكبر ينفرد بالتركة دون غيره لأن ذلك يزرع التفور والشقاق والخلاف بين الأخوة .

وقدم الإسلام في أسباب الميراث . القرابة . لأنها أقوى الصلات ، والنسب ثانيا . وهو الزواج بمقد تكاح صحيح لأنه أقوى صلة حيوية إنسانية اجتماعية بين الزوج وزوجته والزوجة وزوجها . لأنها شركاء حياة عاشوا مع بعضهم وتحملوا مر الحياة وحلوا من العدل والوفاء أن يكون لكل منهما نصيب مما ترك صاحبه يكون صلة وتذكرى حياة تعيش في قلب الحي منهم ، — والهواة . ثالثا — وهو ما كان بسبب اعتناق لأن المولى منح عبده الحرية وتنازل عن ماله برضا نفسه فإذا مات العبد فمن الأنصاف لمنعه أن يرثه إذا لم يكن له ورثة .

وحدد الإسلام من هم الوارثون . وجملهم سبعة عشر — وهم عشرة من الرجال . وسبع من النساء — ولقد نظمهم بعض العلماء بأبيات من الشعر . فانشد يقول :

والوارثون أن أردت جمعهم
مع الأناث والوارثون معهم
عشرة من جملة الذكور
وسبع أنثى من النسوان
وهم وقد حصرتهم في النظم
الابن وابن الابن وابن العم
والاب منهم وهو في الترتيب
والجد من قبل الأخ القريب
وابن الأخ الأدنى أجل والعم
والزوج والسيد ثم الأم
وابنة الابن بمدها والبنت
وزوجة وجدة وأخت
والمرأة المولاة أعنى المعتقة
خذهذا اليك عدة محققه

وجعل الإسلام موانع الأثر . القتل واختلاف الدين لأن الميراث صلة من الميت لأهله الأحياء . والمقاتل والكافر قد مرقا هذه الصلة . قال صلى الله عليه وسلم . من قتل قتيلا فإنه لا يرثه وإن لم يكن له وارث غيره وإن كان والده أو ولده فليس لقاتل ميراث — رواه الإمام أحمد في مسنده — وقال صلى الله عليه وسلم : لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم — متفق عليه .

وهكذا جاء نظام المواريث في الشريعة الإسلامية أوسع من أي نظام في أي أمة سابقة . نطاقا . وأعدل حكما ، وأفضل واقدر على ملائمة الزمن ومسايرة التطور . لأنه من عند الله الرحمن الرحيم . المقاتل في قرانه الكريم « ورحمتي وسعت كل شيء » .

رسالة الدفاع عن الرسول

صلى الله
عليه وسلم

الدفاع عن النفس في بدر

فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور

الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد بشره .

ومن أجل ذلك كانت الامة التي كونها واقامها في المدينة أمة تقوم على الحق وتمضي فيه ومن ثم بلغت القمة والاولج فكان من طبيعتها أن تعمل وليس من شأنها أن تكسل بل ومن حظها أن تجاهد لله وحده وتسعى الى غايتها والى هدفها في جذل وثقة ، وأمة تعيش على هذا النحو تلتف حول قائدها وزعيمها التفاف التلامذة حول معلمهم والابناء حول والدهم فلا ترى فيهم عوجا ولا أمثا بل لا ترى تزعزا ولا فرقة وانما ترى حبا يسرى بينهم وأمة متحابية متكئة متجمعة فاذا واجهوا عدوهم واجهوه متحدين لا مختلفين متجمعين لا متفرقين فهم نفس واحدة في أجسام متفرقة بل أنهم لبنات مشدودة في بناء متريق صلب ، وبهذا كانوا يلقون أعداءهم بتجمع من الود والمحبة والاتفاف حول قائدهم .

والمسلمون رباهم نبيهم صلى الله عليه وسلم على ألا يتباغضوا أو ييغضوا حتى مع أولئك الذين بغوا عليهم فقد كان من مبادئ الاسلام أنه يجب ما قبله ويمحو ما سبقه فمن تطهر من جاهليته التي أنغرس فيها وتطهر منها وثاب الى رشده ورجع الى ربه وضع الستار باسلامه على هذا الماضي ، ينضم الى الامة المسلمة عضوا نظيفا وانسانا كريما يستقبل حياته الكريمة الجديدة بيمان عريق وطهر أكيد .

بدر لون من الجهاد الحتمي الذي فرض على الدعوة فقد حرصت قريش على اباداة قوة الاسلام النامية .

..... ودخل الرسول صلى الله عليه وسلم يثرب مهاجرا . فانجفل الناس اليه ، ويقول عبد الله بن سلام وكنت ضمن من جاءه وتاملت وجهه فعلمت أنه ليس بوجه كذاب ومن ثم أحبه الناس وتجمعوا من حوله ، ومحمد لم يطلب من الناس أن يقدسوا فيه صورة اللحم والدم وانما محمد رسول الله كان أهم ما عنده أن يقدسوا معنى الرسالة وأن يقتدوا بمثله العليا ، ومن أجل ذلك كله نرى أن الذين عاشروا محمدا صلى الله عليه وسلم أحبهوا الى درجة الهيام ومن ثم عرفوا بالتضحية والوفاء للرسول والرسالة والدعوة والقيادة فكانوا لا يبالون أن تندق أعناقهم ولا يخذش للرسول ظفر ، وما أحبهوا على هذا النحو الا لان نصيبه من الكمال في كل شيء بل في كل صفة من أوصاف البشر التي يتعشقها الناس لم تكتمل لاحد مثله .

وما عرفت الدنيا رجلا فاضت القلوب باجلاله وحبه وتقديره والاتفاف حوله بمثل ما عرفت لصاحب الرسالة وامام الانبياء . ان لرسول الله من الصفات ما يجعل الناس يجتمعون عليه فهو ليس بفظ ولا غليظ القلب انه ليخزن لسانه الا عما يعنيه ، يؤلف أصحابه ولا يفرقهم ، يكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم ويحذر

أما الذين بقوا وكفروا وضلوا وأضلوا فلا بد من الجذر منهم لا القربص بهم ولا بد من الاحتياط لهم حتى لا يفجئوا المسلمين ويباغثوهم وإذا لزم الأمر أن يقاتلوهم قاتلوهم حتى يقضوا عليهم ويخلصوا الأرض منهم ومن كفرهم وصدمهم عن سبيل الله : « ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا » .

ونحن اذا نتحدث اليك الان ايها المسلم انما نفتح عينيك على ماكان لهؤلاء من طغيان جائر وظلم دائم فما زالوا يعيشون حتى والمسلمون فى المدينة فى حالة حرب مستمرة مع المسلمين .

سفرأ حرب يعيشون فى المدينة ..

ولم تعدم قريش أن يكون لهم فى المدينة من يعيشتى الأرض الفساد ويفتح للمشركين أبواب الفتنة فى أهل المدينة فالتاريخ يحدثنا عن مركز عبد الله بن أبى سلول وعن نفوذه الكبير فى أهل المدينة قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم اليها وتشريفه لها . لقد كان ابن أبى من البارزين فيها حتى لقد فكر القوم فى توليته ملكا عليهم ولكن شاء الله ولا راد لمشيئته أن تتضائل شخصيته وتهد قوته بهجرة الرسول الى المدينة فبدأ حنقه على المسلمين فعدا المسلمون بين شقى الرعى ، بين ضغن الشرك وحقد الملك ، فلقد اتخذ هو أيضا موقفا عدائيا من الاسلام وأهله .

فبدأت قريش تستعذيه على المسلمين بيد أنه كان قد فقد جاهه باسلام اغلب قبيلته فخاب رجائهم فيه فوجهوا دفة العدوان باستعمال غيرهم فحرضت قريش العرب القاطنين بين مكة والمدينة ومن ثم أحاط الاعداء بالمسلمين من كل جانب وأحذقوا بهم من كل صوب بل أن عبدة الاصنام من أهل المدينة نفسها قد أشروعوا العداء فى وجه المسلمين منضمين الى قريش وانضم الى هؤلاء قوم تجرى الخصومة فى دمائهم دائيا لكل مبدأ من مبادئ الحق وسمه من سمات العدل . هؤلاء هم اليهود الذين تألبو على المسلمين وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أفكلما جاءكم رسول بضم لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وهذا ما سجله القرآن بينا لواضعهم وذكرنا لطبيعتهم حيث وقال تعالى « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستكبرون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ٨٩ - البقرة » .

ان هذه الجموع كلها جموع الشرك والباطل لتجتمع كلها نحو هدف واحد وما أكثر أهل الباطل تجتمع لهمد الحق وأهله ولكن أتى لهم ذلك والله دائما ينصر الحق وأهله حتى صدقوه سبحانه فانه ان تصدق الله يصدقك كما حدث بهذا الصديق الأمين صلى الله عليه وسلم وكما قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » « ولينصرن الله من ينصروه » .

ان الحال بهذا الوضع الذى عرضناه ليتطلب بصدق اليقظة والسهر من جانب المسلمين ولقد بدأت قريش فعلا كما يحدثنا التاريخ ارتياد حرم المدينة سرايا وكثائب استطلاعية تخرج الى هذه الاماكن مثيرة

أرقب المسلمين فى مشارف الهجرة وتتبع أحوالهم فى مساربهم وقف واعيا تجد أمة واعية يقظة جاء رسولها رحمة للعالمين وهاديا ومبشرا ونذيرا وتجد أيضا عناصر التفكك والهدم والزلازل الحاطمة تفور فى كيان الامم الاخرى فتكاد تقضى عليها ولكنها تمضى مناوئة حتى ولو كانت مهيضة الجناح .

لقد عاش المسلمون بقيادتهم ومع قائدهم فى مهجرهم الجديد فى المدينة وقد أووا اليها لا يبتغون ايداء لاحد وانما أووا اليها كما أوى الجندي الى قلعتة ، وهل يستطيعون أن يطمئنوا وحولهم اعداء وامامهم قوة هائلة لا يطمئنون اليهم وامامهم قوة هائلة تقربص بهم وتنتهز أسنح الفرص للانقضاض عليهم ، ان احزاب الكفر قديما كاحزاب اليوم تطارد المسلمين فى كل ناحية وتتبعهم فى كل قطر والمسلمون حقاً هم اولئك الذين يعيشون ايامهم يستعدون لدفع الاذى عن ساحتهم حتى لا تقتحم عليهم ديارهم من أقطارها ، والمسلمون فى مهجرهم أقدر على فهم هذا فقد تعلموا من السنين الغبر التى مرت بهم ومروا بها فى مكة المكرمة ان الضعف مدرجة الى الهوان مزلفة الى فتن لا يستطيعون دراها والانسان بطبيعته لا يقدر العاقبة الا بعد الانبلال من المرض فهل يعقل اذا أن يعيش المسلمون من غير أن يجذروا وظروفهم التى يعيشونها وجوهم الذى يحيونه انهم يتعقبهم العدوان ويحيط بهم الغدر فهذا محيد رسول الله يجرئ الشرك على واد دعوته بقتله واغتياله فى مكة ويجلسون فى دار الندوة لياخذوا قرارهم بذلك فلما حفظه الله منهم ورد عنه عدوانهم ليحفظ دعوته التى أراد لها النشر والذيع والانتشار لما حفظه منهم فعقبوه ألف ميل ليقاتلوه واحاطوا بالمسلمين ينهاون أموالهم ويخرجوهم من أرضهم وبلدهم ويشردوهم - واذا يملك الذين كفروا ليلبتك أويقتلوك اويخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين - الآية ٣٠ الانفال . ونار البغضاء للاسلام تعتمل فى صدور أهل مكة - كلهم لا يدخرون وسعا فى تشريدهم وايدائهم والشرك دائما لا يمل العدوان ومثله الاستعمار اليوم لايهدأ حتى يفرق الدول الاسلامية او يبيدها ويذهب أمرها بندا ويقضى عليها بالفرقة والتشريد او بتسليط بعضهم على بعض .

الذعر تريد أن تقضى على الاسلام بحد السيف وحدث
ان وحيدة من تلك الوحيدات وسرية من تلك
السرائيا سلبت بعض الابل من مراعى المدينة
ايداناً بشر بيئته القوم فما بد اذا من
التأهب لسطواريء تجيء والترصص لكل هاجم
والضرب على يد كل غاشم وتجهيز القوة التي يؤدب
بها المجرمون الذين يتطاولون على الحق واهله وهل
يقضى العقل الا بالذود عن الحياض ورد اللطمات
التي توجه الى وجه المسلمين ، والطعنات التي يطعنهم
بها الشرك . فليس الاسلام اذن دين سيف ولادعوة
قوة انما هو دين يحصى حقه ويرد المظالم عن اهله
ويقمع العدوان بل انه دين يكسر القوة بالقوة ويقضى
على العتاة الجبابرة لقد نزل القرآن بقوله تعالى
« اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على
نصرهم لقدير » .

فالقنات الذي شرعه الله سبحانه انما هو قتال
شرع للدفاع عن النفس وان ينتهي بانتفاء الدافع
اليه ان اعداء الاسلام بعامة والمستشرقين بخاصة
ليحرصون كل الحرص على ان ينفذوا خطتهم المدبرة
كمحاربة الاسلام والقضاء عليه بما نشره كذبا من
ان الاسلام انما قام بحد السيف وانتشر بالقوة
وكبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا .

أيها الاخوة المؤمنون ان الاسلام انما يحرص على
حق الله وعلى حق الحياة فكيف نستكثر على أمة
يحيط بها طغاة الشرك وبغاة الهدم الجزارون من كل
صوب أن تتعلم صناعة الموت يحيطون به عدوهم
ويرهقون به من لا تخيفه الا القوة .

ومن أجل هذا كله اتخذ الرسول صلى الله عليه
وسلم بعض الاحتياطات اذ كان من الضرورى أن
يعرف مايبيته له القوم فى كل أوقاتهم ولهذا كانت
الحاجة الملحة والظروف الطارئة تشير كلها الى خلق
علاقات ود مع القبائل تحمى الظهر وتشد الازر وذلك
كله مع القبائل المحيطة بالمدينة فأرسل النبى صلى الله
عليه وسلم سرايا وكتائب صغيرة يستطلع بها طلع
العدو ويستكشف بها حركاتهم ويتعرف بها
أحوالهم فأما أن يضمن حيادها وأما أن يضمن
صداقتها ومودتها فوق ما يضمنه صلوات الله وسلامه
عليه من احباط بعض الهجمات المفاجئة .

ان حركات الاستطلاع والاستكشاف التي قام بها
الرسول صلى الله عليه وسلم انما كانت فوق ما فيها
من التعرف كانت خدعة وتخويفا وارهابا ليتعرف
القوم ان محمدا ساهر لا يغفل وان القوم جادون لا
هازلون فاذا ما فكر العدو فى المباغة فكر وقدر
وبخاصة عندما تعرف المشركون هذا الحرص وهذه
البقطة من الرسول والذين معه مع معرفتها أن
تجارتهم بين مكة والشام تمر ببئر بقد تذكر قريش
ان تجارتها مصدر عزتها وأصل قوتها وأنه لو
اضطرب جبل الامن فى خطها قطعت عنها سبل الخير

ووقعت الواقعة وضاعت التجارة ودالت الهيبة وذلك
كله مما يدفعهم لتأجيل القتال وعدم الوقوع فيه فان
أمة الاسلام تريد السلام العادل للناس والخير المقيم
للانسانية فما تريد أن تفزع أحدا أو تهول الامر على
أحد الا بحق « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل
على الله » وآية ذلك انه ان الرسول كان اذا كلف فرق
الاستطلاع شدد عليهم الاوامر بترك القتال وتجنبه
نشرا للسلام فى الارض فهل من يريد نشر دين بالسيف
يفعل هذا ؟؟

اللهم ان الحق واضح أبليج . . والجواب صريح
واضح .

وفى اطار هذه المبادئ كان الرسول يرسل سرايا
تجوس خلال الصحراء ، فالتقى حمزة بن عبد المطلب
ومعه ثلاثون من المسلمين بباى جهل يقود قافلة قريش
ومعه ثلاثمائة راكب وكذلك سرية وسار بها فى ستين
راكبا الى واد رابغ والتقى بمائة مشرك على رأسهم
أبوسفیان .

وفى ربيع الاول من السنة الثانية خرج الرسول
نفسه على رأس مائتين من المهاجرين والانصار الى
بواط ليلقى عيرا لقريش يقودها أمية بن خلف ومعه
مائة من المشركين . ثم كان من كرز بن جابر الفهري أن
أتى الى المدينة واستاق سرحها فخرج النبى فى طلبه
حتى بلغ صفوان قريبا من بدر ولم يدركه الرسول
صلى الله عليه وسلم ولم يرد الرسول ارسال هذه
الكتائب والفرق الكشفية الا ان يشعر المشركين
واليهود والاعراب والضاربين فى الصحراء ان
المسلمين ذوو قوة وانهم تخلصوا من ضعفهم وأنهم
يذودون الان عن حياض الدعوة وأنه لن تصادر
عقائدهم ولن تسلب حرياتهم ولن تقتصب دورهم ولا
أموالهم وأنهم أصبحوا أمة قوية فأما أن تحيا فى الله
تنشر العدل والاخاء والمساواة وإما ان تموت فى
الله ، ومن ثم كانت تكذح مساءها وصباحها فى
عبادة الله والعمل من أجل الخير والحق والعدل
لتكون كلمة الله هى العليا « ليحق الحق ويبطل
الباطل ولو كره المجرمون » وقالواهم حتى لا تكون
قننة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما
يعملون بصير »

أيها الاخوة المؤمنين :

ان هذه الكتائب والفرق الاستكشافية قتل بها
الرسول نيات الطمع عند المشركين هبة للمسلمين
جميعا . وليست هذه كما ينظر اليها المستشرقون على
انها ضرب من قطع الطريق .

ترى ماذا فعلت السرايا وكيف كانت اللقاءات مع
جيش المشركين وكيف وقعت غزوة بدر التي دفعت
الباطل فدفعت الشرك وأهله وأراقت دمه وصرعته
وانتصر الحق على الباطل وهو ما سنتحدث عنه ان
شاء الله فى حلقة أخرى وبالله التوفيق ومنه التأييد .

« يا عبادى لو ان أو لكم وأخركم وأنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص الخط اذا أدخل البحر » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبد مسلم يدعو بدعاء الا استجاب له ، فاما ان يعجل له فى الدنيا ، واما ان يؤخر له فى الآخرة واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر مادعا ما لم يسدع بآثم أو قطيعة رحم » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليس شئ اكرم على الله عز وجل من الدعاء وأشرف العبادة الدعاء ومن لا يسأل الله يغضب عليه »

فالدعاء واجب امر به الله تعالى فى أى ذوات عدد من القرآن الكريم ، وهو يدفع البلاء ، يرد القضاء لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال :

« لا يرد القضاء الا الدعاء » . وهذا المذهب هو الصحيح ، وهو قول أهل السنة والجماعة ، فمن أبطل الدعاء فقد أنكر القرآن وردده ولا خفاء فى فساد قوله وسقوط مذهبه .

الانبياء والدعاء :

لما أصاب آدم عليه السلام من الشجرة ووقع فى المخالفة ندم وتاب الى ربه وتوجه اليه تعالى بالدعاء قائلا : « ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم نغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » .

فتاب الله عليه وأعطاه فى قوله تعالى :

« ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدي »

وهذا نوح عليه السلام حين بنس من قومه توجه الى الله تعالى بالدعاء :

« فدعا ربه انى مغلوب فانتصر ، ففتحننا ابواب السماء بياه منهر . وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر . وحملناه على ذات ألواح ودسر . تجرى باعيننا جزاء لمن كان كفر » .

وهذا سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام يتوجه الى الله تعالى بالدعاء :

« واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الأصنام رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تمنى فانه بنى ومن عصانى فإنيك غفور رحيم . ربنا انى أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

وقد استجاب الله له دعاءه كله ، وجعل من ذريته خاتم الانبياء والمرسلين محمدا عليه الصلاة والسلام ، ولذلك يقول محمد صلى الله عليه وسلم بمفخرنا :

الدعاء فى الإسلام

تفسيلا الشيخ زكى هشت السيد

الدعاء والاجابة :

واذا تصفحنا الايات التى وردت فى القرآن الكريم فى شان الدعاء نرى ان الله تعالى طلب الى عباده ان يتوجهوا اليه بالدعاء ، ووعدهم بالاجابة المطلقة ، ووعد الله لا يتخلف لكن على مراده تعالى لا على مراد الداعي ، فالدعاء نافع ولا يخيب فاعله .

ولذلك يقول القطب الكبير والصوفى الجليل ابن عطاء الله السكندرى فى حكمه :

« لاين تأخر امد العطاء مع الإلحاح فى الدعاء موجبا لياسك ، فالله تعالى قد ضمن لك الاجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره أنت لنفسك وفى الوقت الذى يريد لا فى الوقت الذى تريد » .

فهذه الحكمة النفيسة تعلن فى جلاء ان الله تعالى فعال لما يريد ، يعز ويذل ويعطي ويمنع لا يقهره شئ ولا يعجزه أمر .

« وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون » .

فعلى الانسان ان يدعو ربه ، بل ويلج فى الدعاء ، واذا تأخرت الاجابة فلا ينبغى ان يياس ، لان الاجابة من الله تعالى تتم على الصورة التى ارادها هو وفق عليه وحكمته ، وفى الوقت الذى يريد هو لا فى الوقت الذى يريده العبد فالله تعالى واهب الااء والتمع ، وصاحب الفضل والكرم بحيث لو أعطى كل انسان سؤلته ما نقص ذلك من خزان رحمة شيئا كما يوضح ذلك الحديث القدسى :

يجب الله تعالى من عباده ان يدينوا له بالطاعة ، ويفردوه بالعبادة ، ويخضعوا له فى كل امورهم ، ويسجلوا له قبادهم ويولوا اليه وجوههم فى كل شئونهم ويضربوا اليه دائما بالدعاء فى صغار الامور وكبارها فهو وحده الخالق والرازق وهو وحده القوى والقادر ، ولذلك نراه تبارك وتعالى يعلن هذه الحقيقة سافرة واضحة فى سورة الذاريات : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

ويقول جل شأنه فى سورة غافر : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » . ولا نزلت هذه الآية الكريمة قالت الصحابة :

يا رسول الله ، اقريب ربنا فتناجيه ام بعيد فتناديه ؟ فنزل قوله تعالى فى سورة البقرة :

« واذا سالك عبادى عنى : انى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

وهذا السؤال الواقع من الصحابة لا يقتضى جهلهم بالتوحيد لان الله تعالى منزّه عن القرب والبعد الحسين ، لانهما من صفات الحوادث ، والله منزّه عنها ، فمن ذلك حارت عقولهم ، فمقتضى احاطته بجميع خلقه وتصرفه فيهم كيف يشاء بوصف بالقرب ، ومقتضى تنزّهه عن صفات الحوادث جميعا بوصف بالبعد لان صفاته توقفية ، فاستئول عنه القرب أو البعد المعنويان لا الحسيان ، والا لذمهم الله على ذلك ولم يصفهم له .

الإسلام والحضارة العالمية

يقول الله سبحانه وتعالى (سنريهم آياتنا في الأفق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) • قد يبعد الأسلوب العلمي أو يقرب من حقائق الوجود الخفية وذلك بقدر ما يفتح له من الفتوح العلمية ولكن العلم إلى الآن لم يصل إلى جزء يسير وغاية ما وصل إليه في عصرنا الحاضر هو أنه لا يمكن أن توصف الطاقة العاملة في الوجود أو القوة الطبيعية كما يقول العلماء لا يمكن أن توصف تلك القوة بوصف مادي أو آلي على معنى المادية والإلية المعنى المحدود لهما كما كان يقرره انصار المادية والإلية من الفلاسفة ورجال العلم في القرن الثامن عشر والتاسع عشر حيث كانوا يجعلون من القوة مجرد ظاهرة للكتلة المادية ونتيجة من

اجنحته ارتفع وإن وافق أوقاته فاز ،
وإن وافق أسبابه نجح • فأركانه : —
حضور القلب مع الله ، والخشوع لله
والحياء من الله ورجاء كرم الله •
واجنحته : —
الصدق وأكل الحلال
وأوقاته : —
أوقات الخلوة والفراغ كالاسحار •
وأسبابه :
الصلاة على محمد صلى الله عليه
وسلم فإن الدعاء لا يرد إذا كان قبله
وبعد الصلاة والتسليم على رسول الله
أسالك يارب أن تجمع كلمة العرب
والمسلمين على الحق المبين ، وتهديهم
إلى الصراط المستقيم حتى يهتقوا النصر
المتشود ، ويرفعوا راية الإسلام عالية
خفاقة كما رفعها أسلافهم من قبل •
« ربنا آتانا من لدنك رحمة ، وهبنا
لنا من أمرنا رشدا ، أنك يارب على
ما تشاء قدير • وأنت نعم المولى ونعم
التصير » •

— استقبال القبلة ورفع اليدين
ويمسح بهما وجهه في آخره •
— خفض الصوت بين المخافة والجهر
لا يتكلم السجع •
— التضرع والخشوع والرهبة قال
الله تعالى : أنهم كانوا يبسارعون
في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا
لنا خاشعين » •
— أن يجزم بالطلب ويوقن بالإجابة ،
ويصدق رجاءه فيها •
— أن يلج في الدعاء ويكرره ثلاثا
ولا يستعطيء الإجابة •
— أن يفتح الدعاء بذكر الله وبالصلوة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد الحمد لله وللتناء عليه ويخ
كله أيضا •
— التوبة ورد المظالم والاقبال على
الله تعالى •
قال عطاء رحمه الله :
للدعاء أركان واجنحة وأوقات وأسباب
فإن وافق أركانه قوى ، وإن وافق

« أنا دعوة إبراهيم ، وبشرى عيسى
ابن مريم » وهكذا نسجدنا موسى عليه
السلام يدعو على فرعون ومائه وفي
سورة يونس تسجيل لذلك :

« وقال موسى ربنا أنك آتيت فرعون
وملأه زينة وأمولا في الحياة الدنيا ربنا
لنضلوا عن سبيلك ربنا اطهس على
أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا
حتى يروا العذاب الاليم • قال قد أجيب
دعوتكما فاستقبيا ولاتتبعان سبيل الذين
لا يعلمون » •

ويروى أنه كان بين دعاء موسى
واجابة دعونه مدة أربعين سنة •

وفي سورة الانبياء تسجيل لادعية
بعض من الانبياء والمرسلين حيث يقول
جل شأنه :

« وأيوب إذ نادى ربه انى مسنى
الضر وأنت أرحم الراحمين • فاستجبنا
له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله
ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى
للمعابدين • وإسماعيل وإدريس وذا الكفل
كل من الصابرين واذخلناهم في رحمتنا
أنهم من الصالحين • وذا النون إذ ذهب
مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى
في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك
انى كنت من الظالمين • فاستجبنا له
ونجينا من الغم وكذلك تنجى المؤمنين •
وذكرنا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا
وانت خير الوارثين • فاستجبنا له ووهبنا
له بحبي واصلحنا له زوجه أنهم كانوا
يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا
ورهبنا وكانوا لنا خاشعين والى احصنت
فرجها فتفخنا فيها من روحنا وجعلناها
وابننا آية للعالمين » •

وفي ختام سورة البقرة صورة مثالية
رائعة في التوجه الى الله تعالى بالدعاء
علمها الحق تبارك وتعالى لحمد صلى
الله عليه وسلم ولأمته حيث يقول جل
شأنه :

« لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها
ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا
تؤاخذنا ان نسينا أو أخطانا ربنا ولا تحمل
علينا اصر كما حملته على الذين من قبلنا
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف
عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين » •
آداب الدعاء :

قال امام ابو حامد الغزالي في الاحياء
آداب الدعاء عشرة :

— أن يترصد الإنسان الازمان المشرفة
كيوم عرفة ، وشهر رمضان ، ويوم
الجمعة ، والتالت الاخير من الليل ووقت
الاسحار •

— أن يفتح الأحوال الشريفة كحالة
اليسجد ، والنقاء الجيوش ، ونزول الغيث
واقامة الصلاة وبعدها •



الأسلوب العلمى والحقائق الوجودية

الأستاذ محمّد أبو الفيتة النوفى

العلم يا ترى يثبتون ان القوة والفكر والحياة مجسّد آثار آلية ظاهرية للمادة وهذا لا يكون قط الا بأسلوب فلسفة مادية مسفسطة متهاقنة قد مضى وقتها وذهبت عصورها حالة أن المادة اليوم بسائر أجزائها وخصائصها وسائر صورها فى نظر العلم الصحيح المجرّد عن الغايات والميول ظاهرة حائلة كغيرها من المظاهر الكونية التى تنشئها وتحلها ثم تحولها الطاقة الذرية وذلك هو منطق علم اليوم ورأى علماء العصر وهى أيضا نزعة الفلسفة المحدثّة فالرأى القديم فى حقيقة المادة أصبح بلا قيمة علمية لا سيما وأن فى الوجود غير المادة وغير القوة أيضا سننا وقوانين ونظما خفية مازال العلم يجد فى سبيل التعرف الى ماهيتها وما وراءها من آفاق متسامية .

على أنه كلما تقدم العلم خطوة فى هذا السبيل الى الامام فوجيء بزمر متعددة من الحقائق بل قل من اللغز والاحاجى فى نظر العلم على الاقل وتلك الحقائق او قل الرموز الغيبية التى تدهش العلم والعلماء دون أن ينالوا منها بتجاربيهم الحسية لانها تتصل بأفاق قسم ما بعد الطبيعة من الفلسفة بل قل انها تتصل بأفاق الروحية أو قل ما تشاء من هذه المعانى التى تنقلب معه فروض العلم التى كانت مقررة فيما سبق من أزمان تنقلب الى مجرد احتمالات محضة لا يحتل العلم الحاضر تحقيق كنهها وذلك طبعاً ما لا يتركه علماء العصر الحاضر .

ومن مقررات العلوم الحديثة عن تصرف الذرة ان ذلك التصرف احتمالى محض لا يعلم مداه ولا تعرف غايته الا احتمالاً وهذا يشعر بل يؤكد بان مصائر الكائنات بما فيها من طاقة وقوة وقوانين ومادة كلها تمت الى ارادة عليا خفائية مسيطرة وكلها تتوحد فى لوازم ارادتها الحرة فى صيرورة كل كائن جسامد او ناطق او شاعر .

تلك العوامل الوجودية بل كل العوامل الالهية الخفية تكمن وراء كل ماتعرفه الفلسفة وكل مايعرف العلم من ظواهر الوجود .

ثم ان هذه الحقائق والعوامل الخفية او الالهية تبدو خلال أستار الكائنات والحادثات والقوانين كأنها قوى دراكّة مريدة تحدد برون المظاهر الطبيعية بمقدار وتقنين وفى آناة وسرعات تقررها هى .

ثم انها وراء ذلك تتفنن فى تحويل العناصر وتشرف على ضبط ما يتركب منها بحسبانه وتقدره كيميائية وطبيعية تقديراً تلقائياً وان كان مضبوطاً ثم تحوله فى النهاية بتشفع الكتلة المادية الى ذرات خفية بين نويات وكهربيات سلبية وايجابية ومحاييدة الامر الذى لا يعلى ولن يعلى الا بوجود خيرة ذاتية وقدرة بالغة وإدراك سام يسودان هذه الكائنات جميعها ولا تعليل لما قدمنا فى منطق العقل والحس مع الوجود اله حر الإرادة مسيطر يرتب وينسق ثم يظهر الحوادث الكونية فى ظروف خاصة او عامة يعلمها هى وفى أحوال ملائمة يضع نسقها وترتيبها بارادته المطلقة .

نتائجها مع أن (القوة) على ضوء الكشف النوية الحديثة فى أعماق حقيقتها كائن غيبى لا تزال ماهيته مجهولة للعلم نفسه .

وكذلك الحياة التى كان يرى أنصار المادة أنها مجرد تفاعل كيميائى أو ظاهرة فزيولوجية لأوليات معدنية من المادة ، مع أن الحياة كما نفهمها الان ويفهمها العلم الحديث لا يمكن أن تنشأ الا عن مبدأ حى كما هو الرأى اليوم على ما يقرره الصفوة من علماء الحياة وعلماء الجراثيم وكبار علماء الطبيعة من أمثال كوخ وباستير وغيرهما

وكذلك الفكر الذى كانوا يرون أنه مجرد افراز لعضو من الجسم هو المخ كما تفرز بقية الاعضاء سوائها مع أن الكون جميعه اليوم فى نظر علماء الرياضيات يبدو كأنه محض معادلة رياضية عقلية ، على أن الفكر يحيط فى لحظة واحدة بجميع العوامل الكونية وهو بذلك النعت التجريدى أولى .

والراجع : أن القوة والحياة والفكر كلها حقائق تجريدية غيبية لم يصل العلم بتجاربه المعروفة التى كان كل اعتمادها على مجرد الحواس الخمس ومجرد المجهر والمشرط والمنطرقة . الخ واليوم يقرر العلم نفسه انها أسرار لم يصل بعد الى كنهها وان كان يعترف بوجودها وفى الحق ان تلك الحقائق الوجودية - القوة والحياة والفكر - لا تكتشف الا بوسائل ومقاييس معنوية تتناسب مع حقائقها الجوهرية لانها جميعاً وراء متناول أدوات العلم الطبيعى ومقاييسه الحسية بل ومجموع اسلوبه الحسى الا انه بعيد كل البعد عن ماهيتها أو خصائصها والبحث عنها ليس من وظيفته ولا من موضوعه التجريبي المادى وحسبه اعترافاً بالحق أنه لا ينكر وجودها بل أنه يعترف بوجود آثارها كحقائق علمية موضوعية . فمن أين يا ترى جاء محدثو الماديين ودعاة الهزيمة للعلم بتلك النظريات المهلهلة الخلفة التى لا تنطبق على الواقع ؟ وبأى مصوغ من

هذا ما يختص بالطبيعة وأما ما يختص بالادراك والتعقل فان للعقل سننه وقوانينه ومنطقه المنظم لجمال تفكيره وله أوليات عقلية هي البداية الكونية التي يستمد منها العقل أصول قضايها ونتائجها وهو أى العقل متجاوب ضرورة فى سنن تفكيره مع معانى الادراك الالهى المطلق فى الوجود ذلك الادراك الذى يستمد منه العقل بدائمه العقلية *

وكل هذا يدل على أن وراء المادة والقوة والادراك ووراء السنن والقوانين وسائر ما يخضع له الكون الطبيعى من نظم وما يبدو فيه من قوى وتطورات أن وراء كل ذلك ضرورة وجود علة الهية عليا متوحدة مدركة ومريدة وفعالة فى وقت واحد وهى (الله عز وجل) فى سائر جلاله وكماله وتوحده المحض فى الفعل والمشئنة توحداً يوجب تنزيهه عن سائر هذه الممكنات قاطبة *

وقد تبدو أضواء تلك الحقيقة وأنوارها مشرقة لكل قلب سليم ويتذوقها كل ذى ادراك مستقيم وما يدرك بالذات والبصيرة دائها هو فوق سائر المدركات التى تبدو فى الكون من غير هذا المجال الذاتى من محسات الكون ومعقولاته وقوانينه ونظمه ومنها هنا - ومن وراء أستار تلك الكائنات المحسنة ومعها الكائنات المعقولة تبرز النبوة بالوحى وتنبع أسباب الولاية بالالهام وتظهر معانى العبقورية فى الفن والادب وروعة الشعر *

وأخيراً تبدو هشة الفلسفة وحيرة العلم فيما يفتح عليه كل يوم من آفاق بعيدة لا يدرك لها مدى ولا يبلغ لها من نهاية *

على أن كل ما يبرز أو يبدو فى الكون من حياة أو وعى أو ارادة أو جمال تتجلى كلها من لدن حقيقة الوجود لكفائتنا العقلية والوجدانية العليا كأنها نعمت وخصائص أصلية لكائن اسمى يبدولنا أنه مطلق الارادة حر الفاعلية يشمل اقتداره وابداعه وجودنا ووجود كل شئ فى الكائنات *

ودليل ذلك أن الوجود فى شموله مع ما يبدو فيه من كثرة وتعدد يمثل لأدراكنا الذاتى وحدة شاملة لا مناص منها ولا محيد وتلك الوحدة مؤلفة الروابط والعلاقات وإن تفاوتت فى النسب والاضاع والكيفيات والوظائف مما يدلك دلالة صريحة وموجبة لليقين وقاطعة للشك على أن أصلها ومبدعها سبب واحد اولى لا شك فى وجوده وهى (الله) وقد صدرت عنه هذه الكائنات بطريقة تدلنا على أنه كان يدرك ما يفعل قبل أن يفعل وبعد أن يفعل بحيث تصير اليه أيضا نتائج ما أراد وما فعل *

الا ترى ان وضع الكون فى نظامه المعهود والمشهود علوية وسفلية وسمائية وأرضية قد وضع على أسلوب يجعله ككم واحد متناغم الوحدات مترابط الحلقات متصل الاسباب بالنتائج حتى كأنه فعل مدرك واحد وذلك هو الواقع فى جليلة الامر وخفيه وذلك الكائن الواحد وهو الله [قد جعل الكون يبدأ ثم يتطور

ويترقى اليه كهدف خاص للمجموع مما يدل على أنه يرجع الى حقيقة مطلقة لا يدرك العقل لها غورا ولا يعلم العلم لها نهاية) (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) *

فوجود الاله الحق الواحد الاحد بالنسبة للكائنات كوجود المركز الضرورى لوجود الدائرة التى لا يمكن وجودها الا به ، فهو الله وهو مفيض الحياة وهو مبدع القوة وخالق المادة

وفى مثل تلك المعانى المتسامية يقول الفيلسوف رويس (ان الكون الاكبر كالانسان له جسد وروح : اما الجسد فهو عالم الطبيعة ، وأما الروح الذى يسيره هنا وهناك ويبحث فيه الحركة والحس الكونيين فهو (الله) ذلك الكائن الاعلى الاعظم الذى لا يماثله كون ولا روح) *

ويقول أيضا السيد وليام جيمس فى نفس هذا المعنى (ان الطبقة رمز تنطق به الروح نطقا واضحا وما العلم المادى سوى التعبير عن وجود عالم روحى يكمن وراء كل ما يعلمه العلم وقد تشرّب الى ادراكه الفلسفة *

ويقول العلامة ادوار دكايرد فى وصف حقيقة الدين والتدين (ان الدين فى الانسان هو التعبير الحقيقى عن اقصى حالة عقلية نعمل بها وجود الكون وهو المعنى المجمل لما يبلغ اليه ادراك الانسان الكامل الوعى من معرفة حقيقة الوجود

وأخيراً يقول أرنست رينان فى بقاء التدين وعدم اضمحلاله أو تلاشي (من الممكن أن يضمحل ويتلاشى كل شئ عنده من ملاذ الحياة وتعيمها ولكن من المستحيل أن يضمحل أو ينمى الدين من الوجود)

وذلك لان التدين نزعة فطرية مغروسة فى جبلة الانسان منذ خلقه الله وتريد الانسان مطلقا حتى الانسان المشكك والمحد والطبيعى والمادى وذلك لان المحد مثلا قد اتخذ دينه الاحاد كيقينية يدين لها ويدافع عنها ويجاهد فى سبيل نشرها كما يجاهد الرجل المتدين فى اثبات دينه أو نشره وكذلك المشكك فان قيام الشك فى نفس الشاك عبارة عن تردد يدور فى سبيل حقيقة يراود تحقيقها أو اعتقاد وجودها وحتى الشك المطلق يعتبر ديناً لمن يشك شكاً مطلقاً فيكون دينه الشك المطلق *

وهذا غير شك الرجل الذى يشك ليصل الى الحقيقة ويكون غرضه الوصول اليها فمن الواضح أنه يبحث عن اليقينية فيما يعتقد انه صواب *

وكذلك الرجل الطبيعى والمادى الذى ينسب الى الطبيعة أو الى الماركة كل أمر ظاهر وكل سبب خفى فان ذلك هو دينه الطبيعى الذى يعتنقه ويدافع عنه وان كان كلا الرجلين يدافع عن حقيقة موهومة ويدين لاله وهمى ويقول الله سبحانه وتعالى (أغير دين الله يبلغون وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون) *

دور الدين في تاريخ الزعامة المصرية

فضيلة الشيخ عطية صبر

انتقلت الى اليونان والامم المجاورة . وقد ذكر الاستاذ « انتونيادى » أكثر من ثلاثين نوعا من العلوم والفنون أخذها اليونان عن مصر ، منها الارقسام العشرية ونظرية المتواليات الهندسية ، والساعات المائية ، ونظرية خلق العالم وخلوده ، والبروج النجومية ، وكروية الارض والشمس والقمر ، وقد اعترف هيرودوت بأن الهندسة اكتشفت في مصر ثم ذهبت الى اليونان . ومن أعظم من زاروا مصر واستفادوا منها : فيثاغورس وديمقراط ، وبلاتون ، وأرسطيدس وغيرهم ، ولكل منهم شهرته العالمية التي كان أساسها حضارة مصر .

وفى الوقت الذى دخلت فيه المسيحية مصر على يد رسل المسيح كان لمصر شأن كبير ، فى رفضها لوثنية الرومان ، ووقوف المؤمنين صففا واحدا أمام الاضطهاد ، وعصر الشهداء الذى قتل فيه دقلديانوس كثيرا من المسيحيين « سنة ٢٨٤ - ٣٠٥ م » مشهور ، اتخذ الاقباط مبدأ تقويمهم تخليدا لذكرى البطولة المصرية أمام اضطهاد الرومان المستبدين ، لقد تأسست فى النصف الاخير من القرن الاول مدرسة الاسكندرية للتعليم المسيحى ودراسة العلوم القائمة اذ ذاك للرد على الطعون الموجهة الى الدين ، وتخرج من هذه المدرسة كثيرون ، ووفد اليها علماء من الهند ، ونشأت فيها الافلاطونية الحديثة ، وهى المذهب الفلسفى المشهور ودرس فيها الطب ووضع له مصطلحاته التى ما زال كثير منها معروفا الى اليوم ، ولشهرتها وفد اليها الكثيرون من طلاب المعرفة كجالينوس العالم المشهور الذى ظهر فى القرن الثانى

ان الناظر فى تاريخ مصر منذ عهد الفراعنة الى العصر الحديث يرى أن للدين دورا كبيرا فى هذه الزعامة التى حظيت بها مصر فى المحيط العالمى على سعته ، والدين باى لون من ألوانه عامل مهم فى صيغ الحياة البشرية بصيغة خاصة ، والمعتقدات ايا كانت قيمتها هى التى تشكل سلوك الناس وتضع لهم المنهج الذى يسبغون عليه فى شئونهم العامة والخاصة .

وقد كان الدين عاملا مهما ، بل من أهم العوامل ، ان لم يكن أهمها ، فى جعل مصر تتبوأ مكان الزعامة فى الحضارة بكل فنونها ، وفى اقبال العالم المعروف من حولها على تشرب هذه الحضارة ونقلها والافادة منها ، يحدثنا مؤرخو الحضارة المصرية أن تنظيم المملكة القديمة وتقسيمها الى مقاطعات كان على أساس من الدين الذى جعل لكل مقاطعة الها خاصا بها ، وأن بناء الاهرام على هذا الشكل أوحى به فكرة دينية كانت تقول : أن « نون » اله الشمس ظهر على تل مرتفع ووقف على حجر هرمى الشكل ، فأصبح هذا الشكل رمزا مقدسا بنوا عليه اهرامهم التى حفظوا فيها أجسادهم ، اعتقادا أيضا منهم بأن هناك حياة آخرة يقوم الميت بعد دفنه بنعم بما يرى من مظاهر المتعة التى جمعوا ألوانها حوله ، وبخاصة أطيب الطعام ، وهذه العقيدة هى التى جعلتهم يفكرون فى التحنيط الذى تحفظ به الاجساد والمواد الغذائية ، والذى بقى سرا لم يدرك شأوه علماء اليوم بكل ما لديهم من امكانيات .

ان هذه العقيدة أوحى اليهم بمظاهر شتى من العلوم والحضارة وفنون العمارة والنظام ، ومنها

الازهر حفظت علوم الاسلام من الضياع ، وبفضلها بقيت اللغة العربية قوية صامدة أمام محاولات الطغاة الذين حاولوا فرض لغاتهم على المصريين وغيرهم من أهل الدول التي جرفها تيارهم الاستعماري الشديد ، وبفضل الازهر علمائه وطلابه وقف الشعب أمام ظلم المهالك ، وبقوته وحصانته تعثر جيش نابليون ولم يمكن له من هذه الديار ، فرحل بعد ثلاث سنوات لم يذق فيها طعم الراحة ، ولم يستطع أن يحقق حلمه في متابعة الفتح لانشاء امبراطورية فرنسية يزعم بها نفوذ المستعمرين الآخرين وبفضل الازهر الذي اختار واليا على مصر بدل الولاة الظالمين اتسعت رقعة البلاد وبسطت نفوذها على الدول المجاورة واهتزت لها دول أوربا التي رأت فيها قوة جبارة تحطم آمال المستعمرين ، فوقفوا ضدها وقضوا على استولائها في « نوارين » ووضعوا العقبات في سبيل قوتها حتى لا تقوم لها قائمة بعد .

وبفضل التربية الدينية التي غرسها الازهر وقف الشعب أمام الحكام الذين تواطؤوا مع الانجليز في أواخر القرن الماضي ، ومن أبناء الازهر شار سعد زغلول ثورته على الاستعمار ، ومن فوق منبر الازهر وقف الثائر البطل المرحوم جمال عبد الناصر وقفة الصمود أمام محاولات الاستعمار .

هذه النظرة السريعة ترينا الى أي حد كان دور الدين في حياة مصر وزعامتها للشرق وللعرب وللإسلام في كل مكان . وهي ترينا أيضا أن بقاء هذه الزعامة مرهون بالحفاظ على هذا الدين الذي يتولى الازهر تعليمه ونشر هدايته على العالم كله ، ذلك أنه هو الدين الحي الذي يساير التطور الصحيح ، ولا يقف أبدا حجر عثرة في طريق النهوض ، بل هو يدفع المسلمين دفعا الى الأخذ بالاحسن من كل شيء ، والاقبال على العلم واستخدامه في خير البشرية ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . أنه هو الدين الذي يدعو الى التحرر والاستقلال ، والعزة والكرامة ، ويمقت الظلم والاستبداد وينادي بالتعاون المثمر والعمل الجاد لخصب الحياة ، أن الدين هو العزاء النفسي عندما تتأزم الأمور وتضيق الحلقات ، وهو البليسم الشافي لجراحات القلوب واضطراب الأعصاب ، والحياة مليئة بالمفاجآت التي لا يصمد أمامها إلا الدين بقوته وقديسيته وصلته .

أن الرابطة القوية التي تربط مصر بالعالم الإسلامي كله هي الدين ، ولو أننا نتبعنا شعور الناس في رمضان بالذات وهم يستمعون الى قراءة القرآن من مشاهير القراء الذين يوفدون من مصر الى الدول الإسلامية ، وحين يستمعون الى المحاضرات التي يلقيها المبعوثون المصريون في الندوات والمصافل ، نوجدنا أن مركز مصر في قلب العالم له قدسيته واحترامه ، وهو يقوى ويزداد قدسية واحتراما كلما جعلنا الدين شعرا لنا في كل تحرك! لنا في جميع أحيادنا ، ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم ، والله الهادي الى سواء السبيل .

الميلادى ، وظل مركز مصر الدينى قويا بين كنائس العالم ، ففي العصر الذى اشتد فيه الجدل الدينى منذ القرن الرابع الميلادى عقدت المجامع العالمية « المسكونية » وكانت رياستها فى الغالب لبطاركة الكنيسة المصرية .

وعندما فتح عمرو بن العاص مصر ، دخلت مصر التاريخ من أوسع أبوابه ، وظلت من يومها الى عصرنا الحاضر مركز اشعاع للحضارة على العالم كله ، ومنطلق الحركات التحررية التى شهدتها التاريخ ، لقد كانت قوة العقيدة الدينية قبل كل شيء هى العامل الاساسى فى فتح مصر وتغلب المسلمين على جيوش الرومان وسقوط حصن بابليون ، والتاريخ يذكر أن أربعة من أبطال العرب هم عبادة بن الصامت والمقداد بن الاسود ومسلمة بن مخلد والزبير بن العوام ، أرسلهم عمر بن الخطاب مددا لجند مصر المحاصرين للحصن ، وقال : ان كل واحد منهم بآلف ، فتسلقوا جدران الحصن وأخذوا يقذفون بقنايل التكبير من أفواههم تدفعها حرارة الايمان فى قلوبهم حتى رفع العدو يده بالتسليم ، ومن يومها بدأ الزحف العربى يحمل رسالة الدين والحضارة يخطو خطواته الواسعة نحو شمالى افريقية متتبعا آثار الظلم والاستعمار ، حتى طهر البلاد وأقام فيها قواعد الامن والسلام ، وتحدى قائدهم عقبة بن نافع بحر الظلمات « المخطط الاطلسى » فى غرب افريقيا ، مقسما انه لو يعلم ان هناك أرضا وراء هذا البحر لخاضه حتى يصل اليها ناسرا كلمة الله . ثم يجيء من بعده موسى بن نصير وطارق بن زياد لتحقيق ما كان يحلم به عقبة فيتخطى المسلمون الى الاندلس ويقيمون فيها دولة ذات حضارة مجيدة رائدة ، أصبحت هى المفتاح الذى فتح عيون أوربا على الحضارة والمدنية ، فاقتبسوا من الاندلس علوما وحضارة ، نقلوها الى بلادهم التى كانت تتخبط فى ظلمات الجهل والتأخر والوحشية ، وكانت من علوم ابن رشد وغيره مشاعل الهداية لحركات التحرر الاوربية والانطلاقة الواسعة التى تزعموا بها العالم بعد ، وكان ذلك كله بركة من بركات مصر التى فتحتها عمرو ، وصارت بعد ذلك مركزا يمد كل حركة بالقوة والتوجيه .

لقد ظهرت فى مصر دولة قوية فى القرون الإسلامية الاولى هى الدولة الفاطمية ، التى أنشأت الجامع الازهر فكان منارة للعلم والثقافة ، شعت منها المعرفة الإسلامية وما زالت تنشع الى يومنا هذا على العالم الإسلامى كله ، فانتقل اليها النشاط الثقافى الذى اشتهرت به من قبل دمشق وبغداد وقرطبة ، واوى اليه اقطاب العلم من العالم الإسلامى كله ، فى فترة جرف فيها الطوفان التترى معالم الحضارة فى البلاد الإسلامية ، وصارت مصر قبلة الانظار ومحل الرخاء عندما تدلهم الخطوب ، فيفضل جيشها وقف زحف المغول عند عين جالوت ، وبفضل قادتها انكسرت شوكة الصليبيين فى حطين وغير حطين ، وبفضل

التوكل اظهار المعجز أمام قدرة الله والاعتماد عليه دون الاغتيال
 • ان الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم ، فادعوهم
 فليستحيوا لكم ان كنتم صادقين .

ولا يمكن التفريق بين الاقرار لله تبارك وتعالى بالوحدانية
 والتوكل عليه ، فلا وحدانية بغير توكل ولا توكل بغير وحدانية ،
 ولذلك قرنها القرآني في باب واحد وبعبارة واحدة من كتابه
 الاحياء .

فالوحدانية هي الايمان بالقلب بان الله واحد احد فرد صمد ،
 لم يتخذ صاحبة ولا ولداً . . . اليه وحده المرجع في كل مادي
 وجل ، عظم أو حقير أو قل كبير أو صغير من مطالب الخلق
 في الحياتين الاولى والاخرى .

والتوكل عليه هو الايمان بالقلب كذلك بأنه الكفيل وهذه بكل
 شأن من شؤون عبادته .

• واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه .
 • وتوكل على الحي الذي لا يموت .
 • وان يخلكم فمن ذا الذي ينصرم من بعده وعلى الله
 فليتوكل المؤمنون .

وقد ورد لفظ التوكل ومشتقاته في القرآن الكريم أكثر من
 خمسين مرة ، ويلاحظ في بعض هذه الآيات أن كلمة التوكل فيها
 تجيء بعد أن يقوم العبد بحركة مطلوبة منه كسبب والا انقلب
 التوكل انكالا يرفضه الشرع .

• فاذا عزمت فتوكل على الله . . ان الله يحب المتوكلين .
 • ولنصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون .
 • الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون .
 • واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون .
 • فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً .

وانه في بعض الآيات الأخرى يسبق أو يلحق بإيمان للدلالة
 على صدق التوكل .

• ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين .
 • فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .
 • وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين .
 ونمعدت في القرآن الانابة الى الله مقرونة بالتوكل .
 • وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب .
 • ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب .
 • قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب .
 • ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير .

ويسبق القرآن التوكل في مجال تثبيت العقيدة فيدعو المؤمنين
 الى عدم الجلالة بالكافرين بالكتاب والحكم والنبوة .

• فان يكفر بها هؤلاء ، فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين .
 • فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت .
 • فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاكم .
 • وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله ، وعلى الله
 فليتوكل المؤمنون .

• فتوكل على الله انك على الحق المبين .
 • ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله .
 والتوكل طريق الله الى النجاة من الفتنة .
 • فقالوا على الله توكلنا ربنا لانجعلنا فتنة للناس .
 وطريق الله الى كفاية هموم الدنيا .
 • ومن يتوكل على الله فهو حسبه .

وطريق الله الى زيادة الايمان .
 • واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون
 وطريق الله الى حفظ المؤمنين من سلطان الشيطان
 • انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
 وطريق الله الى ثواب الآخرة

• وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون .



التوكل

على

الله

الأستاذ عبد المنعم ابراهيم



● من فقه الرجل أن يصلح معيشته ، وليس من حب الدنيا طلب ما يصلحك ، وخيركم من لم يترك آخرته لذنيه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلا على الناس .

وهذا التوجيه النبوي الكريم مستمد من القرآن .
● وأبغ فيها أباك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك .

● قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة

أن التوكل كما يفهمه الاسلام سلوك ايجابي ، فليس رباطة الجأش وثبات الجنان عند الشدائد اعتمادا على الله وتوكلا عليه الا نتيجة لإيمان راسخ ، يهزم القوى المادية مهما تكن خطورتها

عن جابر : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة ، فاختطفه فقال : تخافني . قال : لا ، فقال فمن يمنعك مني . قال : الله فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله السيف فقال من يمنعك مني . فقال كن خير آخذ . قال : تشهد الا اله الا الله وإني رسول الله . قال : لا ، ولكني أعاهدك الا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقساؤنوك فخلى سبيله .

« وقت الاضحية »

عن أنس [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان ذبح قبل الصلاة فليعد » .

وللبخاري « من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه » ، ومن ذبح بعد الصلاة فقد أتم نسكه وأصاب سنة المسلمين » .

وعن سليمان بن موسى عن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل أيام التشريق ذبح » .

وأيام التشريق هي يوم النحر وثلاث بعده . روى في الهدى عن علي عليه السلام أنه قال : أيام النحر هي يوم الاضحية وثلاث أيام بعده .

« كيفية التصرف في الاضحية »
الافضل في الاضحية ان تقسم الى اثلاث :

ثلث للصدقة ، وثلث للادخار ، وثلث للأقرباء والأصدقاء .

ولن تجد في أي من هذه الايات الكريمة التي سقناها فيما سلف الا ايجابية وسلوكا عيالا في مواجهة الحياة ، اذ هي تحتم الصبر والعزم والتقوى والايان في كل مايأتي المؤمن ويدع من الامور ، ثم يترك الغاية الى الله .

من هنا دعا القرآن الى العمل الذي هو اعظم وسيلة من وسائل التكسب ، وبأن يعمد الكسب الموروث أو بمعنى أدق الميراث ، فالاسلام لا يعرف للكسب غير هاتين الوسيلتين .

● هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في ملكيها واكلوا من رزقه .

● فانتشروا في الارض وابتنوا من فضل الله .
● ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش .
● وجعلنا النهار معاشا .
● ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة .

والاسلام يرسم لاوليائه في مجال الحصول على المعيش طريقا وسطا لا يتبتل فيه ولا تسكالب ، فهو حين يدعوهم الى التكسب يحذرهم من التبتل وهو حين يدعوهم الى القصد يحذرهم من التسكالب ونسيان الله .

● ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك ماواههم النار بما كانوا يكسبون .

● من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لايخسرون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون .

التوكل في السنة

وعلى هذا النهج القرآني جاءت السنة المطهرة ، يقول صلى الله عليه وسلم :
● لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خالصا وتعود بطائنا .

● من انقطع الى الله عز وجل كفاه الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها .
● من سره أن يكون أغنى الناس ، فليكن بما عند الله أوفى منه بما في يديه .

● من كانت الدنيا همه ، ففرق الله عليه امره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأنه من الدنيا الا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة همه ، جمع الله له امره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة .

وكان عليه السلام يعالج الخصاصة بالصلاة استجابة لقوله تعالى :

● وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى .

وروى الغزالي ان بعض العلماء قال : لا يشغلك المضمون لك من الرزق من المفروض عليك من العمل فتضيع امر آخرتك ، ولا تنال من الدنيا الا ما كتب الله لك .

من هذا يتكشف ان الاسلام يدعو الى الوسطية بين التسكالب على الدنيا ، والاعراض عنها ، ونعني بالاعراض التبتل أو الرهينة ، وذلك حين دعا الرسول عليه السلام الى التقليل من شأن الدنيا ، انها دعا ليربط بين المؤمن وربه ، وليجنبه نسيان الله بسبب الانتكاب عليها ، ولكنه دعا في نفس الوقت الى العمل لان الحياة لا تقوم الا به ، ولأن كرامة الانسان وحرية وعزته لا تتحقق الا عن طريقه ، بل ان الدين نفسه لا ينتصر بغير العمل والمال والنضحية .

● ان الله يحب العبد المحترف .
● من الذنوب ما لا يكفره الا السعي على العيال .
● ما أكل ابن آدم طعاما خيرا من عمل يده .
● لان يحتطب أحدكم بغاسه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه .

باب الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ
يَأْتُوكَ رِجَالًا ، وَعَلَى
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ
مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

الحج في الإسلام

الأستاذ عبد النعم صمادة

السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار .

والله الذي خلق هذه الأرض اختار فيها بقعة طاهرة تشخص إليها الأبصار ، وتهفو إليها الأفئدة ، وتتعلق بها الآمال ، هي مكة ، ذلك البلد الطيب الذي بارك الله حوله وأشاد به في كتابه العزيز حيث يقول : « **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مِنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** » .

والله القوى العزيز الذي بيده ملكوت السموات والأرض حين جعل بيوته في الأرض المساجد ليذكر فيها اسمه ، ويعلى ذكره ، وتنتشر منها دعوته ، قد اختار لها مسجدا جامعيا يكون لها إماما ، تشد إليه الرحال ، وتطوى الأرض بغية الوصول إليه ، وتشخص الأبصار رغبة في تكحل الأعين برؤيته ، والتمتع بتقليب النظر بين أرجائه ، فهو أقدم المساجد التي أقيمت على هذه الأرض ، ذلك هو البيت الحرام الذي يقول فيه عز وجل : « **إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِمَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ** . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » .

وتقول كتب السيرة والمراجع إن أول من قام ببناء هذا المسجد الحرام هو آدم - عليه السلام - فقد جاء

الحمد لله الذي خلق الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا ، وجعل أحبهم إليه ، وأقربهم لبره وعطفه ، واستحقاقا لكرمه ورضاه ، أكثرهم إيمانا به ويقوته وجبروته ، وعفوه ورحمته ، أنه هو الرحمن الرحيم . وجعل أكثرهم أهلا لغفرته ، أكثرهم تقربا إليه ، وأحرصهم على اتباع شريعته ، وأشدهم استمساكا بأوامره وبعيدا عن نواهيه . . والله تعالى يقول : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** » ، أن أكرمكم عند الله اتقاكم » . نحمده حمدا لا مزيد عليه ، ونصلي صلاة دائمة لا تنقطع على نبيه المصطفى الذي بعثه ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وأنزل عليه الكتاب ليبينه للناس وينتشلهم من الظلمات إلى النور ، ويأخذ بيدهم إلى طريق الخير والصواب ، مصداقا لقوله عز وجل : « **وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِقَوْمٍ لَهُمْ الذِّكْرُ أَهْلُوا** » فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » وقوله : « **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ** » .

أما بعد : فإن الله الذي خلق الأرض وما عليها من زروع خضر يانعة وأشجار متفرعة عالية ، وجبال شامخة ، ووديان منخفضة هابطة ، وأنهار عذبة جارية ، وبحار ملحة هادئة تارة ، وتارة ثائرة ، ومحيطات واسعة مزيجرة صاخبة . خلق الإنسان وميزه ، وأدبه فأحسن تأديبه ، وأكرمه ونعمه ، وجعله خليفته في هذه الأرض ليعمرها بجده ونشاطه ، ويسخر ما فيها بعقله وتفكيره ، ويسير شئونها بعلمه وتجاربه والله سبحانه وتعالى يقول : « **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ**

في دلائل النبوة للبيهقي حديث يرجع الى عبد الله بن عمر يقول فيه : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث الله عز وجل جبريل الى آدم وحواء فقال لهما ابنيما لي بيتا جديدا ، فخط لهما جبريل - عليه السلام - فجعل آدم يحفر وحواء تنقل حتى اصابه الماء ، فنودي من تحته حسبك يا آدم ، فلما بنياه اوحى الله عز وجل اليه ان يطوف به ، وقيل له انت اول الناس ، وهذا اول بيت ، ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح - عليه السلام - ثم تناسخت القرون حتى رفع ابراهيم القواعد منه . والحق تبارك وتعالى يقول في ذلك : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ! »

وتوالى بعد ذلك الايام ، ومرت السنوات تتلوها سنوات طويلة والناس في تقلب مستمر . . . تارة يتبعون الكتب السماوية ، ويستجيبون الى ما جاء به الرسل الكرام ، فتصلح حالهم ، وتستقيم امورهم ، وتتقدم بهم الحياة حلوة هادئة ناعمة . . . وتارة ينحرفون عن تلك الرسائل السماوية فتتفرق بهم السبل ، وتنسازعهم الاهواء ، ويضلون الطريق ، « فمن عصر ابراهيم - عليه السلام - توالى احداث ، ونزلت كلمة الله على انبياء ومرسلين ، وردت انباء بعضهم ، ولم ترد انباء البعض الآخر ، وتابعت البشرية جهادها ، ليستقر الضمير الانساني على قواعد راسخة ، من حب الخير ، وكره الشر ، واتجاه الى خالق الكون ، الواحد الاحد ، وجعل السلوك الانساني قائما على العدل ، والرحمة ، والامتناع عن العدوان على النفس والمال ، واشاعة الامن بين الجماعة حتى تنمو ، وتعمر ، وتكشف من اسرار الكون ما يكشف عن عظمة الخالق ، وما ابدع في ملكوته . » (قواعد الاسلام خمس وخمس : للاستاذ محمد صبيح ، دار الثقافة العامة صفحة ١٠٠)

وهكذا كان العالم يسير في طريق الهداية والفوز فترات ، وفترات اخرى يسير في طريق كله ظلام دامس ، وبعد عن الحقيقة ، وانغراس في الشهوات ، وتعال وجبروت من جانب ، وضعف واستسلام من جانب آخر ، حتى وصل الحال الى اسوأ ما يمكن ان يصل اليه . وفي وصف الحال التي كان عليها العالم في ذلك الوقت من ظلام وتخبط واختلاف وفوضى ، يقول الامام محمد عبده : « كانت دولتا العالم : دولة الفرس في الشرق ، ودولة الرومان في الغرب ، في تنازع وتجادل مستمر ، دماء بين العالمين مسفوكة ، وقوى منهوكة ، واموال هالكة ، وظلم من الاحسن حالكة ، ومع ذلك فقد كان الزهو والترف والاسراف والتخففة والتفنن في الملاذ بالغة حد ما لا يوصف في قصور السلاطين والامراء والقواد ورؤساء الاديان من كل امة ، وكان شره هذه الطبقة من الامم لا يقف عند حد ، فزادوا في الضرائب ، وبالفوا في فرض الاتاوات حتى انقلوا ظهور الرعية بهطالهم ، واتوا

على ما في ايديها من ثمرات اعمالها ، وانحصر سلطان القوى في اختطاف ما بيد الضعيف ، وفكر العاقل في الاحتيايل لسلب الفاضل . . . وتبع ذلك ان استولى على تلك الشعوب ضروب من الفقر والذل والاستكانة والخوف والاضطراب لفقد الامن على الارواح والاموال .

« هذه حالة اقوام كانت في معارفهم ، وذلك كان شأنهم في معاشهم عبيد اذلاء ، حيارى في جهالة عبياء ، اللهم الا بغض شوارد من بقايا الحكمة الماضية ، والشرائع السابقة ، آوت الى بعض الازدهار ومعها مقت الحاضر ، ونقص العلم بالغابر .

« ثارت الشبهات على اصول العقائد وفروعها بما انقلب من الوضع وانعكس عن الطبع ، يرى الدنيل في مظنة الطهارة ، والشره حيث تنتظر القنساء ، والدعارة حيث ترجى السلامة والسلام ، مع قصور النظر عن معرفة السبب ، وانصرافه لاول وهلة الى ان مصدر كل ذلك هو الدين ، فاستولى الاضطراب على المدارس ، وذهب الناس مذهب الفوضى في العقل والشرعية معا وظهرت مذاهب الاباحيين والدهريين في شعوب متعددة ، وكان ذلك وبلا عليها فوق ما رزنت به من سائر الخطوب .

« وكانت الامة العربية قبائل متخالفة النزعات ، خاضعة للشهوات فخر كل قبيلة في قتال اختها ، وسفك دماء ابطالها ، وسبي نساها ، وسلب اموالها ، تسوقها المطامع الى المعامع ، ويزين لها السيئات فساد الاعتقادات ، وقد بلغ العرب من سخافة العقل حدا صنعوا فيه اصنامهم من الحوى ، ثم عبدوها ، فلما جاعوا اكلوها ، وبلغوا من تضعف الاخلاق وهنا قتلوا فيه بناتهم تخلصا من عار حياتهن ، او تنصلا من نفقات معيشتهن ، وبلغ الفحش منهم مبلغا لم يعد معه للعفاف قيمة ، وبالجمل ، فكانت ربط النظام الاجتماعي قد تراخت عقدها في كل امة ، وانفصمت عراها عند كل طائفة »

(رسالة التوحيد : : للامام محمد عبده ، دان المعارف ، صفحة ١٢٩) .

ويقول المؤرخون العارفون باسرار التاريخ ان اهلك ساعات الظلام هي ساعة الهزيع الاخير من الليل قبل مطلع الفجر الصادق بلحظات . . . ويصدق ذلك على اوقات الظلام في عصور التاريخ ، فان اظلم اوقاته ليسو الوقت الذي يسبق فجر اليقظة بقليل من السنوات ، ثم تأتى اليقظة في حينها فاذا هي بصيص النور الاول قبل تباشير الصباح .

(محمد عبده للاستاذ عباس محمود العقاد ، اعلام العرب صفحة ٧) .

ومن حيث ان العالم كان يتخبط في دياجير الظلام الحالكة ، وتستولى عليه الاهواء والنزعات والشهوات ، وتحكمه في الفترة السابقة للاسلام فوضى عارمة ، وسيطرة صارخة ، فقد كان لابد ، وخالة العالم على ما وصفها الامام محمد عبده ، ان تتنزل

وله ميقات زَمَانِي، وميقات مَكَانِي، فأما الزماني فيبدأ من أول شوال إلى طلوع فجر يوم عيد النحر. وأما المكاني فيختلف باختلاف الأقاليم التي يقد منها الحجيج . فميقات أهل مصر والشام والمغرب ومن وراءهم أهل الأندلس الجحفة وهي مكان مقعر الآن بجوار رابغ . وأهل العراق وسائر أهل الشرق فميقاتهم ذات عرق وهي مكان في الشمال الشرقي من مكة، وأما ميقات أهل الكويت وأهل نجد فقرن المنازل وهو قريب من المكان الذي يعرف الآن بالسبيل، وأما ميقات أهل اليمن والهند فيلزم وهو جبل جنوبى مكة، وأما أهل المدينة فميقاتهم آبار على، وأما أهل مكة فميقاتهم مكة نفسها من أى مكان توجهوا منه . وعلى جميع الذين يمرون بهذه المواقيت ويحاذونها سواء برا، أو بحرا، أو هواء، ألا يتجاوزها دون أن يحرموا .

عن ابن عباس - رضى الله عنه - قال : وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأهل المدينة ذا الحليفة ، ولأهل الشام الجحفة ، ولأهل نجد قرن المنازل ، ولأهل اليمن يلملم ، فمن لبن ، ولن أتى عليهن من غير أهلهن ، لمن كان يريد الحج والعمرة ، فمن كان دونهن فمُهَلَّة من أهله ، وكذلك ، ومن أهل مكة يهلون منها .

ومعنى الإحرام فى اللغة نية الدخول فى الحج والعمرة ، ولا يلزم فى تحقيقه اقترانه بتلبية، أو سوق هدى ، أو نحو ذلك ، وإنما يسن اقترانه بالتلبية فقط ، بأن ينوى ويلبى بلا فاصل . . ولا بد لمن يريد الإحرام أن يقوم بأمر مفصلة فى المذاهب . . ولما كان من هذه الأمور التى يقوم بها المحرم ليدخل فى الإحرام الكامل : الاغتسال ، وقص الأظافر ، وحلق الشعر المأذون فى أزالته كشعر الرأس والشارب ، وخلع الملابس ولبس الأزار والرداء ، والتطيب فى البدن والغرب ، فليس من شك أن المقصود منها أن يكون المحرم متجردا من كل أثر للتبه والخلاء ، متخلياً عن كل مظهر من مظاهر النعمة واليسار ، مقبلاً على تلك الأماكن المقدسة التى بارك الله حولها ، والتى شهدت منبت الإسلام ومطلع الرسالة ، والتى سعدت بالنبي فى سعيه لتبليغ رسالة ربه . . المقصود منها أن يكون المحرم فى حالة من الطهر والنظافة والنقاوة تليق بتلك الأماكن المستعددا للوقوف بين يدي الله فى بيته الحرام ، وقد طرح جانباً كل زخارف الدنيا وزينتها ، مقبلاً عليه لا يشغله شغل من أمور نفسه ، متوجهاً إليه وحده ، طامعاً فى عفوه ورضاه .

الطواف :

وهو الركن الثانى من أركان الحج الأربعة ، والطواف ثلاثة أنواع : طواف الزيارة أو الإفاضة وهو ركن ، وطواف الوداع أو طواف الصدر وهو واجب ، وطواف القدوم وهو سنة ، وللطواف شروط وستن مبينة فى المذاهب .

رسالة جديدة من عند الواحد الصمد ، على رسول كريم يبعث لينتشل الناس من تلك الفوضى وذلك الفساد ، ويعيدهم إلى طريق الحق ، ويسير بهم وفقاً لما يريده سبحانه وتعالى لهذه البشرية التى أكرمها صلوات الله وسلامه عليه - هو هذا النبى الكريم الذى بعث رحمة للعالمين ، وكان الإسلام هو الرسالة الهادية إلى طريق الحق ، طريق الله عز وجل .

والإسلام ، كما هو معروف لا يحتاج إلى دليل أو إثبات ، يقوم على قواعد خمس هى : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وإقام الصلاة . وإيتاء الزكاة . وصوم رمضان . وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً واذن فالحج ركن أساسى من أركان الإسلام ، وفرض واجب على القادرين بدليل قوله عز وجل : « **والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين** » . فعلى كل مسلم من ذكر أو أنثى بالغ ، عاقل ، حر ، مستطيع عالم بوجوبه وفريضته أن يؤدى هذه الفريضة مرة فى العمر ، ومن زاد ففتوح ، وللرسول الكريم أحاديث كثيرة فى فريضة الحج ، فمن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال :

« **خطبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » . فقال رجل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً ، فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - « لو قلت : نعم ، لوجبت ولما استطعتم » ثم قال : « ذرونى وما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه » .**

(المنتخب من السنة الجزء الثامن صفحة ١٩ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) .

وقد أجمع كتاب السيرة على أن النبى - عليه الصلاة والسلام - زار مكة فى السنة السابعة للهجرة وكان يقصد العمرة ولم يحج ، وأنه فتح مكة فى السنة الثامنة ولم يحج كذلك ، وبعث أبا بكر ليحج بالناس فى السنة التاسعة ، وحج هو - صلوات الله وسلامه عليه - فى السنة العاشرة ، ولذلك يرجحون أن الحج فرض فى السنة التاسعة وأن قيل فى الخامسة .

وفى فضل الحج والعمرة يقول أبو هريرة - رضى الله عنه - سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول : « من حج لله ، فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه » . [المصدر السابق صفحة ١٢] .

وعنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « **أفضل الأعمال عند الله إيمان لاشك فيه ، وغزو لا غلول فيه ، وحج مبرور** » . المصدر السابق صفحة ١١] .

ويقوم الحج على أركان أربعة :
الإحرام :

وليس من شك أن الطواف فيه معنى التقدير لأشرف مكان في الأرض ، والأعزاز لأطهر بقعة على الإطلاق ، تتجه إليها القلوب ، وتشخص إليها الأبصار ، ويؤمنها الناس من أنحاء الأرض ، يبتهلون إلى الله الذي خلقهم ، ويذكرون اسمه ، ويتوجهون إليه بالدعاء اعترافا بما يجدون في أرجاء بيته من أمن وهدوء وطمأنينة . والله تعالى يقول : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمانا ، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن تطهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » السعي بين الصفا والمروة :

وهو الركن الثالث تخليداً لذلك الحدث العظيم حين تفجر الماء عند قدمي إسماعيل - عليه السلام - وبذلك انقذ من الهلاك عطشاً إذ كانت رحمة ربه تكلأه وترعاه . فقد هبط إبراهيم - عليه السلام - وزوجه هاجر وابنه إسماعيل بوادي مكة القفر الموحش الذي خلا من كل معالم الحياة ، وعمد إبراهيم إلى موضع الحجر فأنزل إسماعيل وهاجر فيه وانصرف ، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يريانه ، استقبل وجهه البيت العتيق ورفع يديه وقال : « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

وراحت هاجر تأكل من جراب تمر وتشرب من الماء اللذين كانا معها ، حتى إذا نفدا وعطش ابنها ، وراح يتلوى من شدة العطش ، وأحست هاجر أن نياط قلبها يتمزق ، وكاد عقلها يطيش ، راحت تهرع إلى جبل الصفا القريب منها ، ثم تهبط إلى الوادي وتقف على المروة تتلفت ذات اليمين وذات الشمال ، وإلى أيام وإلى خلف ، تطلب يدا تمتد إليها بالعون والمساعدة ، ولكنها لم تكن تظفر بطائل ، حتى كاد أن يغلبها اليأس على أمرها ، ومادرت أن رحمة الله قريب من عباده المخلصين الذين يتجهون إليه بقلوبهم ، ويفزعون إلى فضله وكرمه ، ففي سعيها بين الصفا والمروة للمرة السابعة سمعت صوتاً فقالت :

« صه .. تريد نفسها » .

ثم أصاحت السمع فسمعت الصوت أيضاً ، فانطلقت إلى حيث كان ابنها ، فإذا الماء قد ظهر عند قدميه ، فجعلت تحضنه في فرج وتغرف الماء في سقاتها ، وشربت وارضعت ولدها . وإذا بالملك عند زمزم فقال لها :

« لا تخافي الضيعة ، فإن هذا بيت الله الحرام ، يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله » . (الانبياء في القرآن : للاستاذ محمود الشرقاوى صفحة ١٦٧) .

ولذلك كان السعي بين الصفا والمروة تخليداً لهذا الحدث العظيم ، واعترافاً بفضل الله وكرمه . الوقوف بعرفة :

وهو الركن الرابع من أركان الحج ، وقد جعل كذلك تمجيذاً وتعظيماً لذلك اليوم الذي صعد فيه رسول

الله - صلوات الله وسلامه عليه - إلى الجبل ومن وراءه جنوع المسلمين مهللين ملبين مكبرين ، حتى إذا زالت الشمس ، هبط الوادي ونادى في الناس من فوق ناقته العصماء :

« أيها الناس : اسمعوا قولي فاني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً » .

« أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا » .

« وأنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت » .

إلى أن قال :

« فاعقلوا أيها الناس قولي فاني قد بلغت » . وقد تركت فيكم ما أن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً أمراً بينا : كتاب الله وسنة رسوله . . . « أيها الناس » :

« اسمعوا قولي واعتقلوه ، تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين أخوة ، فلا يحل لأمرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم » .

« اللهم هل بلغت » . (حياة محمد : للدكتور حسين هيكال صفحتي ٤٧١ ، ٤٧٢) .

فلما صلى الظهر والعصر وركب ناقته حتى بلغ الصخرات ، تلا على الناس قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

فالوقوف بعرفة استحضار لذلك اليوم المشهود ، وتذكر لموقف من أجل المواقف لرسول الله ، يوم أن خطب المسلمين خطبة الوداع ، فادركوا منها أن رسالته قد تمت ، وأنه قد بلغ رسالة ربه على أحسن ما يكون الأداء . ذلك هو يوم عرفة الذي يبتهل فيه المسلمون إلى الله أن يقبل حجهم ، وأن يغفر لهم ذنوبهم ، وأن يهديهم داتها إلى الحق ، وأن يجعلهم من الطائعين الخاشعين . هذا هو عرفة الذي تتجلى فيه رحمة الله ، فعن جابر عن حديث لرسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - قوله :

« مامن يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا ، فيباهي أهل الأرض أهل السماء فيقول ، انظروا إلى عبادي شعناً غيراً ضاحين حين جاءوا من كل فج عميق ، يرجون رحمتي ، ولم يروا عذابي » .

ويقول الوليد بن مسلم : أخبرني أبو بكر بن مريم عن الأشياخ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : إن الله عز وجل يدنو إلى السماء الدنيا عشية عرفة فيقبل على ملائكته ويقول : إلا أن لكل وفد جائزة ، وهؤلاء وفدي شعناً غيراً أعطوهم ما سألوا ، وأخلفوا لهم ما انفقوا ، حتى إذا كان عند غروب الشمس ، أقبل عليهم فقال : إلا أني قد وهبت مسيكنكم لحسنكم » .

وعن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : « مامن يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة ، وأنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول : ماذا أراد هؤلاء ؟ »

وما كان الله ليقرض فريضة ، أو يأمر المسلمين بعمل من الأعمال إلا لخيرهم وإسعادهم ، فهو الغنى عن العالين ، لا يريد شيئا لذاته سبحانه ، وإنما يريد لهؤلاء الناس أن يكونوا على المستوى الجدير بخلقائه في الأرض . وفي الحج ، كما في غيره من القرائن ، منافع كثيرة للناس بدليل قوله عز وجل ، « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود » وإذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليتشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم لنقصوا ثقتهم وليوقوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ، وأحل لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور . حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق . ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب . لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق » .

والحج معان عظيمة ، فهو إلى جانب أنه ركن أساسي من أركان الإسلام ، وواجب من واجباته ، فرض على كل قادر ، مستطيع ، عاقل ، بالغ من ذكر أو أنثى ، وإلى جانب أنه آية من آيات الرسالة الإسلامية ، الخالدة ، فإن فيه معنى الاستمرار والخلود . فشرعية الله واحدة ، والدين عند الله الإسلام منذ أن خلق الوجود وشرع من الدين ما يحقق الخير والسعادة للبشر ، فأدم عندما أمر ببناء البيت أمره رب العرش أن يحجه فكان يطوف به ويقول : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » .

وكان آدم يبتهل إلى الله ويقول : « رب اجعل لهذا البيت زوارا يعمروته من ذريتي » . واستجاب الله لدعائه فعمره من بعده نوح - عليه السلام - وجاء إبراهيم بعده فرفع القواعد منه ، وكان يبتهل إلى الله وهو يرفعها ويقول : « ربنا وابعت فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم أنك أنت العزيز الحكيم » .

فكان محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، وهبه الله العزة والحكمة ، وهبه كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأمره أن ينادي في الناس بالحج ، يأتوه رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج

عميق ؟ يذكرون الله ورسالاته ، ويشكروته على ما رزقهم وأفاء عليهم من نعم . وسوف يبقى هذا البيت عامرا باذن الله يحج إليه الناس من بقاع الأرض ليتعارفوا ويتذاكروا شئونهم ، ويشهدوا منافع لهم استجابة لدعوة إبراهيم : « ربنا انى اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا » .

وفي الحج معنى الجهاد ، فأولئك الحجاج الذين يهرعون من أقاصى الأرض وكلهم شوق وحنين إلى تلك البقاع الطاهرة التي بارك الله حولها ، غير ناظرين إلى ما قد يعترض طريقهم من صعاب ، ولا حافلين بما قد يصادفهم من غفبات ، لا تثنيهم وعسورة الطريق ومخاوفه ، ولا يفكرون في جهد يبذلونه ، أو مشقة يتعرضون لها ، إنما هم في الواقع يجاهدون في سبيل الله ، وقد سمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحج بانه من أنواع الجهاد بدليل قول السيدة عائشة - رضى الله عنها - فقد روى عنها أنها قالت : « يا رسول الله هل للنساء جهاد ، فقال لها نعم ، عليهن جهاد لا قتال فيه ، الحج والعمرة » .

ثم أن الحج إلى جانب هذا وذاك مؤتمر إسلامي على أكبر مستوى ، يحضره المسلمون القادرون من جميع بقاع الأرض في مساواة ، وإخاء ، وتعاون ، لا فرق بين غنيهم وفقيرهم ، قويهم وضعيفهم ، قد تقاربت بينهم المسافات فلا سلطان ولا تابع ، ولا أمير ولا حقير ، كلهم عباد الرحمن ، يتطلعون إلى رحمته وغفوه ورضاه ، تجتمع قلوبهم على الخير والعمل من أجله . من أجل مصلحة الأفراد ، ومن أجل مصلحة المسلمين عامة ، تلك التي يجب أن تغطي على المصالح الشخصية والمنافع الذاتية . وليس من شك في أن هذه القلوب التي توجهت إلى مؤتمر الحج هي في القمة من الإيمان ، فالمسلمون يجتمعون فيه من مشارق الأرض ومغاربها ، ويلتقون وليس في القلوب إلا الطاعة الخالصة ، والرغبة الصادقة في عفو الله ورحمته . فهو اجتماع ليس فيه تنافس على دنيا . . . أو تزاحم على باطل . . . أو اجتساع على ضلال وبهتان . . . أو انقياد لشهوة . . . بل هو اجتماع تزول فيه الفوارق بين الكبير والصغير ، والغنى والفقير ، والرئيس والمرعوس . . . وتهون فيه قيمة الدنيا . . . ويصغر ما فيها من جاه ومتاع . . . ولذلك أعطاهم الله وصفا كريما فسماهم وفد الله ، ومنحهم منحة سخية يمثلها قوله تعالى ، « أن سألوني أعطيتهم ، وإن دعوتني اجبتهم ، وإن استغفروني غفرت لهم » .

هذه بعض المعاني التي أوحاها موسم الحج ، فيارب السموات والأرض وربى هيب لنا عودة لزيارة بيتك الحرام ، ومكننا من عبادتك في أرضك المقدسة الطاهرة ، ونسر لنا العودة كذلك لزيارة قبر رسولك المصطفى ، فإن القلب في شوق وحنين . . . والله الموفق لما فيه الخير .

يحس بها الا من ذاقها فذاق بذلك حلاوة الايمان ونور
اليقين والعرفان .. أحسست بالدموع تتوالى دون أن
أدري .. ويشعور خفى يملكنى .. بهذا الشعور
الجارف الحانى . يستطيع الإنسان به أن يبحث عن
سليم آخر يصعد به الى ربه ليمتزج بهذا النور ..
حيث التعلق بجبل الله المتين ..

ذاهب الى الكعبة

ان الاحساس وأنت ذاهب الى الكعبة .. بأنك
قاصد اعز مكان عرفته البشرية فى تاريخ
انسانيتها .. تسأل نفسك .. فى همسات وتمتمات
من الذى دعاك .. فليبتك .. يوم وفكك .. فلابد
وأن تذهب .. لمن .. الى الله .. الى رحابه .. الى
ساحته الواسعة الشاسعة التى لا ولن تضيق الى
عرفات ثم الى زيارة مثنوى سيد الوجود معلم الدنيا
وواحدها الذى رسم طريق الحياة .. للانسانية
كلها .. والذى عجز العالم بتقديمه الان ان يرسم خطا
واحدا من خيوط الخير والحضارة لانقاذ البشرية
المعذبة الى مستوى الاسلام بروحانياته وماديته ..

دموع المحبين

ان خليل الله .. وأبا الانبياء .. ابراهيم عليه
السلام وقف بجوار الكعبة .. يدعو ويبتهل ..
فقال « فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم » ..
بهذا النداء الصادق .. يذهب المحبون فصادقون ..
بأفئدة مملوءة بحب محبوبها .. فتسعى الى ربه
للطواف ببيته السعتيق قبل ان تلحق به الى الرفيق
الاعلى .. هذه دعوة ابراهيم عليه السلام تجددها
مرتسمة على وجوه ملايين البشر والشفاة تابعة من
القلوب .. لا ينالها الا الذين فتح الله عليهم بالايمان
ليتعرفوا على خالق السماء والارضين ..

ان اثنين المحبين ودموعهم وقلوبهم علامة من علامات
الطريق .. طريق الحب الالهى .. لحج بيت الله
الحرام .. لتطهير النفس من أحزانها ومساوئها
وتجريدتها الا من انسانيتها .. على هذا الضوء
الهادى المتدفق وبهذا الشعور الوجدانى المسترسل
المتفاعل .. بملابس الاحرام البيضاء .. تبدأ التلبية
من تلك القلوب المتعطشة .. لبيك اللهم لبيك لبيك
لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك .. والملك لا
شريك لك .. تعلن على مرأى من الدنيا ومسمعها
بصوت صادق الى الله عن اعلان لشعائره الخالدة ،
مؤكددة بأن كل شئ فى الوجود زائل الا .. الله القادر
العظيم ..

هنا يا قلب المناجاة بين الخالق والمخلوق فى اعظم
مكان وأكرم خشوع لرب الحياة والاخرة .. هنا
الذكر والشكر والتسابيح ورفع الصوت عاليا
بالتلبية ..

وبعد أن نؤدى شعيرة الله من حج واحرام
وطواف وسعى لمنى ومزدلفه .. بعد هذه الرحلات
المنظمة والاعمال المنسجمة .. التى مزجت بالعبادة



ان الحنين الذى يمزق وجدان الانسان الى زيارة
مقام الرسول العظيم سيدنا محمد صلوات الله عليه
وسلامه ، والالتقاء بهذا النور الالهى الجارف عند بيته
الحرام .. والوقوف بهذا الجبل الاشم .. حيث
يستطيع المخلوق أن يتعرف على خالقه .. ويتلقى من
ربه أصدق درس من دروس العظمة فى دنياه ليكون
سبيلا لصفحة جديدة .. فكرا وعملا .. وتقديسا ..
وتسبيحا ، هنا وبهذا السياج الوحوى .. بكلمة
التوحيد التى تنادى المرء مراراً ومرات كل يوم بأن الله
واحد لا شريك له .. باحساس جارف لا يمكن لاي
قوة بشرية أن تصور ما يحس به المرء فى هذا الموقف
الخالد .. خلود الزمن .. فيدخل الانسان فى مرحلة
روحية رداؤها الحب .. وزادها التعرف على المحبوب
ذاته فى مشهد رائع .. رائع من مشاهد المساواة
الانسانية قبل الله الفرد الصمد .. القادر المجيب ..
السميع البصير ..

عندما أحسست بهذا الشعور المتدفق يوم كنت هناك
تفاعلت نفسى بعدد من المعانى الوارفة الساحرة الى
مشارف التعلق بالاضواء الساحرة الممتدة من نبع
بداية المرء الى نهاية هذه المرحلة الروحية ، التى لا



حديث الى

فى فريضة الحج معان ظاهرة ، ورموز معبرة ، تستعلن كثيرا فى مناسك الاحرام والطواف حول الكعبة والسعى بين الصفا والمروة واستلام الحجر الاسود والوقوف بعرفات ورمى الجمرات .. وليس من الحج المبرور فى كثير أو قليل أن تخفى هذه المعانى الكبيرة ، أو تغيب عن أحد ، وليس من الايمان فى شئ أن يتجرد قصد حاج - يعرف وعطاء السفر ، وتكاليف هذه العبادة ، من خشونة العيش ، وفرقة الامل والولد - الى ذلك اللقب الضخم الذى يحرص بعض الناس أشد الحرص على التنادى به ، ويغضبون ، كما لم يغضبوا قط ، ان نرى من يتحدث اليهم أن يضيفه الى أسمائهم التى سماهم بها أبائهم !

وستبقى فريضة الحج مظهرا لا روح فيه ، وشكلا لا عملا ترتفع به الى الله ملائكة سفرة ، فيحط به الذنوب ، ويستتر العيوب ، حتى يفهم المسلمون ما أراد الله بالحج من بر وطهر ، وطاعة وذكر ، وتعارف صادق ، وتعاطف أصيل ، يكونون به فى كل مكان على ارض الله معنى كريما لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .
« .. ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » .

وتلك طائفة من المنافع التى ذكرها الحق جل شأنه فى قوله لخليله ابراهيم عليه السلام :

« وأذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات ! » .

وأى منفعة هى أعود بالخير واجمع لاطراف العزة ، من أن يجتمع المسلمون يوم الحج الاكبر و« الحج عرفة » كما قال الرسول الكريم ، فيتدارسون واقع الاسلام فى شتى دياره ومنازل أهله ، ويبحثون مشكلاتهم ، ويكون قرائحهم ، ويمعنون النظر فى أنجع الحلول وأسرعها انقاذا لهم مما رماهم به وفدحهم بأسبابه وجرائره الاستعمار ، ومكايد الاعداء والمتربصين داخل الديار ، وما أكثرهم ، وهم يخفون وراء ثياب الزور ، ومسوح الحملان الوادعة التى يتعرون عنها ، ويبدون على

الروحية .. هنا وفى هذا الموقف تبدأ الرحلة القالمة . تقصد الى مسجد الحبيب المحبوب الرسول الاعظم محمد صلوات الله عليه وسلم .. فتدرك أن كل هذه المعانى والاحاسيس تتزاحم عليك .. فلا يملك المرء نفسه من شدة الشوق الا اللبكاء .. وتطرح كل كل ما فى الدنيا وراء ظهرك وتندفع بروحانية رقيقة رشيقة مع النبع الروحي مع سيد الوجود حبيب الله ورسوله فى أعز مكان تشد اليه الرحال ..

وهنا يقف المسلمون أمام حبيبهم وسيدهم يستلهمون السماء فى ضراعة واستكانة يسدعون ربهم .. بأى شئ يدعون .. بأن يحفظ الاسلام .. ويرعاهم للمتمسك بدينهم .. ليحموا عقيدتهم ويكف أس مسجدهم الاقصى .. ويعود العرب الى أراضيهم التى نالها الاغتصاب فى غيلة من الزمن .. ويمرهم ينصر قريب على أعدائهم .. وأن تشرق الشمس مرات ومرات فى قوة واعتداد وعزة .. على أرض الاسلام والعرب ..

الطريق الى الله

ان الطريق الى الله مستد .. وعريض .. سهل .. وواضح بهذا الوضوح تعلق المؤمنون بربهم والسعى الى خالقهم للمتمسك بقيم الدين والاعتصام بأحكامه .. مترسمين خطى حبيبهم ورسولهم الاعظم سيد هذا الوجود محمد صلى الله عليه وسلم ، قدوة طيبة فكريا وعملا .. ليستطيع الانسان بهذه الطاقات المتفجرة .. أن يجمع بين العلم الملهم وقبس من النور الروحى ليتزود بطاقة جديدة تنير قلبه وعقله وكيانه .. وهنا تبدأ رحلة العودة .. بعد أن عرف العاشقون .. تطبيق منهج العودة .. فتنتطلق هذه الجماهير المؤمنة فى رحاب الكون آخذة بأسباب السعى والانتاج والتكافل والتضامن والكفاح فى سبيل اعلاء مبادئهم العليا .. وهى مبادئ الحق والعدل والخير .. وبعث معانى الانسانية الفاضلة فى صدور الناس مباشرة بكلمة ربهم فى مختلف أرجاء الكون فى شعاع نور الاسلام فى جنبات العالم .. تحت سماء الايمان لتوطيد دعائم اسعاد البشرية ورفاهيتها .

وأخيرا

ان الحج رحلة روحية غالية مستتيرة رحية .. تشدك الى حافة ينبوع الطريق .. طريق الله الذى يملؤه النور من اجل لحظة قرب ، لا ينالها الا الذين عذبهم الشوق الى المعرفة ، وطال مقامهم فى انتظار لحظة الوجود ، وقليلون هم الذين يستعذبون هذا العذاب وينعمون بطول الانتظار !! الايمان يملأ قلوبهم والنور يخفق فى أعماقهم والامل يحفزهم ويدفعهم الى معرفة الحق تبارك وتعالى ، ويجعل نار الشوق وقلق الانتظار لحظات من النعيم دونها أى نعيم أنها أيام خوالد تبعث من النفس قوة الايمان ودفع الحياة ونور الامل فى الامل وشوق العودة حتى لقاء الله .



فضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم

حقائقهم متجربين منها كلما أصاب المسلمين خير ، أو نابتهم نابتة من ثوب الزمان ، الذي يتعاقب على الناس بما يحبون وما يكرهون ..

« **وذلك الأيام ندأولها بين الناس** »

وكم يكون هذا الجانب الاجتماعي في فريضة الحج أكبر وأبهر ، لو أن وفد الله استطاعوا أن يتحدثوا بلغة القرآن ، في أقل القليل في عرفات من أيام الحج ، ما تفرقت بهم السننهم إلا من بعد ما وجد عدوهم لنفسه في بلادهم مغدى ومراحا ، وأمساء وأصباحا ، ثم وجد من أفرادهم وجماعاتهم كما قال الله « **وفيكم سماعون لهم** » يرون باعين الأعداء ، وينطقون بالسننهم ، ويعطونهم ثقتهم وولاءهم ، ويتقبلون ما لم يصلح به هؤلاء الأعداء في شرق أو غرب من مذاهب وأفكار وعادات . أن دمعهم عاجلا بهوان وعار ، فانها ستلحق بهم - لا محالة - نهاية الخذلان والدمار « **ومن يهن الله فما له من مكرم** !

« **حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس** »

وما يتيح فرصة اللقاء الكبير بين الأخوة والاشقاء شيء كما يتيحها الحج إلى مكة المكرمة ..

وإذا كانت الصلاة تجمعهم على بعد الديار قلوبا تطيف بالكعبة ، وتروى تكاليف الإسلام فيهم شجرة إيمان نبئت في أرض مكة ثم نمت وترعرعت واستطال ظلها وامتدت فروعها وأتت أكلها فكان في تناول أهلها في كل جانب من هذا الكوكب ، فإن اجتماع المسلمين بأرواحهم وأجسامهم حول الكعبة التي كانوا يرمقونها من بعيد ، تذكي فيهم روحانية لا تفتر ، وتجدد منهم رعاية عهدها وحرمتها عهدا لا يتغير ، وتجعلهم أحرص ما يكونون على التناجي بدين ، وأوا أي أرض عاش الرعيل الأول فيها مجاهدين مجالدين أعداء التوحيد والطهر والانسانية ، ما صرفهم عن ذلك أنهم يعيشون في واد غير ذي زرع ، بعيدين عن متع الحياة ، مختارين - كما اختار خاصة رسول الله وأمهات المؤمنين - الله ورسوله والدار الآخرة ، على حطام يزول ويضمحل عما قليل ..

وفي صيد الخاطر للامام ابن الجوزي أن الشبلي حج فلما رأى مكة قال :

ابطحاء مكة هذا الذي أراه عيانا ، وهذا أنا ؟ ثم غشى عليه فلما أفاق قال :

هذه دارهم وانت محب مابقاء الدموع في الاماق ؟

يحج وفد الله بيته الحرام - أول بيت وضع للناس - في مكة التي رمقها النبي صلوات الله عليه وهو مهاجر الى دار الذين آووا ونصروا .. رقعها بأعزاز وإكبار وقال كلمته التي أكد فيها أن مكة أحب بلاد الله الى الله والى رسوله وأنه ود أن لا يخرجها منها قومه ، ففيها أمجاد أبيه إبراهيم وإسماعيل وفيها مفاخر أهله وذكريات صباه ، ومدارج شبابه ، وفيها نزل الوحي عليه أول ما نزل ، وبلغ رسالة ربه ، وآمن بيمين أكرمهم الله واختارهم وزراء لنبيه ، وفيها كان زواجه الأول ، وولد أبنائه وبناته إلا إبراهيم رضوان الله عليهم جميعا فيها ، وفيها الكعبة التي شرفها الله في الجاهلية والإسلام وقال فيها سبحانه :

« **جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس** »

يقوم بالحج إليها أمر الدين وأمر الدنيا على سواء .. فالحج عبادة جمع الله فيها ما تفرق في سائر العبادات من قصد صادق ، وعمل بدني ، وبذل مال طهور لا حق فيه لظلم ، ولا تشويه من الحرام شائنة ، وتركه نفسية لا تغادر من ذنوبنا ذنبا ، ومعان اجتماعية واقتصادية وسياسية تتشابه بها الخناصر ، وتقوى الأواصر ، ونكون بها كما قال المعصوم صلوات الله عليه ، « **الحجاج والعمار وفد الله عز وجل أن استغفروا غفر لهم وأن دعوا استجيب لهم** » .

بعد أن استجاب الله فيهم دعوة رسوله .. روى مسلم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **اللهم اغفر للحاج ، ولمن استغفر** لهم الحاج ! » .

وطهر المال والبدن وعفة اللسان عن هجر القول ولغو الحديث ، وقصد غفران الذنوب وأشاعة البر والاحسان من أخلاق الحج ، وأدابه وبواعثه ومقاصده .. قال تعالى : « **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب** »

فاذا أتى الحاج ميقاته اغتسل بنية الاحرام ، واستبدل بثيابه المألوفة ثياب الاحرام الخاصة ، التي لا تختلف في رجل عن رجل ، وإن بقى النساء في ثيابهن الكاسية ، حتى يؤثرن بعد الحج ما يستر على ما يشف أو يصف !

ولا بأس بطيب يبقى بعد الاحرام ، فقد قالت أم المؤمنين عائشة في الصحيح : « **كأنني أنظر الى بريح المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام** » .

ويصلى الحاج ركعتين - أن أمكن - ثم ينوي الحج إن كان مفزدا ، أو العمرة إن كان متمتعا ، أو مامعا إن أراد القران .. فبذلك تؤدي أول ركن من أركان

الحج ، وتأخذ أول تسكع من المناسك التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : ؟ خذوا عني مناسككم » .

ومن السنة النطق بالنية ، فيقول مريد الحج : نويت الحج ، وأحرمت به لله تعالى اللهم يسره لي ، وتقبله مني .

ويقول مريد العمرة : نويت العمرة ، وأحرمت بها لله تعالى . . .

ويقول القارن نويت الحج والعمرة وأحرمت بهما لله تعالى . واقتران التلبية بنية الاحرام سنة ، والتلبية ذاتها ، في أيسر الاحكام ، سنة . . . ويراها بعض الأئمة شرطاً يجب في تركه دم ، ويجب الجهر بها كلما صعدنا جبلاً أو هبطنا من علو ، أو ركبنا أو نزلنا أو لاقينا صحباً أو انتهينا من صلاة . وأن نلتزمها إلى رمي جمرة العقبة يوم النحر ، مدركين دلالة لفاظها . . .
« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والمنة لك والملك لا شريك لك لبيك ! » .

فهى استجابة مصممة لله تهون معها الصعاب ، ويتذبح العذاب ، وهى لهج لا يقاربه ريب بأن الله وحده هو المنعم المالك الحمود بحق ، وأن ملك المالكين وأنعم النعمين وشكر المحسنين انما هى هباته لهم فيها سبحانه ويعين .

وما أسعد المؤمنين وهم يشهدون مكة فيقولون :

« اللهم هذا حرمك وأمتك ، فحرم لحمي ودمي وشعري وبشري على الفار ، وأمنى من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من أوليائك وأهل طاعتك ! » .

فاذا اطمانوا إلى أمتعتهم وماوأمهم ، استجابوا لهوائف إيمانهم ، وبواعث هجرتهم ، فتوجهوا للحرم داخلين بإيمانهم ، حامدين الله ، مثنيين على بيته ، داعين لدينهم وانفسهم وأمتهم وأخوانهم بكل مكان . . . وليكن الدعاء بالماثور جهد استطاعتنا هو سبيلنا ، مع قراءة القرآن ، ونصيحة المؤمنين ، والرفق بهم ، وعدم مزاحمتهم في أى موقف أو مقام وبخاصة في الطواف حول الكعبة وعند الحجر الأسود بخاصة حيث يحرس الناس على استلامه ، ولا ضرورة إلى ذلك عند التذمر وعدم الامكان ، وفي مسه عند ذلك بعضى أو الإشارة إليه لغاية ولتتضلع بعد الطواف من ماء زمزم . . . فهو كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام الطعم ، وشفاء السقم » .

ولتنوئ من شربه ما تشاء من عافية الدين والدنيا ، فهو « لما شرب له » كما قال المعصوم صلوات الله عليه . . . وكان ابن عباس رضوان الله عليهما يقول اذا شرب منه : « اللهم أنى أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً ، وشفاء من كل داء » .

وفى عرفات ينبغي أن تكثر التلبية والدعاء ، فان الله يطل على أهل عرفات من فوق سبع سموات ، ويباهى بهم ملائكته قائلاً : « هؤلاء عبادى جاءوني من كل فج عميق شعثاً غبراً ضاحين أشهدكم ياملائكتي أنى قد غفرت لهم ! » .

وما أعظم البذل وأجزل العطاء قال تعالى : « فاذا أفضت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين » .

فاذا رمينا جمرة العقبة يوم النحر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان ، ثم ذبحنا الهدى ، وخلق الرجال ، وقصر النساء ، أباح الله لنا كل شيء إلا النساء ، فنلبس ثيابنا ، وتأخذ طيبنا ثم نفيض إلى مكة ، فنطوف طواف الافاضة . . . قال تعالى : « ثم ليقضوا تقفهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » . التفت : المناسك ، وبذلك يتم التحليل الأكبر .

ويرى الجمرات فى أيام التشريق بمنى ، يستكمل الحاج مناسك شعيرته ، ويفيض عليه مولاه فيوض رضوانه ومغفرته . . . ويشعر أنه ان لم يكن قد زار الشفيع المشفع قبل حجه يكاد يقفز قلبه من بين جنبيه شوقاً إلى مثوى سيد الكائنات صلوات الله عليه ، لتقر عينه ، وتطيب نفسه بجوار الرحمة المهداة والنعمة المسداة ، فيسارع مع هذا الحنين اللاهف إلى المدينة ، وإلى مسجد الرسول فيكثر من التنقل فى الروضة بين قبره ومنبره عليه الصلاة والسلام ويواصل الدعاء ، ويحرص على أداء الفرائض فى جماعة ، ويرسل طرفه فى القبة الخضراء نقطة التقاء الأرض والسماء ، ويستعرض تاريخ الداعى الأعظم الذى ألف الله به القلوب على القلوب وصنع به « خير أمة أخرجت للناس » وترك للدنيا بأسرها شريعة العدل والسلام والاخاء والبر .

وبين يدي النبي وفى رحابه يذكر المؤمنون محنة لا يعين على الخلاص منها إلا الله ، منذ عدوان إسرائيل فى يرونة ١٩٦٧ على بقايا فلسطين ، وسيباء المرتفعات السورية ، ويذكرون ما أخذت الجمهورية العربية المتحدة على عاتقها من تبعات إزالة آثار العدوان ، ورد الاخوة الفلسطينيين وإفرين إلى ديارهم ، وتأمين الذين روعوا وأكروهوا على الجلاء عن بلادهم ، ولقد نهض جيشها بمتطلبات هذه التبعات من تدريب وإعداد ، وصمود وجهاد إلى اللحظة التى لن يتأخر عنها فى سبيل النصر أو الشهادة .

وما ينبغي أن يفوت مؤمناً فى فرصة العمر بعد زيارة الرسول وصاحبيه ، أن يستجلى مشاهد الاسلام فى أحد وبدر وغيرهما بعد زيارة شهدائهما ، وأن يتمتع قلبه بزيارة مسجد قباء - أول مسجد أسس فى الاسلام على التقوى - فى مشارف المدينة ، فان الصلاة فيه يحط الله بها الوزير ويعظم الاجر .

وياأيها السعداء المحظوظون بالحج والزيارة ، بورك سعيكم ، وطاب ممشاكم ، فارعوا العهد وصونوا الذمام ، وعودوا الوية هدى وينابيع خير لاخوانكم وأوطانكم . . . كتب الله لنا ولكم الثبات فى الامر والعزيمة على الرشد ، ولقد دعوت ، فلا تنسونا فى كل منزل ومقام من صادق الدعاء ، وطلب المغفرة .

من وحي

عرفه

الدكتور مصطفى الرفعى

وأخذت عليه بهجة العيش المخافة المتجددة من عظمته وجبروته جل شأنه . وترجم عن ذلك كله فى دعائه المأثور يوم عرفة ، « اللهم أنك ترى مكائى ، وتسمع كلامى ، وتعلم سرى وعلايى ، ولا يخفى عليك شىء من أمرى ، أنا البائس الفقير ، المستغيث المستجير ، المنفق الوجع المقر بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتل إليك ابتهاج الذنب الذليل : وأدعوك دعاء الخائف الضريع ، من خضعت لك رقبته ، وذلت لك جبهته ، وفاضت لك عبقره ، ورغم لك أنفه ، لا تجعلنى ربى بدعائك شقياً ، وكن لى رعوفاً رحيماً » .

لم هذا الاستغراق فى الدعاء يوم عرفة ! وما سبب الدهول عن النفس والمال عند التلبية حول تمرة ؟ وما السر الكامن فى انخلاع القلوب بسذل الضراعة على جبل الرحمة ؟

تفرقوا لقة واستجمعوا هرقا
تضمهم رحمة المولى إذا انقسموا
يستصرخون به كل على وجل
كالطفل ، من خشية الرحمن منهزم
ولا يميل به الإفصاح من غرب
عما تلعثم فى رطان به العجم
يوم هو الحشر فى الدنيا ، فكل أب
عن أبته بالذى يعنيه منقسم

هذا هو سر المضاعف من الرجاء ، وسبب المزيد من الغزغ عند الدعاء ، يوم يصور الحشر فى تلاطم

على منبسط شاسع من الرمال ، وبين سلاسل متعانقة من الجبال والتلال ، وعلى مسيرة ساعة من مكة البلد الحرام ، يمتد سهل عرفة ، مبتدئاً بجامع نمرة ، حيث كان الرسول عليه السلام يجمع هنالك النهار ، ومنتهياً بجبل الرحمة : حيث يقف الحجاج فى ضراعة للواحد القهار .

لا يكاد يلتئم شمل الحجاج فى مكة ، وتكثف بوفد الله ربوع أم القرى ، مع انبلاج الصباح من يوم التروية فى الثامن من ذى الحجة ، حتى تندفع أمواج البشر فى زحفها الصاخب الى منى ، حيث تصيب طمانينة يوم ، وبركة صلوات خمس ، فى مسجد الخيف ، ثم تتراكم فى هرج ومرج الى موقف الحج الاكبر فى عرفات ، تعلق الروح بهم ، إذ يسمعون الى مراتع المغفرة ، نورهم بين أيديهم ، وتخشع القلوب لمراهم ، وقد تجردوا الا من ثياب الاحرام عليهم ، وتثبت الانظار فى مواكبهم ، وسجائب الرحمة والرضوان تواكبهم وتتمل الاسماع اناشيدهم وهم يلبنون بملء حماستهم ومشاعرهم :

(لبيك اللهم لبيك ٠٠ لبيك لا شريك لك لبيك
ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)

لهم فى ذلك القدوة الحسنة والمثل الاعلى بأشرف الخلق رسول الله ، الذى لا يكاد يبلغ عرفات الا وقد ملكه مزيد الغزغ من جلال الحق سبحانه

الخطبة الجامعة

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة
الوداع في السنة العاشرة من الهجرة فقال :

« ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره
ونتوب اليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن
سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن
يضل فلا هادي له : وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . .
أوصيكم بتقوى الله وأحكام على طاعة الله . .
واستفتح بالذي هو خير . (اما بعد)

أيها الناس : اسمعوا مني أبين لكم ، فاني لا ادري
لعلي لا القاكم بعد عامي هذا ، في موقفي هذا .

أيها الناس : ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى
أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في
بلدكم هذا . . وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن
أعمالكم ، الا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ! فمن كانت
عنده امانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها . وان كل ربا
موضوع ، ولكن لكم رؤوس أموالكم . قضى الله أنكم
لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا ربا ، وان ربا
العباس بن عبدالمطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان
في الجاهلية موضوع ، وأن اول دمائكم أضع دم عامر
ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعا

جميعه ، ويعرض للحجيج صورة من يوم المآب ،
في موله وخشوعه ، من كل أمة قبيل ، ومن كل لون
فريق ، ومن كل جنس فئة ، ومن كل لغة جماعة ،
الاسنة لا تحسن التخاطب ولكن القلوب فصيحة
المفاجأة ، والوجود لم يسبق لها التعارف ولكن
تؤلف بينهم الدموع المزجاة . لو فقد والد ولده ،
لشغله الضجيج عن تفقده ، ولو ضلت مرضعة عن
صغيرها ، لأذهلها الجلال عن تعقبه ، ولو أخطأ
الحاج طريق مخيمه لم يجد الوسيلة التي ترده
عليه ولو شرد السواقف عن زاده وشرابه
لاستغرق بخطر الموقف عن السعى اليه .

عندئذ يحيى في النفوس عقيدة التوحيد ،
وتصرخ في الاعماق صيحات الحاجة الى العزيز
المجيد ، ويستيقن الجميع الا منجى لهم الا بمن هو
أقرب اليهم من حيل الوريد .

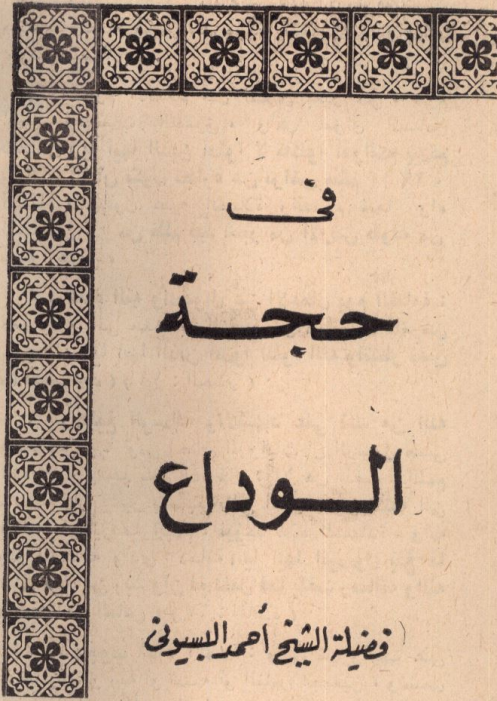
بل يذكر كل انسان كيف انقطع في هذه
الصحارى عن أهله وعشيرته ، وكيف أفرد في هذه
الإبعاد النائية عن جواره وقرباته ، من يسقيه اذا
غلبه الظما ولا ماء في قريته ؟ من يطعمه اذا عضه
الجوع وقد نفذ الطعام من مزادته ؟ من يسففه اذا
ألم به المرض وهو فارغ اليد من الدواء ؟ من يكفيه
حر الهجير اذا لفحته بحرهما الرمضاء ؟

فهل فقه المسلمون الحكمة من جمعهم الكبير في
رحاب عرفة ، وحشدهم سحابة يوم كامل في رقعة
من الارض واحدة ؟ هل أدركوا أنه المؤتمر للجامع
الذي يجب أن يدرسوا فيه قضاياهم الهامة ؟ وأنه
اللقاء السنوى الذي يتبادلون فيه منافعهم الخاصة
والعامة ؟

هل أدركوا ذلك فعملوا به راشدين ، واغتنموها
فرصة يخرجون منها متعاونين متساندين ،
وجعلوها موسما يعدون فيه العدة لقهر أعدائهم
مؤمنين متحدين .

أيها المسلمون في كل مكان :

ما فاتكم بالأمس فمن الآن فتداركوه ، وما
أخطأتم من فضل عرفة من قبل فدوكم اليوم
فاغتنموه ، وأنتم أحوج ما تكونون الى الوحدة ،
والإحداث التي تفرع أسماكم تدعو المتخاصمين
الى التعاطف وجمع الكلمة ، والدماء التي تسفك
كل صباح ومساء تلزمكم الزاما بالعروج في سماء
الايثار والتضحية ، وتناديكم من الاعماق ، أن
هلموا الى غسل السخائم والضعينة ، وعودوا الى
التآلف الصادق ، فأنتم اليه محتاجون ، واعتصموا
بجدل الله جميعا فيه وحده تنجون وتسلمون « إنما
المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله
لعلكم ترحمون » .



ف حجة

الوداع

فضيلة الشيخ أحمد البسيوني

فى بنى ليث ، فقتلته هذيل ، فهو اول ما أبدأ به من دم الجاهلية . وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ، والعمد قود ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية ..

أيها الناس : ان الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ..

أيها الناس : انما النسء زيادة فى الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ، منها أربعة حرم ثلاثة متواليات واحد فرد . ذو القعدة وذو الحجة ، والمحرم ، ورحب مضر الذى بين جمادى وشعبان .

أيها الناس : ان لنسائكم عليكم حقا ، ولكم عليهن حق . لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة : فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تهجروهن فى المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين فاطعنكم فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئا ، وانكم انما

أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فانقوا الله فى النساء ، واستوصوا بهن خيرا .

أيها الناس : اسمعوا قولى فانى قد بلغت وقد تركت فىكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، امرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه .

أيها الناس : اسمعوا قولى واعقنوه تعلمن ان كل مسلم أخ للمسلم ، وان المسلمين اخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه الا ما اعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن انفسكم ، اللهم هل بلغت قالوا : اللهم نعم ، قال : اللهم اشهد . فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض .

أيها الناس : ان ربكم واحد . وان اباكم واحد . كلكم لآدم وآدم من تراب ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد . قالوا نعم ، قال : فليبلغ الشاهد الغائب .

أيها الناس : ان الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لوارث وصية ، ولا تجوز وصية فى أكثر من الثلث والولد للفراس وللعاقر الحجر ، من ادعى الى غير أبيه او تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فى موقف تاريخى خالد ، وفى مشهد مهيب رائع ، وفى يوم من أيام الله المحرمة ، وفى ساحة عرفات المطهرة ، وفى حجة البلاغ او حجة الوداع ، ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقته القصواء ، وهتف فى الجموع الخاشعة التى تحيط به ، يبلغ الناس وحى الله ، ويلقى اليهم دستور الحياة ، فى آخر لقاء مع أضخم حشد من جموع المؤمنين ، فقد حرص - صلوات الله وسلامه عليه - على أن يوصيهم وصيته الجامعة ، فلعله ليلقاهم بعد عامه هذا ، ولعله لايقف بينهم بعد موقفه هذا ! فنادى فيهم أمرا بالبر والمعروف ، داعيا الى كلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة ، ناهيا عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظمهم لعلمهم يذكرون .

وفى الحق ان الرسول الكريم لم يكن يخطب يومها فوق ناقه ، او على ظهر بعير ، ولم يكن يقف فى رقعة من الارض محدودة ، او بين جموع من الناس معدودة ، وانما كان يخطب من فوق أعلى واعظم منبر ، تهتز اعواده بأبلغ وأجمع كلمات ، يلقتها الرسول الضمير الانسانى ويصحبها فى سماع الزمن ، ويلقيها فى فم الدنيا ، لتطوف أرجاء الارض هادية داعية الى الحق والى صراط مستقيم .

وكان صلى الله عليه وسلم حريصا على أن تصل كلماته الى كل سميع ، وتمس كل قلب فكان يستعين برجل من صحابته هو ربيعة بن أمية بن خلف ، فكان يصرخ فى الناس يقول رسول الله ، حتى تذاق الخطبة فى أرجاء الوادى الفسيح فيقول الرسول له : قل أيها

الناس ٥٥ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكم : هل تدرون أى شهر هذا ؟ فيقولون : الشهر الحرام ٥٥ أى بلد هذا ؟ ٥٥ فيقولون : البلد الحرام ؟ ٥٥ أى يوم هذا ؟ فيقولون : يوم الحج الأكبر فيقول مؤكدا حرمات الله : « ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمه يومكم هذا فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا » .

ولقد جمعت هذه الخطبة الجامعة ، اصول الدين ، وقواعد البر ، ومنهج السلوك ، ونظمت علاقة الانسان بربه ، ونفسه ، والمجتمع الذى يعيش فيه ٥٥ انها اعلنت حقوق الانسان قبل أن تعرف دساتير الارض ما هى حقوق الانسان ؟ انها رسمت الطريق ، واوضحت المعالم ، وبيّنت حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه .

ولنتقرب الآن من هذا التراث الغالى ، لنقف مع مبادئه التى تعتبر وثيقة تاريخية لها قيمتها فى الدعوة الى الفضيلة وحسن المعاملة ، وانها تكشف لنا عن عظمة الإسلام ونبي الإسلام ٥٥ وتلك المبادئ هى :

١ - البدء بالحمد لله : هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدأ خطبه كلها بالحمد لله والثناء عليه والاستعانة به وفى هذه الخطبة استعان بالله من شؤن النفس وسيئات العمل وفى ذلك تخليص من معوقات الخير ، وازاحة للعقبات التى تعترض طريق السائر الى الله ثم أسند الهداية الى الله وحده ، فمن يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . وهذا الافتتاح ، يجعل السامعين ، حريصين على استيعاب معانى الخطبة والتوجه الى الله ليعينهم على العمل بها .

٢ - الوصية ب تقوى الله ، والحث على طاعته ، وهما عماد الحياة الكريمة ، وأقوى العدة على العدو ، وأعظم المكيده فى الحرب ولا ينال النصر من الله الا بهما (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

٣ - حث الناس على أن يتدبروا ما يلقى اليهم : وأن يعقلوه ، ويفتحوا له قلوبهم وعقولهم ، فقد أخبرهم صلى الله عليه وسلم انه قد لا يلقاهم بعد عامه هذا ، وفى موقفه هذا ، مما يجذب انتباههم ويوقظ وعيهم ، حتى يحفظوا النصيحة . ويحرصوا عليها أشد الحرص .

٤ - حرمة الدماء والإموال : فكل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه ، ولقد نهى الإسلام اشد النهى عن قتل النفس بغير حق ، وجعل جزاء القاتل الخلود فى النار (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) (النساء ٩٣) فالقاتل لا حظ له من رحمة الله ومغفرته يقول صلى الله عليه وسلم : « لا يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما » (رواه البخارى وأبو داود) ويقول عليه

الصلاة والسلام « كلّ قتل عسى الله أن يغفره الا من مات مشركا او مؤمنا قتل مؤمنا متعمدا » (رواه أبو داود والنسائى) .

وكما حرم الاسلام قتل النفس بغير حق ، حرم أيضا اغتصاب الحقوق ، وأكل أموال الناس بالباطل (يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض بينكم) [٢٩ : النساء] ويقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان : « من ظلم قيد شبر من الارض طوقه من سبع أرضين »

٥ - لقاء الله والسؤال عن الاعمال يوم القيامة : مما يدعو الى محاسبة النفس ، والاستعداد للعرض على الله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) (١٨ : الحشر) .

٦ - تبليغ الرسالة والاشهاد على ذلك من الله والحاشرين : وفى احدى الروايات ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذا قال : ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد كان يشير بإصبعه الى السماء ، وينكتها الى الناس أى يردها اليهم ، ليؤكد هذه الشهادة ، وأنه بلغ الرسالة وأدى الامانة (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) (٦٧ : المائدة) .

٧ - وجوب اداء الامانة : وهى كل واجب على الانسان نحو ربه أو نفسه أو الناس اجمعين ، وتشمل كل نعمة أنعم الله بها على عبده ، فعليه أن يحسن استعمالها فى مرضاة الله (ان الله يامركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) (٥٨ : النساء)

٨ - اهدار الربا والثأر : وهما من أسباب الدمار ، واضطراب الأمن ، وقد حرم الله الربا بجميع صورته (وأحل الله البيع وحرم الربا) (٢٧٥ : البقرة) . والخذل بالثأر يفضى الى الاخلال بالأمن ، ويؤدى الى الفوضى فى القصاص ، حيث يقترب عليه قتل الأبرياء وقد قال تعالى : (ولكم فى القصص حياة يا أولى الألباب لعلمكم تتقون) (١٢٩ : البقرة) . وقد أخبر الرسول الكريم أنه أهدر ربا عمه العباس ، كما أهدر دم ابن عمه عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، فقد كان مسترضعا فى بطن لبيث فقتلته هذيل وهو صغير يحبو أمام البيوت أصابه حجر فقتله ، وانما أهدر الرسول ربا عمه ، ودم ابن عمه ، لان ذلك ادعى الى امتثال أمره ، حيث بدأ بنفسه وأهله فى تطبيق مبادئ الإسلام .

٩ - القضاء على مآثر الجاهلية : أعلن الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن مآثر الجاهلية موضوعة ، وهى المآثر الضارة ، فقد جاء فى رواية أخرى « الا كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع أى لاقية له كالشئ الذى يذاس عليه ، وذلك كالعدي والطيرة والهامة وسائر الخرافات التى

كان يعتقدوا أهل الجاهلية أما المآثر النافعة فقد أقرها الاسلام وحافظ عليها وذلك مثل ، السدانة ، وهي خدمة الكعبة والسقاية والمراد بها سقاية الحجاج •



[١٠] حكم القتل العمد والخطأ : فالعمد أن يقصد من يعليه آدميا معصوما فيقتله ، وفيه القود أي القصاص ويجوز لولي الجناية قبول الدية ، والخطأ أن يفعل ما يجوز له فعله ، مثل أن يرمى صيدا أو هدفا فيصيب آدميا لم يقصد بالقتل ، وحكمه كما قال الله تعالى [وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا] (٩٢ : النساء) •

وشبه العمد أن يقصد به لا يقتل غالبا ، كمن ضرب غيره بسوط أو عصا أو حجر صغير أو لكزه في غير مقتل ، وفيه الدية وهي مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية

١١ - انتهاء عبادة الشيطان بأرض الوحي : فقد دالت دولة الوثنية بظهور الاسلام ، وبطل عمل الشيطان في دعوة الناس إلى عبادتها ، ولم يبق أمام الشيطان إلا أمور قد يستخف بها الناس ، وهي في ذاتها خطيرة ، وهي التحريض على الشقاق ، والقاء الفتنة ، لبث الخلاف في صفوف المؤمنين فعليهم أن يحذروه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) (٢٠٨ : البقرة) • وعليهم أن يعتصموا بالله ، ويستمسكوا بالوحدة والاتحاد • (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) (١٠٣ : آل عمران) •

١٢ - تحريم التلاعب بالأشهر الحرم : ووجب احترام الزمن بأن يكون على هيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وقد حرم الله النساء وهو تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر ، وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون ، أحلوه وحرّموا مكانه شهرا آخر ، وهكذا حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها ، وكانوا يعتبرون في التحريم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر المعلومة والنساء زيادة في الكفر أي هو كفر آخر ضمّوه إلى كفرهم ، ليواطئوا أي يوافقوا عدة الأشهر الأربعة الحرم •

١٣ - حقوق النساء : وبيان واجباتهن ، وتأديبهن عند التشويز ، والوصية بهن لضعفهن ، وفي تقرير هذه الحقوق والواجبات بين الزوجين حفظ لكرامات الأسرة ، فعلى المرأة أن تطيع زوجها ، وتحافظ على

ماله وعرضه ، فلا تدخل بيته أحدا إلا بإذنه ، وأن تلبس لباس العفة ، وتصون نفسها عن مواطن الشبهات ، فإن خالفت هذا المنهج الإسلامي فقد آذنت الله في تأديبها ، وذلك بالهجر في المضجع ، أو ضربها غير مبرح أي غير مؤثر ولا شاق ، وإن اطاعت فلها حقها ، برعايتها واحترام رأيها ، وتوفير ما تحتاجه من طعام وكسوة ونفقة بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان عندكم - أي أمانة لديكم - أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء ••

١٤ - ميراث رسول الله : لقد ترك فينا الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب الله ، وسنته المطهرة ، محبة بيضاء ، وأمرنا بيئا ، وصراطا مستقيما ، لا يزيغ عنه إلا هالك ، ومن تمسك به فلن يضل أبدا •

١٥ - المسلم أخو المسلم : فلا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، ولا يأخذ منه شيئا إلا عن طيب نفس وبهذا تسود المحبة بين الناس ، ويعيشون متعاونين لا متعادين ، ومتراحمين لا متزاحمين •

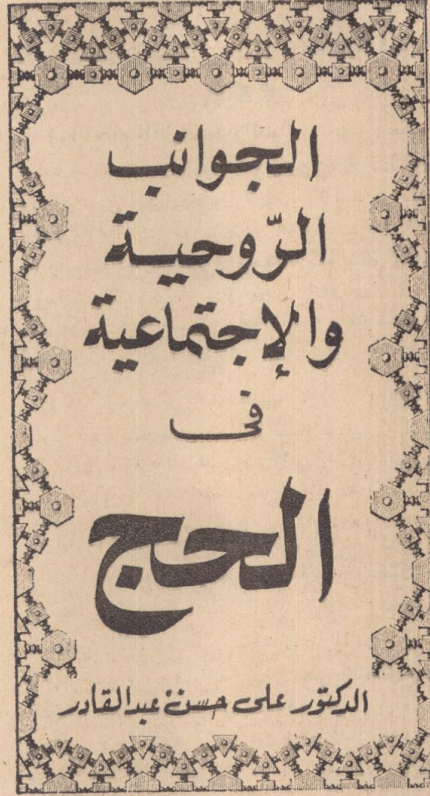
١٦ - خطر الانتكاس والعودة إلى الكفر بالتناحر والتضارب : لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة واحدة ، ولكن مؤامرات الأعداء ودسائس الاستعمار ، تعمل على التفريق بيننا ، جريا على دستورهم « فرق تسد » والرسول الكريم يحذرننا من أن نعود بعده متباعدين ، يضرب بعضنا رقاب بعض ، فاجتماع الكلمة ، وتوحيد الصفوف ، هما الوسيلة لبقاء الأمة وحفظ كيانه ، والاختلاف طريق الضعف والانهيار يقول صلى الله عليه وسلم : « من خرج عن الطاعة ، وفارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية » (البخاري) •

١٧ - وحدانية الألوهية ، ووحدة الأصل لجميع الناس :

إن للناس ربا واحدا ، وهم على اختلاف أجناسهم واللوانهم يرجعون إلى أصل واحد هو آدم وآدم من تراب ، وهذا يدعو الناس إلى أن يعيشوا على هذه الأرض أخوة متعاونين على الخير العام والمصلحة المشتركة فلا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح •

١٨ - تحديد الموارث وحكم الوصية :

بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى قسم لكل وارث نصيبه من الميراث (فريضة من الله أن



ان العبادات التي فرضها الله على عباده تقوم على فكرة الاعتقاد بها والتفكر والتأمل في معانيها ، وعلى الصفة التي تستولى على القلب ، والمعنى الذي يملك النفس . كل هذا يجعل للعبادات قيمتها المنشودة ، ومعناها المراد ، وسرها الحقيقي ، وأهم ذلك كله هو صدق النية ، والبعد عن الرياء والسمعة ، وحضور القلب عند أداء هذه العبادات المفروضة .

وفريضة الحج تحمل في طياتها من المعاني الروحية والاجتماعية ما يكيف الشخصية الاسلامية ويضفي عليها لونا من الصفاء والسمو . فضلا عما تحمله هذه الفريضة الفريدة في التاريخ الاجتماعي الديني من فكرة نبيلة هي فكرة الربط الروحي والمادي بين المجتمع الاسلامي وتوثيق التفاهم والتعاون وروح الاخوة بين المسلمين في مشارق الارض ومغاربها .

وقيمة الحج المقبول المبرور عند الله هي أن يكون خالصا لوجهه الكريم من غير أن تشوبه شائبة من الرياء أو يبغي به الحاج جاهها أو سمعة ، وروى أن

الله كان عليهما حكيمًا (١٦ : النساء) . فلا يجوز تفضيل بعض الاولاد على بعض ، لأنه مدعاة للنعداوة والحقد الدائمين ، ولا يجوز اعطاء الذكور وحرمان الاناث فهذا ظلم بين ولا وصية نوارث الا أن يجيز الورثة ، ولا تجوز وصيته لغير وارث الا في حدود الثلث والثلث كثير فلان يدع الانسان ورثته اغنياء ، خير من أن يدعهم عائلة يتكفون الناس . .

١٩ - حكم ولد الزنا ولمن ينسب :

الزنا جريمة منكرة ، والثمرة المحرمة الناتجة عنها ، لا تنسب الى الزاني ، وانما ينسب الولد لامه كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « الولد للفراش وللعاهر الحجر » أي ولد الزنا لامه ، وللعاهر أي الزاني الحجر أي الخيبة والحرمان فلا شيء له ، والعرب تقول في ذلك : له الحجر ، وبفيه التراب ، أي لا شيء له . .

٢٠ - الانتساب الى غير نسب صحيح أو الى موالى غير حقيقين موجب لعنة الله تعالى :

الاسلام يحافظ على صحة الانساب ، ويأمر بمراعاتها ، فعلى الانساب تقوم القرابة ، وتترتب أحكام كثيرة ، في النكاح والميراث وغير ذلك وضياح الانساب أو اختلاطها ، يؤدي الى الفوضى ، ويفضي الى ضياع الحقوق ، فان الشرع يفرض الحاق كل مولود بأبيه (ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله) (٥ : الاحزاب) ويفرض الشرع ايضا احترام الولاء ، ويوجب الحاق كل معتق بمولاه . . والولاء شرعا : عصوبة سببها نعمة المعتق على عتيقه ، ويرث بها المعتق وعصبته المتعصبون بأنفسهم ففي الحديث الشريف : « الولاء لمن أعطى الورق وولى النعمة » (رواه الخمسة) أي الولاء لمن دفع الورق وهي الدرامم المضروبة واشترى بها الرقيق وأولاه نعمة الاعتاق . فمن ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا - أي لا يقبل الله توبة ولا فدية .

وبعد :

ففي هذه المبادئ العشرين التي تضمنتها الخطبة الجامعة في حجة الوداع ، ما يوضح الحقوق والواجبات ، وما يرسم منهاج السلوك الصحيح ، ويضع أساس الحياة الكريمة .

النبى صلى الله عليه وسلم لما حج حجة الوداع ركب الى عرفة فلما كان حين ازلفت الشمس أمر راحلته القصواء فرحلت . فلما توجه قال : « اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة » فهذه الصورة المتواضعة فى توجهه عليه السلام ، وهذا الدعاء المذهب أن يجعل هذه الحجة خالصة لوجهه الكريم .

من هذا كله تتجلى أسرار هذه العبادة فى ظاهرها وباطنها . وفى مناسكها ومسالكها وفى شعائرها ومواقفها لتكون مقبولة مبرورة . فإذا استعملت هذه العبادة بهذه الصورة الظاهرة من غير ترف أو بذخ ، ومن غير تظاهر أو تفاخر ، وبهذه الصورة الباطنة من الاخلاص فى التوجه الى الله والرحلة فى سبيله كان حجا لا رياء فيه ولا سمعة ورجع الحاج وقد غفر الله له ذنبه .

جاء فى الحديث : عن ابن عمر أنه قال : « اما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام فان لك بكل وطأة تطؤها راحلتك يكتب الله لك بها حسنة ويمحو عنك بها سيئة ، وأما وقوفك بعرفة فان الله يقول : هؤلاء عبادى جاءونى شعنا غبرا من كل فج عميق يرجون رحمتى ويخافون عذابى ولم يرونى فكيف لو راوونى فلو كان عليك مثل رمل عالج ، ومثل العضاض ومثل قطر السماء ذنوبا غسلها الله عنك ، واما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات .

واما نحرك فمدخور عند ربك . واما حلقك رأسك فانه مدخور لك بكل شعرة تسقط حسنة فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كما ولدتك أمك

ان الله تعالى قد جعل هذا السفر نسكا - كما جاء فى الحديث - تجمع مناسك وشعائر لا يرفع الحاج قدما ويضع أخرى الا كان ذلك تكفيرا وتطهيرا له من الذنوب والآثام ، فإذا كان الحج بهذه الدرجة العظيمة ، فما أحرى أن يتحرى الحاج من هذه الرحلة الالهية أن يلزم نفسه فى ظاهره وباطنه التبتل والترهب فى لباسه وزاده وراحلته حتى يظهر كمال العبودية والتجرد لله من المظاهر المادية فى الحضرة الالهية ، ثم يلزم نفسه فى باطنه الاخلاص فى النية وطريق الاعتبار والتذكر ، فان تمام الاعمال بما يصحبها من نية صادقة فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم ، بل بذلها ايثارا لوجه الله كما يقول الله تعالى « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » وبهذه المعانى الظاهرة والباطنة يتحقق باداء هذه الفريضة جانبها الروحى المقصود .

وفى هذه الايام المباركة التى تجتمع فيها قلوب الناس على ذكر الله وتوحيده نجدد هذه المناسك ونبقى من روعتها ونجدد من ذكرها وفكرتها فى هذا الاجتماع الاسلامى الكبير فى صعيد واحد وعذبة فكرة واحدة . « ان هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فأعبدون » تلك هى الفكرة الثابتة التى تقوم عليها رسالة الاسلام لم تتغير ولم تتبدل ولم يختلف المسلمون فيها على اختلاف مذاهبهم ، وهى فكرة التوحيد توحيد الله واخلاص الدين له ، وتوحيد الدين والمجتمع ، ولا يعرف التاريخ نداء ابلغ وأبدع وأقوم من هذا النداء الالهى نداء الوحدة والتوحيد بكل ما يحيل من معان . ذلك النداء الذى ينادى به محمد الناس لينقذهم من كبوتهم ويخرجهم من الظلمات الى النور ، « وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لنهدي الى صراط مستقيم »

وليس من شك أن هذا الشعور بالتماسك ، وهذا الانسجام الذى يصدر الناس فيه عن قلب واحد وفى سبيل هدف واحد صورة تتجلى فى الحج الى بيت الله الحرام وبهذه الروح - روح الوحدة الاجتماعية ما يمكن لتحقيق القوة الذاتية لمجتمعنا الاسلامى وحمايته من الاطماع التى تترتب به والافات والبوائق التى تصيب الجماعات المتفرقة ، فليس هناك شئ يدخل الخوف والجزع فى القلوب مثل التفكك والتفرق ، وليس هناك شئ يمكن الثقة والامن والفرحة فى النفوس مثل الاعتصام بحبل الله وسبب الاخوة .

فى هذه الايام المباركة ، وفى هذه الاجواء الزكية بالعبادة والدعاء تتجلى قوة الوحدة التى كانت فى أوضح معانيها سر تقدم الامة الاسلامية ودفاعها عن الحضارة والانسانية فى مراحل التاريخ ، ولا يشك العارفون فى أن هذه الامة ستكون المعقل الاخير لحماية الارض من غضب السماء (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)

فما أحرى بنا أن نقف لنجدد العهد ونغتنم الدعاء عندما تصفو النفوس وتطهر القلوب وترق الحواس فى أيام الحج الاكبر وفى روعة هذه المناسك التى يجدد ذكرها وروعتها هذا الاجتماع الاسلامى الكبير فى صعيد واحد وعند فكرة واحدة « فإذا قضيت مناسككم فانذكروا الله كذكركم آبائكم أو أشد ذكرا » ثم نبدأ دورة من عجلة الزمن فى عزم جديد وبعث جديد وروح جديدة ان شاء الله .

تأملات في الحج إلى بيت الله الحرام

الأستاذ أحمد وافي

لا شريك له ، طاعة الألوف والملايين من خلقه ، مفرقين على ما لا إعداد له من بقاع الأرض ، ومنهم البعداء أقصى البعد المنبعثون لهذه المسيرة الربانية سعيا على أقدامهم شهورا ذات عدد ، ينتفون رضوان الله بالمجاهدة والمعاناة ، وتلك هي العبادة الحقة ، نابعة من قلوب مؤمنة مستسلمة في جماعية رائعة وروحانية مشرقة .

ويدخل في هذا المعنى التعبدي الخالص ، أنهم جميعا يمارسون ، فيما يمارسون من شعائر الحج ، أعمالا تستبهم أسرارها ومعانيها على عقولهم ، كرمي الجمار ، والتردد بين الصفا والمروة وتقبيل الحجر الأسود : .. وفيها يقول الامام الغزالي : (فيمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية) ، ويقول مقارنا من هذه الناحية بين شعائر الحج والفرائض الاخرى (فالزكاة ارفاق ووجهه مفهوم ، وللعقل اليه ميل ، والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله - أبلوس - وتفرغ للعبادة بالكف عن الشهوات ، والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله عز وجل وللنفوس أنس بتعظيم الله .. فاما ترددات السعي ، ورمي الجمار ، وامثال هذه الاعمال ، فلاحظ للنفوس ولا أنس للطبع فيها ، ولا أهداء لنقل الى معانيها ، فلا يكون في الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وتصد الامتثال للامر ، من حيث هو امر واجب الاتباع فقط ، وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه) ..

وهذه الجموع الحاشدة من خلق الله ، لم يستقدمهم الله الى البيت الحرام من أوطانهم وأقطارهم المتعددة ، ليعبدوه فيه فحسب ، فهم عبيده ، وعابدوه في كل مكان ، في بلادهم وبيوتهم ، ومساجدهم ، وكلها بيوت الله ، ولكنه تعالى كما أراد بهم خيرا يتجسد عبوديتهم وعباداتهم على هذا الوجه الشامل الواعظ ، في هذا الموضع من الوادي القفر السحيق ، فقد أراد بهم كذلك خيرا ، بتجميعهم امامه ، في هذه الساحة القصية ، اخوانا متساوين قد زال ما بينهم من فوارق ، فالغني الذي يحيا راغدا في قصوره ، رافلا في حريه ، متخايلا بالقائه واحسابه ، قد انخلع من هذا كله طامعا راضي النفس ، داخلا فيما دخل فيه من لا يملكون من دنياهم فتيلا ولا قطميرا ، فيها هنا الفقراء والاغنياء ، جميعا ، كما خلقهم الله ، سواسية مجردين من كل مظاهر التفاوت والتفاضل ، لبسهم واحد ، ووجهتهم واحدة قد اقبلوا

في هذه الايام المباركة تشد الرحال ، وتقرى مواكب الحجيج من المسلمين ، على شتى المسالك والمسارات ، ومن سائر الاقطار والقارات ، مصعدة بهم الى بيت الله الحرام ، (ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) ، قد فارقوا اليه الاهل والولد ، والمال والتشب ، والدار والبلد ، يلج بهم الشوق الى لقاء الله ، على أطهر بقعة من أرضه ، وفي خير البلاد وأحبها اليه والى رسوله ، فرحين بما آتاهم الله من نعمة الاستطاعة ، وكرم التيسير ، لقضاء فرضه ، وتلبية أمره وأنهم لخلقاء ان يفرحوا وتفرحهم بهذا الحظ السعيد الذي تطامنت لهم اسبابه ، فثمة كثير غيرهم ، مشوقون مثل شوقهم ، قعد بهم العجز ، وتعصت عليهم الوسيلة ، وعزأهم في تخلفهم ، ان الله لرحمته بعبادة ، قد فرض الحج عليهم مشروطا بالاستطاعة (والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) ، وهم مع قسوة شعورهم بالحرمات في عامهم هذا ، يتوجهون الى الله بخالص الدعاء ، وعظيم الرجاء ان يرزقهم القدرة والتيسير في مقتبل ايامهم ، فالحج عبادة العمر ، وخاتم الامر ، وكمال الدين وفيه نزل قول الله تبارك وتعالى [اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عابكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً] . وفي فضله ، ومأمول خيره ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) ويقول (حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها) ..

والحديث عن الحج فرضا وركنا من أركان الاسلام الخمس ، تداعى له ، وفيه ، خواطر ومعان كثيرة ، فليس هو مجرد رحلة طويلة أو قصيرة ، شاقة أو يسيرة ، يرتحلها الراحلون مثقلين بالذنوب والخطايا ، ثم يؤوبون منها أطهارا مغفورا لهم ، وفي أيديهم مقاتيح الجنة ؟ فذلك أمر جرى به وعد الله حقا ، ولكن بحقه وعدله ، نية وعملا ، فمن الامور المسلمة ان قبول القوية واعتقار ما سلف من ذنوب وخطايا ، لا يعفى قط من المساءلة ولا يعصم من الحساب عما يقارفه الحاج منها بعد ذلك ، وقوام الامر عموما ، هو الفهم الصحيح لحكمة الحج واسرار ومراميها .

أوضح صور الحج ، وأبين معالمه ، ذلك الاحتشاد العالمي في بلد واحد ، ووقت واحد ، وحول بيت واحد ، فانها هنا الطاعة الخاشعة الذليلة لرب واحد

مجتمع الشعوب والقبائل ، فالتعارف قبه يتجسسون الفردية الى الجماعة ، حيث يتكاشف الجميع بحقائق الحياة في بلادهم ، ويتعارفون على مشاكل وقضايا أوطانهم وشعوبهم ، ويفضون هذا تلقائيا الى المشاورة والحوار وتبادل الآراء ، ونشدها التعاون لمساواة الاخطار ، وتأمين حياتهم ووجودهم الانساني الكريم الحر ، فكلهم - وان اختلفوا أوطانا - أمة واحدة تجمعهم (دار الاسلام) وتظلهم راية القرآن ، أو هكذا ينبغي أن يكون أمرهم .

وفي هذه الظروف الحاضرة التي يواجه فيها المسلمون عدوانا شرسا ، معلنا ، على بقاع عزيزة ومقدسة من أوطانهم ، يبدو تلاقحهم ، وتوحدتهم على هذا النحو ، أمرا لازما ، وجاريا على مقتضى ارادة الله ، ومنبثقا من حكمة الحج وشريعته .

وقد كان هذا مبتغى قادة الفكر الاسلامي ، ومتوجه اصحاب الدعوة الى التحرر والخلاص منذ ان امتحنوا الاوطان الاسلامية بالاستعمار ، والتفرق ، فنحن نرى في النصف الثاني من القرن الماضي جهودا مضنية ، ودعوات مخلصية ، ينبعث بها ، ولها ، أمثال جمال الدين الافغاني وعبد الرحمن الكواكبي (السوري الحلبي) ومحمده عبده (المصري) - رحمهم الله جميعا - وقد اتخذ الكواكبي - كمثال لهذه الجهود والدعوات - من الكعبة المشرفة في موسم الحج - مكانا لاجتماع زعماء وعلما المسلمين في العالم الاسلامي الكبير ، وجعل من اجتماعهم هذا - بطريق الخيال طبعاً - مؤتمرا عاما ، أو مؤتمر قمة كما نقول الان ، ثم أجرى فيه على السنن نقاشا موضحا لخطر الفرقة بين المسلمين وواجب اتحادهم ليقووا على تحطيم اغلال الاستعمار والاستبداد ، الى آخر ما في هذا المعنى .

وبعد قرن من هذه الصيحات التي غملت القوى المضادة على اخفائها ، جاءت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وكتابتها في يمينها ، داعيا الى الوحدة الاسلامية كقوة مؤثرة في تحرير وطن العروبة والاسلام .

ففي كتاب فلسفة الثورة من ثمانية عشر عابا ، يتحدث القائد الراحل العظيم جمال عبد الناصر عن وحدة المسلمين ، وفرصة انطلاقها من ساحة الحج المباركة فيقول (يجب أن يكون الحج قوة سياسية ضخمة بوصفه مؤتمرا سياسيا دوريا يجتمع فيه كل قادة الدول الاسلامية ورجال الرأي فيها وعلماؤها في كافة أنحاء المعرفة وكتابتها وملوك الصناعة فيها ، وتجارتها وشبابها ليضعوا في هذا البرلمان الاسلامي العالمي خطوطا عريضة لسياسة بلادهم ومقارنتها معا حين يعود موعد اجتماعهم من جديد بعد عام . يجتمعون خاشعين ولكن اقوياء متجذرين من المطامع ولكن عاملين مستضعفين لله ، ولكن أشداء على مشاكلهم واعداًهم حاملين بحياة أخرى ، ولكن مؤمنين أن لهم مكانا تحت الشمس يتعين عليهم احتلاله في هذه الحياة) ، الى آخر ما قاله في هذا المعنى ، معددا ملايين المسلمين في أنحاء العالم ، ومستعرضا ما

على الله في حال لا تختلف شعنا غيرا ، خاشعين لجلاله ، لاجئين الى عفوه وغفرانه ؟ والتسوية بين خلق الله في هذا المقام العظيم ، لا تنقضي هكذا بغير أثرها الانساني المؤكد لحقيقتها وحكميتها ، احساسا وعملا ، فعلى اصحاب السعة ان يبذلوا ويتسخطوا ترفيها عن اخوانهم الذين لم يؤثروا سعة مثلهم ! .. وجعل الله مظهر هذا ، وسبيله ، تقديم الهدى والقائد وهي الانعام الى تحنر في الحج ، قربانا لله ، وأطعمنا للفقراء والمساكين (والذين جعلناهم لكم من شعائر الله ، لكم فيها خير فانكروا اسم الله عليها صواف ، فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتز ، كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم) . في صحيح البخاري قال مجاهد سميت البدن لبدانتها والقانع السائل ، والمعتز الذي يعتز بالبدن ، من غنى أو فقير ، وشعائر الله استعظام البدن واستحسانها فهذه دعوة ربانية صريحة الى التواصي والتعاطف والمساواة والتراحم بين الناس كافة بلا تفرقة ولا تمييز ، وفيها تنبيه علوي ، الى أن الله جل جلاله لا يناله من ذلك سوى تقواهم ، فالخير فيما يدعوه اليه ويأمرهم به ، عائد كله اليهم مقصور عليهم !! ..

وقد استفاد العمل بهذه السنة الكريمة ، في جميع المواطن والشعوب الاسلامية ، فالمسلمون حينما كانوا ، وفي نفس الوقت الذي يتقدم فيه اخوانهم الحاج بقرايينهم هناك ، يتقربون هم كذلك بمثلها ويتقسمون (الاضحية) مع اخوانهم الفقراء في يوم العيد الاكبر ، وقد سمي لهذا (عيد الاضحية) وفيه أحياء وتكرام لا سمي معاني التضحية والفداء ، ممثلة في موقف أبي الانبياء ابراهيم عليه السلام عند ما وضع السكين على عنق ولده ليذبحه انفاذا لأمر الله تعالى ، ففداه الله ، في اللحظة الاخيرة بذبح عظيم .

والصورة الأكثر انساقا من بين صور الحجج تتجلى في التقاء هذه الحشود الكبيرة من عبيد الاوطان والجنسيات فهذا التلاقى تحت راية الاسلام ودين التوحيد والوحدة خليف ان يكون عاملا فعلا في توثيق ما بينها من الوشائج والعلاقات ويعيدها كما كانت امة واحدة متضامنة الصف يكمل بعضها بعضا ويتأثر بعضها ببعض كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر ومن وراء ذلك يقينا القوة والهبة والمنافع المتبادلة .

ان الله سبحانه وتعالى ، يقول بخليله ابراهيم عليه السلام : [وأذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ، ياتين من كل فج عميق ، ليشهروا منافع لهم] . قيل : هذه المنافع : التجارة ورحض الذنوب : وتعمير الوادي غير ذي الزرع : وما هو من هذا بسبيل ، وانها كذلك من بعض الوجوه ولكنها في أسرارها ومقاصدها الكبرى ، تعني أيضا وفي المرتبة الاولى : (التعارف) الذي يعززه قول الله عز شأنه : (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) والحج

يملكونه من قوٍ (وأماكن هائلة ، يمكن أن يحققها التعاون بين المسلمين جميعا) *

ولسنا نرى ما هو ابلغ واصدق من هذه العبارات (الناصرية) في بيان الفكرة وتوضيح الهدف ، وكيف يمكن أو يجب أن يكون الحج مؤتمرا (دوريا) للنظر في مصالح المسلمين ، عامة وقد تلاقت الاحداث بعد ذلك كاشفة عن حاجة المسلمين - العاجلة - الى الوحدة ، اكتسابا للقوة التي لا يستطيع غيرها القضاء على الغزو الصهيوني الاستعماري الذي يهدد - بأشد الاخطار - سلامة الوطن العربي الاسلامي ، وينتهك جوارا حرمة الاسلام ، ومقدسات المسلمين ، ويعتسف في بربرية وتوحش انسانيتهم وكرامتهم ! *

ولانحتاج أن نقول أن الصهيونية تقوم على العنصرية الطاغية مستعنة بها في غير ما استحياء ، ومن أهدافها الرسومة التي لا تستخفى بها ، استعادة ما تزعم أنه وطن اليهود القديم ، الموعود وهو - في زعمها - كل ما يقع بين النيل والفرات !! فاليهود لا يكتفون بفلسطين وسوف لا يتورعون - اذا ما تمكنوا - عن مد غزوهم الى أعز وأقدس المواطن الاسلامية الاخرى *

فقياسا على ما عرف من تفحشهم ، وتهورهم ، وتزييفهم الحقائق ، وحقدهم على البشر ، وكرهيتهم للاديان ، وأهدارهم حقوق بني الانسان ، لا يستغرب منهم الادعاء ، قريبا أو بعيدا بأن في الكعبة الشريفة مقام (جدهم) ابراهيم ، فهو الذي اقام قواعدها وقد وعده الله في زعمهم بأن يعطيهم كل ارض مستها قدمه او وقع عليها نظره ، فجاز لهم بذلك ان يرثوه في الكعبة التي مشى على ارضها ، ووضع يده في بنائها *

وذلك أمر رهيب دونه رق الرقاب ، ولن يكون بأذن الله ، ما بقي الاسلام اسلاما ، ولكن اليهود يعيشون في مثل هذه الاحلام والخرافات ويتصورونها حقائق ممكنة في حصى القوى الاستعمارية ، الباغية ، وعدوانهم القائم المستفحل المتزايد يوما بعد يوم ، يشي باحتمالات تهورهم والاسراف في غرورهم وهم لا يفلتون أيما فرصة تلوح لهم ، وفرصتهم الكبيرة هي مواطن الضعف عند المسلمين بقدر ما هي مواطن القوة عند الصهيونية والاستعمار ولا يكون ضعف المسلمين الا حيث يكون تفرقهم *

واحتمالات الغزو الاسرائيلي المتهور لمقدسات الاسلام العزيزة في غير فلسطين ، كانت واقعا وعملا أقدم عليه الصليبيون من نحو ثمانية قرون ، ذلك أنهم حينما استطاعوا احتلال بيت المقدس وبعض مدن فلسطين وسوريا ووثقوا من ضعف المسلمين لتفرقهم ، اغرامهم هذا الضعف بالتوسع في الغزو والاغارة ، وكان أحد أمراء الفرنجة الاشرار ، قائما على طريق الحج فقطعه وانتهب القوافل ، وقتل وأسر من فيها وشرع في غزو الحرمين الشريفين (لطمع الاسلام في قلبه) مستخدما في ذلك سفنا حملت مفككة فوق ظهور الجمال حتى خليج العقبة ، ومن هناك تم

تركيبها والاغارة بها على الموانئ المصرية والبحر الاحمر ، واستولى جنوده على مراكب المسلمين بما عليها من بضائع وأموال وحجاج ، ثم اتجهوا الى شاطئ الحجاز فنزلوا على ساحل الحوارة قريب ينبع واغتصبوا القوافل الى أن صاروا على مسافة يوم واحد من المدينة المنورة - حماها الله - وانتشر خبر هذا الامر الفظيع ، فاستهوله المسلمون وفزعوا منه فزعا شديدا ، وثاروا بسببه ثورة عارمة ، جمعت صفوفهم المتفرقة وبادرت مصر بقيادة صلاح الدين فأرسلت أسطولا بحريا قويا تعقب سفن الفرنجة وظفر بها وأحرقها وأسر رجالها وطارد المصريين الغزاة في الصحاري والجبال على طريق المدينة فأوقعوا بهم وأسروهم وكان موسم الحج قد أقبل ، فأرسل قائد البحر المصري (الحاجب حسام الدين لؤلؤ) أسيرين منهم الى منى ، فنحرا هناك كما تنحريد الضحية ، وعاد ببقية الاسرى الى مصر ، فطيف بهم ، في الشوارع ، ثم قتلوا بعد ذلك (ليكونوا عبرة لكل من تحدثه نفسه بالاعتداء على حرم الله وحرم رسوله) ؟ * وفي ظلال الوحدة الاسلامية التي تعدها ووثق عراها الناصر صلاح الدين ، ترعرت قوة الدفع ، والدفاع ، والجهاد فاسترد المسلمون بيت المقدس ، ثم استردوا بعده جميع البلاد الاسلامية التي كان الفرنجة قد احتلوها زمنا طويلا ! *

هذه السابغة التاريخية توضح لنا أهمية وضروية وامكان العمل لتوحيد جماعة المسلمين ، آزاء الخطر الصهيوني المحقق بهم كما تؤكد لنا أنه ، بفضل هذه الوحدة ويتوفيق الله وعونه ، لن يختلف مصير اعداء الاسلام في القرن العشرين عن مصير أسلافهم في القرن الثاني عشر ! *

وسبيل الوحدة ، كما قلنا ، وكما توحى التجربة ، هو التلاقي والتعارف ونبد الخلافات ، والتجرد من المطامع والاهواء ، والانفتاح على الحقائق والنوايا والاتجاهات العدوانية المدبرة ضد الاسلام والمسلمين .. ومن بشائر الخير ان نرى المؤتمرات الاسلامية - بعد العدوان الصهيوني في يونيو ١٩٦٧ - قد تتابعبت على مستوى الدول في الرباط وفي جدة وفي القاهرة وفي ليبيا ، واخيرا في باكستان والفلبين وغيرها وكلها تدق الاجراس تنبيهيا وانذارا واعلانا للتجمع والاحتشاد ، واستئناف الجهاد ؟ ! *

ولا ريب في ان هذه المؤتمرات الناشطة المتجددة مخاض شعور اسلامي عام بحاجة المسلمين الى التقارب والتوحد أمام المكائد والمؤتمرات وقوى البغي والعدوان المتربصة بهم *

ومن المحقق أن تنظيم اجتماعاتهم ، وعقدتها في موسم الحج ، وفي رحاب الله الطاهرة وعلى مرأى ومسمع من وقود العالم الاسلامي الكبير من شأنه أن يمنحها مظهرا جماعيا مؤثرا أكثر دفعا : وأبعد أثرا وأقوى روحانية وأوثق عهدا *

وان لنا في تحقيق هذا لآمالا كبيرا * ونسأل الله تعالى العون والتوفيق

الأيام العشرة

فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع

عليه وسلم « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام - يعني أيام العشر - قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع بشيء من ذلك » .

وما هي ذى الفرصة الآن سانحة لمن لم يدرك فضيلة الجهاد في سبيل الله بنفسه وماله - ولئن لم تهيأ له ظروف اللحاق بمن أنعم الله عليهم بحج بيته ومشاهدة مقدساته من قاته هذا أو ذاك - فعليه أن يولى وجهه وجهة العمل الصالح في هذه الأيام المباركة يغنم منه ما يرجح ميزان حسناته ويضاعف مثوبته على صالح أعماله ويشارك به حجاج بيت الله في اللجوء إلى الله ابتغاء مرضاته فموائد العمل الصالح في هذه الأيام مهيأة وبين يدي طالبها قطوفها دانية وألوانها متنوعة فمن رغب عن لون منها وجد في الآخر بغيته بعضا من هذه الأنواع حفزا لهم العاملين .

١ - ير الوالدين فضله كبير وأثره جليل وأجره عند الله عظيم : وتدبر أيها القارئ الكريم قول رسول الله

هذا العدد من مجلة منبر الإسلام الغراء كبرى المجلات الإسلامية يصافح قراءه الكرام مع اشراقة اليوم الاول من ذى الحجة . وهو أول الايام العشر ذات التاريخ المجيد والفضل الكبير قبل الإسلام وبعد الإسلام فقد كان الجاهلون يعظمونها ويعملون فيها ما يخلد ذكرها فكانوا يضعون السيوف في أعمادها وتضع الحرب أوزارها فلا يحاربون تكريما لهذه الايام حتى تكون الايام سلما . والبلاد آمنة والنفوس مطمئنة مستقرة - جاء الإسلام فأبقى لها فضلها وأضفى عليها من ألوان الخير والبر ما يرفع شأنها ويحیی في نفوس الناس آثارها لذا أقسم الله عز وجل بها في قوله « والفجر وليال عشر » قال بعض المفسرين قرئ في وليال عشر بإضافة عشر إلى ليالي على أن المراد بالقسم الايام لا الليالي وإنما أقسم الله بها - ايذانا بفضلها على غيرها من بقية أيام السنة ومعلوم أن فضل الايام والليالي التي فضلها الله تعالى إنما يعود بالخير على بني آدم فإن الله سبحانه يبارك فيها عمل العاملين ويجزل العطاء للساكرين ويضاعف الاجر للمخلصين فقد روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله - صلى الله

صلى الله عليه وسلم في أجر بر الوالدين فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رغم أذى . ثم رغم أنف . ثم رغم أذى من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة» وفيما رواه مسلم أيضا عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «أقبل رجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال أبايك على الهجرة والجهاد أبنتي الأجر من الله تعالى فقال لك من والدك أحد حتى قال نعم بل كلاهما . قال فتبقي الأجر من الله تعالى قال نعم قال فأرجع إلى والدك فأحسن صحبتهم» متفق عليه .

وإذا لم يدرك الإنسان بر والديه أو أحدهما في حياته فعليه اتباع ما ورد عن رسول الله في هذا الشأن فقد ورد عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما . فقال نعم . الصلاة عليهما والاستغفار لهما . وإنفاذ عهدهما من بعدهما . وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما . وإكرام صديقتهما» وفي رواية عن ابن دينار عن ابن عمر أنه كان إذا خرج من مكة كان له حمار يتروح عليه إذا مل ركوب الرحلة . وعلامة يشد بها رأسه فيبينما هو يوما على ذلك الحمار أن مر به أعرابي فقال الست فلان بن فلانة . قال بلى . فأعطاه الحمار فقال اركب هذا وأعطاه العمامة وقال اشدد بها رأسك فقال له بعض أصحابه غفر الله لك أعطيت هذا الأعرابي حمارا كنت تروح عليه وعلامة كنت تشد بها رأسك . فقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي» وأن أباه كان صديقا لعمر رضي الله عنه .

٢ - من العمل الصالح أيضا صلة الرحم - رحم الإنسان قرايته لأبيه أو لأمه فعلى المسلم أن ينتهز حلول هذه الأيام المباركة يصل فيها أرحامه وليضع نصب عينيه الوعد المترتب على صلة الرحم والوعيد المترتب كذلك على قطيعة الرحم لعل هذا يحمله على الاستجابة فيصل الرحم ويرهبه من قطيعتها - أما الوعد فقد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه» متفق عليه - وأما الوعيد المترتب على قطيعة الرحم فذلك فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة - قال - نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك . قالت بلى قال ذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقرأوا أن شئتم» فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم» متفق عليه .

٣ - من العمل الصالح أيضا إكرام اليتيم ومواساة الفقير والمسكين قال تعالى ويسألوك عن اليتامى قل اصبر لهم خير وأن تخططوهم فإخوانكم» وقال: «وما أدراك ما العقيقة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة . يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة» وقال الرسول صلوات الله عليه فيما ورد عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» . وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما» رواه البخاري .

٤ - من العمل الصالح أيضا رعاية حقوق الجار وقد وعد الله عليها أجرا عظيما كما أوعد من تركها وعيدا اليما - أما الوعد فقد ورد في قول الرسول صلوات الله عليه «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أيها نذر إذا طيخت مرققة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك» . رواه مسلم - أما الوعيد فقد ورد فيما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» . والذي لا يامن جواره من يا رسول الله . قال: «الذي لا يامن جواره بوائقه» . البوائق «الغوائل والشُرور وفي حديث آخر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم» . ويطول بنا سرد أنواع العمل الصالح ولكن أستطيع أن أقول أن كل ما يعمل به العبد ابتغاء مرضات الله مخلصا في عمله لربه راجيا رحمته فهو عمل صالح ولو كان عملا دنيويا فالناجر يعمل في متجره والعامل في عمله والصانع في مصنعه والزارع في مزرعته والموظف في مكتبه كل أولئك يعملون صالحا إذا راعوا في أدائه حق الله وحق الناس وأدوه مخلصين لله ابتغاء مرضات يقول الرسول صلوات الله عليه: «من بات كالا من عمل يده بات مغفورا له» وقد صح في الخبر «الناجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء» .

ويكفي الأيام العشر فضلا أن بينها يوم عرفه وهو اليوم الخالد خلود الزمن .

ففي هذا اليوم يجتمع المسلمون من بقاع الأرض وقد استجابوا لنداء ربهم وأطاعوا أمر خالقهم «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا» . هاجروا لله ابتغاء مرضاته وأحياء لشعائره . . وتمتعوا بمناسكه تركوا لذلك أولادهم وهجروا أوطانهم وبذلوا أموالهم وركبوا الصعاب وتحششوا المشاق ليشهدوا منافع لهم وليذكروا اسم الله في أيام معلومات، ثم ليقتضوا تقفهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق وهناك يلتقون بأخوان لهم تأخت أرواحهم مع أرواحهم يوم السبت بربكم وتناجوا بكلمة التوحيد مجيبين ربهم بقولهم «بلى شهدنا» فكان تأخي الأرواح يوم الاقرار بعقيدة التوحيد وكان لقاء

وسلم يوم عرفة وهو بعرفة في حجة الوداع « اليوم
يُس الذّين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الاسلام ديناً » ولهذا العيد ذكريات اخرى
شامخات وكلها تملأ القلب فرحاً وإيماناً وتثير في
النفس بواعث المجد والعظمة عزاً وفخراً .

أما التشريعات الخاصة بهذا العيد فهي أمور
تعبدية دائمة متكررة جعلها الله مظهراً من مظاهر
الفرح الايماني وتعبيراً واضحا عن الابتهاج اليقيني
وهي كثير نذكر منها .

١ - الصلاة الجامعة المعروفة بصلاة العيد وتمتاز
عن الصلوات الاخرى بما يأتي (أولاً) ايقاعها في
رحبة من الرحاب الواسعة في البلد يذهب اليها
المصلون رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ويكررونه
في المصلى بصفة جماعية حتى يحين وقت صلاة
العيد . (ثانياً) التكبير سبع مرات بعد تكبيرة
الاحرام وقبل قراءة الفاتحة في الركعة الاولى وخمس
تكبيرات بعد تكبيرة القيام في الركعة الثانية (ثالثاً)
التكبير عقب صلاة الفرائض الخمس الصبح والظهر
والعصر والمغرب والعشاء قائلين بصفة جماعية أيضاً
الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله الله أكبر
ولله الحمد . . الخ وذلك من صلاة الظهر يوم العيد الى
صلاة الصبح من اليوم الرابع .

٢ - ومن التشريعات الخاصة بهذا العيد أيضاً
الاضحية : وهي ما يذبح أو ينحر من النعم تقرباً الى
الله في أيام النحر وهي سنة عين مؤكدة ويشترط
القدرة على ثمنها والا فلا تسن ويشترط كذلك سلامتها
من العيوب فلا تصح بالعمياء ولا بالعوراء ولا
بالعرجاء ولا بالعجفاء وغير ذلك من العيوب ووقتها
يوم العيد وثانيه وثالثه وتذبح بعد صلاة العيد بل
وبعد أن يذبح الامام اضحيته عند بعض الاثنية ولا
تصح قبل ذلك وللاضحية ذكريات خالدة ذات أثر
عظيم في تقوية الروح الدينية ومضاء العزيمة حقاً
فأنها تجدد قينا حادث سيدنا ابراهيم مع ولده
اسماعيل مع مضي آلاف السنين عليه ولا ينسى فأنه
درس خافل بالمعانى السامية والمثل العليا التي تبعث
على التأسي بهما والسير على نهجهما كي تصل بنا الى
الحياة المثلى .



الاجسام في ميدان الضراعة والخشوع واللجوء الى
الله الولي الحميد في هذا الميدان يباهى بهم ربهم
ملائكته وقد تركوا من أجله متعهم وجردوا أثوابهم
وتركوا زينتهم وأتوه شعثاً وغبرا وحاشاء أن يردهم
خائبين .

في هذا اليوم المبارك أتم الله على عباده نعمته التي
ابتدأها لهم ليلة القدر بنزول القرآن الكريم هدى
للبشرية وفرقاناً يميز بين الخبيث والطيب معلناً كلمة
الحق في الالوهية - والرسالة والبعث والجزاء وفي
علاقة الانسان بأخيه الانسان « ان هذا القرآن يهدي
للتتي هي أقوم » وأتم الله هذه النعمة في عرفة في
حجة الوداع بعرفة حيث قال لرسوله ممتناً على عبادته
بذلك « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام ديناً » . وبذلك كانت ليلة القدر
افضل الليالي وكان يوم عرفة أفضل الايام واختص
الله تعالى كلا منهما بفضل كبير فقال في ليلة
القدر « ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة
والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى
مطلع الفجر » وحث الرسول على قيامها بالتهليل
والتكبير والتسبيح والدعاء والصلاة فقال فيها يرويه
ابو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما
تقدم من ذنبيه » متفق عليه كما حث على صيام يوم
عرفه لغير الحاج فقال فيما رواه مسلم عن أبي قتادة
رضي الله عنه قال « سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن صوم يوم عرفة قال : « يكفر البنية الماضية
والباقية » وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صوم يوم عرفة
بعرفة « فصوم يوم عرفة مطلوب لغير الحاج حتى لا
يضعفه الصوم عن الدعاء - وعلى المسلم أن يكثر من
العمل الصالح في هذا اليوم تأسيا بالحجاج يمشون
سحابة هذا اليوم والليل في الضراعة والخشوع
والخشية من الله داعين ملبين راجين رحمة الله -
والله ذو الفضل العظيم .

وقد ختم الله عز وجل الايام العشر بيوم عيد
الاضحية المبارك وهو جدير بهذه التسمية جدير
بالحفاوة به وبالفرح والسرور في رحابه فان له
ذكريات خالدة وتشريعات هادفة .

أما الذكريات فنذكر منها ذكريين عظيمتين جديرتين
بأحيانهما والفرح بهما هما :

الاولى ياس المشركين من احباط دعوة الرسول
دعوة التوحيد دعوة الحق دعوة عبادة الله وحده
لا شريك له وقطع أطعامهم في النبل من رسالته
وتأليب الناس عليه « والله يعصمك من الناس » .
والثانية اكمال الدين واتمام النعمة وقد امتن الله
بهما على عباده حيث قال لرسوله صلى الله عليه

العيد الأكبر

وفضيلة الشيخ السيد خليل الجرامى

وسعادتها ورفاهيتها « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » ..

ومن المقارنة المستمدة بالتهافت .. من الحقائق الثابتة فى التاريخ .. ومما جاء به الدين وقصه علينا القرآن الكريم .. بين الحياة قبل الاسلام .. وما كان عليه الناس حينذاك وبين الاسلام وما جاء به من قوانين ومبادئ واحكام .. وما شرعه من عبادات ومناسك وطاعات فى الاعياد .. نجد ان حياة الناس قبل الاسلام لاشئ مطلقا يفيد الانسانية ويحفظ عليها حريتها وكرامتها .. ويسلك بالانسان طريق السعادة فى الدنيا والاخرة .. فلقد كانت الحياة فى فوضى واضطراب والناس فى ظلم واستعباد .. وكفر بالله سبحانه وجهالة بالاديان وانحلال فى الاخلاق ..

فالامة العربية بشبه الجزيرة قبائل وبطون تخضع لحكم السيادة الفردية والنظام القبلى والعرب فى

لقد ثبت من التاريخ القديم والحديث .. ان لكل امة عيدا او اعيادا تمجدها وتقدها وتذكر من كل سنة تمر وتتجدد فى حياتها أيام وقائعها المجيدة .. وحوادثها ذات الآثار الجليلة .. وانتصاراتها التى كان لها الاثر البين فى تحويل مجرى حياتها .. من عبودية الى حرية .. ومن ضعف الى قوة .. ومن ظلمات الجهالة الى نور العلم واليقين .. ومن تاخر فى مناحى حياتها الى تقدم وازدهار ..

والاصل الذى يجب أن يكون والجدير بالاعتبار لكل امة .. أن تكون الذكرى للعة والعبرة والاعتداء والاهتداء « فان الخير فى الاتباع والشر فى الابتداء » وأن تكون الذكرى تنويرا للعقول والافهام .. وبعثا للهمم .. وازديادا فى الحركة والنشاط فى جميع مجالات الحياة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا والعمل على التمسك بماضيها المجيد حتى لا تضل السبيل ولا ترجع الى الوراء ففى ذلك عزتها

اسماعيل ودعا الله تعالى أن يجعل من ذريته أمة مسلمة . كما قال تعالى « وأذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل .. ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأزنا مناسكنا وتب علينا أنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم أنك أنت العزيز الحكيم » ولهذا المعنى الكريم يأمر الله المسلمين بالجهاد في سبيل الله وإعلاء شأن الاسلام . ويحثهم على قتال الباغين والظالمين وصد المعتدين على وطن المسلمين ومقدساتهم . ويذكرهم بأنهم هم الامة المسلمة التي هي امتداد نسل ابراهيم المسلم الذي سماهم المسلمين فان الامة المسلمة هي التي تجاهد وتناضل لوضع السلام والامان في الارض وتمنح الانسان عزته وكرامته وحرية . فهي باقية مادامت السموات والارض مهما ابتليت به من ضيق وحرج . ومرت بها من أحن وأزمات فان النصر دائما وفي النهاية للمجاهدين الصابرين . يقول تعالى « وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج . ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل » ولقد قص علينا القرآن الكريم . أن اليهود قد زعموا وادعوا كذبا أن ابراهيم كان يهوديا وكذلك النصارى قالوا أن ابراهيم كان نصرانيا فكذبهم الله تعالى بقوله « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما . وما كان من المشركين » .

وعيد الفطر . سمي بالعيد الصغير أو الأصغر بالنسبة للعيد الكبير أو الأكبر وكل تسمية منهما تتسم بطابعها الخاص وتختص بتشريعات تناسب وتلائم ماتقدمها من أمور عظيمة . وحوادث جليلة . وانتصارات لها شأنها الأكبر في رفعة الاسلام والمسلمين . فالعيد الأصغر يجيء عقب شهر رمضان المبارك الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان في ليلة القدر عظيمة الشأن وقد فرض الله صيامه وسن الرسول قيامه نعمة كبرى لهذه الامة المحددة . وأثر انتصار باهر في معركة كبرى بين المسلمين والمشركين وتلك في غزوة بدر الكبرى . في السابع عشر من شهر رمضان وبهذه الغزوة المباركة انتصر المسلمون وهم قلة في العدد والعدة على المشركين أهل مكة الطفافة العتاة مع كثرة عددهم وعدتهم وفرق الله بها بين الحق والباطل وتكونت الدولة الاسلامية الفتية بالمدينة التي كان لها الاثر في تاريخ الغزوات والحروب وتدعيم الرسالة المحمدية وتكوين الامة الاسلامية ..

وعيد الاضحى : سمي بالعيد الأكبر لأمور جليلة الاثر . عظيمة الخطر كثيرة النعم والالاء كبيرة البر والاحسان جملة الخير والنماء والبركات للانسانية جمعاء . وهي كمال الدين وتمامه . وتقرير لقواعد الاحكام . واقرار النظم والمبادئ الانسانية « حقوق

جاهلية عمياء وفي حروب متواصلة لا يخضعون لقانون ولا يدينون بدين قد ورثوا عوائد وتقاليد ومناسك باطلة .. ويساكنهم بيثرب « المدينة » أهل الكتاب من اليهود الذين بدلوا دينهم وغيروا معالم كتبهم لا يعرفون في الله الا ولا ذمة اعداء لكل دين وكل نظام يحد من سلطان نفوسهم وأطماعهم ويقضى على شهواتهم المادية ومطامعهم المادية والاقتصادية .. والامة الفارسية المجوسية التي لا تدين الا لنيران كسرى وعبادة بيت النار .. والامة الرومانية التي في جهل قد ملكت زمام الارض واطراف الجزيرة العربية في حضارة فاسدة ومدنية زائفة . وكان لكل أمة من تلك الامم اعياد للهو والمرح واللعب والفجور يستبجحون فيها كل محظور مما لا يقبله عقل ولا يوافق أبسط معاني الانسانية فلما جاء الاسلام برسالته العامة . ودعوته الحق ومبادئه الانسانية وقرر حقوق الانسان من الحرية والاخاء والمساواة . قضى على تلك الامم الظالمة الجائرة وانتشر الدين الحنيف وتغلغل في النفوس التي كانت متعطشة الى الحرية والامن والسلام ورفرف علم الاسلام بكل مكان . وأصبح للمسلمين عيdan عظيمان في تاريخهم العظيم تمجيذا واحتفاء بذكرى بطولية المسلمين وانتصارات الموحدين بقيادة القائد المثالي الاوحد والرسول الاكرم محمد بن عبد الله الامي العربي نبي الانسانية وخاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم وصدق وعد الله سبحانه بقوله تعالى « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا » .

وفي مشروعية العيدين ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما قدم المدينة وجد أن العرب أهل المدينة يلعبون في يومين . فسأل ما هذان اليومان ؟ فقالوا هذان يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية . فقال لقد أبدلكم الله بهما خيرا منهما . يوم الاضحى ويوم الفطر وبذلك وحد بين اعياد المسلمين وبين اعياد العرب .. وقضى على العادات الباطلة والتقاليد الفاسدة .

ويوم الفطر من الفطرة أي الخلقة دلالة على أن الاسلام دين الخليقة وسط بين المادية والروحية « فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » . ذلك الدين القيم . أو أن الفطر من الاقطار بالرجوع الى الطبيعة البشرية وتحقيق الاعتدال الانساني بعد تهذيب النفس وتصفية الروح بالصوم ليعمل الانسان لسعادته وسعادة امته في الدنيا والاخرة . ويوم الاضحى من الاضحى والنحر للتضحية والفداء اقتداء بسيدنا ابراهيم الخليل الذي أمره الله سبحانه بذبح ولده وقلده كبده اسماعيل جد محمد بن عبد الله عليهما وعليه الصلاة والسلام فامتثل تنفيذا لأمر الله فذبح الله اسماعيل بذبح عظيم من الجنة لصبرهما على هذا الابتلاء الكبير . وذكرى لهذا الجد الأكبر الذي بنى البيت الحرام مع ولده

العربي ولاية وقاعدة مسلحة لامريكا الطاغية الباغية للاعتداء والقضاء على حريات الشعوب . واحتكار واستغلال مكاسب الدول وتنفيذ أحلام اليهود لخلق دولة اسرائيل الكبرى من القرات الى النيل على حساب الوطن العربي . . . فليس اذن بعد هذا الطغيان على العرب والمسلمين والدول المحبة للحرية والامن والسلام الا أن يواجهوا هذا التيار الجارف بقوة التكتل والتجمع واعداد العدة والوقوف صفا واحدا بكل شجاعة وصبر وإيمان امام الصهيونية والاستعمار ولا شك بعد ذلك ان النصر في النهاية للحق والعدل والايان يقول الله تعالى « ان تقصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ! وليتذكر المسلمون في جميع بقاع الارض قول الله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع « لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » هذا : ويوصف العيد الاضحى « بالعيد الاكبر بالنسبة ليوم الحج الاكبر من السنة التاسعة من الهجرة المذكور في أول سورة « براءة ! وذلك انه لما خرج المسلمون الى غزوة تبوك نقض المشركون عهودهم ومواثيقهم التي بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم نزلت من أول سورة براءة اربعون آية براءة من المشركين وأذا لنا بقتالهم فبعث الرسول عليا كرم الله وجهه فاعلم المشركين بها في يوم الحج الاكبر وهو يوم النحر عاشر ذي الحجة . وفي السنة العاشرة فتح الله على المسلمين مكة ودخل الرسول البيت الحرام . وأمر بتحطيم الأصنام التي كانت فوق الكعبة وحولها وهو يتلو قوله تعالى « وقال جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » وأمر يلا رضى الله عنه فأذن فوق الكعبة بصيغة الأذان المشروع « الله أكبر الله أكبر الى آخره » فالله أكبر وأجل وأعظم من هذه المعبودات التي تكبرونها وتعظمونها وتتقربون اليها « ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل . وأن الله هو العلى الكبير » فالله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله وبحمده يكة وأصيلا .

الانسان « من الحرية والمساواة والاخاء والامن والسلام والرخاء . فلقد نزل جبريل الامين على محمد الصادق الامين . وهو واقف يعرفات في السنة العاشرة من الهجرة راكبا ناقته العضبى حتى بركت الناقة من ثقل الوحي ياخر آية من القرآن الكريم وهي قوله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً) . أى اكملت لكم احكام دينكم وفرائضه فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام واتممت عليكم نعمتى بدخول مكة آمنين . ثم جاء الرسول الى بطن الوادى . وخطب خطبته المشهورة . وهي ما تسمى « بخطبة الوداع » وذلك يوم عرفة يوم الجمعة عام حجة الوداع . واهم ما اشتملت عليه قوله صلى الله عليه وسلم « ايها الناس . انما المؤمنون اخوة . فلا يحل لامرىء مال أخيه الا عن طيب نفس منه . الا هل بلغت اللهم اشهد . فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فانى قد تركت فيكم ما أن اخذتم به لم تضلوا كتاب الله وسنتى . ايها الناس أن ربيكم واحد وأن اباكم واحد . كلكم لادم وادم من تراب . اكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى » وهذه هي الحقوق للانسانية جمعاء قررها الاسلام منذ أربعة عشر قرنا .

ومما هو جدير بالانتباه والنظر والتفكير في هذا المقام . ان نقرر ان تقرير الثورة الفرنسية الاولى « حقوق الانسان » ثم تقرير هذه المبادئ في أعقاب الحرب الكبرى بإنشاء « عصبة الامم » ثم تقريرها اخيرا بعد الحرب العالمية الثانية وإنشاء هيئة الامم المتحدة ما هي الا صورة مقتبسة من قرارات الاسلام ومبادئه . ولو كانت على الحقيقة مصلحة الانسانية وطبقت المبادئ لما فشلت هيئة الامم الحالية في تقرير المصير لكل أمة وتحقيق مصالح كل دولة . ولما هيمنت الصهيونية العالمية الرأسمالية المستغلة على بعض الدول الكبرى واصبحت دولة اسرائيل في قلب الوطن



ما هذا المنطق المعكوس ؟

طبيب لما الاسطول الامريكى انضرب سنة ١٩٤١ في بيرل هاربور ، ضربه الطيران اليابانى كله فى ضربة واحدة ، وفى ٧ ديسمبر كان السفير اليابانى عند سفير أمريكا - كنا أيامها فى الجيش ومعاصرين لهذه الحوادث .. بضربة واحدة انضرب الاسطول الامريكى كله فى نصف يوم وفى آخر ديسمبر عام ١٩٤١ لم يكن لأمريكا وجود نهائيا فى محيط الباسيفيك كله ! .. وانزاحت أمريكا وظلت فى عقر دارها .. طيب لما حصل ذلك لم يقولوا لأمريكا أنت أمة مهزومة ليه .. وروحي اتفقى مع اليابان ، برضوا الحلال لهم ، حرام علينا .. ماذا لم يتفقوا .. وانجلترا فى دنكرك .. والامان وصلوا الى ما كيلو مترا من موسكو ، ولم يستسلم الشعب السوفيتى ، وبعد ٣ سنوات كان السوفيت فى برلين .. انهم يستخدمون معنا منطقا معوجا ..

نريد تحرير أراضينا

عندهم واحد ماسك القضية اسمه سيسكو ويقول أن مفاوضات يارنج ستبدأ ولازم تكونوا مستعدين لتنازلات .. تتنازل عن ايه .. احنا ارضنا محتلة والتنازل منطق المهزوم القاعد على الترابيزة » : الكلام ده يعملوه مع ألمانيا أو اليابان لانهما انهزما فعلا وفيه مهزوم ومنصر ، بنحاول نقول لهم هذا ولكن عبثا .. ولكن لما نقول لهم اننا غير مستعدين لد وقف اطلاق النار يبقى ده الحرب واحنا عايزين الحرب ! احنا مش عايزين الحرب احنا عايزين نحرر ارضنا فقط احنا مش عايزين نثير العالم احنا عايزين نحرر ارضنا .. واذا كنت عاوز تعاملنا على أننا مهزومين سنثبت أننا لم نهزم ..

هل مل الشعب المعركة

وفى أمريكا أيضا مسئول كبير قال للدكتور الزيات مندوبنا الدائم هناك وكان معى أول أمس ، الشعب المصرى لا يريد تجديد القتال ولا مد فترة وقف اطلاق النار .. الشعب المصرى زهق خالص !! ودى لها حكاية ..

ففى عام ١٩٥٦ عندما جاءنا الانذار الثلاثى المشهور ورفضناه وقطعنا علاقاتنا مع بريطانيا وحوصرت السفارة البريطانية لأول مرة - بعدما كانت السفارة البريطانية وقصر الدوبارة بتحكم مصر انتظارا لترحيل موظفى السفارة طلع المستشار الشرقى للسفارة البريطانية على السور لصرف شيك من البنك وكان بيتكلم عربى سوكانت الطيارات الانجليزية والفرنسية تضربنا .. وسأل الموظف من فوق السور وهو يسأله عن صرف الشيك عما اذا كانت

بقية خطاب السيد الرئيس

أنور السادات

بخطه

فترة فاصلة فى المعركة

فى ١٥ مارس سنة ٧٠ وكان جبال طوال السنوات الثلاث بعد العدوان مباشرة مطحونا نفسيا وصحيا ، وكان بيشتغل ٢٤ ساعة ، لم يعط نفسه فترة راحة ، كان يحس بمسئوليته وتمسكه بتراب هذا الوطن ، ٣ سنين قضاها وهو مطحون بالالام ..

وفى ١٥ مارس خف من غير حاجة لان الصواريخ تم تجهيزها .. ومن اواخر مارس سنة ٧٠ نستطيع ان نقول : زى انجلترا ماكسيت من هتلر معركة الطيران اننا كسينا من أمريكا واسرائيل معركة الطيران التى كانوا يريدون بها تحطيم منشآتنا المدنية وجبهتنا الداخلية ..

بعد ذلك بدأ غضب أمريكا يتحول الى الجبهة على خط القتال وبدأت غارات مركزة بالطائرات كانوا يلغون خلالها عشرات وآلاف الاطنان من القنابل ، ووصل بعضها الى ١٧ ساعة فى اليوم مستمرة على اولادنا فى القتال ، كانت عملية غيظ .. من مين ؟ .. من دولة تعددها ٢٥ مليون تصرف على حرب لا تقدر دولة كبرى أن تصرف عليها ، لا انجلترا ولا فرنسا ولا الاثنين يستطيعان أن يصرفا على ثمن القنابل التى يصل من نصف مليون الى مليون دولار فى اليوم غير ثمن الطائرات والتكاليف الاخرى للحرب ..

وبدا وقف اطلاق النار

وصمد اولادنا أروع الصمود الى أن بدأ وقف اطلاق النار فى أغسطس عام ١٩٧٠ .. كانت المبادرة الامريكية تقول تنفيذ قرار مجلس الامن .. وقف اطلاق النار مؤقتا لمدة ٩٠ يوما .. احنا قابلين قرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار ومفيش مانع فى سبيل الوصول الى تسوية سلمية .. عايز أقول ان من أول يوم والشعار الذى قاله جمال » ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة « ! ..

ده عن واقع شايقيته من ثلاث سنين ونص ، ومع ذلك كل ما يمكن عمله للوصول الى حل نتفادى فيه الحرب لا مانع .. ولكن من غير التفريط فى بوصة واحدة من ارضنا ولا المساس بكرامتنا ، ولا بحقوق شعب فلسطين .. لا مانع من بذل كل شئ من أجل السلام ، ولكن العدو يعتبرنا أمة مهزومة وعليها أن تدفع ثمن الهزيمة .. ولما ذهب الدكتور محمود فوزى الى أمريكا للعزاء فى وفاة أيزنهاور تكلم معهم .. ومن ضمن المنطق الذى يقوله بعضهم اننا انهزمنا وعلينا

المظاهرات قد قامت في البلد؟! فاندمش لما أجابه بالنفى .. وكان يتصور أن الشعب المصري سوف يشعل ثورة ويرجع الأحزاب وتنتهى الثورة — وده حصل لانهم كانوا يأخذون معلوماتهم عن شعبنا من الجهات اللي واخدين عليها ..

نفس الفكرة عند الأمريكان النهاردة . مسئول كبير أمريكى يقول للدكتور الزيات أن الشعب زهق يعنى دوروا لكم على أسلوب آخر وقدموا تنازلات ..

طيب أنا أمامى قيادات الوجه البحرى كلها — زهقتم؟! ..

اصوات مدوية تقول : جنحارب جنحارب) .. واستمرت الهتافات أكثر من ٥ دقائق متواصلة .. فاضل أرد عليهم بنقطة ثانية :

يقولون ان مصر يجب ألا تخرج من هذه المعركة .. قوية .. لانها لو خرجت قوية يكون الوجود الأمريكى فى الشرق الاوسط فى خطر!! طيب احنا طلعنا خلاص أقوياء ..

كلنا تساهم فى المعركة

الكلام ده كان يقال عام ٦٧ ، ولكن الان احنا صيدنا اقتصاديا وسياسيا وعسكريا .. سنة ٧٠ كان بيصرف كل يوم مليون جنيه لمدة ٤٠ يوم .. منين شحتناها زى اسرائيل .. أبدا ده عملنا وكدنا وجهنا وعرقنا .. من محاصيلنا من العمال والفلاحين والموظفين من ميزانيتنا ، وكلنا مشاركين فى هذا وكل واحد بيدفع نصيبه فى هذه المعركة لم نخضع لضغوط أمريكا سياسيا ، ولم نخضع لاي قوة فى هذه الأرض .. حصلنا على ذاتنا ونفسنا .. واستقلالنا وحريتنا وسياستنا فى القاهرة ، تنبع من القاهرة على ضوء مصالح بلادنا وأهلنا ولن نخضع سياستنا لاحد مهما كان .. ظنوا ان هزيمة ٦٧ قضت على قوة التحرر فى الامة العربية .. ولكن قامت ثورة السودان و ثورة ليبيا والميثاق الرباعى لكى نضع أول نواة لوحدة عربية مدروسة على أسس علمية سليمة .. سياسيا طلعنا أقوياء .. واقتصاديا أقوياء ، وعسكريا سأقول لكم مثلا يطمئنتكم خالص ..

أول تلاحم مع اسرائيل

أنا كنت فى الجبهة ثانى يوم العيد ومن يومين أو ثلاثة دعيت كل قواد الجبهة واجتمعت بهم ٩ ساعات انتم عارفين الصواريخ بتعتنا نزلت أد ايه من طائرات السكاي هوك والقانتوم .. وأنا أعلنت اننا لن نسحب صاروخ واحد من الجبهة تحت أى ظرف ..

وأنا فى الجبهة سألت عن معركة وقعت بين دوريتين مصرية واسرائيلية لانه لأول مرة يحدث التحام بين العسكرى المصرى والعسكرى الاسرائيلى .. كانت الدورية الاسرائيلية مكونة من ٤٠ عسكرى من فرق المظلات التى هى أعلى مستوى من التدريب فى الجيش الاسرائيلى ، اولادنا عدوا القتال ورجعوا معهم اثنين من الاسرى فقط ، وسألت كيف يرجعوا

بأثنين فقط من ٤٠ ، وسألت قائد الجيش فقال : لا .. دول كانوا ثلاثة وواحد منهم مات فى الطريق أما باقى الب ٤٠ لم نستطع ان ننقذهم من أيدي اولادنا أبدا ، هذا اليوم يسمى فى اسرائيل السبت الحزين ، ليه لان احكك العسكرى الاسرائيلى بالعسكرى المصرى وجهها لوجه .. أظن عسكريا اننا أقوياء وسيبنا من كلام الجنرالات الاسرائيليين فنحن لا نقلبه ، والحمد لله خرجنا أقويا بعد أن كنا حطام سنة ٦٧ ، ولذلك أقول ان جمال أفنى ذاته لاعادة البناء وقد تم والحمد لله ..

الحرب القادمة ستكون شاملة

وأنا عاوزكم تكونوا على بينة وأنا قلت فى أول كلامى ان الحرب القادمة ستكون شاملة وليس على جبهة القتال فقط حتكون فى كل مكان فى كل قرية وحقل ومصنع وشارع ومدينة وكل بيت ، ولازم كلنا نجند أنفسنا ، لان الحرب الجاية شاملة ولازم نجند أنفسنا لها ، ولما نقول احنا خرجنا أقوياء ، أقول العدو لازال قويا ولا زال قادرا على احداث خسائر .. ولذلك أنبهكم بأن الحرب سنخوضها مهما كانت التكاليف لان المعركة معركة أرضنا يعنى شرفنا وعرضنا ، واحنا نعرف قيمة العرض والشرف ، ونعرف ندفع الثمن ، ولكن على عدونا أن يتحمل الثمن الذى سنرد به ..

المعركة القادمة ليس أمامنا من سبيل الا دخولها ودفع أى ثمن تتطلبه ..

مناورات اسرائيل وموقفنا منها

أنا بقول ان السنة شهور القادمة ستكون مصرية ، وأنا أطمئنهم بأننا خرجنا من المعركة أقوياء ونعرف أين الطرق ، ومسئوليتنا محددة ، لن نتخلى عن أرض عربية ، ولا نفرط فى حق من حقوق شعب فلسطين ، عايزين سلام لا مانع عندها ، نتكلم فى السلام ..

اسرائيل عايزة المناورة عن طريق الرجوع ليارنج ، ورجوعها زى عدم رجوعها زى ماقال الأمريكان أن الهدف هو تجديد وقف اطلاق النار .. ولكن ما لم نصل الى عمل جدى من أجل السلام وجدول زمنى للانسحاب لن نجدد وقف اطلاق النار ..

مسئوليتنا تجاه المعركة

عايز أنتقل الى أمر يخصنا ، واحنا فى المعركة لازم نهيب أنفسنا كل فى مكانه فى القرية فى المصنع فى البيت فى الشارع فى المدينة لازم كل واحد يكون «صاحى» وجاهز العدو حينطلق فى أى اتجاه وذلك لوضعهم المظلم وعلشان كده لازم نكون جاهزين .. والمفروض بهزيمة ٦٧ ان ينتهى كل شىء ولكن الذى حدث انها انقلبت الى حرب استنزاف وأصبحت تهدد اسرائيل نفسها والمستقبل المظلم الذى امامها لازم نكون جاهزين وثابتين أمامها ..

ولى بعض الملاحظات ، نحن شعب نؤمن بالقيم وعندنا معتقداتنا التى نشأنا عليها تجعلنا دائما

علينا .. ان مصر خرقت وقت اطلاق النار .. أما
عدونا اسرائيل ده مش مهم !!

سافر رياض وهزم امريكا وذكر العالم ان القضية
قضية عدوان واننا بدافع عن حقوقنا .

آدى اللي عملوه الامريكان فى الميتم .. وادى اللي
عملوه السوفيت فى الميتم .

وزى ماقلت لرجال الاعلام من يومين بأننا لا نسبح
الآن بأى تشكيك فى علاقتنا مع السوفيت لان هدف
امريكا هو التوقيع بيننا وبينهم .

واسرائيل اخذت ٥٠٠ مليون دولار من امريكا .

وفى رحلة على صبرى كان نفسى أقول
تفاصيلها .. ولكن الوقت جاى ..

لا تخافوا من أى شيء

لازم نكون على بينة من عدونا ومن صديقنا .. لا
تخافوا من أى شيء .. لم يعد هناك شيء يخوفنا
اطلاقا .. أمرنا فى ايدينا .. وبرغم الحزن وقفنا
وبينا دولتنا ونظامنا .. لم احتاج طول الفترة
الماضية الى أخذ أى إجراء استثنائى واحد ..
حاجات كثير جدا كان جمال الله يرحمه عايز الوقت
لتنفيذها وأنا الان أنفذها زى تصفية الحراسة ..
أنا ما عملتش حاجة من عندى .. جمال اتخذ قرار
تصفية الحراسة .. ولكن لم يكن عنده وقت لذلك .

لازم نتوجه كلنا بإيمان وثقة للمعركة القادمة
وان شاء الله وبمعون الله سننتصر .

كونوا واثقين ثقتم فى وجودكم وفى نصر الله
سبحانه وتعالى .. لازم نكون جاهزين لدفع الثمن
بالكامل ولكن باذن الله سوف ننتصر وزى ما قلت
للكتاب احنا حزنا كثير .. وتمبنا كثير وعابزين
نعيش والامل عريض عرض أرضنا وكل الامال فى
صدر كل منا سوف تتحقق .. بس تكمل المعركة
أولا ونحقق هدفنا .

أيها الاخوة

ادعو الله سبحانه وتعالى ان يكون لقاءنا فى المرة
المقبلة ان شاء الله ونحن نحتفل بالنصر . وأريدكم فى
هذه المعركة واريد من كل فرد منكم ان نكون اوفياء
لايماننا بالله سبحانه وتعالى وأوفياء لجمال ومعركته
ومبادئه وأوفياء لامتنا العربية وأوفياء للمبادئ
ولكل القيم التى أرادها سبحانه وتعالى أن تعمر
هذه الارض وفقكم الله ■

أقوياء . فى ٩ و ١٠ يونية خرج الشعب كله من غير ما
أحد يقول له ، أخرج ، ولم يقبل الاستسلام وقال لازم
نحارب ونصمد .. ده من معتقداتنا ومن قيمنا
ومبادئنا ، من تاريخنا كل واحد منا فى عائلته
وأسرته ، تحس ببعضها ، عايز فى المرحلة القادمة
نحس بالقيم التابعة من معتقداتنا وبيئتنا التى تربينا
عليها وكل واحد يلحق أخوه ويقف مع أخوه ، لازم
نكون ارادة واحدة وعزم واحد ورجل واحد مع
الاحساس والحب من داخلنا زى سماحتنا وسماحة
أهلنا فى القرية وطيبتهم .

نحارب ونواجه المعركة بالسلاح الذى لا يهزم أبدا
وهو الايمان . ايماننا بالله والارض وشعبنا وقديسية
كل حبة تراب فى بلادنا .

ايمان بأننا لا نسلم ، وأشرف لنا أن نموت واحنا
بنحارب ورقبتنا عالية أشرف من الاستسلام .

المادة والتعقيدات عابزين نرمى كل ده على جنب ،
احنا داخلين على معركة حياة أو موت فى ٩ و ١٠
يونية واحنا حطام وقفنا فى نوفمبر ٦٧ وكان جمال
عبد الناصر يخطب وركب عربية مكشوفة والشعب
حواليه رغم ضرب الطائرات والقنابل . القوة دى
منين ؟ دى قوة لا يستطيع أحد أن يشاركنا فيها
وبعون الله سننتصر .. كل شيء : الحرب الالكترونية
سنزود بها ونعلمها ، واتعلموها اولادنا وأحدث
أنواع الاسلحة كل ما فى الحرب الحديثة من علوم ،
ولازم أقرر ان الاتحاد السوفيتى بكل شرف وأمانة
يعطينا كل شيء ، مش زى الامريكان ما بيقولوا ان
الوجود السوفيتى جى يحتل البلد . احنا مش عابزين
الوصاية من احد انا بقول الكلام ده للامريكان ، احنا
بلغنا الرشد وعارفين الذى ينفعنا ولا ينفعنا ، وكل
محاولة للتشكيك ضد الاتحاد السوفيتى تعتبر
خيانة ، وكل هدف امريكا هو محاولة التوقيع بيننا
وبين الاتحاد السوفيتى ويجب الا نستجيب لذلك .

الاتحاد السوفيتى أكد وقوفه معنا

فى القرية عندنا لما حد يموت كل واحد بيحجب
صينية لاهل الميت .

والاتحاد السوفيتى فى ميتم جمال جاب الصينية
وجه .. كانت هناك تعاقبات لن تنفذ الا فى عام
١٩٧١ جابها على الصينية فى عام ١٩٧٠ علشان
يقول أنا وياكم ..

وكانت امريكا تشن علينا الحرب .. مصر
وصواريخ مصر - انتهزوا فرصة ماتمنا واعادة
ترتيب بيتنا .. انتهزوها وكادوا يقيموا العالم

بقية خطاب السيد الرئيس أنور السادات بأسواق

فى كل المجالات أمل وعمل ..
فى الصناعة .. فى استصلاح الاراضى .. فى مد
شبكات الكهرباء ..
فى السلاح .. فى التدريب .. فى المساندة
السياسية اللامحدودة واللامشروطة .. لانها وثيقة
من أن موقفها شركة فى الدفاع عن الحرية .. وفى
الدفاع عن السلام ..

أيها الاخوة ..

اننى اريد فى هذه الفرصة .. ونحن على ابواب
امتحان حاسم فى تاريخ شعبنا وأمتنا .. وفى مسار
نضالنا وعملنا أيضا أن أحدد أمامكم موقفنا بطريقة لا
تقبل الشك ولا التأويل ..

أولا : أننا نطلب السلام القائم على العدل ..
ومطلبنا فى السلام حقيقى .. لان أماننا كثيرا من
مهام السلام .. تتمثل فى البناء والتعمير والتطوير
لطاقات شعبنا الاقتصادية والاجتماعية ..

ثانيا : أننا لا نستطيع أن نرضى باستمرار الاحتلال
لأراضينا .. ونحن نعتقد أن الواجب المقدس .. بل
أن الحق المقدس لكل شعب وكل أمة يتمثل فى الدرجة
الاولى فى الدفاع عن أراضينا ضد المستعمرين
والغزاة .. مهما كانت قوتهم .. ومهما كان
سندهم ..

ثالثا : أننا قبلنا بقرار مجلس الامن .. معتقدين
انه يحوى معظم عناصر الحل العادل لازمة خطيرة فى
مكان خطير من العالم .. وإذا كنا نشعر بالتزاماتنا
تجاه أراضينا .. فأننا نشعر أيضا بالتزام أمام
السلام العالمى ..

رابعا : أننا لم نذهب الى الامم المتحدة لنتوه فى
الناورات العقيمة .. ولا لنغرق فى الصياغات
الغامضة .. ولكننا ذهبنا نطلب حلا على مبادئ
القانون الدولى والشرعية الدولية ..

ولقد تعاوننا الى أبعد حد .. مع المجتمع
الدولى .. ورحبنا بدور كبير للدول الأربع الكبرى
باعتبار مسئوليتها الخاصة بحكم عضويتها الدائمة
فى مجلس الامن .. ولم تكن بذلك نستوفى شكلا ..
وأنما كنا فى الحقيقة نطلب حلا ..

خامسا : أن أمتنا العربية مصممة .. أن شعبنا
المصرى قادر .. أن قواتنا المسلحة تعرف واجبها ..

اننا نريد السلام .. اذا كانت للسلام فرصة ..
ولكننا مطالبون أولا وأخيرا بتحرير الارض ..
وبتحقيق الارادة الوطنية والقومية ..

سادسا : أن شعب فلسطين .. ليس مجموعة من
معسكرات اللاجئين .. ولكنه شعب له كل الحقوق
الوطنية ..

ان قضيتهم ليست مسألة عطف انسانى .. ولكنها
قضية وجود سياسى بكل ما يترتب على ذلك من القيم
والمعانى ..

أيها الاخوة ..

انكم قد سمعتم وسوف تسمعون هنا كثيرا من
غيرى عن حجم السد العالى وعن مقدار الجهد الذى

ان الوعود الامريكية المكسورة والمنقوضة فى كل
تاخية .. لم يكثف أصحابها بكسرها ونقضها فقط ..
ولكنهم تهادنوا فيما هو أكثر من ذلك .. ووقفوا
بالعمل موقفا معاديا لكل ماحاولوا تزييفه بالقول ..
سنة ١٩٥٣ .. كان منهم وعد السلاح

كسروه ونقضوه وأعطوا السلاح لاسرائيل ..
سنة ١٩٥٦ كان منهم وعد المساعدة فى بناء السد
العالى ..

ما حدث تعرفونه جميعا ..

سنة ١٩٥٧ كان منهم وعد ترك التطور السياسى
والاجتماعى يأخذ طريقه الحر فى المنطقة .. بحيث لا
يفرضون عليها ما هو مضاد لارادتها ..

فى نفس السنة .. كانت منهم مؤامرة محاولة غزو
سوريا ..

ومع ذلك مالتا وللتاريخ البعيد ..

فى سنة ١٩٦٧ كان منهم وعد التمهيد بالمحافظة على
السلامة الاقليمية لدول المنطقة .. فى نفس الوقت كان
عليهم كله تأييدا للعدوان الاسرائيلى ومباركة لخططاته

سنة ١٩٦٨ كان وعدهم بالمساعدة فى تنفيذ قرار
مجلس الامن ..

فى نفس السنة أعطوا لاسرائيل طائرات
القنطور ..

سنة ١٩٦٩ كان وعدهم بضرورة حل الازمة ..

فى نفس السنة كان انحيازهم كاملا لاسرائيل ..

سنة ١٩٧٠ كان هناك وعدهم الذى تمثلته مقترحات
روجرز ..

فى نفس السنة اعطوا اسرائيل ٥٠٠ مليون
دولار .. لكى تزداد صلافة وكبرياء فى رفض كل
محاولة للسلام القائم على العدل ..

بل فى هذه الايام - من سنة ١٩٧١ - نسمع رغبتهم
فى السلام ..

وفى نفس الوقت نجد دعمهم للعدوان ولاستمرار
الاحتلال ضد أراضينا .. وللأمدان الكامل لحقوق
شعب فلسطين ..

ان وعدهم المكسور المنقوض فى السد العالى ..

حلقة فى سلسلة مستهجرة بما لا يترك أمانا الامجالا
للاعتقاد بأن ما نحسه هو خط سياسى أمريكى مرسوم

يعادى آمال الأمة العربية .. ويهدد تطلعاتها
المشروعة فى تطور سلمى يبنى للحياة ولا يستنزف

نفسه فى الحرب ..

ان كل وعد أمريكى مكسور منقوض يقابله - أيها
الاخوة - وعد سوفيتى .. تحقق أو هو فى سبيل

التحقيق ..



جانب من السرايق الذي عقد فيه المؤتمر التسعبي الكبير في اسوان .

اننى اريد ان احيى مرة أخرى قيمة الصداقة العربية السوفيتية .. ممثلة في الصديق نيقولاى بودجورنى .. وفى نفس الوقت احيى اصالة هذه الصداقة العربية السوفيتية واستمرارها ..

واحيى مرة أخرى عمق مشاعرنا تجاه اخوة لنا واصدقاء .. اخص منهم بالذكر الاخوة الذين شاركونا هنا من السودان وليبيا والصومال وكل رؤساء الوفود الذين يلتقون معنا اليوم ذاكرا بالصدق محبتهم لنا وتأييدهم أيضا ..

كما اننى لا بد ان اشد يد بالجهود المشتركة للعمال والمهندسين العرب والسوفيت .. ذاكرا ان الاصداقاء العرب والسوفيت مازالت امامهم منجزات أخرى ..

اننى اريد ان احيى مرة أخرى هذه الصداقة العربية السوفيتية العظيمة مجددا ومؤكدا انها شركة في الكفاح من اجل الحرية والسلام وضد الاستعمار والعدوان ..

والعدوان .. صداقة النضال .. صداقة الكفاح من اجل انتصار الحق واليوم وكما قلت لكم ونحن نحقق بانتصار استطعنا ان نحققه لا بد ان ننتظر يعون الله سبحانه وتعالى وتوفيقه ومشيتته بانتصارا. آخر ليس هناك بديل عن تحقيقه .. وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله ..

بذل فيه .. وعن الامل الواسعة والمنجزات الكبرى التى ترتبت وسوف تترتب على تمام بنائه وكماله .. ولكنى اريد مرة أخرى .. وقرب ختام حديثى اليكم .. أن أتحدث عن الرمز فى السد العالى بعد أن سمعتم وتسمعون كثيرا عن العمل الذى تم فيه .. ان السد العالى معركة تمت واكتملت بالانتصار ..

وانتصار الارادة .. وانتصار الجهد العلمى المنظم .. وانتصار صداقة الحرية والسلام .. والرموز الكبرى فى حياة الامة ليست حادثة تقع وتنتهى ..

واذما الرموز الكبرى فى حياة الامم اشارة الى طاقات مستمرة ..

اننا اليوم نعلن انتصارنا فى معركة

وغدا نحن على ابواب تحد آخر .. ولكن الاصرار هو نفس الاصرار .. والارادة هى نفس الارادة .. والجهد العلمى المنظم هو نفس الجهد العلمى المنظم .. وصداقة الحرية والسلام هى نفسها صداقة الحرية والسلام ..

أيها الاخوة ..

اننى اريد ان احيى مرة أخرى ذكرى القائد الذى رحل .. وفى نفس الوقت احيى جهد شعبه الباقي الى الابد

● هل تتوقعون أن تساعد أمريكا إسرائيل على أن تقوم بمغامرة عسكرية جديدة ؟ ..

✳ ان توقع الشر من أهل الشر لا يحتاج الى ذكاء .. ولكن المغامرة فى هذه المرة قد تكون ضد البشرية جميعا .. ولابد أن تتحمل كل دولة وكل شعب يريد السلام ويحب الحرية لنفسه والآخرين : نصيبه فى مواجهة آثار ذلك الصراع الذى قد يصل انفجاره الى كل شبر من العالم .. ثم تتحمل أمريكا تبعات ما يحدث بعد ذلك .

ان اسرائيل قد اعتدت فى عام ١٩٤٨ ، واعتدت فى عام ١٩٥٦ ، واعتدت فى ١٩٦٧ ، وفى كل مرة تعتدى ثم تصرخ وتستغيث من العرب المعتدين على شعب صغير أو حمل وديع ! .. وتحت ضغط حجم الدعاية بصدق الناس الاكاذيب .. الجديدة وتوسيع الضجة حول زيارة حكام اسرائيل لأمريكا ورضاء أمريكا عن شعب اسرائيل الشجاع كما يسميه دائما مستر نيكسون ! .. الى غير ذلك من سموم الدعاية الهادفة الى اصطناع اليأس فى نفوس العرب .

نحن لا نستعين بقوة العدو ، ولكننا لا يمكن أن نخاف هذا العدو مهما كانت المساندة الأمريكية التى فاقت أحلام اسرائيل ، ثم يذهب وزير الدفاع الاسرائيلى الى أمريكا ليعلم فى عاصمة الصهيونية أن اسرائيل تشتت الزيد من السلاح . كيف يجوز أن تعطى أمريكا لاسرائيل ما يفوق أحلام جولدماير : وموشى ديان يقول ان اسرائيل تشتت الزيد من السلاح .. اذا كان هذا حقا فيبدو أن اسرائيل تستعد لحرب عالمية على طريقة هتلر .. وان كانت دعاية فما بالنار نهافت على نشر سلسلة الحرب النفسية التى تقودها أمريكا لصالح اسرائيل .. فكيف يبقى هذا الوهم مسيطرا على العرب ، أو على معظم دول العالم ؟ .

فلتتحول وزارة الدفاع الأمريكية كلها الى خدمة اسرائيل ، ولتنتقل اذا شاءت الى تل ابيب .. فان ذلك لا يغير من نظرنا الى قدرتنا على تحويل حقنا فى أرضنا الى واجب لا يحتمل التهوان أو التسويف فى أدائه مهما كان البذل ومهما بلغت التضحيات .. هذا هو ما ينبغى التركيز عليه فى اعلامنا ..

بقية حديث السيد

حيث الشافعى

المصرية : واستخدام ذلك فى الحصول على أسلحة أمريكية حتى عام ١٩٧٢ ، وعلى المزيد من الدعم المالى والاقتصادى بدعوى المحافظة على توازن القوى ..

ويعيننا ان نوضح للعالم اليوم ان التضليل اذا جاز فى أمر : فانه لا يمكن أن ينسحب على أرض مفتضة بالعدوان ، وما تزال تحت أيدى العدو الاسرائيلى المفتصب .. كيف يفلت اللص وهو مربوط بجريمته ؟ .

● كيف ترون اشتراك الولايات المتحدة الأمريكية مع اسرائيل فى حملات التضليل ؟

✳ اننا نطالع ذلك ونسمعه صباح مساء .. فالولايات المتحدة الأمريكية مهتمة جدا بتجسيم مساعداتها العسكرية والمالية لاسرائيل ، فهى تعلن ذلك باسم الرئيس نيكسون مرة ، ومرة باسم البيت الابيض ، ومرة فى الكونجرس ، ومرة باسم وزارة الدفاع الأمريكية .. وعندما تتقدم اسرائيل بطلب السلاح ، وعندما يوافق البنتاجون على الطلب ، وعندما تعقد الصفقة ، وعندما يفتح الاعتماد ، وعندما يرسل السلاح .. وبعدها تتولى اسرائيل بدورها تكملة النشر والاذاعة والتكرار ، بهدف التأثير على جبهتنا الداخلية ، وانعكاس ذلك على الراى العام العالمى ، مصحوبا بعملية اصطناع اليأس من واقع الأمة العربية ، وما قد يبدو على السطح من انقسامات هى رواسب التفاعلات القاسية التى عاشتها الأمة العربية فى الماضى ، وما تمارسه الولايات المتحدة الأمريكية الآن من ضغوط فى المنطقة ، وغيرها من مناطق العالم .

كلمتنا بعد ٥ فبراير الحرب حتى النصر أو الاستشهاد أو تنسحب إسرائيل ويعلو حق فلسطين

وهذا هو ما سوف تشرحه بعوننا لدول العالم ؟
أمريكا تحرض إسرائيل على تهديد سلام البشرية ..
وإسرائيل توسعت بالعدوان وتريد المزيد من التوسع

الدامى .. وأصحاب الحق اليوم أشد تمسكا بحقوقهم
من أي يوم مضى .. وإيديهم على الزناد .. على أن
أهم ما يعنينا في جولتنا أن نزيد الثقة فيمن وقفوا
ويقفون معنا في المعركة ، ونؤكد للعالم أن احترامنا
الذي يبلغ حد القداسة للمجتمع الدولي — وأن
حرصنا على السلام — لا يمكن أن يحول بيننا وبين
حقنا في تحرير أرضنا المقتصة ، ونحن ندعو العالم
كله إلى أن يسهم معنا في تلجيم قوى الشر التي
تهدد من أرضنا سلام العالم كله .
• وما هدف بعثكم إلى يوغوسلافيا بنوع
خاص ؟ ..

✽ تعنى لماذا كانت يوغوسلافيا من نصيبى ..
أولا لأن يوغوسلافيا لها في نفوسنا أكبر رصيد
من المودة والصداقة التي تأكدت في ٢٢ زيارة قام
بها الرئيس المناضل تيتو للقاهرة ، وكان لي معه
في كل زيارة لقاء يستمر طول فترة الزيارة ، فنشأت
بيننا علاقة وطيدة اعتز بها دائما .. واننا لا يمكن
أن ننسى وقفاتنا معنا بعد العدوان ، ومساعدته التي
لا تكل في تأييد حقنا في تحرير الأرض العربية
وتأييد المقاومة الفلسطينية وشرعية عملها ..
والرئيس تيتو قبل ذلك ركن وركيزة في مجتمع دول
عدم الانحياز ، ولابد أن عنده من الحقائق ما نفيد
منه ، فهو منفتح على السياسة العالمية ، ومن حق
صداقتنا المتجردة أن نحيطه بأخر تطورات وتحركات
الجمهورية العربية المتحدة سياسيا واقتصاديا
وعسكريا بهدف تحرير الأرض وتكملة البناء
الاشتراكي في ظل سلام عادل .

الحديث الثاني

بين الاصدقاء

(نص خطاب السيد حسين الشافعي)

وقد أجاد السيد حسين الشافعي التعبير عن أثر
اللقاء العربي اليوغوسلافي الذي تم على أرض
يوغوسلافيا ، في إطار التحرك السياسي العالمي ،
بقوله في حفل الوداع الذي أقامه الوفد العربي
لرئيس الجمعية الوطنية الاتحادية — البرلمان
اليوغوسلافي :

سنقاتل ، وذلك واجبا ، استردادنا لحقنا .. ولن
تقف قوة في سبيل تحرير الأرض وأداء حقوق شعب
فلسطين .. ان التفريط في شبر من الأرض معناه
ضياع كل الأرض وكل الدماء التي بذلت وكل المنجزات
الضخمة التي تحققت بالثورة .

ونحن نعتد على اكتمال قواتنا وأسلحتنا الحديثة
وقدرةنا على تحقيق النصر أو الاستشهاد ، لا ينبغي
أن ننسى اخوتنا في البشرية ، وتبصرتهم دائما بأن
العدوان كاس يدور .. وهو في قلب العالم —
الشرق الاوسط — يمس مباشرة مصالح العالم
كله .. ومن هنا يبدأ تحركنا على أوسع نطاق ،
ونحن نحسب بدقة وسرعة حساب الزمن الذي
ينتهي فيه وقف إطلاق النار للمرة الثانية ، وذلك
يعنى كما قدمت استئناف القتال أو الانسحاب غير
المشروط طبقا لقرار مجلس الامن .

• وإذا تبادت إسرائيل في غرورها وإملاء
شروط المنتصرين ؟ ..

✽ أين هو النصر الذي يتحدثون عنه ؟ .. هل
تسعر العدو الإسرائيلي بلحظة أمن في شبر من
الأرض العربية التي اغتصبها منذ عدوانه عليها .
الانتصار معناه بقاء إسرائيل حيث هي الآن .. وذلك
لن يتم الا على اجسامنا .. اننا قد اعدنا العدة
للجولة القادمة على أفضل ما يكون الاعداد :
ولا نحاول استعراض العضلات الا حيث تعمل هذه
العضلات في طرد العدو من أرضنا .

« أن العلاقات بين بلدينا تثبت اليوم عمق الروابط
بين شعبينا ، وأن هذه الروابط استطاعت أن
ترداد قوة في جوف المحن والصعاب .. »

من حصيلة اللقاء ..

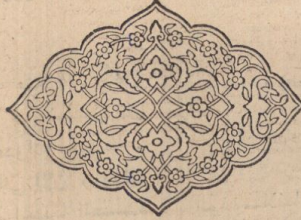
وبعد هذه الخواطر السريعة عن اللقاء العربي
اليوغوسلافي ، يمكنني أن أشير هنا الى قليل من
حصيلة هذا اللقاء في عدة حقائق :

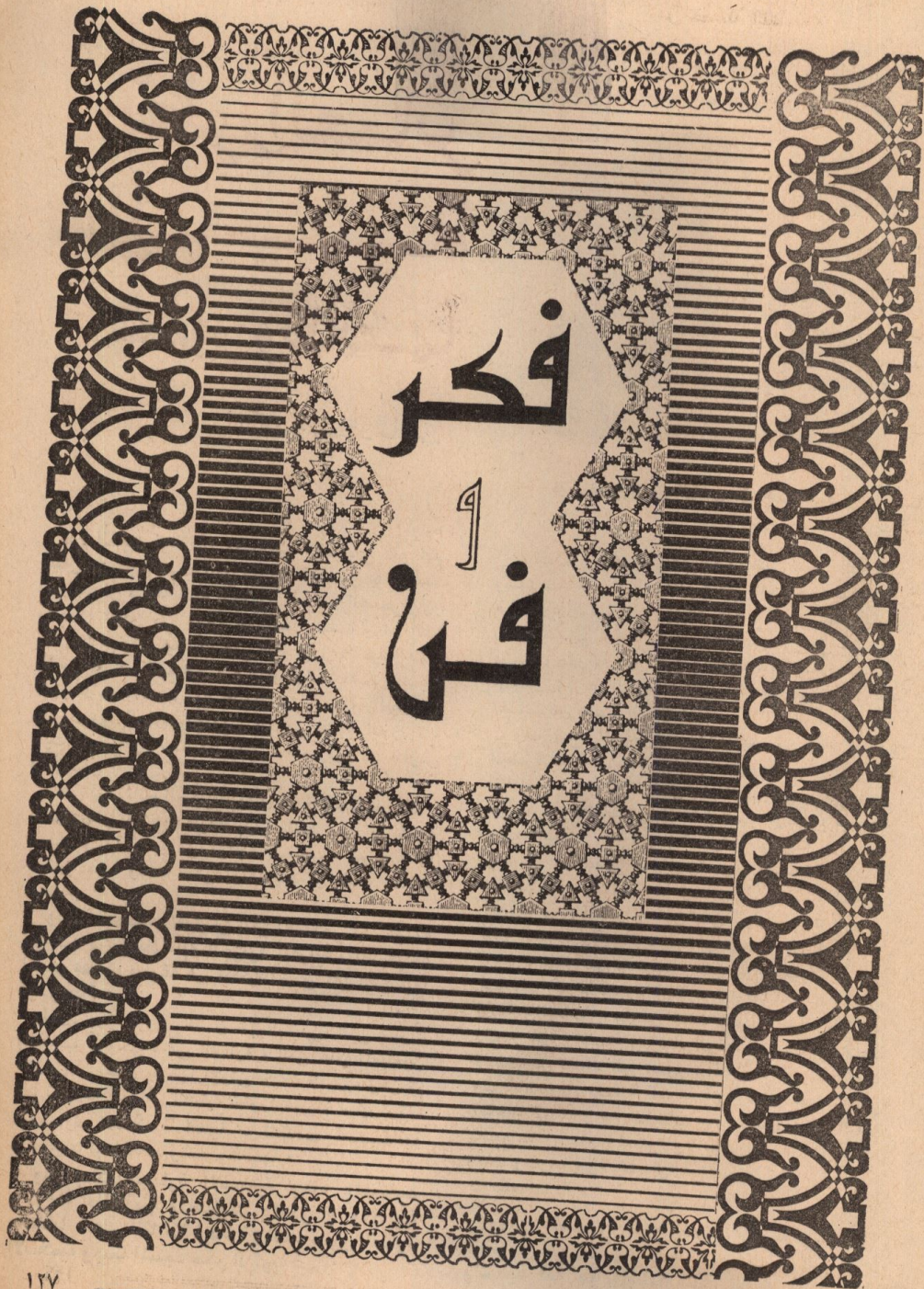
١ - التأييد اليوغوسلافي للجمهورية العربية
المتحدة ومبادئها يزيد اليوم الى أقصى حد ممكن .
٢ - تستقبل القاهرة الرئيس تيتو في شهر
فبراير ١٩٧١ ، تلبية للدعوة الموجهة اليه من
الرئيس أنور السادات بلسان نائبه السيد حسين
الشافعي ، وهذه هي الزيارة الثالثة والعشرين
للرئيس اليوغوسلافي للجمهورية العربية المتحدة
منذ قيام الثورة ، وهي المرة الاولى بعد رحيل القائد
الخالد جمال عبد الناصر .

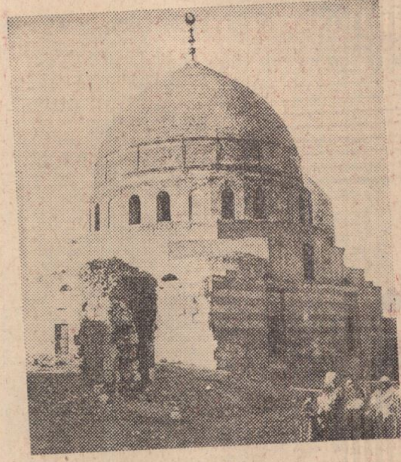
٣ - تأكيداً للتأييد اليوغوسلافي للحق العربي ،
أوضح الرئيس تيتو للوفد العربي أن هولندا وبلجيكا
ولوكسمبورج قد عرفت حكوماتها من خلال زيارات
الرئيس تيتو وجهه الحقيقية في النزاع العربي
الاسرائيلي ، وأن أوروبا الغربية قد بدأت تتضح
أمامها الرؤية بعد موقف فرنسا ، وبعد المباحثات
التي يقوم بها الرئيس تيتو خلال زيارته ، ومن هنا
بدأت تظهر في الأفق الدولي علامات الخطر على
الامن الاوربي بسبب تدهور الموقف في الشرق
الاطلسي .

٤ - لم تقتصر المباحثات على الجوانب
السياسية ، وإنما كانت هناك أيضا مباحثات
اقتصادية زراعية وصناعية وثقافية قام بها الوفد
العربي مع المسؤولين اليوغوسلاف بهدف دعم
التعاون بين البلدين .

وعندما نقرر أن تقوم الجمهورية العربية المتحدة
بهذا التحرك السياسي العالي ، نقرر أن تكون
يوغوسلافيا هي البداية وما من شك في أن الصداقة
الوطيدة التي كانت تربط بين الزعيمين الكبيرين
تيتو وعبد الناصر كانت في مقدمة الاعتبارات التي
وضعت زيارة يوغوسلافيا على رأس القائمة ،
والآن أشعر وزملائي في ختام جولتنا ببلادكم أن
علاقتكم بنا كما لو كان عبد الناصر معنا .. غائب
في رحلة الخلود .. ولكنه حاضر معنا بكل ما تركه
من قيم ومبادئ وفكر . وكنا نتساءل قبل الزيارة
هل سنتمكن من وصل ما انقطع بالوفاة على أن
الحياة لا تتوقف ؟ هل ستكون لنا القدرة على اجتياز
هذا الممر الصعب ؟ .. وأقرر هنا وبصدق ، ونحن
نودع يوغوسلافيا من بلجراد ، أن هذا اللقاء الودي
الحافل الذي استقبلنا به على مختلف المستويات ،
ومن كل المسؤولين ، في كل الجمهوريات التي
زرتها ، كان عزاء كبيرا ، وأنتى لم اعتبره أبدا
استقبالا لي أو تكريما لأشخاصنا نحن الوفد العربي ،
ولكنه في رأيي تكريم لجمال عبد الناصر ، وتكريم
لشعبه الذي قاده في طريق الثورة من أجل الحرية
والاشتراكية والوحدة . وأن الرئيس تيتو والسيدة
حرمة عند لقائنا في بريوني قد بلغ بهما التأثير حدا
عرفت فيه حجم الصدمة وحجم الخسارة التي شعرا
بها بفقد هذا الصديق الذي ربط بين العرب
ويوغوسلافيا .. »







قبة وضريح الشيخ الرفاعي من القرن ١٥ م .

تطور العمائر الدينية بتطور وظائفها

الدكترة سعاد ماهر

ولقد كان أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم عند هجرته الى المدينة هو بناء مسجد للمسلمين في مريد التمر الذي بركت فيه ناقته . وكان بناؤه بدائيا بسيطا ، وكانت مساحته سبعين في سبعتين ذراعا وجدرانه من اللبن ، سقف جزء منه بسعف النخيل وترك الجزء الاخر مكشوقا وجعلت عمد المسجد من جذوع النخل .

وقد نهج المسلمون هذا المنهج في بناء مسجد البصرة سنة ١٤ هـ ومسجد الكوفة سنة ١٧ هـ ، كما اذيع عمرو بن العاص هذه السنة في بناء مسجده في مدينة القسطنطين سنة ٢١ هـ . وكانت مساحته وقت انشائه ٥٠ في ٣٠ ذراعا وجدرانه من اللبن وأعمدته من جذوع النخل وتسوده البساطة . وكانت مساجد البصرة والكوفة ومصر خالية من المحاريب المجوفة ومن المنابر والمآذن على غرار مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلما اراد عمرو بن العاص ان يتخذ له منبرا في مسجده ، كتب اليه الخليفة عمر بن الخطاب يأمره بكسره قائلا له : « اما يكفيك ان تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقيبك » فكسره ، ولم يقتصر اتباع السنة في ذلك الوقت على بناء المساجد فحسب بل تعداه الى الدور والمنازل ، فقد حدث بعد وقوع الحريق بمدينة الكوفة ان أرسل سعد بن أبي وقاص الى عمر بن الخطاب وقد استأذنه في البناء باللبن فقال عمر « افعلوا ولا يزيدن أحد على ثلاثة أبيات (غرف) ولا تطاولوا في البنين والزمو السنة تلتزمكم الدولة » .

وكان المسلمون في العصر الاسلامي الاول يقتصرون على استعمال كلمة المسجد لاماكن العبادة . والمسجد لغة هو الموضع الذي يسجد فيه ، فلما

من الثابت ان الفن الاسلامي التشكيلي قام على أسس من فنون البلاد التي فتحها المسلمون أو خضعت لهم ذلك ان طبيعة شبه الجزيرة العربية الصحراوى ، وانتقال البدو من مكان الى آخر سعيًا وراء الكلا والمرعى لم يكن ليساعد على قيام فنون تشكيلية اللهم الا في أطراف شبه الجزيرة كالمناذرة المتاخمين للدولة الساسانية والغساسنة المجاورين للدولة البيزنطية واليمن في الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة ، حيث قامت فنون ضارعت فنون معاصريهم من الفرس والرومان .

على أن الفاتح العربي لم يقل كل ما وجدته من تلك الفنون على ما هو عليه ، بل استبعد منها ما كرهه الدين أو ما لا يوافق مزاجه الخاص ، ثم جيع ما اختاره منها وصهره في بوتقة بعد أن طبعه بطابعه الخاص .

وهكذا نستطيع القول أن الفن الاسلامي أخذ قوامه الروحي من وسط شبه الجزيرة العربية ، أما قوامه المادى فقد تم صوغه في أماكن أخرى كان للفن فيها قوة وحياة .

ولعل أبرز فروع الفن الاسلامي التي تأثرت بالجانب الروحي ، هي العبارة ، التي عنى المسلمون الاوائل أن تكون مهمتها الاولى خدمة الدين ، ومن ثم فقد تطورت العمائر الدينية تطورا سريعا سائر ركب الحضارة الاسلامية الفتية ، فتعددت اشكالها وأساليبها تبعاً لتعدد وتغير وظائفها .

وقد بدأت العمارة الاسلامية ببناء المساجد والاربطة فالمدارس والمصليات والخوانق والاسبلة والتكايا . على اننا اذا أردنا أن نتتبع تطور العمارة الاسلامية وجدنا المسجد حجر الزاوية فيها .

اقسعت رقعة الدولة الإسلامية وزاد عدد المسلمين
زيادة من دخل في الاسلام من أهل البلاد التي فتحها
المسلمون تعددت المساجد في البلد الواحد ، كما
تعددت الألفاظ التي تطلق على أماكن العبادة فأصبح
هناك مسجد وجامع . والجامع هو نعت للمسجد لأنه
مكان اجتماع الناس ويطلق على المسجد الكبير .
وفي ذلك يقول المقرئ :

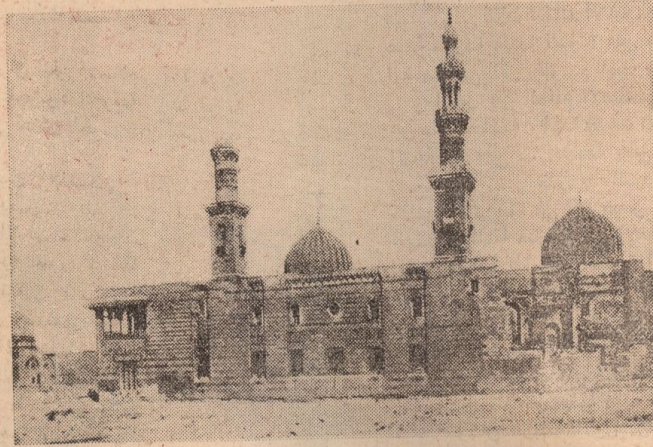
« ولما افتتح عمر بن الخطاب البلدان كتب الى أبي
موسى الأشعري وهو على البصرة يأمره أن يتخذ
مسجدا للجماعة ، ويتخذ للقبائل مساجد ، فإذا كان
يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة . وكتب الى
سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة يمثل ذلك ، وكتب
الى عمرو بن العاص وهو على مصر يمثل ذلك
أيضا : فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده ،
وحانت صلاة الجمعة تؤدي في المسجد الجامع
ومن ثم فقد أصبح للفظ الجامع مدلول سياسي في
عهد الدولة الأموية فقد عرف بالجامع ، المسجد الذي
يؤم فيه الخليفة أو من ينوب عنه المسلمين في صلاة
الجمعة أي أن لفظ الجامع أصبح يطلق على مسجد
الدولة الرسمي الذي كان يعرف باسم المسجد
الجامع .

وبطبيعة الحال لم يبق تخطيط المسجد على ما كان
عليه في عهد الرسول والخلفاء الراشدين ، بل أخذ
يتطور ويساير ركب الحضارة الإسلامية ، فقد رأت
الدولة الأموية أن لا تقل مبانيها ، الدينية بصفة
خاصة ، قيمة وقدرا عن المعابد المسيحية واليهودية في
مصر والشام ومن ثم فقد بنى المسجد الأموي بتخطيط
وأسلوب يختلف عن تخطيط المساجد الأولى ، وكان
ذلك لضرورة اقتضتها ظروف الدولة الجديدة
والشعوب ذات الحضارات والفنون التشكيلية المتقدمة

التي دخلت في الاسلام وأصبحت تكون عناصر هامة في
الامبراطورية الإسلامية الناشئة .

هذا ولم تقتصر وظيفة المسجد في المجتمع الإسلامي
الجديد على تأدية الصلاة فحسب بل كان يؤدي عدة
وظائف أخرى لعل أهمها الناحية الثقافية ، ففي أروقتة
وحول أعمدته تعددت حلقات الدرس والسويعظ
والارشاد . كما كانت تعقد فيه الجلسات
لفرض المنازعات الدينية والمدنية ، كذلك كان به بيت
المال كما كان الحال في المسجد الأموي وجامع عمرو
وفيها كان جلوس متولى الحسبة . من هذا يفهم أن
المساجد في العهد الأموي وأوائل العصر العباسي على
أقل تقدير ، كانت تمثل دور الحكومة في مفهومنا
الحديث الى جانب وظيفتها الأساسية الدينية .
وبدئها وقد أصبح المسجد يؤدي خدمات ووظائف
متعددة تختلف باختلاف الشعوب والبيئات أن تتعدد
الاساليب المعمارية في بناء المساجد وأن اتخذت
جميعها مقومات العبارة الإسلامية وجوهرها فقد
كانت معظم المساجد حتى القرن الرابع الهجري
تحتوي على صحن مكشوف تحيط به الأروقة من ثلاث
جهات أو من جهتين على أن يكون أكبر الأيوانات هو
رواق القبلة لأهميته . كما احتوى كل مسجد على
محراب أو أكثر ومنبر ومئذنة وفي كثير من الأحيان
على مضاة .

أما تخطيط المسجد ، فكان غالبا مربعا في العراق
وأيران ومستطيلا في مصر والشام وشمال أفريقيا .
وتعليل ذلك سهل ميسور ، فأماكن العبادة السابقة
على الاسلام في بلاد ما بين النهرين كانت ذات تخطيط
مربع ونعني بها (الاتش جاه) أي بيت النار ، أما في
غرب العالم الإسلامي حيث كانت تسوده المسيحية
فكانت كنائسهم معظمها ذات تخطيط مستطيل .



مسجد وخانقاه السلطان برقوق بالعباسية من عهات العصر المملوكي في القرن ١٥ م .

أُنشئت المدرسة البيهقية والسعيدية ومدرسة أبو سعيد الاسطرابي هي ومدرسة أبو اسحق الاصفراني المتوفى سنة ٤١٨ هـ . وقد ظلت هذه المنشآت عمائر محلية مدة خمسين عاما ثم قضى عليها تماما بعد قتل وزير طغرل بك ، الا انها بعثت من جديد على يد نظام الملك أعظم رجل تولى الوزارة في عهد السلالة قاطبة ، بل وأعظم وزراء الشرق في عصره ، فقد ظل وزيرا لثلاثة من السلاطين هم طغرل بك والبر اربلان وملك شاه . وقد استطاع بثاقب فكره وبعد نظره أن يستفيد من هذه المنشآت الثقافية والدينية في نشر المذهب السني ومناهضة المذهب الشيعي ، وهكذا أصبحت المدارس منشآت عامة بعد أن كانت خاصة ، يتخرج فيها الموظفون الذين يتولون إدارة الشؤون الادارية وما إليها في دولة السلالة .

وقد أنشأ نظام الملك الكثير من المدارس الاولى منها في نيسابور وذلك في منتصف القرن الخامس الهجري وأعقبها في بغداد وطوس وبصرة وأصفهان وهرات والبلخ . وقد حذا حذوه كثير من خلفه من السلالة وانتشرت المدارس في كل الولايات السلجوقية . وما فعله نظام الملك في إيران وجنوب العراق فعله الاتابكة في الموصل ودمشق وفعله نور الدين وصلاح الدين في شمال العراق وسوريا ومصر . وهكذا نرى هؤلاء الامراء ذوي الاصل الكردي أو المغولي والمتعصبين للمذهب السني : هم الذين نشروا المدارس في غرب العالم الاسلامي .

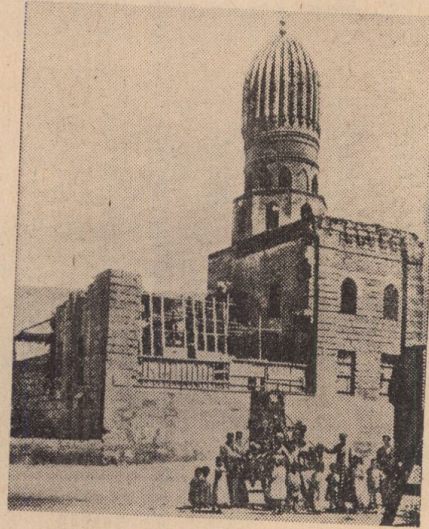
تخلص من هذا ان الشيعة هم أول من أنشأ العمارات الثقافية التي كانت تعرف من قبل باسم دار العلم ، كما انهم أول من أطلق عليها اسم المدرسة ، والغرض الاساسي من انشائها هو تدريس ونشر المذهب الشيعي . وكان ذلك في القرن الرابع الهجري ابان حكم محمود الغزنوي . وفي القرن الخامس الهجري نشر الامراء الاكراد والمغول ذوو المذهب السني هذه المدارس في غرب العالم الاسلامي كما جعلوها منشآت عامة تشرف عليها الدولة على خلاف مدارس الشيعة الخاصة في القرن الرابع الهجري .

وما قيل عن العالم الاسلامي عامة يمكن أن يقال عن مصر خاصة ، فكما نشأت المدارس في شرق العالم الاسلامي على يد الشيعة على انها معاهد خاصة نشأت في مصر على يد السنيين كمعاهد خاصة كذلك . فقد جاء في ابن ميسر أن الوزير رضوان بن الوحشي أنشأ مدرسة في الاسكندرية سنة ٥٣٢ هـ لنشر المذهب الشافعي . ويقول ابن خلكان ان ابن سلاز وزير الخليفة الفاطمي الظاهر أنشأ مدرسة سنة ٥٤٦ هـ في الاسكندرية كذلك . ويذكر القلقشندي ان مسرون أنشأ مدرسة سنية بالقاهرة في عهد الدولة الفاطمية . فلما جاء صلاح الدين الى مصر نشر هذه المنشآت الثقافية وجعلها عامة بعد أن كانت خاصة من قبله . وكان غرضه الاول من ذلك هو القضاء على المذهب الشيعي مذهب الفواطم وبذلك ينشر المذهب السني عن طريق المدارس .

وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري بدأت تظهر في شرق العالم الاسلامي أسماء جديدة لاماكن العبادة عرفت بالمدارس ، ثم انتشرت في غرب العالم الاسلامي في القرن الخامس الهجري وهذا التغير في الاسم لابد وان يكون لحكمة اقتضتها الوظيفة الجديدة أو الدافع المباشر .

كذلك صاحب التغير في الاسم تغيرات جوهرية في التخطيط المعماري . وقد اختلف علماء الآثار والمؤرخون في وظيفة العمارات التي عرفت بالمدارس ، ولعل اقربها تلك المناقشة الحادة التي دارت في الندوة العالمية للافية القاهرة حول هذا الموضوع وهو هل كانت المدارس في اول نشأتها تؤدي وظيفة المدرسة أو هو مجرد تشابه في الاسم لا في الوظيفة . لذلك رأيت قبل أن أتكم عن نشأة المدرسة ووظيفتها أن أذكر شيئا عن انواع الثقافات التي عنى المسلمون بها في العصور الوسطى . ونستطيع أن نجمل هذه الثقافات في قسمين كبيرين ، الاول ويشمل دراسة علوم الاقدمين وقد أطلق عليها العرب اسم علوم الاوائل وتشمل الرياضة والطبيعة وعلم الفلك والطب والفلسفة وعلم الديانات وما إليها وكانت تدرس في عمارات تسمى (دار العلم) اما القسم الثاني من الثقافة فيشتمل على العلوم الاسلامية التي تقوم أساسا على القرآن وما جاء فيه من الاحكام والحديث النبوي ومن هذين المصدرين تشعبت دراسات أخرى دينية وقضائية واجتماعية .

ومدينة نيسابور هي أول مدينة اسلامية أطلقت كلمة مدرسة على (دار العلم) وكان ذلك في عهد محمود الغزنوي في القرن الرابع الهجري ، فقد



مسجد ومدرسة السلطان أينايش من ١٧ م .



البستان

وضيوفه الثلاثة

(عن المشوي تبصره)

فضيلة الشيخ الصاوي شعلان

فأولهم فقيه وثانيهم شريف والثالث من المتصوفة .
وقال البستاني في نفسه انه لا قبل لي بالثلاثة
مجتمعين والجماعة قوة لا تغلب والصواب أن أفرق
جمعهم لا تخلص منهم واحدا بعد الآخر ومتى تخلصت
من واحد اتبعته بصاحبيه .

وخلا بالصوفي وقال له امض الى منزلي واطلب
الي من فيه احضار بساط يكون غراشا تستريحون
عليه

فلما اختفى الصوفي عاد البستاني الى رفيقيه
وقال للفقير مرحبا بك اننا نعرف الحلال والحرام
بفتواك ونميز بين الحق والباطل بفقهك ونحلق في
قضاء المعرفة بجناح علمك ثم اتجه بالحديث الى
الشريف وقال له أنت أمير قافلتنا وسلمان جمعنا
وقبس من مشكاة النبوة لانك من سلالة المصطفى ،
وكيف ارتضيتم صلبة هذا المتصوف الدعي الشره ،
انه ليس جديرا بأن يكون لصحبته كما أنيسا ولجماعتكما
جليسا فاعيناني على طرده وابعاده وتجنبنا صحبتته
ولكما عندي طيب الإقامة في هذا البستان ما شئتما
من الزمان، ان قيمتكما عندي اغلى من الكروم والاعناب
وأعز علي من عيني اللتين أرى بهما النور حين أراكما .

هكذا وسوس لهما هذا الشيطان فنسيا حق
الصداقة عليهما ولما عاد الصوفي تولى عنه الفقيه
والشريف وتركاه للبستاني الذي أشبعه ضربا حين
الفاه وحيدا وراح يكيل له السباب قائلا : من الذي
أذن لك أن تغشى هذا البستان في غير استئذان هل
علمك هذا شيخ أو مريد أو تلميذه عن الجنيد وأبي
يزيد

في طلعة النعم الالهية التي من الله بها على
المؤمنين اتحاد كلمتهم وتوحيد غايتهم فقال
تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فآلف بين
قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة
من النار فانقذكم منها) وقد جمع الله لرسوله
المهاجرين والانصار بالمدينة فكانوا هالة حول قصر
الرسالة يتوحدون صوفوا في الصلاة ويتعاونون
صوفوا في الحياة يصافحهم ظل الجنة تحت ظل
النخيل والملائكة لهم معشر وقبيل وقد كادت العداوة
بين الاوس والخزرج بدسانس اليهود تغشى خضراء
هذه الامة العربية لولا أن تداركها الله بالرسالة
المحمدية فأصبحوا والمؤمن أخو المؤمن يؤثره على
نفسه ويدافع عنه قبل نفسه ولا يضمن عليه بلون من
ألوان المساعدة والعون مهما كلفه ذلك .

والمؤمن الصادق يؤثر أخاه بالخير ويعتبره قطعة
من ذاته وصورة من كيانه فلا يتصور قيام خصومة
شخصية ومن أخطار الفرقة وسوء عواقبها .

يقدم لنا المتنوي انذارا حاسما بجليه في صورة
هؤلاء الاصدقاء الثلاثة الذين نسوا ميثاق وحدتهم
ورابطة الفقه وأسلم كل منهم آذنه للشيطان يصب
فيها جام الفتنة والبغضاء وكان من أثر ذلك القضاء
عليهم آخر الامر يحدثنا جلال الدين الرومي أن
بستاني كان يتجول تحت ظلال الكروم وإذا به يفاجأ
بمنظر ثلاثة أشخاص قذفت بهم رياح الصدفة على غير
استئناس ولا استئذان وراح يحدث نفسه بالتخلص
منهم والنجاة مما قد يحتمه واجب الضيافة لهم .

والثلاثة كانوا متشابهين في الوسيلة وطرق المعيشة

البنك الأهلى المصرى

يضع أوعيته الادخارية في خدمتك

صندوق التوفير

يقبل الودائع من ٢٥ قرشا - بفائدة ٣ ١/٢ % سنويا

شهادات الاستثمار بأنواعها الثلاثة

• ذات القيمة المبررة • ذات القيمة المبررة • ذات القيمة المبررة

ودائع لأجل

بفائدة تصل إلى ٤ % سنويا

بنك المدرسة طلبة المدارس

يقبل الودائع من ٢٠ مليما



البنك الأهلى المصرى

خبرة ٧٢ عاما في كافة الاعمال المصرفية

قعد الصوفى بنظرة عاتية مريرة وقال لصاحبيه وهو يولى الادبار مهرولا هذا هو مصيرى قد جرى به القضاء فخذوا حذركما منذ الساعة لقد جعلتمانى غريبا عنكما ونسيتهما انكما غريبان مثلى عن هذا العقل الجافى • وانكما لامحالة ستشربان بالكأس التى شربت بها وانكما فى الطريق الى نفس هذا المصير وان جميع ما صدر عنكما من القول البذى سيرتد اليكما وشيكا كرجع الصدى •

وعاد البستانى بعد أن شيع الصوفى بالوان الاذى وتخلص منه وهمس الى الشريف قائلا امض الى المنزل واهتف بغلامى قيمان ليحضر الطعام الذى أعدناه •

ولما مكث غير بعيد اتجه الى الفقيه وقال له ، ما شأن هذا الرجل الدعى يزعم أنه من أولاد على ومن سلاله بيت النبى ولا يصدق مثل هذا القول منه الا غبى أنه يزعم ذلك لما به من خيال وكذلك كل من اضطربت رأسه من الدوران يظن البيت كله دائرا مثله الذى يتهم المصالحين ويرميهم بكلمات السوء أما يصف نفسه والكلام صنعة المتكلم وأصغى الفقيه بدوره للفتنة وارطم بصخرتها •

أما البستانى فالحق بالشريف وانفرد به وقال له من أدخلك هذا البستان ان الشبل يكون شبيها بالاسد فمن أى الوجوه أشبهت مقام الرسول وصنع بالمسكين ما يصنعه الخارجى بعثرة النبى

وما زال بالشريف يوجعه اهانة وضربا حتى كانت آخر كلماته الى صاحبه الفقيه وهو يودعه هانذا وقد وثبت خارج الماء فاثبت أنت الآن وكن شجاعا ازاء ما ما تتلقاه من ضربات يرن لها جسدك رنين الطبل ما أشقاك يا هذا وقد أصبحت فردا ولا معين وحيدا ولا أنيس منقطعا ولا صاحب وائى لو لم اكن أشد عليك بلاء فى عشرتك من هذا الظالم المريد •

تخلص البستانى من الشريف بعد الصوفى وانفرد بالفقيه البائس ينهال عليه بمر الكلمات ويهوى عليه بالضربات قائلا :

أى هذا الرجل أين قرأت الفتوى التى تبيح لك أن تدخل البيوت دون أن تستأنس وتسلم على أهلها ، هل وجدت هذه الرخصة فى كتاب الوسيط أم أطلعت على هذه الاجازة فى المحيط ، انك تحمل علما لا تعمل به فأسرع الفقيه الى الاقرار بالذنب وقال أما الآن فقد حق على العقاب وهذا جزاء من خان عهد الاصحاب •

أيها السالك أن الدنيا بستان كرم تحوطه الاشواك والفتن والشيطان فيه مداخل الى النفوس الامارة يفسدها ويفرقها فيحول الحب الى حرب والبستان الى ميدان والكروم والاشجار الظليلة الى جحيم وحيدنن تتحول النعمة الى نقمة ولو حافظ فيها الناس على المودة لكان القليل يكفيهم والبسير يغنيهم فلا تحارب اخاك بل حارب التفرقة وقاسمه نعم الحياة بالتعاون فى جميع مجالات الحياة ، ان الجماعة قوة والاتحاد ثروة •



الشاعر أحمد عمر هاشم

قد زرت بيت الله يا لسعادتي
وهناأتني يا منيتي يا فرحتي ..
لما دعاني من هفت بحبه
قد قلتها : لبيك واهب نعمتي
ليبيك يا الله أنت خلقتني
ورزقتني ، ومنحتني امنيتي
يا خالقي يا رازقي يا بارئي
يا منشئني ، يا نور كل بريتي
انا يا الهى فى حماك ومن يلذ
بحماك عاش حياتك فى عزه

انا قد سمعت الى حماك تلهفا
ونسيت يا ربى هواي وأسرتي
كانت أمانى المراز تشدني
لك كى أرى بحماك نور حقيقة
ما غاب عني يا الهى فضلكم
يوما ، ولا جهات سمائي رؤيتي
والارض ما بخلت على برزقها
كم نعممة أوليتني ، كم نعمه ...
نعمائك الفراء ياربى نمت
وأنا بشركك عشت فى بحبوحة
توجتها يا رب بالتوفيق ،
والتوفيق يا وهاب أعظم منة
ما كان لى أرب بدنيأى سوى
انى أمتع ناظري بالكعبة
وأسير ما بين الخطيم وزمزم
وأجول ما بين الصفا والمروة
وأقبل الحجر الحبيب مناديا :
يا رب انى تبت فأقبل توبتي

يا رب جنتك خاشعا مذللا
ودموعى الحرى حروفا مذلة
وبرئت من دنيا المآثم والآسى
وأنت أخلص يا الهى وجهتي

•••••
ووقفت فى « عرفات » وقفة ضارع
أرجو الرضا بضراعتي وبوقفتي
والقلب فى خفقانه والدمع فى
جريانه والأفق صاغ تحيتي
والناس أنفاس تصعد للسما
فى رعشة وطهارة مبرورة
فتماوجت أنفاسهم وتجاوبت
أرواحهم فى هتفة قدسية
وكانها حثروا وقام رسولهم
متشفعا ويقول : « ربى أمتى »

•••••
يا خالقي ولدى رحابك خالقي
بوركت بل شاهدت نور الجنة
فاقبل بجودك توبتي وشكايتي
واقبل بفضلك يا الهى عثرتي
عودتنا عفوا واحسانا وقد
ناديتنا : « لا تقنطوا من رحمتي »

•••••
ونعمت حين أتيت باب المصطفى
باب الشفاعة والهدى والرحمة
هو رحمتي وسعادتي وهناءتي
هو بغيتي هو مقصدي ووسيلتي
كم كربة ناديتك فتفرجت
من بعد ما ضاقت وقلت حياتي
ما منية قد رمتها ودعوته
الا وحقق لى الهى منيتي
واذا ذكرت المصطفى فى وجهة
فالله ربى لا يخيب وجهتي
ولقد دعوت الله جل جلاله
يا ربنا انصر يا كريم عسروتي
يا من هزمت عدو بيتك حينما
جاءوه بالفيل الجسيم وقوة
فهزمتهم بالطير اذ ترميهمو
بحجارة السجيل شر هزيمة
يارب فانصر بيتك الثانى الذى
قد كان فى الاسلام أول قبيلة

•••••
أيامى الخضراء هذى عشتها
عند الحبيب وفى رحاب الروضة
ناجيت فيها المصطفى ناجيته
ودعوته وهناك سألت عبرتي
من يدخل الفردوس لم يخرج كما
قد شاء رب العرش خير مشيئة
ما روضة المختار الاجنة
يارب وفقنا لتلك الجنة

الفداء

الشاعر محمد سليم حامد عالم

وطوى الصمت نبرات الفضاء
ت .. فكانت مسارح الأحياء
غير عين الإيمان في الأنبياء
وهدى من غيوب رب السماء

هجع الليل في جفون المساء
وغفت أعين الأنام هنيهة
كل عين ترى المفاتن شتى
أن رؤيا النبي .. ومضة وحى

على الصبح وأفر الأضواء
يتغنى بساحة الصحراء
من دجائها .. عطيرة الأجواء
قدسى .. يفيض بالألاء
سيم .. يسعى بوجهه الوضاء
ه .. ويمضى الى طريق الوفاء

وأتاق الوجود يفرك عينيه
وترامى على الرمال شفاع
(مكة) القرية الوديعه تصحو
وعلى الكعبة الزكية ضوء
جاءها رافع البناية ابراه
تتغنى بروحه الحر رؤيا

عيل .. يختال راضيا في حياء
ب .. وحنو .. ورحمة .. وولاء :
أنت روح تظلل كالأفياء
أينعت كالثمار .. غب نماء
بجمال الحنان في الأبناء
داعبته الأنسام في استبحاء

بين كفيه نجله البر اسما
قال ابراهيم في رقة القلب
يابنى العزيز أنت فؤادى
أنت عينى .. أنت كل حياتى
فرنت أعين القلام .. وغامت
وانحنى غصنه التضرير كفرع
لم هذا الحديث ؟

اسماعيل :
ابراهيم :
اسماعيل :
ابراهيم :
اسماعيل :

طال في شجوه وأنت ازائى !!
كعبة الله .. ؟ ؟
لا ورب السماء

في سبيل الرحمن أعلى بناء ؟
من أقاصى البلاد حلو النداء ..
و .. ملين .. فى رضى ودعاء
ق .. ابتهاجا بخشعة .. وانحناء ؟
ك .. ورفت كعاطر الأنداء
م .. ورؤياك فى فمى كالفناء
من خيار .. ! وأنت كل رجائى ؟
ولك الأمر أبنى لطبيع
أن قلبى عليه منك خشوع

أو يشجيك أننا قد رفعنا
ثم ناديت للحجيج .. فلبوا
وسعوا خاشعين للامل الحـ
يرفعون الأكف للخالق الحـ
كم أفاعت على الفؤاد تحايا
يابنى العزيز .. قمت من النو
يا لهول الذى رأيت .. ومالى
قل : فانى اذا قصصت سميع
كيف أعصاك يا أبى .. ! كيف أحيا

ابراهيم :
اسماعيل :

قل وحق الرحمن ..

كيف ؟

ابراهيم :
اسماعيل :
ابراهيم :

اسماعيل :

قد رأيت السكينة بين يدي
يا لهول الأحداث !!

ليس كثيرا
ان رؤياك دفقة النور .. وحى
أنفذ الآن ما رأيت فروحى
سوف امضى الى الخلود الى الذكر

مضيا فى الطريق .. ومضة روح
يستجيبان .. يستعدان للذب
يا لهذا الفلام يسلم نفسا
طائما راضيا كان زفافا

سجد الطائع الرضى .. وديعا
قال بالحنوة : يا أبى ضع رداى
لا تلن يا أبى فذلك وعد
تلك الذابح الكريم قويا
ورنت للسماء دمعته ابراهـ
كل ما فى الوجود يهتف يا رب

وتدلى الولاء .. والحب والطا
فاذا الله والملائك والرسـ
نزل الروح بالفداء وضيا
يفتدى البر .. والبنوة والنو
أنها فدية السماء الى الار

فليكن للحجيج يا رب ذكرى
وليكن فى الفداء صورة دنيا
وليعد للقلوب يغسل اروا
وليكن جلاوة الشروق على القد
وليكن موعد الجلاء لفدر
ولتكن منك قوة تصطفينا

تحدث

ان شئنا اذا نطقت فظـ
وانا ذابح .. وأنت الضجيع .. !!

كل ما شئت يا أبى مقبول
وهو بالحق .. والهدى موصول
وحياتى .. بما رأيت تطول
.. وقلبي الى الخلود يميل

وخطى عابـد .. وقلب شهيد
ح .. كركب مهلل بالنشيد
لأبيه .. لربه المعبود
لمروس يدور فوق اليد

وأبوه الرحيم فى تسهيد
فوق عيني .. وخذ جميع وريدى
من الهى .. وكن قوى الجهود
فى جلال .. التكبير .. والتحميد
يم .. حنوا .. ورحمة بالوليد
ترفق بنور هذا الوجود

عة فى عمق هذا اليقين
لحماة لصون شبل العرين
يتهادى بكيش هدى .. سمين
ر رحيبا وسر قلب أمين
ض .. وعيد مقدس فى الدين

ذلك النور (يوم عدى الكبير)
نا قويا وصوت كل نفير
حا عليها حلاوة التكبير
س .. وشعب مشرد مقهور
ظل يرمى بلادنا بالثبور
لقداسات دينك المنصور

إلى حجاج بيت الله الحرام

الشاعر محمد بن محمد بن عبد الله

وتسربت كالعطر في الزهرات
كالطهر والإيمان في الصلوات
قدسية الدعوات والتفغات
لله في طهر وفي أخبات
حب التقى وحلاوة القربات
كالنور يطوى الجو والقلوات
كرمت بنور الوحي والآيات
تختال في سحر وفي هالات
بشرى كلحن الطير في الربوات
نلتهم بها ما طاب من جنات
بالأجر والرضوان في عرفات
يفرى الوري باللهو واللذات
مجموعة التهليل والدعوات
قلب ينجى الله بالطاعات
وقتلتمو الشيطان بالجمرات
سبعا ببيت الله ذي الرحمات
وهو الكريم يضاعف الحسنات
فحظيتمو بالخير والبركات
ودعا الموحد باري السموات
في أسعد الأيام والأوقات
كالزهر في أرج وفي بسمات
لا شك بالنصر المؤزر آت

سطعت كنوز الفجر في إبياتي
وغدت تحدث في جلال خاشع
وسمعتها تدعو وتهتف في الضحا
نادى الخليل في سعادة من سمى
فاجابها نقر كريم أشربوا
تركوا ديارهم وساروا خثما
وهناك في الأرض المقدسة التي
هتفت بهم ورقاء ساحرة الرؤى
ورنت إلى ركب الحجيج وأرسلت
حجاج بيت الله طابت رحلة
غادرتمو الوطن الحبيب لتسعدوا
وخلعتمو الدنيا وزخرفها الذي
وهناك في عرفات صرتم أمة
لا فرق بين الواقفين فكلهم
وعلى منى نلتهم من الله المنى
ولزمتمو البيت الحرام وطفتمو
بشراكمو فلقد عمرتم بيته
ثم انتنيتم نحو قبر محمد
صلى عليه الله ما طلع الضحا
ولكم من الله المثوبة والرضا
والتهنئات أزفها منضورة
لكمو بحجكمو وباليوم الذي



من عبير

النسما الحجازية

الشاعر عبد الباري أبو العينين

نسيميك يا أرض الحجاز عطر

يداوي فؤادي بالشذا ويجير

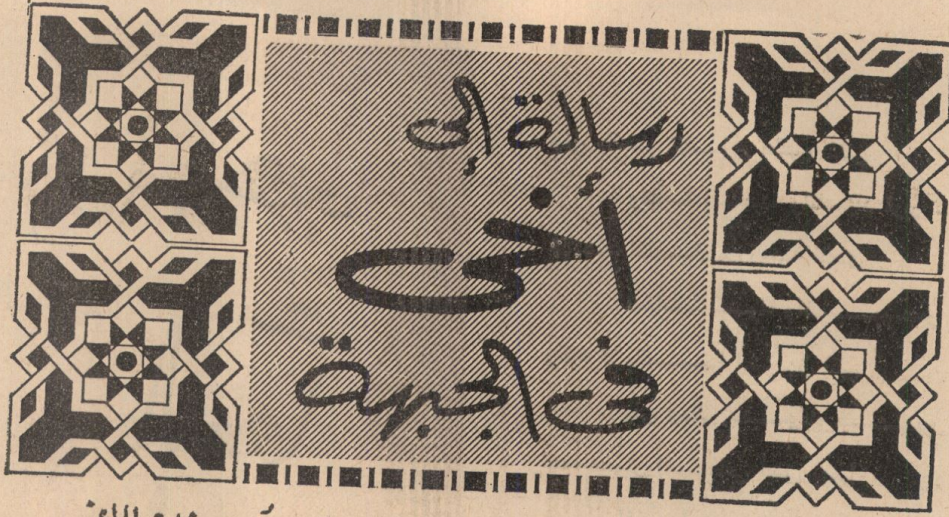
نسيميك أذكى في الفؤاد صبا

ونيران شوقي في الضلوع سفير

وكم هبت الانسام تنعش مهجتي

فعمشت مشوقا والفؤاد أسير

متى يانسيم الشوق تطفئ غلتي
وأحيا سعيدا والفؤاد قرير ؟
إذا هبت الانسام من روضة الهدى
تمايلت شوقا والنسيم عبير
وقلت ألا يانسمة الشوق انني
وفى ومثلي بالوفاء جدير
أحب ديار المصطفى أينتي بها
أغنى على درب الهدى وأسير
فما للمطى العيس جد مسيرها
وما حملت رحلى فكيف أطير ؟
وما ضرها لو تحمل اليوم عاشقا
يذوب هوى والعاشقون كثير
ولكن عشقي لا يقاس بعشقتهم
أنا في الهوى للعاشقين أمير
مماتي حياة في الهوى وفناؤه
بقاء وناري جنة وحرير
متى يا زمان الهجر عهدك ينقضي
فقد طال هذا العهد وهو مرير ؟
أطلت فراق العاشقين ومالهم
سوى الدمع يجري وهو فيك غزير
فيا راكبا أما وصلت إلى الحمى
فبلغه آني في القيود أسير
وأنى سأحيا في هواه معذبا
إلى أن يوافيني الفداة بشير



الشاعر: أحمد عثمان المرنسي

ورأوك في ساح النضال مناضلا
شما أيها صامد الوجدان
من أنت : أنت أخ لآخس يا أخي
فاسأل عليه مواكب العقبان
من أنت : أنك من « صلاح » وافد
تتلو صحيفة ناسف الطغيان
بيديك سيف منه حد مضائه
هو فيصل « حكم » جليل الشأن
فاقطع به قوما تفرق شملهم
وامحق جميع قطائع الذؤبان
واجعل لدفعك العنيد مكانه
في كل صدر غادر وجبان
واحمل عليهم حملة عربية
وانسف بعزمك قلعة الاوثان
واكتب على وجه الخلود مكرما
سطرا يسجل نصره البلدان
واجعله يحكي للزمان حكاية
نقشت لتذكر مصرع الشيطان
واجعله يروي للبرية كلها
انا رفعنا راية الايمان

كن مثل عهدك صامد الوجدان
فعلى صمودك عزة الاوطان
كن مثل اجدادنا قد شيدوا
مجدا فصن ما شيد من بنيان
فاليوم اسلمت البلاد زمامها
لك أنت في زهو وفي اطمئنان
واليوم قللك المضياء وسامه
فاحفظ وسامك يا أخا الميدان
ان العيون اليك تنظر دائما
ملئت بآمال الحمى وأمانى
وجميعنا يدعو آلهة قادرا
يارب فانصرنا على العدوان
يا رب ثبت كل قلب مؤمن
وارفع لواء الحق والاحسان
أخي : قدموك اليوم تحرس أمة
عربية الازمان والبنيان
أخي : قدموك وكنت اشجع فارس
عرفته كل معارك الفرسان
عرفوك صاحب همة وعزيمة
فاقت جميع طلائع الشجعان



الشاعر
حسن صالح

نداء فلسطين

اشعلوها بينهم ناراً وباساً
ضيغهم في صراع وجفاء
فاذا العالم في حقد سعيها
واذا الطاقات مجهودا هباء
فاذا ما حان للسقوط أو أن
هجموا جهراً لتأسيس البناء
واقاموا عنوة وكر الأفاعي
ثم ها هم أعلتوا طول البقاء
جسموا أحلامهم ملكاً عضوداً
يسلك العالم في حكم الغباء
كان بدء الهدم في صرح المعالي
ليته أيقظ وعي العقلاء

يا فلسطين وأنت القلب منا
أين ذاك العصر من عصر الشقاء
كنت في ماضيك أشعاع الهدى
كيف صرت اليوم قيد الدلاء
في كرب تلفظ الانفاس جمرًا
وتنادي الصيد في أعلى نداء
يا أباة الضيم اني في اسرار
أين أهلي وحماتي والفداء
يا بعيدى الدار أتباع الهدى
والقلاع التشم من صلب الآباء
كيف يهوى العيش في ذل أبى
كيف ترضاه رسالات الاخاء
أقدموا يا غر في الميدان فصل
لتردوا الحق مرفوع اللواء

نحن يا قدس جميعاً للفداء
نحن جند الحق عزم في مضاء
لا تراعى اننا أسد المنايا
اننا للمجد حسن أوفياء
اننا في السباح في عد وبأس
ندفع الظلم وبغى الادعاء
ليس فينا من جبان أو خوون
نحن جمع الأهل في عقد الصفاء
والى النصر وقهر البغى قمنا
ما لأعدائك في وكر غناء
أقسم الله ووعد الله حق
ليمدنا بأملاك السمماء

كم شهيدا دون مهد الانبياء
وجريحا في عداد الشهداء
وثكالى روعت في أمنها
فقدت بعلا وولدا ورجاء
تدب الظاعن منهم والحمى
وتلاقى وحدها دهر العناء
ويتامى نشئت في بيت عز
ضاع منها الحصن باتت في عراء
وحبالى قطعت احشائها
ورضيها ماله غير البكاء
وشريدا في الفياقى وطريدا
وسجينا رهن قيد الجبناء
وأسودا أعمات فيها سيوف
حيث باتوا تحت نير الآدياء
وريشا وعروضاً ومهادا
نهبوا دون حق أو حياء
وديارا قبعت فيها ذئاب
ورياضا أصبحت صفرا غناء
وعذارى في رياحين الأقاحي
حصنها ظهر وعز الكبرياء
صارعت وحشا عنيدا في جلال
ثم بات العرض منها في نقاء
أجهز النذل عليهن جميعا
في قطاعات وجبن وعواء
ببيوتنا نسفت غدرا وظلما
بيد الأشرار في حقد العداء
وحريقا أشعل الأيمان نورا
وسمعيرا في صدور الشرفاء
ثم لم يمض قليل من شهور
أذ بولاد الجمر صوت في الفضاء
يا أماني لم تعش الا قليلا
يا لأمالي في كف القضاء
يا الهى أنهم باتوا جميعا
في ضياع وشبكات وبلاء

يا مهاد الوحي كيف الليل فيها
فقدت في ليلها نور الضياء
يا لهول الجرم في كيد خفى
أحكموه في دعايات هراء
هو سر الحرب بين الناس طرا
صارعوهم في خفاء ودهاء

اثارة الغرام



يكفر فقل يارب ما اغناكا
ومباركا وبه تمام هداكا
من جاءه فاشكر لمن ناداكا
وتحل بالاخلاص خير حلاكا
واملا فؤادك بالذي سواكا
واجمل ما اعدته تقواكا
كفنا تسير به الى اخركا
عونا اذا لعب المدي بثركا
واشكر لمن اولاك ما اولكا
متهللا فرحا بنيل رجاكا
طوفان قلبك بالذي انشكاكا
واشكر به سقى الاله اباكا
فسقاها من زمزم وسقاكا
فيه خليك ان يجاب مناكا
ولاى ناحية تسير خطاكا
ممن عرفت بهم طريق هداكا
واستبق حظك منه فهو بقاكا
فعسى يكون من الجحيم فداكا
حل به الممنوع غير نساكا
للبيت تشكر من اليه دعاكا
ان يجعل الفقيران بعض قراكا
فيخف من حمل الهموم قراكا
منها تكن عند المليك ملاكا
من غير عذر كنت ما اجفاكا
قد زرته حيا فياطوباكا

الله اوجب حج كعبته ومن
بيت بنياه الله اول ما بنى
آياته منها المقام وآمن
واصغ اليه ، وتب ، واد مظالمنا
واقطع علائقك الدنية كلها
والزاد من محض الحلال اعدده
واذكر بثوب سرت فيه لبيتك
واذكر ذوى الاملاق واخشوشن تجد
واذا بلغت البيت فاحمد خاشعا
وتحبة البيت الطواف فطف به
واعلم بان القصد من طوفانه
واذكر بسمك بين مروة والصفا
كاد الصدى يغنى لهاجر وابنها
واسال على عرفات معرفة به
واذكر به حشر الاله عباده
واسأله حشرا في الذين يحبهم
واذبح بهديك حظ نفسك كله
واختره وارج قبوله متفضلا
والحاق والتقصير كل منهما
وتمام حجك ان تطوف مودعا
واسال من الفقار في أم القرى
ويحط عنك الهم الهميه
وتضاعف الحسنات فيه فاكثر
واذا حججت ولم تزر باب الهدى
ان زرته في قبره فكانمنا



لحج بيت الله الحرام

الشاعر محمد خليل الخطيب

واقصد لمسجده بفز مسجعا
مسجدا تحضرا ان النبي ازاكا
يا من اضاء الصالوات ضياكا
سمعت كريم خطابه اذناكا
حي فحيي له بجسم حياكا
ادبا كانك منه وهو يراكا
ما كان للصدى نحو هداكا
للدين كان هز بره الفتاكا
فتح البلاد ودوخ الاملاكا
مستمطرا رحمت من انشاكا
فالركعتان كعمرة نفاكا
سبنا وصلى الركعتين هناكا
جمع الكتاب فحق فيه ثناكا
والعسيرة انقلبت به يسراكا
املاك ربك من مزيد حياكا
في هذه الدنيا وفي اخر اكا
اسلمت للرحمن منذ صباكا
الا لخالقك العزيز مطاكا
صلى عليه مسلما مولاكا
حتى استقام الدين وهو هداكا
الا بنزكية لهم ثنفتاكا
عنه ولا يرضون الا ذاكا
فلك المنى منا وفوق مناكا
اسمعي اليك مهرولا القاكا
ملئت جميع الارض من اخطاكا

فاقصد زيارته بكل سكيانة
واذهب لروضته وزره بغيره
وقل السلام عليك يا خير الوري
يردد عليك بنفسه ولربما
واعلم بان المصطفى في قبره
واملا فؤادك هبة منه وقف
وعلى خليفته فسلم ذاكره
وعلى ابي حفص خليفته الذي
ابده بعد تسير واعززه
وزر البقيع لاهله مستغفرا
وقبائه زره مصليا متقربا
كم جاءه يمشى النبي وراكبا
واذكر بخير صاحب التورين من
كم في سبيل الله اتفق ماله
ياذا الحياء الجم منك قد استحت
واذكر علينا بالعلو مكانة
ربك خير عباده في بيته
لم تعبد الا صنم قط وما انحنى
واذكر بخير الذكر سائر صاحبه
هم جاهدوا في الله حق جهاده
والله زكاهم فلا تذكرهمو
والله راض عنهمو وهو رضوا
عبيدي اتيت لنا وزادك طيب
واذا اتيت الى تمشي تلقني
واذا بعثت موحدا اغفر ولو

مت تاريخ الشعوب

نسب بنو طاهر

الأستاذ قاسم غالب أحمد

كان ولا يزال سبيلا لكسب ديني وأدبي يلجأ اليه الكثير من الطامعين في الحكم وفي اليمن بالذات أو حتى الزعامة الروحية بحدود ، والا فمما الفائدة من اثبات النسب في بلد كاليمن المعروف بأصالته العربية فكل من انتسب الى اليمن يعرفه الناس ولا ينكرون عرويته ما عدا بعض الاسر الفارسية والحبشية التي أتت قبل الاسلام وهي تكاد أن تكون معروفة محصورة في بقاع ما من اليمن وقد اندمجت هذه الاسر في الاسر اليمنية وعدها اليمنى منه لانه يرى بمنظار اسلامي صحيح قبل ان يتعصب او يغالى في الشعوبية مالم يمس عرضه وماله وأرضه فكل من يعمل لليمن مخلصا فهو من بلاده والناس كلهم لادم وأدم من تراب وأكرم الناس ألقاهم وأنفعهم للناس والتاريخ والى اليوم يذكر أعمال الأبطال بعزة وانتماء وفخر فصلاح الدين الأيوبي وبيبرس وغيرهم عملوا للإسلام والعروبة الامر الذي جعل الناس يقرونهم بخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص وغيرهم من القادة الفاتحين العادلين كعمر بن معدى كرب والمهلب وموسى بن نصير .

واليمن لا يستبعد أن يعتمد بنو طاهر الى مثل الدعوى التي جرى عليها الملوك من الرسولين والأئمة في الشمال ليكون لبيتهم وأسرهم هيبة وقداسة وأحقية الوراثة وولاية العهد في الملك وقداسة الانتماء الى أبناء رسول الله أو الى قریش فنسب الفساسنة أو

يعود المؤرخون بنسب هذا البيت الى بنى أمية كما يؤكد عدد منهم هذا النسب ومنهم المؤرخ الديبع في كتابه قرّة العيون - وفي الوقت نفسه تشير بعض المصادر الى أنهم من أصول يمنية قديمة ومقرهم وادي الواعظات وان بيت طاهر فرع من بنى قاصد من يافع ويافع يلد مشهورة في اليمن الديمقراطية .

والصحيح أنه من العسير على المادة التاريخية التي بين أيدينا أن ترجح أيا من هذه الأقوال أو أن تنفيها كما أن ظروف اليمن السياسية والاجتماعية كانت ولا تزال لا تساعد على البت في هذا الموضوع برأى قاطع والذي يهم المؤرخ والقارئ هنا أعمال رجال الدولة وأثارها لا أنسابها .

لانه في الوقت الذي كان اليمن ملجأ آمنا لكثير من البيوت المطاردة من الدولة العباسية فان ذلك يرجح أن يكون عدد من الامويين تسللوا الى جبال اليمن خفية من بنى العباس ثم يكشف هؤلاء الفارون وجوههم بعد انقطاع سلطان الدولة العباسية عن حكم بعض البلاد العربية والاسلامية واليمن بالذات ، ولكن لماذا لم يذهب هؤلاء الى بنى عمهم من ملوك بنى زياد ومواليهم فقد كانت الدولة لهم والصولة في زبيد وفي أغلب اليمن بل أتت فترة حكموا اليمن بأجمعها وبنو زياد أجمع المؤرخون على أنهم من الامويين .

وصحيح ان النسب والانتماء الى قریش أو الى بيت من بيوت الحسن والحسين أبناء رسول الله

الفاطميين أو الامويين لا يهم المؤرخ والشعب بقدر ما يهمه أن يذنب بعد السيرة العادلة وبقدر ما تركه هؤلاء الملوك من آثار في الشعوب التي حكموها كما قلنا .
ومهما يكن من أمر بنى طاهر فقد كان هذا البيت من البيوت ذات الثقل والنفوذ في المنطقة الوسطى التي تشمل رداق ودمار ويزيم والبيضاء وما حولها وقد تصاعد نفوذهم لفترة طويلة أيام دولة بنى رسول حتى تهيأت لهم أسباب الوثوب على ملك اليمن ، ومن أعمال ملوك هذا البيت كتب المؤرخون ورأى ويرى اليمنى آثار تلك الدولة في آثارهم التي بقى بعضها الى اليوم .

مكانة البيت الطاهري في عهد الرسولين

كان هذا البيت أو الأسرة الطاهرية مخلصه للملك بنى الرسول غاية الاخلاص ويوجهون الملوك منهم الى اصلاح ويدافعون عنهم أى اعتداء محلى أو مجاور يدافعون كل خطر يهدد كيان الدولة والامن ولا سيما من أئمة الشمال عندما كانت تنقطع عنهم مواساة ومرتببات الدولة الرسولية أو عندما يعتقدون أن الفرصة مناسبة لتحريك قبائل الشمال على الاغارة وما يتبعها من مكاسب واسلاب .

بعد البلاء يكون الثناء

وقد اثبت شيوخ بنى طاهر قدرة حربية ملحوظة وتماسكا قبيليا متسامحا من عصر الامام صلاح الدين وابنه على صلاح الدين عندما هدد اتباعهم ذمار وما حولها وقد لفت الدولة الرسولية ما قام به ويقوم قادتهم من اصلاح بين الناس وقيادة حكمة فى الحروب وحب الناس لهم سواء كان ذلك فى منطقة رداق أو أى منطقة يحكمون للرسولين بها .

ففى عام ٨١٢ هـ كان من الحوادث التي سجلها المؤرخ الديبع وفاة الشيخ معوضة بن تاج الدين جسد المجاهد والظافر المؤسسين للدولة الطاهرية قال الديبع فى قرة العيون

ففى عام ٨٢٠ هـ لقي الامام على بن صلاح الدين هزيمة منكرة فى عدة مواقع حربية على يد عمال الناصر الرسولى من بنى طاهر وعلى رأسهم الشيخ طاهر بن معوضة ثم قال وكان الناصر فى عام ٨١٧ هـ قد أكرم الشيخ طاهر بن معوضة حينما قدم اليه مع البعض من بنى عمه وأصحابه واستعان به فى أمور فيها صلاح للرعية .

بدء التجرية

وقال بعض المؤرخين فلما كان عام ٨٣٥ هـ كان المتزعّم لهذا البيت الشيخ الاجل شمس الدين على بن طاهر بن معوضة الملك المجاهد بعد ذلك وكان قدومه على السلطان الرسولى حدثا من أحداث هذا العام الذى تمت فيه المصاهرة بين بنى طاهر وبنى الرسول .

وما أن تولى الملك المظفر يوسف آخر بنى الرسول سنة ٨٤٥ هـ حتى ظهر بنو طاهر كقوة رئيسية فى ميزان الدولة وفى الشعب اليمنى - ومما لاشك فيه ان ظروف تولى المظفر وما أحاط به من أحداث قد ساعد

بنى طاهر على ظهور كفاءتهم الحربية والإدارية ومناوراتهم السياسية وحزمهم ويقظتهم فقتلوا على الحكم بعد المظفر

وقد كانت الشخصيات التي سبقت المظفر من آل رسول أوجت الى اليمنيين وجعل أهل الحل والعقد يجمعون على الاتجاه الى المظفر فى منفاه بجهة وصاب بعد أن أسرف الأشرف على نفسه وعلى الناس من سفك الدماء وترك الزمام للقبائل والعبيد يعيثون وينهبون أموال الدولة والناس لذلك فقد كان المظفر بما عرف عنه من حب للعدل والانصاف وحذب على الرعية خير بلسم لهذه الجراح وهو آخر محاولة لاستبقاء الحكم فى البيت الرسولى .

ولو جمع هذا الملك الى صفاته التي عرفت عنه الحنكة والقدام ودهاء السياسة لما قدر لدولة الرسول ان تنهار وتنتهى ولما قدر لدولة الطاهريين ان تقوم ولكنها شيخوخة الدول وانقراضها

« هكذا الدهر حالة ثم أخرى

ما لحال مع الزمان بقاء »
« هرمت دولة القياصر والدولا

ت كالناس دواهن الفناء »
« وكذلك النفوس وهى مراض

بعض اعضائها لبعض الفساد »

الانتفاع من تجارب الماضي

ومن كل احاديثنا السابقة يتضح ان الفوضى فى الحكم كانت سائدة فى الشمال تحت حكم الامامة وفى الجنوب تحت حكم اخر ملوك بنى رسول كبرا تتضح النقاط الآتية لمن سائر تاريخ بنى طاهر كعمال لبنى رسول من مسامرة تاريخهم طيلة اتصالهم بالرسول كعمال .

١ - ان البيت الطاهري احتفظ بولائه للمظفر وقد اكسبه هذا احترام الشعب اليمنى لما تمتع به هذا البيت من سمعة طيبة ووفاء للشعب والدولة .

٢ - ان آل طاهر قد احسنوا الصنع فى عدم ابتعادهم عن موطنهم ومسقط رؤوسهم قضاء رداق ومن ثم فقد كان صلب جيشهم من ذويهم وابناء منطقته فلم تتسرب الخيانة الى صفوفهم وكان الجيش الذى يقودونه اخلص القوى الحاربة فى الدولة آنذاك

٣ - الخطة التي ايدوا بها المظفر وتقاعسوا عن تأييد المسعود المتخبط الحائر

٤ - اكتفى الطاهريون فى صلاتهم بزبيد وما حولها لعدة اعوام ثم ما عقدوه من صداقات مع الاعيان والاهالى بدون ترفع او غمط للحقوق وكانوا يحركون الاحداث فى هذه المنطقة بما يحقق العدل الى جانب هدفهم الذى رسموه فى آخر دولة المظفر .

٥ - لم تنقطع صلة الشيوخ الطاهريين بالقيادة والزعماء وشيوخ القبائل فى زبيد وما حولها فى الوقت الذى ابعدوا قوتهم من ابناء عمومتهم وقبائلهم عن زبيد لئلا يحصل احتكاك يعرض سمعتهم عند المواطنين الذين احبهم كاخوة وناجحين ومصلحين ودرس الطاهرون طرق التصحيح للفوضى ومن أى

حكم الاخوين ولم يكن هناك غير الامير زين الدين جياش السبلى والملك المؤيد المغلوب على امره من العبيد وبنى عمه احتجزه الاخوان واكرماه واشترى منه اغلب الحصون كما اشترى ماعنده من سلاح وخيل وبذلك حصلوا على كسب مادي كبير من المعدات الحربية وعلى كسب معنوى اكثر من هذا العمل ومن تسامحهم وعفوهم عن كل خصوصهم .

واحسن العبيد في زبيد ان الامور توشك ان تفلت من ايديهم فاتصلوا بالملك المسعود بعد ان هجروه واغروه بالعودة الى الملك الذى هم دعائمه ولكنه وبعد عدة محاولات وهذه من آخر المحاولات اكتشف الامور بنفسه ورأى الفوضى ضاربة اطنابها فى كل بلد كما اسلفنا .

واستغلال كل قبيلة لنفوذها وطمع العمال الذى كان المفروض منهم ان تجمع الضرائب على ايديهم فاصبح كل واحد يستقل بما تحت يده ويصالح المفسدين ببعض الاموال الذى يأخذه من الضعفاء والمساكين .
اقطاع - استغلال - فى كل مدينة بل وفى كل قرية شغل ادارى - وامور مدبرة - ومواجهة فشل بعد فشل وكل واحد يجر الناس الى قرصه وقلة الانصاف قاطعة بين ابناء العم وذوى الارحام كما قال المتنبي .
اذا فلاد من اعلانه خلع نفسه والفرار بها تاركا للعبيد والقبائل والضوضاء امرها - ومادامت الامور قد استقرت لبنى طاهر فى عدن ومادامت الدولة الرسولية قد اقل نجمها ومدينة زبيد وتعمز وجبله عاجزة عن التصحيح للواضع فلتكن - رداع - عدن منطلق للتصحيح على يد بنى طاهر .

منطقة بيداون بالتصحيح زبيد فى هرج ومرج وتعمز فى فوضى والحديدة مدينة تابعة لزبيد ومدينة اب وجبله غير منظور اليهما وصنعا تعاني ماتعانى من الامامة اذا فلاد من التفكير فى بداية التصحيح والانقضاء واعداد عناصر التغيير ونقطة البداية ولو ان الطاهريين بدأوا من زبيد او من تعمز لتاهت قواهم فى هذه الدوامات التى كانت تعصر البلاد اعتصارا فهناك مماليك الرسوليين والعبيد الطامحين الى اعادة ملك آل نجاح وهم مع ذلك لا يعرفون طريقة الا طريقة القتل والنهب والانتقام - وهناك قبائل المعازية والقرشية قوتان كبيرتان تتسلط على خيرات البلاد بالنهب والسلب وتستغل تجمعها وقوتها فى كل فتنة .
فما نسيح بملك يعتلى على العرش الا ولوحت له انها تابعة مطيعة فى ركابه شروطها التسلطية معروفة عند كل من يستعين بها .

عدن مدينة الاشعاع والتغيير لليمن كله

فى هذا الجو جمع الاخوان على طاهر وعامر بن طاهر امرهما وجيشهما واتجها الى عدن وفى ليلة الجمعة ٢٣ من رجب سنة ٨٥٨ هـ حركا قوة صغيرة من حصن التعكر فى لواء اب الذى كان فى قبضتهم وذهبت هذه القوة بقيادة على بن طاهر فتسلقت هذه القوة أسوار عدن الحصينة بالجبال والاسوار وكمن على طاهر مع قوته ليلة من ليلالى رجب حتى اذا أصبح الصباح وفتحت الحراس ابواب عدن زحف اليها من جهة واخوه عامر مع قوة من جهة اخرى .
وما هى غير ساعة حتى استوليا على مدينة عدن بما فيها وكانت عدن هى نقطة بدء التصحيح وبأيام قليلة كانت عدن وما حولها من المدن والحصون تحت

ما نقيدي الى

الشاعرة روضة القليبي

لك انت ياربى صلاتى بالدموع الهامية
وضراعتى أرجو رضائك فى الحياة الباقية
بك يا الهى قد شغلت عن الحياة الفانية
ومشيت بالايهان فى أفق التعبد راضية
وعلى هدى القرآن سرت بوعى روح صافية
واذا تعثرت الأمور سألته ربى راجية

فتنير لى فى رحمة سبل الحياة الداجية
وعلى طريق النور والتوحيد انى ماضية
فى الصعب أو فى السهل حتى فى الأمور الواهية
ما مقصدي الاك أدعو بالدموع الجارية
فتريح قلبي يا الهى من حياة قاسية
انى أروح وأغتدى فى ظل أيدى حانية
برحاب رب العالمين مع التحوم الهادية
وبنهر عطف يسلسل يروى النفوس الصادية
وبروض زهر ناضر يسسبى العيون الرائية
بالعطر أرح عالمى فى السهل أو فى الرابية
فى كل ألوان الجمال ارادة متعالية
وبكل شامخة الرواسى من جبال راسية
معنى يترجم قدرة الله القدير العاتية
وبكل قدرات الاله لكل جرح شافية
وبمعجزات فى الورى من كل شر واقية
ما كنت وحدى فى الحياة أنا بأية دانية
ربى معى دوما بأحلامى فأبدو هانية
يا أرحم الرحماء انى قد رجوتك داعية
فاغفر الهى ما تقدم من ذنوب ماضية

الدواء العربي.. للمواطن العربي

بحوث علمية متطورة لإنتاج أحدث المستحضرات الطبية

إنتاج معظم المجموعات الدوائية بمختلف أشكالها الصيدلانية

جودة في الإنتاج



تفرد الشركة بإنتاج المستحضرات الطبية الحديثة

تغطي إنتاجها الأسواق المحلية والعربية والإفريقية

شركة القاهرة للأدوية

أحد شركات المؤسسة المصرية العامة للأدوية والكيمائيات والمستحضرات الطبية

إدارة: ٤٦ مكرمسة القصر العيني ت ٢٥.٩٤ / ٢٥.٩٥ - القاهرة ج.ع.م



تقديم فؤاد هيبه

وقيل لبعض العارفين :

- كيف الطريق اليه (اي الى الله سبحانه وتعالى)
فقال : لو عرفتموه حق المعرفة عرفتم الطريق اليه .



* قبس من كتاب *

يقول العقاد رحمه الله في كتابه (الاسلام دعوة عالمية) تحت عنوان (خواطر العيد بين الفاظه ومعانيه) :

« كلمة العيد باللغة العربية اصدق الكلمات دلالة عليه . وقيمة هذه الدلالة تتجاوز الاهمية في اللغة الى الاهمية في علم الانسان المعروف بالانثروبولوجي من (انثروبوس) بمعنى الانسان في اللغة اليونانية .

فالعيد يستلزم « اولا » ان يعاد في موعد معلوم من كل سنة او كل موسم ، وعودته مع السنين والمواسم تستلزم وجود مجتمع قد استقر واستقرت له علاقته بالارض والسماء او بالمكان والزمان . وتدل على العيد كلمات كثيرة في اللغات الاخرى يدور معناها احيانا على الموائد والاطعمة فاذا قال قائل في تلك اللغات انه « عيد » فمعنى ذلك انه شبع من الطعام ونال نهمته من الثمرات والخيرات . وفي سورة المائدة من القرآن الكريم آيات تلخص هذه المعاني وتجمع خصائص العيد بعودته ووفرة مأكوله ومشروبه وتجده بين الاجيال السابقة واللاحقة ونعني بها قوله تعالى [اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين .

* من الدرر النبوية *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تواضع لغنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه)
ويعلق على هذا الحديث أبو علي الدقاق - وهو استاذ القشيري ورائدة وصهره رضى الله عنها - فيقول :

انها قال ثلثا دينه لان تواضع المرء يكون بثلاثة اشياء لسانه وبدنه وقلبه فان تواضع له بلسانه وبدنه ولم يعتقد له العظمة بقلبه ذهب ثلثا دينه ، فان اعتقدها بقلبه ايضا ذهب كل دينه وخسر الدنيا والاخرة ولهذا قيل (اذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في العين)

* من رياض الصوفية *

قال بعض الامراء لبعض الصالحين : سلني حاجتك قال : كيف تقول لي هذا ولي عبدان انت عبدهما فقال : ومن هما
قال : الحرص والهوى فاني غلبتهما وغلباك وملكتهما وملكتك .

وقال سيدي بشر الحافي رحمه الله !

« رايت أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه في المنام فقلت : عظمي يا أمير المؤمنين
فقال : ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلبا لثواب الله تعالى وأحسن من ذلك فيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله جل جلاله فقلت زدني يا أمير المؤمنين فقال : -

قد كنت ميتا فصرت حيا

وعن قريب تصير ميتا

عز بدار الفناء بيت

قابن بدار البقاء بيتا

قالوا نريد أن ناكل منها وتطهّن قلوبنا ونعلم أن قد صدقنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين [

• • • •

تلميذ رسول الله

كان سلمان الفارسي رضى الله عنه أميرا على المدائن - أعظم بلاد الفرس - قابله رجل قائم من بلاد الشام ومعه حمل كبير . . ونظر الرجل الى سلمان فرأه رجلا ضخما الجسم ، طويل القامة . عملاقا قويا . فظنه الرجل (حمالا) ممن يحملون للناس أمتعتهم .

فناداه قائلا : احمل هذا واتبعنى .

فلم ير سلمان - الأمير - مانعا من أن يحمل للرجل متاعه الذى كاد ينوء به وشاهد الناس أميرهم سائرا فى الطريق على حالته تلك .

فقالوا له : ألا تحمل عنك أيها الأمير ؟

فلاحظ الرجل ذلك ، وتعجب من مناداتهم لحماله بكلمة الأمير .

وسأل أحدهم : من هذا ؟ فقالوا : ويلك ! هذا الأمير .

فالتفت الرجل الى سلمان وأيات الخجل والحياء ظاهرة على وجهه تاطقة على محياه ، وأظهر أسفه الشديد قائلا : انى لم أعرفك ضعه عافاك الله . . ولكن الأمير سلمان الفارسي أبى أن يضع عنه حملة حتى يأتى منزله . . وقال : انى لا أضعه حتى أبلغ منزلك .

أوصل سلمان الرجل الى منزله وبعد أن وضع حملة قال له :

انى احتسبت بما صنعت خصالا ثلاثة :

انى ألقيت عنى الكبر . . وأعنت رجلا من المسلمين على حاجته . .

وان لم تسخرنى سخرت من هو اضعف منى فتقويته بنفسى .

• • • •

✽ عزة الامانة ومذلة الخيانة ✽

جاء رجل الى احد المشايخ وقال له : -

ويد بعشر مئین عسجد اقتدت

فها بالها قطعت فى ربع دينار

أى لماذا تدفع عشرة آلاف من الذهب دية للبدع عند قطعها فى حين أننا نقطعها عندما يسرق صاحبها ربع دينار

فرد عليه الشيخ : -

صيانة المال أغلاها ، وأرخصها

خيانة اليد فافهم حكمة البشارى

✽ زهرات من بستان اللغة ✽

ان لغتنا العربية تمتاز دون سائر اللغات برفقتها نى استعمال الكلمات فنحن كثيرا مانستعمل كلمتى الحلف والقسم بمعنى واحد ولكن فى اللغة غير ذلك فالحلف (وما اشتق منه) يستعمل عند احتيال الحنث كقوله تعالى (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) وكقوله تعالى (ولا تطع كل حلاف مهين) ولم يقل جل شأنه (كل مقسم) لان الحلاف الذى فى الآية كاذب خداع فكان لفظ (حلاف) مناسبا له .

أما القسم وما تفرع منه فانه يستعمل فى سياق التعظيم كقوله تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم) وأنه لقسم لو تعلمون عظيم) وما جاء من الشعر فى هذا الصدد قال زهير بن أبى سلمى فى مدح هرم بن سنان والشارح بن عوف : -

فأقسمت بالبيت الذى طاف حوله

رجال بنوه من قرش وجرحم

يميننا لنعم السيدان وجدتنا

على كل حال من سحيل ومبرم

• • • •

✽ من أروع ما قيل فى الحياة ✽

قال الشاعر :

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه

وليس عليه أن يتم المقاصد

وقال آخر :

ما حك جلدك مثل ظفرك

فتقول أنت جميع أمرك

ويقول مونتانيو :

كان الربان فى قديم الزمان يقول لاله البحر ان هلاكى فى يدك ونجاتى فى يدك : ولكن ذلك لا يحول دون احكامى دفة سفينتى .

ويقول شكسبير :

لا احد اقوى من نفسك على ارشادها الى الخير

ويقول الطغرائى فى لامية العجم :-

وانما رجل الدنيا وواحد

من لا يعول فى الدنيا على رجل

دين و دنيا

الأستاذ محمد المتولي النظامي

أولا

جعل الإسلام الزكاة مصرفا يقرب الفوارق بين الطبقات ، وتأمينها اجتماعيا ، وحقا مقررا يكفل الحياة الكريمة للمحتاجين ، وفريضة مقدرة لهم بنسبة ٢١/٤ ٪ من الثروات المخدرة كل عام ، ونسبة ١٠ ٪ أو ٥ ٪ مما تنتجه الأرض من حيوب ونهار ، ونسبة ٢٠ ٪ من حاصلات المعادن . إلى جانب نسبة مقدرة على الإنعام والمأشبة حسب عددها ، يقوم الحاكم بنحصيل الزكاة من ثروات المالكين كضريبة سنوية ، ويؤديها للفقراء والمدينين ، والمحتاجين والعمال العاطلين ، والموظفين في جبايتها ، ويسهم بها في تحرير العبيد ، وفي الجهاد في سبيل الله ، وفي المشروعات المبرانية قال تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها » وقال « أنها الصدقات للفقراء والمساكين ، والعمالين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل فريضة من الله » وقال « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وقال « انفقوا خفافا وثقلا ، وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله فرض على اغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقرائهم ، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا وعروا الا بما يصنع اغنيائهم ، الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ، ويعذبهم عذابا أليما » .

ثانيا : وإلى جانب الزكاة فالإسلام يعمل على تقرب الفوارق بين الطبقات ويسلك لذلك طريقين

أ - الطريق الأول حث القادرين على التبرعات والصدقات ، لينفق منها في سبيل الله ، وعلى المحتاجين ، وعلى المصالح العامة ، وبعد الله المتفققين بثواب عظيم فيقول تعالى « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة » ويقول « فأنفقوا الله ما استطعتم ، واسمعوا واطيعوا ، وأنفقوا خيرا لأنفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

على ان الله اعتبر الاسهام في المشروعات العامة لوجه الخير قرضا له سبحانه يجازى عليه اضعاف قتيته ، نظرا لان التصديق لا ينتظر جزاء من التصديق عليه فقال تعالى « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ، فيضاعفه له اضعافا كثيرة ، والله يقبض ويبسط واليه ترجعون » وقال « وأبغ فبما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيحتك من الدنيا » .

وتوعد الله من يقصر في اطعام المحتاج بسوء المصير فقال تعالى « انه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، فليس له اليوم ههنا حبيب ، ولا طعام الا من غسلين ، لا يأكله الا الخاطئون » . وقال الرسول [انقوا النار ولو بشق ثمرة] وقال (على كل مسلم صدقة . قيل أرأيت ان لم يجد ؟ قال يعمل بيديه فينتفع نفسه ويتصدق) وخرج رسول الله يوما بعد صلاة العصر مسرعا الى منزله ، فتعجب الناس من سرعته ، فخرج عليهم وقال (لقد ذكرت شيئا من تبر عندنا ، فكرهت ان يبيت غدا غارمت

خلق الله الناس من أصل واحد ، وهيا لهم اسباب الحياة وأوجب عليهم السعي لكسب المال بالطرق المشروعة باعتبار ان المال قوام الحياة ، ووسيلة لتحقيق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة اذا ما حصن بقيم صالحة ، وارتبط بمثل عليا ، وانفق منه الإنسان على نفسه وأهله فيما يرضى الله ، وأدى منه حق غيره ، وحق أمته عليه ، باعتبار ان المال كله لله ، وان الإنسان نائب عنه في الإشراف عليه ، والتصرف فيه في حدود المصلحة العامة ، وفيما يعود بالخير عليه وعلى مجتمعه قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ، واشكروا لله ان كنتم آياه تعبدون » وقال « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » وقال « وأنفقوا مما رزقناكم » وقال النبي عليه السلام (المسلمون شركاء في ثلاث الماء والكلا والنار) .

والإسلام تشريع استهدف مصالح الناس واسعادهم ، ووضع للاقتصاد قواعد تنظيمية على أسس من التعاون والتكامل ، والأخوة والمساواة ، والعمل والعدل ، والصنق والحق ، والحرية والتشعور بالمسئولية ، فهو يحث على عمل الخير الخالص لوجه الله كسبا للرزق ، وتحقيقا للكرامة والعزة في الحياة ، وهو يتيح فرص السعي والنهاس للرزق لجميع الناس تحقيقا للمساواة ، وهو يصون حقوق العمل ومصاحب العمل ، تدعيا للأخوة وتحقيقا للتعاون والحب ، وهو يجعل الجهد على قدر المشقة ، ويكفل للعامل الحق في تملك ثمرة سعيه ، ونتاج جده في حدود السياسة العامة للدولة ، حفزا للبرء على العمل والاجتهاد والإنتاج والكسب الحلال ، وتحقيقا للعدالة ، وهو يجعل للملكية حرمة وقديسية تفرض المحافظة عليها صيانة للحقوق ، وهو يوجب على المالك حقوقا للمحتاجين تحقيقا للتعاون والتكامل الاجتماعي قال تعالى « فامشوا في منابكها وكلوا من رزقه واليه التئور » وقال « وما أموالكم ولا أولادكم بالثي تفرقكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا » وقال « المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » وقال النبي عليه السلام (من أمسى كالا «متعبا» من عمل يده أمسى مغفورا له)

والملكبة في الإسلام أنها هي وظيفة اجتماعية ، وضع الإسلام لها من الضوابط والشروط ما يحقق التوازن الاقتصادي السليم ، ويقلل الفوارق الاجتماعية ، ويمنع الطغيان الإقطاعي ، ويربط الملكبة بالخلق الكريم ويؤدى الى سعادة الفرد والمجتمع . فهو يجعل فيها من الحقوق ما يحقق التوازن الاقتصادي في المجتمع ، ويحول دون تكديسها ، ويؤدى الى تدعيم الحب والإخاء ، وإزالة اسباب العداءة والبغضاء ، والقضاء على البطالة والإجرام والتشرد ، وهو يربطها بمبادئ كريمة تحول دون ان تكون وسيلة للانصراف بالنفس او بالغير ، وتؤدى الى المحافظة عليها حرصا على مصلحة الفرد والمجتمع .

فمن الناحية الأولى نجد ان الإسلام ربط الملكبة بالنظمة ، وقيدها بحقوق تجعلها فيما يلى :

بقسمته (وقال) ما آمن بي من بات شبعان ، وجاره الى جانيه طار وهو يعلم .

ب - والطريق الثاني ما شرعه موردا للمحتاجين عن طريق الكفارات التي قصد بها العقوبة ، او جبر عمل ناقص ، كفكارات الايمان ، وكفارات المعز عن صوم رمضان ، وكفارات الاخلال بشروط الحج ، فعند عدم البر باليمين يلزم الخالف باطعام عشرة مساكين او كسوتهم ، او تحرير رقبة ، وعند المعز عن الصوم يلزم امره باطعام مسكين عن كل يوم . وعند الاخلال بشرط اساسي من شروط الحج يكفر الحاج عنه بذبيحة تقدم للمساكين ، كما ان الاسلام يلزم الناظر بالوفاء بنذره عونا للمحتاجين .

والى جانب ذلك فالاسلام يأمر المستطيع بذبح اضحية في العيد ، واطعام الفقراء منها ، ويوجب على المستطيع كفالة قريبه الفقير قال النبي عليه السلام (افضل ما يأكل الرجل من كسبه وولده من كسبه فكلوا من كسب اولادكم) وقال (لا يؤمن احدكم حتى يحب لاهيه ما يحب لنفسه) ومدح الرسول قبيلة ابي موسى الاشعري فقال (ان الاشعريين اذا ارملوا في الغزو وفتى زادهم ، او قل طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسموا ما بينهم في اناه واحد بالسوية ، فهم مني وانا منهم) .

ثالثا : والاسلام شرع مبدأ الضمان الاجتماعي ، وعمل على تأمين الحياة الطبية للجميع ، فسن مبدأ المصالح المرسله ، واعطى للدولة حق الملكية العامة على كثير من الموارد ، ووجب عليها تهئية فرص العيش والتمكك في حدود العدالة ، في الوقت الذي اعطاهم الحق في ان تاخذ من اموال الاغنياء ما توجهه الحاجه للاتفاق منه على مصالح المسلمين ، وان تكفل للعامل عملا ، وان تتكفل به عند المعز والبطالة والمرضى انصافا له وتحققا للعدالة ، ولقد وصف الله الفقير المعطل بقوله « للفقراء الذين احصوا في سبيل الله لا يستطيعون ضريا في الارض بحسبهم الجاهل اغنياء من الشفف » وقال الرسول مبينا مسئوليته الحاكم باعتباره ممثلا للدولة في تحقيق الضمان الاجتماعي لكل فرد (كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته) وقال (انا اولي بالمؤمنين من انفسهم ، فمن ترك ما لا ورثته ، ومن ترك دينا او جيعا ، فعلى وقال اي رجل مات جوعا بين اغنياء فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله وقال (من فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن بصر على معسر بصر الله عليه في الدنيا والاخرة)

وفلك خليفة المسلمين عمر يمنع اقامة حد السرقة على سارق محتاج لا يجد ما يقيه ويقي عياله شر الجوع وقال له (اذهب ولا تعد لثمتها) وقال لاصحابه (اجروا عليه من بيت المال الى ان يجد عملا) وقال عقب مجاعة عام الرمادة (لو ان الله ما فرجها لكتلت اخلكم على كل ذي سعة من المسلمين مثل عد عياله ، وما كان لولدين ان يجوعا من طعام ولد واحد) وعندما وجد ذميا يتسول امر به ان يجري عليه من بيت المال ما يكفيه في شيخوخته وقال (ما انصفناه لو اخذنا منه الجزية شيئا وتركناه شيئا) .

رابعا : والى جانب الزكاة ، والتبرعات ، والكفارات ، وغير ذلك مما يخفف الطغيان الاقطاعي فان الاسلام ، فرض نصيبا من غنائم الحرب للفقراء ، الذين لا يملكون من الاشتراك في الجهاد ، وجعل للرسول الخمس يوزعه على خمسة اصناف . والاربعة اخماس الاخرى توزع على المجاهدين بنسبة مجهود كل فرد فقال تعالى (واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة) (اي تصرف في مصالح الدين) وللرسول (لانه رئيس حكومة المسلمين) ولذى القربى (وهم اقارب النبي لان الصدقة حوت عليهم ، ولان النبي لا يورث) (واليتامى والمساكين وابن السبيل) .

كما امر الاسلام بتوزيع الغنائم التي ترد بطريق الفء اي من غير طريق القتال على هذه الاصناف قال تعالى « ما افاء الله على رسوله من اهل القرى ، فله وللرسول ، ولذى القربى ، واليتامى، والمساكين ، وابن السبيل ، كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » (اي لتلا يصيح المال مندولا) محصورا بين الاغنياء محروما منه الاخرون وقال « كلا ان الانسان ليطغى . ان رآه استغنى » .

خامسا : والاسلام فرض نظام الموارث الذي يحارب نظام الطبقات ، ويمنع تكديس الثروة ، ويساعد على تفتيتها ، ويؤدي الى انتفاع اكبر عدد من الذرية بها حيث يامر بتوزيعها على العشيرة

الاقربين ، فان لم يوجد منها احد فعلى ذوى الارحام ، فان لم يجد من يمت للميت بصلة النسب آلت تركته الى خزيته الدولة . على ان الاسلام جعل للمسلم الحق في الاضفاء بنصيب من ماله للفقراء والمشروعات الخيرية ، وأوجب نفاذ الوصية وادائها قبل تقسيم التركة ، في الوقت الذي حرم الوصية لوارث حتى لا ينظر بنصيبين ، كما منع ان تزيد الوصية على ثلث التركة حفاظا للتوازن الاقتصادي ولتلا يترك المرء وراثته خالة قال النبي عليه السلام (انك ان نذر وراثتك اغنياء خير من ان نذرهم عائلة يتفقون الناس) .

ومن الناحية الثانية نجد ان الاسلام ربط الملكية بقوانين اخلاقية تعود بالخير على الفرد والمجتمع فتجده :

اولا : حرم كثر الاموال اذ ان اكتنازها يؤدي الى اختلال التوازن الاقتصادي ، وقلة الدخل القومي ، وهدد المكثزين للاموال الذين لا يخرجون الحقوق فيها بمذاب اليم وتوعد البخل بانه انواع العقاب فقال (ولا تحسبن الذين يبخلون بما اناهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوفون ما بخلوا به يوم القيامة) وأوجب في نفس الوقت المحافظة على المال ، وان ينفق المرء ما اكتسبه بالطرق المشروعة في الامور المشروعة فحرم التنبذ والترف والاتفاق على الشهوات والمجون ، لانه تبذير لمال المجتمع ، وتعرض صاحبه للفقير والافلاس ، وامر بالحجر على السفيه ، وهم الميذرون لاموالهم نظرا لسوء اخلاقهم ، وعجز تدبيرهم ، وامر باختيار اليتامى عند بلوغهم ، وقيل تسليم ثروتهم اليهم ، كما امر بكتابة الدين والرهن حفاظا على الحقوق ، وتدعيا للمساكين بين المسلمين قال تعالى « والذين يكتزون الذهب والنفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله فيحشرهم بعذاب اليم » وقال « ان الذين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » وقال « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح ، فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم » وقال « يا ايها الذين آمنوا اذا تدانتم بين اي اهل مسمى فأكثروا » وقال النبي عليه السلام (من جمع دينارا او درهما او تبرا او فضة ، ولا يعده لغيره ولا ينفقه في سبيل الله ، فهو كثر يكرى به يوم القيامة) وقال (اخشوشنوا فان النعم لا تدوم)

ثانيا : واشترط الاسلام في الملكية ان تكون عن طريق مشروع لا يؤذي الفرد ولا المجموع ، ولا يشغل المرء عن ربه ، ولا يؤذي الاخلاق الكريمة ، ولذلك حرم الاسلام الملكية عن طريق اكل اموال الناس بالباطل ، لان ذلك سرقة وظلم ، واستغلال ، وقطع للصلات والروابط قال تعالى « ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون » وقال « ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا » وقال « محذرا ممن يدعون انهم رجال الذين يياخذون اموال الناس ظلما » (يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل)

كما حرم الاسلام التملك عن طريق الربا لانه استغلال للمحتاجين ، ووسيلة لخلق طبقة اقطاعية تنتضم ثرواتها بدون جهد ، ولانه يتنافى مع مبدأ الاسلام في تحقيق التضامن الجماعي ، وتقديم المعون للمحتاج عن طريق التبرعات ، وعن طريق القرض الحسن قال تعالى « واحل الله البيع وحرم الربا » وقال « يحق لله الربا ويربي الصدقات » وقال النبي صلى الله عليه وسلم (لمن الله الربا : اكله وموكله وكاتبه وشاهده) وحرم الاسلام الكسب عن طريق الرشوة والسرقة والمخدرات ، وعن طريق الغش والبيع ، وعن طريق التلاعب بالموازين ، وعن طريق الاحتكار لان الاحتكار ضد مصلحة الجماهير ، كما حرم المسر بجميع انواعه لانه قمار يضعف روح العمل ، ولانه وسيلة للافلاس وخراب البيوت ولانه اضعاف للصحة الجسمية والنفسية قال تعالى « انها الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » وقال « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما » وقال « ويل للمطففين » وقال الرسول عليه الصلاة والسلام (الراشي والمرشئ في النار) وقال (من غشنا فليس منا) وقال (لا يحكر الا خايط) وقال (من احكر طعاما اربعين يوما فقد برىء من الله وبريء الله منه) وقال (يحشر الحاكرين وقتلة النفس في درجة ، ومن دخل في شيء من سمر المسلمين بغليه عليهم ، كان حقا على الله ان يعذبه في النار يوم القيامة) .

قطوف

الأستاذ علي الجندى

اساطير من قبلنا أخذها المفسرون بدون روية !
والهبوط : أما النزول من السماء الى الأرض -
وعليه أكثر المفسرين - وليس في ظاهر القرآن
ما يوجب ذلك ، لان الهبوط كما يكون النزول من
علو الى سفلى ، فقد يراد به الحلول فى المكان والنزول
به ، قال - تعالى - : « اهبطوا مصرا فان لكم
ما سألتم » وعلى هذا يجوز ان يكون مراده -
سبحانه - الخروج من المكان ، وحلول غيره .
ويحتمل ايضا - ان يريد بالهبوط غير معنى
المسافة ، بل التذلل من منزلة الى ما دونها ، كما
يقولون : هبط عن منزلته ونزل عن مكانه ، اذا كان
على رتبة فانحط الى دونها !

أهل البيت - عليهم السلام - ،
فى صحيح مسلم عن السيدة عائشة - رضى
الله عنها - قالت : « خرج النبى - صلى الله عليه
وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود ،
فجاء الحسن بن على ، فادخله ، ثم جاء الحسين
فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فادخلها ، ثم جاء على
فادخله ، ثم قال : « انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا »

المرط - بكسر الميم - كساء من صوف او خز .
ومرحل - بالحاء - هو الموشى المنقوش عليه صور
رجال الابل .

وفى بعض الروايات : مرحل - بالجيم - أى
عليه صور المراحل ، وهى القدور .

قال - تعالى - : « وقتلنا اهبوطا بعضهم لبعض
مدو ، !

تد يقال : كيف خاطب - سبحانه - آدم وحواء -
عليهما السلام - بخطاب الجمع وهما اثنان ؟
وكيف نسب العداوة بينهما ؟ واى عداوة كانت
بينهما ؟

وقد اجاب الشريف المرتضى على ذلك بعدة اجوبة :
أولها : ان يكون الخطاب متوجها الى آدم وحواء
وزريتهما ، لان الوالدين يدلان على الزرية .
وثانيها : ان يكون الخطاب لآدم وحواء ، ولابليس
اللعين ! وهو ان لم يخاطب فى هذه الآية : فقد
جرى ذكره فى قوله تعالى - : « فازلهما الشيطان
عنها فاخرجهما مما كانا فيه » .

وثالثها : ان يكون الخطاب لآدم وحواء ، والحية
التي كانت معهما ، على ما روى عن كثير من
المفسرين .

ورابعها : ان يكون الخطاب لآدم وحواء وحدهما ،
وخاطب الاثنان بالجمع على عادة العرب فى ذلك ،
لان التثنية اول الجمع ، قال - تعالى - : « اذ نقشت
فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين » .

اراد - تعالى - وكنا لحكم داود وسليمان -
عليهما السلام - .

وأضعف هذه الاقوال ، القول الثالث ، وهو ان
يكون الخطاب لآدم وحواء ، والحية ، لان الحية لم
يُرد لها ذكر فى القرآن الكريم ، وانما هى من

والمراد بالرجس : الشك ، وقيل : العذاب ، وقيل : الإثم .
وقال الزهري : الرجس : اسم لكل مستقذر من عمل .

وفى القاموس : الرجس : القذر ، والمائم ، وكل ما استقذر من العمل ، والعمل المؤدى الى العذاب ، والشك ، والعقاب ، والغضب .

أكرام الله لرسوله !

عن سعد بن أبي وقاص — رضى الله عنه — قال : رأيت عن يمين رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ، ما رأيتهما قبل ولا بعد : يعنى جبريل وميكائيل — عليهما السلام — .

وعن سعد فى رواية أخرى : « لقد رأيت يوم أحد عن يمين رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض ، يقاتلان عنه كائيد القتال ، ما رأيتهما قبل ولا بعد »
« رواها مسلم »

قال النووي : وفى الحديثين ، بيان كرامة النبى — صلى الله عليه وسلم — على الله — تعالى — .
وأكرامه إياه بأنزال الملائكة تقاتل معه .

وبيان أن الملائكة تقاتل ، وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر ، وهذا هو الصواب ، خلافا لمن زعم اختصاصه ببدر ، فهذا صريح فى الرد عليه .
وبيان فضيلة الثياب البيضاء .

وبيان أن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء ، بل يراهم الصحابة والأولياء .
ثم فى الحديثين منقبة لسعد بن أبى وقاص برؤيته الملائكة !

وصف عمر بن الخطاب :

قال معاوية بن أبى سفيان لصعصعة بن صوحان :
صف لى عمر بن الخطاب ، فقال :

كان عالما برعيته ، عاد لا فى قضيته ، عاريا من الكبر ، قبولاً للعذر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحررا للصواب ، رقيقا بالضعيف ، غير محاب للقريب ، ولا جافيا للغريب .

وصف قوم من الزهاد والوعاظ :

قال بعض المتكلمين — يصف قوما من الزهاد والوعاظ :

جلوا بكلامهم الإبصار العلية ، وشحذوا بمواعظهم الأذهان الكلية ، ونبهوا القلوب من رقدتها ، ونقلوها عن سوء عاداتها ، فشفوا من داء القسوة ، وغبوة الغفلة ، وداووا من العى الفاضح ، ونهجوا لنا الطريق الواضح ! .

السهل الممتنع !

قال عتبة بن سفيان : ان للعرب كلاما هو أرق من الهواء ، وأعذب من الماء ، مرق من أفواههم مروق السهام من قسيها بكلمات مؤلفات ، أن فسرت بغيرها عطلت ، وأن بدلت بسواها من

الكلام استصعبت ، فسهولة الفاظهم توهمك أنها ممكنة إذا سمعت ، وصعوبتها تعلمك أنها مفتقدة إذا طلبت .

تأيين الاسكندر :

لما جعل الاسكندر المقدونى فى تابوته — وكان من الذهب — تقدم اليه أحد الحكماء ، فقال :
كان الملك يخبأ الذهب ، وقد صار الان الذهب يخبؤه !

وتقدم اليه آخر — والثانى سيكون ويجزعون — فقال : حركنا بسكونه »

وتقدم اليه آخر فقال : كان الملك يعظنا فى حياته ، وهو اليوم أوعظ منه أمسى !

وقد أخذ معناه أبو العتاهية • فقال :

وكانت فى حياتك لى عظاما
وأنت اليوم أوعظ منك حيا
وتقدم اليه آخر ، فقال : قد طاف الارضين وتملكها ، ثم جعل منها فى أربع أذرع !

ووقف عليه آخر فقال : انظروا الى حلم النائم كيف انتضى ، وإلى ظل القيام وقد أنجلي !

ووقف عليه آخر ، فقال : مالك لا تقلل عضوا من أعضائك ، وقد كنت تستقل ملك العباد !

[نقل : تحمل]

وقال آخر : مالك لا ترغب بنفسك عن حبيب المكان ، وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد !

وقالت : بنت دارا ملك الفرس : ما علمت أن غالب أبى يغلب — وكانت زوجة الاسكندر — .

وقال رئيس الطبائخين : قد نضدت النضائد ، وألقت الوسائد ، ونصبت الموائد ، ولست أرى عميد المجلس !

أنواع المودة :

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق — عليه وعلى آباءه السلام — أنه قال : مودة يوم صله ، ومودة شهر قرابة ، ومودة سنة ربح ، من قطعها قطعت الله »

بين حب وحب !

قال بعض السالكين :

إذا كان حب الهائمين من السورى
بلىلى وسلمى يسلب الريب والعقلا

فماذا عسى أن يصنع الهائم الذى
سرى قلبه شوقا الى الملا الأعلى

موعظة موجزة !

كتب هارون الرشيد الى أبى الحسن موسى بن جعفر : عظمى وأوجز !

فكتب اليه : ما من شئ فتراه عينك الاوفيه موعظة !
ما هو التصوف ؟

سئل بعض المشايخ عن التصوف .

فأجاب : استعمل الوقت بما هو أولى به .
وقال بعضهم : هو الانتفاع من العلائق والانتطاع الى رب الخلائق !

لا حول ولا قوة الا بالله :

الحول : الحركة والحيلة : أى لاحتركة ولا استطاعة

ولا حيلة الا بمشيئة الله — تعالى — .

وقيل معناه : لا حول في دفع شر ، ولا قوة في تحصيل خير الا بالله .

وقيل : لا حول عن معصية الله الا بمعصيته ، ولا قوة على طاعته الا بمعونته .

ويعبر عن هذه الكلمة بالحويلة والحلقة ، وبالأول جزم الأزهري والجمهور ، وبالثاني جزم الجوهري .

ويقال أيضا : لا حيل ولا قوة في لغة غريبة حكاها الجوهري وغيره .

تخصيص البهين بالنية :

إذا حلف لآمال له ونوى نوعا خاصا ، لم يحنث بنوع من المال غيره .

وإذا حلف لا يأكل ونوى خبزا ، لم يحنث باللحم والتمر وسائر المأكول ، ولا يحنث الا بذلك النوع .

ولو حلف لا يكلم إنسانا ونوى كلاما مخصوصا ، لم يحنث بتكليمه كلاما غير هذا الكلام المخصوص .

حسن ثلاثة :

في الحديث الشريف « حسن الشعر مال ، وحسن الوجه مال وحسن اللسان مال ، والمال مال » الجامع الصغير .

الشعر — بفتح الشين — . والمال الأول : قد يراد به الثياب والمتاع أو الأهل خاصة أو الماشية .

حمص الاندلس :

يقول ابن الرندي يرثى حمص الاندلس :
وأين حمص وما تحويه من نزه

ونهرها العذب قياض وملآن
يزيد بحمص : اشبيلية ، لان الذين فتحوها كانوا من حمص الشام !

واشبيلية — بكسر الهمزة وفتح الياء الثانية مخففة — ومثلها ارمينية ، كانت أعظم بلاد الفردوس المفقود « الاندلس »
الترفيه عن النفس :

قال الإمام علي — عليه السلام — : ان القلب اذا أكره عني .

وقال أبو الدرداء : اني لاستجم نفسي بالشئ من الباطل ، ليكون أقوى لها على الحق !

وفي رواية : اني لاستجم نفسي بشئ من اللهو .
وقال ابن مسعود : القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة .

وقال الحسن البصري : حادثوا هذه القلوب ، فانها سريعة الدور .

يريد بالمحادثة : الصقل .

وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لابيه يوما : يا أبت انك تنام نوم القائلة ، وذو الحاجة على بابك غير نائم !

فقال له : يا بني ، ان نفسي مطيقتي ، فان حملت عليها في التعب حسرتها
أي بلغت بها أقصى غاية الاعياء !
وقال أردشير بن بابك : ان للأذان مجسة ، وللقلوب ملأ ، ففرقوا بين الحكمتين ، يكن ذلك استجهايا !

السرور غذاء :

قيل لسعد القرقرة مضحك النعمان : ما رأيك الا وأنت تزيد شحبا ولحما ؟

قال لاني آخذ ولا أعطي ، وأخطيء ولا ألام ، غائنا طول الدهر سرور ضاحك !

تكريم الشعر :

لما قدم أبو تمام على الحسن بن رعاء ، أنشده قصيدته اللامية في مدحه :
فلما انتهى الى قوله :

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى
فالسيل حرب للمكان العالي
وثب الحسن قائما ، وقال : والله لاسمعتها الا وأنا قائم — لما تدخله من الأريحية .

فلما فرغ من الإنشاد ، قال : ما أحسن ما جلوت هذه العروس !

فقال أبو تمام : لو أنها من الحور العين ، لكان قيامك أوفى مهر لها !

ماما ، بابا :

يقول الجاحظ : الميم والباء أول ما يتها في أفواه الأطفال ، كقولهم : ماما . بابا : لانهما خارجان من عمل اللسان ، وانهما يظهران بالتقاء الشفتين .

النار والأطفال :

يقول الجاحظ : من خصال النار المحمود : ان الطفل لا يناعى شيئا كما يناعى المصباح !

وطك المناغة نافعة له في تحريك النفس ، وتهيج الهممة ، والبعث على الخواطر في فتح اللهاة . وتشديد اللسان . والسرور له في النفس أكرم أثر .

الشعر هبة !

جری ذكر الشعراء بحضرة ابی علی الفارسی النحوی ، فقال : انی لا غبطکم علی قول الشعر ، فان خاطری لا یوافقنی علی قوله ، مع تحقیق العلوم النی هی مواده .

فقال له رجل : اما قلت قط شيئا منه ؟
قال : ما أعلم ان لي شعرا الا ثلاثة ابیات في الشيب ، وهي :

خضبت الشيب لما كان عيبا
وخضب الشيب أولى أن يعابا
ولم اخضب مخافة هجرخل
ولا عيبا خضبت ولا عتابا
ولكن المشيب بدا ذميا
فصيرت الخضاب له عقابا

أخي العسكري

نقدم لك



سجارتك المفضلة

- تصنع عالميا بالقلتر الجاهزون
- جميع عبواتها ..
- على مستوى عال من الجودة
- تصنع ومذاقا ..
- متوفرة في جميع أنحاء
- الجمهورية

تحولات في موقف المجتمع الدولي من الأزمة

أرض المعاد كما يقولون ، وإنما حركته المطامع الاستعمارية ومخططات السيطرة على المواقع ذات الأهمية الاستراتيجية بالنسبة للسيطرة العالمية ..

والبداهة الثانية أن مؤسس الدولة الصهيونية كان لابد لهم أن يتذرعوا شأنهم في ذلك شأن الاستعماريين في كل زمان ومكان بشتى التعلات حتى يضيفوا على حركتهم نوعا من القبول لدى جبهة الرأي العام العالمي .. فحينما يتحدثون عن الوطن القومي لليهود .. فإذا سألت ، ولماذا الوطن القومي في فلسطين بالذات ؟ حدثوك برىعا عن : أرض المعاد . وإذا أبدت شكاً في صلاية الأساس الديني لأى دولة ، وخصوصاً حين يراد لها أن تقوم باغتصاب أرض شعب آخر وتشرده أسرعوا ليحدثوك عن : الحقوق التاريخية فإذا جادلت ولابد لك أن تجادل في هذه الحقوق المدعاة وسردت حجج التاريخ التى تدحضها ، لأنوا بمنطق الامر الواقع الذى يقولون انه يكتسب بمرور الوقت صفة المشروعية القانونية ..

تعلات كثيرة ، وذرائع شتى ، تعيد الى الازمان نفس اسلوب التعلل ، بالذرائع الذى صاحب حركات المد الاستعماري في القرن التاسع عشر والسنين الاولى من القرن العشرين

أما الفكرة العامة فائية فهي أن اسرائيل وهى ظاهرة استعمارية ليست في الواقع الا عملية للاستعمار الاوروبى الأمريكى ..

والعمالة هنا ليست كلاماً من قبيل الدعاية على أساس اللفاظ المصكوكة والشعارات المنتقاة وإنما هي ذات مفهوم موضوعى محدد .. فالعميل ، في أى مفهوم أردت ، هو ذلك الذى يسعى لخدمة النفس عن

المتتبع لتيارات الفكر العالمى يلاحظ أن ثمة اتجاهات بعينها أخذت في التبلور والوضوح بعد عدوان يونيو سنة ٦٧

ولقد برزت هذه الاتجاهات الجديدة في كتابات مجموعة من الفلاسفة والمفكرين والكتاب الاوروبيين ، نذكر منهم ، على سبيل المثال الفيلسوف البريطانى الراحل برتراند راسل والمؤرخ الأشهر أرنولد توينبي ، ومكسيم رودنسون ، المفكر الاشتراكي واستاذ علم الاجتماع بجامعة السوربون ، وروجيه جاردوى ، المفكر الفرنسى ، ومايكل آدمز وهو دكتور في الفلسفة ، والكتاب البريطانيين المعروفين والصحفي الهندي المعروف كارانجيا ..

ونظرة واحدة الى كتابات هؤلاء الفلاسفة والمفكرين تبرز لنا بصورة واضحة الاتجاهات الهامة التالية :

الاتجاه الاول ملخصه ان تكوين دولة اسرائيل على أرض فلسطين ، كما يقول مكسيم رودنسون ، جاء نتيجة لحركة تدخل تماماً في اطار حركة التوسع الاوروبية الامريكية الكبرى التى قامت في القرن التاسع عشر والقرن العشرين للاستيطان ، او للسيطرة الاقتصادية والسياسية على الشعوب الاخرى . وينبثق من هذا المفهوم فكرتان هامتان جداً :

احدهما ان اسرائيل اذا هي امتداد للظاهرة الاستعمارية التى ظهرت واضحة في القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين ..

ويترتب على هذه الفكرة العامة بداهتان :

البداية الاولى ان السعى لخلق دولة اسرائيل لم يحركه الشوق الى الوطن القومي لليهود ، أو الى

الاستاذ عبد الفتاح العريكي

البرطانية عملية الاستيطان في أمريكا الشمالية ، بحيث مكن ان يقال ، مع شيء من التجاوز في التعبير البرطانية عملية الاستيطان في أمريكا الشمالية ، بحيث يمكن ان يقال ، مع شيء من التجاوز في التعبير طبعاً ، ان البريطانيين شنوا حرب استغلال ضد البريطانيين .

فهل في ذلك شيء من معنى مناهضة الاستعمار ؟؟ وبرتراند راسل يلمس هذا التواطؤ بين اسرائيل والاستعمار وآثاره المساوية حين يقول « ان مأساة شعب فلسطين هي ان بلادهم اعطيت من دولة اجبية الى شعب آخر لخلق دولة جديدة وكانت النذجة هي ان الافا من الابرياء اصبحوا بلا مأوى .. فالى متى سوف يقبل العالم هذا الوضع من القسوة المقصورة ؟؟ »

والاتجاه الثاني مؤداه ان اسرائيل وهي امتداد طبيعي للاستعمار ابعد ماتكون عن الاشتراكية .. ويرخص هنا ان الدعاية الصهيونية حاولت ان تتخذ من الكيبوتزات الاسرائيلية مادة للدعاء بأنها تلزم نموذجاً من التطبيق الاشتراكي .

ولكن الدراسة المستأنية لهذه الظاهرة في المجتمع الاسرائيلي اكدت لكل من القى نظرة عليها ان الكيبوتز ليس الا مستعمرة مسلحة مقصود بها الاسهام في دعم الجهود الحربى الاسرائيلي بصورة جماعية وذاتية ومعنى ذلك ان الكيبوتز يمتاز بخصوصيتين اثنتين : **اولاهما** انه يخطط على اساس امكانية الاكتفاء الذاتي والاعتماد على النفس في كافة الاحتياجات المعيشية ، ولو لفترة معينة ومحسوبة ..

وثانيتهما انه يخطط على اساس ان يكون قادراً على الدفاع عن النفس اذا ما بوغت بهجوم ما ..

وهاتان الخاصتان هامتان جداً من وجهة نظر التخطيط للكيان الاسرائيلي ذاته بحسبانه كياناً مزروعاً بالقهر في قلب محيط عربي معاد وعلى حساب وطن شعب مصمم على تحرير أرضه . فالكيبوتز اذن حاجة من حاجات التخطيط للعدوان والتمكين لعمليات الاغتصاب المستمرة ، وليس وليد نظرة اشتراكية انسانية شاملة ..

ومما يجدر بنا ان نعيه جيداً ان الادعاء بالاشتراكية على الرغم من مناهضته ظاهرياً للعمالة للاستعمار ، قد قصد به وبالاتفاق الكامل مع القوى الاستعمارية تحقيق ثلاثة اهداف متلاحمة .

فمن ناحية تحاول الصهيونية التزلف الى الكتلة الاشتراكية ، وكسب تأييدها ، وهي تحسب ان هذه الادعاءات يمكن ان تكون ذات جدوى في هذا الخصوص .

ومن ناحية اخرى فان الادعاء بالاشتراكية قد يكون فيه اغراء ليهود شرق اوربا بالذات ، والاتحاد السوفيتي بنوع خاص ، بالهجرة الى اسرائيل .

ومن ناحية ثالثة ، فان هذا الادعاء بقصد به التمويه على الدول النامية ، وبلاد العالم الثالث ،

طريق أداء الخدمة لسيد له هو الآخر اهداف لا تتحقق الا باستخدام عميل يرى في الاسهام المخلص لتحقيق اهداف سيده فرصة مؤكدة للوصول الى اهدافه الدائية ..

ومعنى ذلك ان العلاقة بين العميل والمستعمل ان صح هذا التعبير هي نوع من زواج المصلحة .. وهذا هو نفس تعبير بن جوريون ، رئيس وزراء اسرائيل السابق ، الذي استخدمه في الاشارة الى طبيعة العلاقات الامريكية الاسرائيلية ..

وان هذا يهدم راساً الدعاية الصهيونية التي حاولت ، في مرحلة ما الزعم بان الصهيونية مناهضة للاستعمار . وحجتها في هذا الزعم ما تدعيه هي نفسها عن مقاومة الصهيونية للاستعمار البريطاني في فلسطين ابان فترة الانتداب .

ومن المؤكد ان هذا الزعم باطل كما يقول رودنسون نفسه لان الاستعمار البريطاني وتلك حقيقة تاريخية بحته ، هو الذي مكن الصهيونية من النمو والتكاثر في فلسطين .. ثم هو باطل ايضا لان اسرائيل وهذه هي حقيقة الواقع المعاش ملتحمسة ، ومؤيدة علناً للمخططات الاستعمارية في فيتنام ، وجنوب افريقيا والشرق الاوسط ، وشرق اوربا ..

وحتى لو سلمنا جدلاً ، بوجود أى خلافات بين اليهود في فلسطين والدولة الام ، ونعنى بها بريطانيا ، اثناء فترة الانتداب .. فتلك خلافات حتمية ، ولا علاقة لها بفكرة مناهضة الاستعمار . على غرار ما حدث بين المستوطنين الفرنسيين في الجزائر وبين الدولة الفرنسية الام .. وما حدث كذلك بين بريطانيا وبين البريطانيين الذين سهلت لهم السياسة

وأفشاء صفة التقدمية والانسانية على المجتمع الاسرائيلي ، مما قد يساعد المخططات الصهيونية والاستعمارية الرامية الى التسلل الى اقتصاديات هذه الدول والتاثير فيها سياسيا

فان يكون من نتائج عدوان يوزير انفضاح التتويج الاسرائيلي وانكشاف زيف الادعاء بالاشتراكية معناه ان عقبة كبيرة قد وضعت او يجب ان تكون قد وضعت ، في سبيل القدرة الاسرائيلية على الخداع والتسريل بثياب زائفة بهدف المروق الى اهداف خفية تتناقض رأسا مع كل ما تدعيه وتحاول ان تظهر به . .



الاتجاه الثالث يتمثل في هذا اليقين المؤكد بالتشابه بين الازهاب الذي تمارسه اسرائيل في الارض العربية المحتلة وبين النازية الالمانية القديمة التي استقرت الضمير العالي واشعلت نيران الحرب العالمية الثانية . .

والمفارقة العجيبة هنا التي لفقت انتباه المفكرين ان اسرائيل تطبق الان في الارض المحتلة نفس اساليب الازهاب التي كانت تطبقها النازية الالمانية ضد اليهود بصفة خاصة . .

وتجليل هذه المفارقة يصل بنا الى علامة أساسية في التكوين الاسرائيلي . .

فلو سلمنا ان اليهود قاسوا اكثر من غيرهم من عسف النازية وبطشها فقد كان المنطق المستقيم ان يعزفوا عن اتباع نفس الاساليب التي عانوا منها . . اما وان العكس هو الصحيح ، وهو الحاصل فعلا في الارض المحتلة ، فان دلالة ذلك هي ان النفسية اليهودية تقوم من ناحية على نوع من مركبات النقص التي تدفع اصحابها الى محاولة التشبه بمن يرون انهم افضل منهم وأقوى . .

ويشير من ناحية اخرى الى رغبة ممسوخة ، لانه قد أسوء التعبير عنها في تأكيد الذات بعد ان اعتقد اليهود ان المجتمع النوي قد أنكرها قرونا طويلة . .

ويرتراند راسل يلخص هذه الفكرة بقوله : لقد قيل لنا باستمرار اننا يجب ان نتعاطف مع اسرائيل بسبب ما عاناه اليهود في أوروبا على أيدي النازي . . وفي رأيي ان هذا لايعني استمرار تعذيب الآخرين . . وان ماتفعله اسرائيل لا يمكن ان يقبل . . وبقي الان ، فيما يختص بهذا الاتجاه ، تحفظ لايد منه . . ونحن نورد هذا التحفظ في نقاط محددة . .

فمن المؤكد ، اولا ان الشناعات النازية لم ترتكب ضد اليهود وحدهم ، بل ضد كل الشعوب ، وكل الاجناس . . والا فهل نشبت الحرب العالمية الثانية دفاعا عن اليهود ؟ ان النازية الالمانية وحليفتها الفاشية الايطالية لم يحترما حق شعب من الشعوب ، وكان العدوان على اثيوبيا في افريقيا وتشيكوسلوفاكيا في شرق أوروبا ، وعلى بريطانيا

ومعنى ذلك ان الشناعات النازية لم تكن السبب ، بل المبرر والغطاء . . والا فان هتلر لم يصل الى الحكم الا في بداية الثلاثينات والحرب العالمية الثانية بدأت سنة ١٩٣٩ في حين ان الصراع في فلسطين بين العرب والصهاينة كان قد بدأ قبل ذلك بزمن طويل . . ووعدهم بلفور بانشاء الوطن اليهودي صدر سنة ١٩١٧ بل ان بداية التنفيذ العملي للمؤامرة الصهيونية في فلسطين انطلقت من مؤتمر « بال » الذي عقد في سويسرا سنة ١٨٩٧ . .

ومن المؤكد ثالثا ان حكاية الاضطهاد النازي لليهود نغمة ، مازال يحلو للصهيونية حتى الان العزف عليها ، وذلك في نطاق خطة ابتزان المساعدات والتعويضات من العملاء الاقتصادي الالمانى في غرب أوروبا ، على اساس استغلال عقدة الذنب . .

وهنا يتبادر الى الذهن سؤال جدلي : اذا كانت الصهيونية تعتقد فعلا انها تستحق تعويضا من المانيا الغربية بسبب الاضطهاد النازي ، واذا كانت السياسة الالمانية تثبتها فعلا على هذا الاعتقاد ، فلماذا يكون الوطن القومي لليهود في فلسطين بالذات وعلى حساب الوجود المشروع لشعبها الذي لم يضطهد اليهود ولا غيرهم ، ولم يرتكب اثما في حق شعب آخر من شعوب العالم ؟؟

وبعبارة اوضح : اذا كان التعويض حقا لليهود على المانيا الغربية معترفا به من مستحق التعويض ودافعه ، فلماذا لا يكون تعويض اليهود في الارض الالمانية ذاتها ، وليس في ارض الشعب الفلسطيني ؟؟ ومن المؤكد رابعا ان هذا كله يضيف الى ما سبق ان قلناه من ان الوجود الصهيوني الغاصب على الارض العربية لا يتماشى مع فكرة الوطن القومي اليهودي الا عذد الطرف البعيد ، وكذريعة يتلفع بها ، وانما الحقيقة ان هذا الوجود جزء في حركة الاستعمار العالي نحو السيطرة العالمية عن طريق التحكم في المواقع ذات الاهمية الاستراتيجية . .



والاتجاه الرابع هو في الواقع اتجاه قديم ولكن المؤرخ العظيم ارنولد توينبي جلاه امام الجميع . . وهذا الاتجاه مؤداه ان التاريخ يعيد نفسه من حيث

فى الخارج ، فان التفسخ الاجتماعى يغزوها من نفسها من الداخل ..

واذا اضيفت مقاومة الشعوب فى الخارج ، الى التحلل الداخلى ، انتهى الوضع حتما بانهايار هذه القوى مهما طال امد مقاومتها لهذه النتيجة المحتومة ..

كانت تلك هى نهاية الامبراطورية الرومانية القديمة .. وسوف تكون حتما نهاية الولايات المتحدة وعيلتها اسرائيل بالتبعية لانها وهذا هو درس فيتنام ومذابحها البشعة ، قوة غاشمة متحللة من القيم والمثل تحاول بالقهر والبطش الغزو واخضاع الشعوب .. ان هذه اتجاهات اربعة فى التفكير العالمى برزت بعد عدوان يونيو سنة ٦٧ وما زالت عملية القتلور ماضية فى طريقها .. ومما يزيد من تأكيد هذه الاتجاهات ان يستطيع النضال العربى التلاحم العميق بكل القضايا التحررية والانسانية فى العالم كله .. ان عملية التلاحم هذه معناها ان النضال العربى يلتحم بالقيم والمثل التى يؤدى التجرد منها الى اسقاط القوى الغاشمة ، ومعناها ، بتعبير آخر ان النضال العربى يسهم فى اسقاط هذه القوى وفى عملية الاحتشاد الكبرى لحماية العالم من شرورها ..

النهاية الحتمية للمغتربين بتوتهم الذين يحاولون ان يمدوا سلطانهم الى ابعدهما تسمح لهم به قواهم الذاتية وخلاصة هذه النظرة وتوينى يتحدث هنا عن الحرب الفيتنامية والحرب العربية الاسرائيلية على حد سواء ، ان القوى الكبيرة حين تحاول ان تتوسع ، وتمد نفوذها الى الخارج ، من غير ان تكون مؤهلة لرسالة عظيمة تحملها للناس وتستقطبهم من حولها فانها تتعرض بالحثم لنوع من التحلل ، او التفسخ من الداخل ..

وهنا تجد هذه القوى نفسها فى مواجهة عاملين : اولهما هو عامل القوة المجردة التى تحاول التوسع الخارجى والغزو باستمرار تأكيدا للذات واغترارا بالنفس .

وثانيهما : ان هذه القوى ، باعتبارها قوى غصب وغزو هى بالضرورة قوى مجردة من القيم والمثل العليا التى تتطلع اليها الانسانية .. وهذا ، فى حد ذاته يجعل بشيئين : اولهما مقاومة الشعوب التى تتعرض للغصب والغزو لاساليب القوة الغاشمة ، وتالبها عليها .. وثانيهما ان هذا الانتشار العدوانى فى الخارج يثير مشكلات عميقة امام القوى الغازية داخليا بحيث يمكن ان يقال انه بينما هذه القوى تغزو

حذار من اتباع الهوى وطول الامل

روى عن على (كرم الله وجهه) ان النبى (صلى الله عليه وسلم) قال :

« ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان : اتباع الهوى وطول الامل ، فاما اتباع الهوى فانه يصد عن الحق ، واما طول الامل فانه الحب للدنيا » ثم قال : « الا ان الله يعطى الدنيا من يحب ويبغض ، واذا احب عبدا اعطاه الايمان ، الا ان للدين ابناء وللدنيا ابناء فكونوا من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية ، الا ان الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، الا وانكم فى يوم عمل ليس فيه حساب ، الا وانكم توشكون فى يوم حساب ليس فيه عمل » .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعبد الله ابن عمر : « اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ، ومن صحتك لسقمك ، وانك - يا عبد الله - لا تدري ما اسمك غدا » .

وعن الحسن قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « اكلكم يحب ان يدخل الجنة » ؟ قالوا : نعم يا رسول الله قال : « قصروا من الامل ، وثبتوا آجالكم بين ابصاركم ، واستحيوا من الله حق الحياء » .

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول فى دعائه : « اللهم انى اعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ، واعوذ بك من حياة تمنع خير المات ، واعوذ بك من أمل يمنع خير العمل » .



دائرة عسكرية اسلامية

يوم الاشارة

الأستاذ محمد فرج



[١]

انضمر الفرس بقيادة بهمن جاذويه على المسلمين في موقعة الجسر وكان من نتيجة ذلك ان راح ضحيتها القائد المسلم الهبام ابو عبيد بن مسعود الذي نال شرف الشهادة بعد ان ابلى بلاه خشنا وبعد ان استطاع بقوة ايمانه وجراته وشجاعته ان يقتل وحده الفيل الابيض الذي استخدمه الفرس سلاحا جديدا واجهوا به المسلمين لأول مرة دون ان يكون لهم به علم سابق فكان له دور فعال في المعركة .

وكان لابد للمسلمين من ان يأخذوا بالثأر وان تعود قواهم التي تحارب في سبيل الله الى احرار النصر فالمعركة الدائرة فوق ارض العراق كانت معركة ضارية... المسلمون يعرضون الاسلام ثم الجزية وعدوهم من اهل فارس ايمانا منه بقوته وصلابته وتاريخه العسكري الطويل راى في مواجهتهم خطافا على نفسه وارضه وتاريخه لم تنه الهزائم التي لحقت به في المعارك المتعددة التي سبقت الجسر على يد المنى بن حارثة في القطيف وهجر والابلة وبابل وعلى يد سيف الله خالد بن الوليد في كاتبة والذار والولجة والبس وابتشبا والحيرة والانباز وعين التمر والمصيخ والفراض . وكان لابد للمسلمين من ان يتبوا رسالتهم فوق ارض الفرس فيزولون دولتهم ويقضون عليهم ويرفعون راية الاسلام عالية خافقة في سماء دجلة والفرات تؤكد ان الدين هو الاسلام وان الله تبارك وتعالى هو الله الاحد وان محمدا هو رسول الله وخاتم النبيين وان الاسلام قد جاء الناس ببداية الانسانية يرقى بشان الانسان فيعيش حياته داعيا الى الخير والعدل والمساواة محاربا الشر والظلم والطغيان .

[٢]

تولى قيادة المسلمين بعد استشهاد ابي عبيد بن مسعود القائد العربي البطل المنى بن حارثة الشيباني من بني شيبان .. والمنى عاش وسط قومه في منطقة تمتد على ساحل الخليج العربي بين البصرة شمالا وعمان جنوبا وبلغتهم دعوة الاسلام التي حمل لواءها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعرضوا اوصاف الرسول وتجادبوا الحديث في اخباره وانتصاراته وتفتحت قلوبهم للدين الجديد وقويت الرغبة في الدخول فيه فساروا الى رسول الله في العام التاسع الهجري واعلنوا اسلامهم وكان المنى احد السائرين وكذلك كانت امراته سلمى بنت حفصة .

ونال المنى شرف الصحبة ولكنه لم يشترك مع الرسول في قتال الا انه كان صاحب موقف جليل خلال الفتنة التي تعرضت لها الامة الاسلامية عقب وفاة رسول الله واعنى بها فتنة الردة فقد بقى على دينه وثبت عليه وانضم الى العلاء بن الحضرمي في

قال الخليفة ووصل بقواته الى دلتا الفرات بهذه الفرس التي كانوا يؤيدون المرتدين بقيادة الحظ بن ضبيعة .

[٣]

وكان للخليفة عمر بن الخطاب .. الذي القيت اليه مقاليد الامة بعد خليفة رسول الله ابي بكر الصديق - موقف عظيم جليل بعد الجسر فقد احس بخطورة الموقف ورأى انه يجب ان تستمر المواجهة وان يتم نور الله ولو كره الفرس واجس بهيئوليتهم امام التاريخ وانطلاقاً من هذا الاحساس دعا العرب من جميع انحاء الجزيرة الى المدينة للتشاور في ارسال المدد العاجل السريع حتى ترجع كفة المسلمين وهم يحاربون قوماً يفوقونهم عدداً وعدة ويحاربونهم فوق ارضهم حيث يتوافر لهم المدد وتشتون الاعاشة هذا فوق انهم عاملون بطبيعة ارض القتال لانهم يعيشون اصلاً فوقها بينما يجعلها المسلمون تباباً .

وتجمع عند عمر بنو بجيلة يرأسهم جرير بن عبد الله البجلي واقامه عمر بالتوجه الى العراق بمدد للمسلمين وحدث داود بن ابي هند قال « اخبرني الشعبي ان عمر وجه جرير بن عبد الله الى الكوفة بعد قتل ابي عبيد اول من وجه وقال « هل لك في العراق وانفلك الثلث بعد الخمس » قال « نعم » .

وخرج ايضا غالب بن عبد الله على رأس بني كنانة بعد ان خاطبهم « يا عشريناه اجيوا امير المؤمنين الى ما يرى » .

وخرج ايضا بنو الازد وعليهم عرفة بن هرة وبنو حنظلة وعليهم ربعي وبنو ضبة وعليهم عصبة بن عبد الله الضبي .

وكتب الخليفة الى الزعماء الخارجين يستحثهم قائلا « عجلوا للحاق بنا وموعدكم البويب » .

[٤]

وبينما المسلمون يعدون انفسهم لجولة قادمة يثارون فيها لهزيمتهم في الجسر كان الاستعداد ايضا يتم على قدم وساق عند الطرف الاخر - اي الفرس - الذين كانوا يسعون الى انتهاء الخلافات التي كثيرا ما قامت بينهم احساسا منهم بالخطر الذي يهدد بلدهم واستطاع رستم والفرزقان ان يصلوا الى اتفاق ثم جمعا جندا كثيرا وجعلا عليه مهران بن مهران بندياذ الهذاني وكلفاه بعلاقة المسلمين والمقضاء عليهم وكان اختيار مهران له دافع فان رستم يعلم انه رجل طموح يأمل في نصر ينسب الفرس النصر الذي احرزوه بهم في الجسر ويدفع به الى مكان الصدارة بين قادة بلاده العسكريين .

وتحرك مهران على رأس اثني عشر الفا من المقاتلين ونزل في ارض تدعى بسوس قرب الكوفة في مواجهة قوات الخليفة . . .

وعندما علم الخليفة بنزول الفرس في هذا الموقع تقابل واطمان الى النصر قائلا « اكدم مهران وهلك ونزل منزلا هو البسوس » . واصبح الصدام وشيكا فالجيشان في وضع الاستعداد ماديا ومعنويا .

[٥]

كان نهر الفرات يفصل بينهما وكان لابد لاحد الجيشين من ان يعبر الى الجيش الاخر وبعث مهران الى الخليفة « اما ان تعبروا

الينا وايا ان نعبر اليكم » ولم ينس الخليفة ما اصاب المسلمين يوم الجسر من خسائر فادحة وهزيمة قاسية حين اصر ابو عبيد على ان يعبر المسلمون مع ما في العبور من مخاطرة ورغم معارضة رجاله وخاصة سليل بن قيس والخليفة : « لاتعبر يا ابا عبيد . . اننا ننهك عن العبور ، ان العرب لم تلق مثل جنود فارس مذ كانوا وانهم قد حفلوا لنا (اجتمعوا) واستقبلونا من الزهاء (العدد الكبير) والعدة بما لم يلقنا به احد وقد نزلت منزلا لنا فيه مجال وملجأ ومرجع من مرة الى مرة » .

وبعث الخليفة الى مهران « اعبروا الينا » وعبر الفرس النهر الى البويب في ثلاثة صفوف مع كل صف قبل وكان لها عند العبور صوت وضوضاء فقال الخليفة لجندته « اهل الذي تسمعون فقل

فانزلوا الصوت وانتهرواها » والتي بقوله هذا يضع مبدأ هاماً من مبادئ الحرب - اعني مبدأ السرية - والسرية سلاح خطير اذا احسن استغلاله واستخدمه خلال المعركة اذ يؤدي الى حدوث عامل المفاجأة وبالتالي يحقق سلامة القوات ، وعدم التزام الجيش على مختلف مستوياته بهذا المبدأ خطأ كبير وضعه الخليفة في أسلوب سهل واضح فقال انه فشل . . والفضل في المعركة يعني كرامة محققة .

واستعد الخليفة للقاء الفرس فوزع قواته وحدد لكل منها واجبا تقوم به وجعل عليها بعضاً من رجاله الايطال موضع ثقة وثقة جنوده . جعل على مجنبيه بشير بن الخصاصية وبشير بن ابي رهم (ذكر في بعض المراجع بشر) وعلى مجرته (الخيل) اخاه المعنى وعلى الرجل (المشاة) اخاه مسعود وعلى الطلائع (المقدمة) النسيب وعلى الزد (الاحتياط) مذعور اما مركز القيادة فكان في القلب . ولم يشك الخليفة ان المعركة تقوم على اساسين مادي ومعنوي فبعد ان انتهى من الاعداد المادية اولى الجانب المعنوي اهتمامه البالغ ادراكا منه لاهميته وخطورته فسار بين الصفوف يتعهدا وهو على فرسه الشموسي (دعى الشموس للين عريكته وطهارته وكان لا يستخدم الا في القتال فقط) وبحرس رجاله على الثبات والضرب ويحضهم على الاستبسال والصمود وينشط هميمهم ويقوى عزائمهم « اني لارجو ان تؤنى العرب اليوم فكلكم والله ما يسرنى اليوم لنفسى شيء الا وهو يسرنى لعائيتكم » وظل ينقل اليهم صور ماضيهما الجيد ومعاركهم الخالدة وغزواتهم الفريدة ويعرفهم بمواقع الشجعان ومصارع الفرسان ويذكرهم بما وعد الله الشهداء من ثواب في دار النعيم .

وكانت المعركة في رمضان . . وفي رمضان يصوم المسلمون . . والجوع والعطش لا ينفقان مع طبيعة القتال التي تحتاج جهدا يفوق الطاقة ولهذا اصدر الخليفة اوامره للجند بالافطار حتى لا يؤثر الصيام على قدراتهم وكفاءتهم وهم يواجهون عدوا شرسا نبال حظه من الطعام والماء . . ايها الناس انكم صوام والصوم مرقمة ومضعفة وانى ارى من الراى ان تفتروا تنقوا بالطعام على عدوكم »

[٦]

ووضع الخليفة خطة اللقاء على اساس ان يقوم المسلمون بالهجوم ايمانا منه بان الهجوم هو خير وسائل الدفاع وبان الهجوم له اثره الكبير على المهاجم والدافع . . فالهجوم يمنح الجيش المهاجم قوة ومعنويات تقوى من حماسه وتندد من ازده وتزعم برغبته في القتال الى المستوى الذي يليق بحارب يبغي النصر ويرجو الفوز . . والهجوم يزلزل وحدة الجيش الاخر ويشتت من تربيته ويدخل الى نفوس رجاله الوهن والضعف والخاذل وخاصة اذا كان محاطا بالسرية مصحوبا بالمفاجأة وحدد الخليفة استراتيجية النصر « اني مكبر ثلاثا فتهبوا ثم اقبلوا مع الرابعة » وحدثت مفاجأة كادت تقلب كفة الميزان الى جانب الفرس فقد احسن مهران ان العرب على وشك القيام بالهجوم عندما سمع تكبير الخليفة وتكبير المسلمين من بعدهم فقرر ان تكون المباداة له والا يلزم بخطة دفاعية . وما ان كبر الخليفة للمرة الرابعة حتى هاجم الفرس المسلمين وخالطوهم والنهم القتال . . وكانت مفاجأة الهجوم من جانب الفرس ذات اثر على احدى جبهات المسلمين حيث تجمع بنو عجل فاضلت صفوفهم الا ان الخليفة ارسل اليهم من يقول لهم « ان الامير يفرتمك السلام ويقول لكم لا تفضحوا المسلمين اليوم » واشتد القتال لساعات طويلة والمسلمون صامدون يضربون الفرس بكل ما في اجسادهم من قوة ويقاتلونهم بكل ما في جوارحهم من حماس وكان الجند الذين حضروا الجسر وفروا وقت الهزيمة يقاتلون في البويب باستبسال وجرأة لا يبالون الموت رغبة منهم في ان يظهروا من عار الهزيمة في الجسر .

وكان الخليفة وقت القتال متيقظا يرقب الجند ويلمح القتال ويعدل الصفوف ويثير الحماس ويفرز نقط الصفف ويردد على مسامع المقاتلين « لا تفضحوا المسلمين اليوم » واستدعى الخليفة النسيب هلال الميمري وعبد الله بن كليب التميمي وقال لهما « يا نسي انك امرؤ عربى وان لم تكن على ديننا فاذا رأيتني قد جملت على مهران

فاحمل معي « وهاجم الثلاثة مهران وتقدم غلام نصراني من تغلب حتى اصبح قريبا من مهران وقتله واستولى على قريسه واخذ ينشد انا الغلام الثقلي انا قتل مهران

واندفع ملحود بن حارثة على راس المشاة الى المعركة فلما اشتد القتال قال لجنده « ان رايتونا اصبنا فلا تدعوا ما انتم فيه فان الجيش يتكشف ثم ينصرف الزموا مصافكم واغنوا غناء من يليكم « واصابته اصابه قاتله فقال لجنده « يا معشر بكر بن وائل ارفعوا رايتكم برفعكم الله لا يهولنكم مصرعي « وخاطب المثنى القوم وقد رأى فيهم حزنا لقتل اخيه « يا معشر المسلمين لا يرعكم مصرع اخي فان مصارع خياركم هكذا » .

وحاول الفرس عبور النهر هربا من القتال وشاء المثنى ان يمنهم حتى ينال منهم مثل ما نالوه من المسلمين في الجسر فاسرع الى الجسر وردهم عنه وسبغ المسلمين ناخذهم من كل جانب حتى سمي يوم البويب بيوم الاعشار لان المسلمين اخصوا مائة من رجالهم قتل كل منهم عشرة من الفرس وقيل ان ما ازهق في المعركة من الارواح يفوق ما ازهق في اية غزوة اخرى فقد قدر عدد القتلى من الفرس بمائة الف وبقيت جثثهم طريحة في الجدران حتى بليت وصارت عظاما ولم تدفن الا بعد بناء الكوفة وجاء في تجارب الامم لابن مسكويه ان اهل تلك الناحية « كانوا يأتون البويب فيرون عظاما بيضا تلوها « وتمذر على عدد من المقاتلين الفرس عبور النهر هربا من سيوف المسلمين فادركوا انهم سائرون الى نهايتهم فاخذوا يقاتلون المسلمين ويستمينون وكانوا يقتلون كل مسلم يلقونه فاستشهد عدد من المسلمين في مقدمتهم خالد بن هلال وانس بن هلال واخرون رثاهم المثنى بقوله « والله ليهون علي وحدى ان شهدوا البويب اقدموا وصبروا ولم يجزعوا ولم ينكلوا وفي الشهادة كفارة « واحس المثنى كانه اذنب في حق المسلمين الذين قتلوا بيد الفرس حين سد عليهم الجسر ومنهم من العبور فقال « لقد عجزت عجزه وفي الله شرها بمسايقتي اياهم الى الجسر حتى اخرجتهم فاني غير عائد فلا تعودوا ولا تقعدوا بي ايتها الناس » .

انها كانت متى زلة لايتبقى اخراج احد الا من لايقوى على اقتناع واراد المثنى بمسدد ان تم النصر ان يؤكسد هـ هذا النصر وان يضمن استقرار قواته وامنها فامر جنوده بالقضاء على جيوب العدو في المنطقة فسار جرير بن عبد الله الى ميسان وهلال ابن علقمة الى دستميسان وقامت قواته الخفيفة الحركة (الخيالة) بحملات استطاع بعبدة المدى بهدف جمع المعلومات عن الفرس خوفا من ان يلجوا شملهم ويجمعوا جموعهم وينظموا صفوفهم ويستعدون لعمليات مضادة .

[٧]

انتهت معركة البويب وحاز المسلمون نصرا عزيزا واصبح يوم الاعشار يوما خالدا في التاريخ العسكري الاسلامي ففوق النصر الكبير الذي احززه المسلمون نالوا ثارهم من هزيمة الجسر وازالوا وصمة الهزيمة واعادوا الى انفسهم الثقة والامل واثبتوا ان العنصر العربي والقوى العربية قادرة بايمانها وعزيمتها على تحقيق النصر وان السواعد العربية التي تحركها قلوب زاهرة بالايمان عامرة بالاخلاص هي السواعد التي تصنع النصر وتؤكدده .

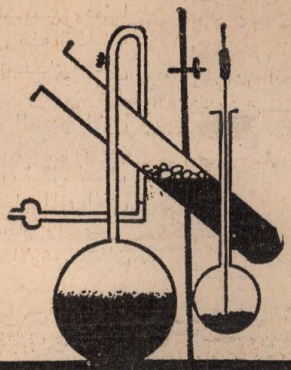
ووصف الشاعر عروة بن زيد الخيل — وهو صحابي عاش الى خلافة الامام علي وشهد معه صفين — موقعة البويب فقال :

حاجت لعروة دار الحي احزانا
واستبليت بعد عبد القيس همدانا
وقد ارانا بها والشمل مجتبع
اذ بالخيلة قتلى جند مهرانا
ايام سبار المثنى بالجنود لهم
فقتل القوم من رجل وركبانا
سما لاجناد مهران وشيعته
حتى ابادهم مثنى ووحـدانا
ما ان راينا اميرا بالمراق مضى
مثل المثنى الذي من آل شيبانا
ان المثنى الامير القرم لا كذب
في الحرب اشجع من لث بخفانا

سندادات الجهاد

نقل الاستاذ رشيد رضا عن الامام محمد عبده [رحمهما الله] أنه قال : —
« ان الذي يجب أن تكون عليه الدولة قبل الحرب هو اعداد الامة كل ما تستطيع من انواع القوة الحربية ورباط الخيل ، في كل زمان بحسبه
على ان يكون القصد الاول من ذلك ارباب الاعداء واخافتهم من عاقبة التعدي على بلاد الامة او مصالحها او على افراد منها أو متاع لها ، « حتى في غير بلادها » ، لأجل أن تكون آمنة في عقر دارها ، مطمئنة على اهلها ومصلحتها وأموالها ، وهذا ما يسمى بالسلم أو التسليح السلمى وتدعيه بعض الدول العسكرية زورا وخداعا ، فقيده به الأمر باعداد القوى والمراطة للقتال وذلك قوله تعالى :
« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »

الطب



دلائل الحق في عظمة الوجود

آفاق جديدة لاستخدام الطاقة الشمسية في خدمة الاقتصاد القومي والصناعة

الدكتور عزت محمد فهمي

٣- أن أنواع الوقود الموجودة في باطن الأرض من فحم أو بترول أو غاز طبيعي ما هي إلا نتائج لتغيرات كيميائية وطبيعية تتضمن عمليات امتصاص وتحول لضوء الشمس وطاقاتها - عن طريق النباتات والكائنات الميكروية - استمرت للعديد من ملايين السنين .

ومع نزوب بعض مصادر الطاقة الطبيعية وتناقص أنواع الوقود التقليدية ، واستمرار الحاجة إلى المزيد من الطاقات المختلفة الحرارية والميكانيكية والكهربائية والضوئية مع استمرار تقدم معدلات النمو الانساني في مختلف النواحي الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية ، تعين على الإنسان - وعلى العلماء بوجه خاص - أن يبحثوا عن مصادر جديدة للطاقة فكان ذلك العصر الذي بدأ في العقدين الآخرين من هذا القرن العشرين - عصر الطاقة النووية - وتوالت معه التطبيقات لاستخدام هذه الطاقة في الأغراض السلمية ، وأكثر منها في الأغراض الحربية ، وبدأ هذا النوع من الطاقة يحتل مكانه بين مصادر الطاقات التقليدية الأخرى وإن كان لم يصبح بديلاً عنها بعد لصعوبات فنية وأسباب اقتصادية مختلفة . ومع هذا الاتجاه الجاد نحو البحث عن مصادر الطاقة وجدنا محاولات ناجحة وإنجازات ضخمة لاستغلال الطاقة المائية ، وطاقة الرياح ، وطاقات المد والجزر في خدمة الأغراض الاقتصادية .

ومع تنوع هذه الأساليب ، وتعدد وسائل إنتاج الطاقة من مختلف المصادر ، فما زالت الشمس هي المصدر الأول والاصل للطاقة وإن كانت الشمس بالنسبة للمقادير الكبيرة من الطاقة المحركة مصدراً

يقول تعالى في وصف الشمس :
« أَلَمْ تَرَ أَنَّا جَعَلْنَا نَوَارًا وَجَعَلْنَا الشَّمْسُ سِرَاجًا (١٦) »
من سورة نوح
« وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) » - من سورة يونس
حقاً أن الشمس أهم مصدر للطاقة والتي تعتمد عليها حياة البشر وسائر مكونات الحياة من نبات أو حيوان على سطح كوكب الأرض . وتعتمد في هذا الكوكب التوهج الوضاء ، ذلك السراج المنير المتأجج ، تعتمد مواد الوقود النووي الهيدروجيني بحساب موقوت ونظام موضوع فتخرج بلايين البلايين من وحدات الطاقة الإشعاعية والضوئية والحرارية ، وترسلها إلى الأرض بقدر وميزان لتنهل منها وتمتلئ بها صور الحياة وصنوفها ، لا حدود لعطائها ولا انتهاء لفيضها ما بقيت حياة . وبقدر ما نفتقر وتفتقر سائر الكائنات من ضوء الشمس ودفئها بقدر ما تتفتح مجالات جديدة لاستغلال هذه الطاقات لخدمة الأغراض الصناعية والاقتصادية على الأرض .

وليس أدل على أن الشمس هي المصدر الأول للطاقة بالنسبة للحياة من الحقائق :
١ - أن المعين الأصلي للأمطار وبالتالي لكل مصادر المياه هو تلك المقادير من بخار الماء الذي تصعده حرارة الشمس من مياه البحار والأنهار فتتراكم وتتجمع وتلقى بأحبالها على الأرض فتخلق بأذن الله من كل شيء حي .

٢ - وحركات الرياح وما يتبعها من طاقات وتغيرات ما هي إلا نتيجة حتمية لاختلاف تعرض المناطق المختلفة من سطح الأرض لضوء الشمس واختلاف مقادير الطاقة التي تسقط على تلك المناطق .

غير مباشر في كثير من الأحوال . وقد أن الأوان لكي يتجه الإنسان الى المنبع الأصلي ليفتقر منه مباشرة ما يلزمه من طاقات بعد أن ذلت الكثير من العقبات في سبيل ذلك ، وأهم تلك العقبات هي استنباط وسائل اقتصادية لتحويل طاقة الشمس الى طاقة حرارية مركزة أو طاقة كهربائية ، وتخزين هذه الطاقة لاستخدامها عند الحاجة تحت مختلف الظروف الجوية في فترات النهار أو الليل أي في ظهور الشمس أو غيابها . ونستعرض بعضاً من أهم التطبيقات الصناعية والاقتصادية التي تمت في هذا المجال .

١ - أدرك القدماء أهمية الشمس كمصدر للطاقة ويحكى لنا التاريخ كيف كان قدماء المصريين يستخدمونها في كثير من الأغراض . وما زلنا نذكر تلك الحادثة التي يرويها تاريخ القدماء حيث أحرق أرشميدس الأسطول الروماني بالقرب من سيراكوز عن طريق تجميع أشعة الشمس بواسطة المرايا .

٢ - بدأ عام ١٩٢٣ عرض أول محرك يسير بالطاقة الشمسية في المعرض الزراعي بموسكو على أنه اختراع مبنى على فكرة تجميع طاقة الشمس عن طريق المرايا .

٣ - مع تقدم انتاج الأجهزة الآلية الميكانيكية والبصرية وكذلك أجهزة التحكم الآلى ، فتتح الأمم نحو الاستغلال الاقتصادي للطاقة الشمسية بكفاءة معقولة وتكاليف منخفضة . ومما ساعد على ذلك ، التقدم الكبير في انتاج أشباه الموصلات وهي مواد تستطيع أن تخزن طاقة الشمس وتحولها الى طاقة كهربائية يمكن تخزينها في مراكز خاصة لاستخدامها كطاقة محركة تحت الظروف الملائمة .

وتأسيساً على ما تقدم نجد الكثير من البلدان تستخدم الطاقة الشمسية لأغراض التدفئة والتبريد والإضاءة على نطاق واسع وبطريقة اقتصادية يشمل أحياناً مدناً بأسرها مثل بعض البلاد في كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية على نطاق واسع وفي الاتحاد السوفيتي في الجمهوريات الجنوبية . وفي فرنسا صنعت أفران شمسية وصلت طاقة أحد أنواعها ١٠٠٠ كيلووات . وهناك تطبيقات مماثلة تمت بنجاح في هذا المجال في إنجلترا والجزائر ولبنان وغيرها من البلاد .

ومن التطبيقات التي تبشر بالآمل استخدام الطاقة الشمسية لتغذية مياه البحار وتقدم البحوث الجارية في هذا الشأن نحو تطبيق اقتصادي على نطاق واسع بتكاليف رخيصة بحيث يمكن الإسهام بذلك في تنمية موارد المياه العذبة للأغراض العامة ومستقبلاً للري والزراعة في المناطق الجرداء بصفة خاصة حيث الشمس الساطعة وقد وصلت هذه التطبيقات الى نتائج مبشرة جداً في الجمهوريات الجنوبية بالاتحاد السوفيتي خاصة في جمهورية تركمان حيث بلغت تكلفة تغذية المتر المكعب من الماء حوالي روبل ونصف [أي حوالي ٢٥ قرشاً] ، والمآبول أن تهبط التكلفة مع زيادة طاقة الانتاج الى الحد الذي يمكن استغلالها

اقتصادياً على أوسع نطاق لتغذية المياه المالحة الجوفية واستخدامها في الزراعة .

هذا وقد نجحت البحوث الجارية على تركيز الطاقة الشمسية واستخدامها كطاقة ميكانيكية ، وللمحولات على درجات حرارة عالية لصهر الفلزات والسبائك ، كما أقيم في أرمينيا السوفيتية مشروع ضخ لتوليد الطاقة الكهربائية من الطاقة الشمسية .

وليست المناطق الصحراوية أو الجرداء هي فقط التي تتطلع الى مشروعات لاستغلال الطاقة الشمسية للأغراض المختلفة ، بل إن الفضاء الخارجي أصبح مجالاً خصباً لأحدى التطبيقات الهامة لاستخدام الطاقة الشمسية في مجالات المركبات والسفن الفضائية وبعض الأجهزة التي تحتويها . وقد استخدمت بطاريات الطاقة الشمسية التي تسيير بواسطة أشباه الموصلات التي تبني طاقة الشمس وتحولها الى طاقة كهربائية لتعمل بها بعض أجهزة سفن الفضاء من طراز أبولو الأمريكية ، كما استخدمت في سفن الفضاء السوفيتية من طراز لونا ، وأخيراً استخدمت لتسيير المركبة القمرية لوناخود (١) التي أرسلها الاتحاد السوفيتي لتسير فوق سطح القمر وتنقل مختلف المعلومات منه مستخدمة طاقة الشمس ، ونذكر جميعاً كيف توقفت هذه المركبة في مرحلة الليل القمري وكيف استيقظت عند بزوغ النهار القمري واستأنفت مسارها بفضل طاقة الشمس .

وجدير بالذكر أنه لا حدود أمام الحصول على الطاقات الضخمة من الشمس مع تقدم الوسائل التكنولوجية والتغلب على الصعوبات الفنية بها يزيد كفاءة التحويل . ويجري الآن تنفيذ مشروع لإنشاء محطة قوى شمسية طاقته ٢٥٠ مليون كيلوات ساعة في العام من الطاقة [الكهربائية] مع انتاج ٢٠ ألف طن من بخار الماء سنوياً يمكن استخدامها في الأغراض الصناعية .

ولعل أهمية هذا المشروع - الذي ربما لا يفوق في طاقته المصادر الأخرى المتاحة كحسائط المياه أو الطاقات النووية - في أن تكلفة الانتاج فيه سوف تكون أرخص من تكلفة الانتاج بجميع الطرق الأخرى . وإن الآمل عظيم في أن تتسع طاقة مثل هذه المشروعات ويمكن الإنسان من حسن استغلال المصدر الدائم الغني الفياض - الشمس - الذي سخره الله لمنفعة خلقه ، بما يعوض النقص في موارد الطاقة الأخرى وما يقابل الاحتياجات المتزايدة لعالمنا .

وبعد فهذه نفحة من نفحات الخالق العظيمة ، وهذا بعض من كل نستطيع أن نجنيه من ورائها ، وإن آلاء الله على البشر لا تعد ولا تحصى وأفضاله دائمة خالدة باقية .

« تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً (٦١) »
- من سورة الفرقان

وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

الرسالة محمد الحليم كامل

أفلا تبصرون [ويقول سبحانه وتعالى] وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسمه الشر كان يئوسا ، قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بما هم

هو أهدي سبيلا [. وهكذا تدعوننا حياتنا أن نؤمن بالله الذي خلقنا فهو يهديننا كما يحملنا وجودنا على الاعتراف بوجوده سبحانه وتعالى ليكون لنا في حياتنا معينا وناصرا فنسلم له أمورنا ماخفي منها وما ظهر وننكل عليه في كل ما يتعرض له من محن أو إذا قسى علينا

القدر . . والشخص المؤمن الذي تمتلئ نفسه بنور الإيمان واليقين يعيش سعيدا ويحيا عزيزا لم يقل سبحانه وتعالى [والله العزة والمرسولة وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون] .

وعندما يمتلئ قلب المؤمن بالإيمان وتمتلئ نفسه بنور الرحمن عندئذ يرى الإنسان في نفسه ما لا يد أن يراه في خالقه وربه فيرتفع بنفسه عن مستوى البشر عندئذ يصبح الله نوره الذي يري به ولسانه الذي ينطق به وقلبه الذي يعيش به . ولم نذهب بعيدا وان لنا في ابراهيم عليه السلام اقوى صورة للنفس البشرية التي عرفت ربها وعرفت نفسها حتى قال سبحانه وتعالى عنه [واتخذ الله ابراهيم خليلا] .

فعندما يرى ابراهيم عليه السلام في منامه ان يذبح ابنه اسماعيل الذي رزقه على كبر كما يحدثنا القرآن الكريم عن ذلك فيقول [الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء] .

ويحدثنا القرآن عن ذلك في آيات أخرى فيقول عن ابراهيم عليه السلام اذ قال [رب هب لي من الصالحين فيبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابي ابعث افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله

عندما يضيق الانسان بنفسه وحياته ولا يجد في الدنيا من يلجأ اليه ليعينه او يحميه وتصبح الدنيا وكأنها ليل مظلم لن يطلع بعده نهار عندئذ يقولها من كل قلبه « يارب » فهو ينادي ربه الذي خلقه من العدم ونفخ فيه من روحه منذ القدم كيف لا وقد قالها سبحانه وتعالى للملائكة عندما خلق آدم عليه السلام [واذا قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين] .

وهذه هي نفحة الحياة الاولى وهي سر الحياة وأصل الوجود ومنشأ الروح التي لا يعرف سرها ولا كنهها الا الذي خلقها وادعها الحياة استمعوا لقوله سبحانه وتعالى (ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما أوتيتهم من العلم الا قليلا) .

ومن الناس من يقول ان النفس البشرية قد جبلت على الخير ومنهم من يقول انها جبلت على الشر ومن الناس من يقول ان النفس البشرية بها قدر كاف من هاتين النزعتين ولكني أقول ان النفس البشرية التي خلقها الله من روحه وكرمها ودعاه للملائكة ليسجدوا لها لا يمكن الا أن تكون مجبولة على الخير طيبة خيرة وهكذا يبدأ الانسان حياته . كطفل يرى يعلمه الابوان ويعلمه من حوله وتعلمه البيئة التي تحيط به فيأخذ من هذا ومن ذاك فتتكون له شخصيته الخاصة به التي قد تكون خيرة طيبة وقد تكون شريرة سيئة . فترجح كفة الخير تارة وتارة تكون كفة الشر هي الراجحة . ولكن مهما كانت كفة الشر راجحة فهناك في داخل نفسه دائما نداء يدعو الى الخير ويدعوه ليمسك السبيل المستقيم . وتلك هي النفحة الطيبة التي اودعها الله عباده . فاذا استجاب الانسان لهذا النداء الذي هو جزء من كيانه وتكوينه كان ممن هداهم الله والا فلن يكون له هاد ولهذا يقول سبحانه وتعالى عندما يدعوهم الى الإيمان [وفي أنفسكم

من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين وتاديتاه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين .

يا سبحان الله ايمان ملا نفس ابراهيم عليه السلام فدعى ربه ان يرزقه بسلام ويستجيب الله سبحانه وتعالى لذلك الدعاء ويرزقه على كبر ذلك الابن الذي كان من ربه يرجوه ويطلبه . ولكنه في المنام يرى ان يذبح ذلك الابن العزيز فلا يملك الا ان يصدق بما يؤمر لان رؤيا الانبياء حق وصدق ويمثل الاب المؤمن ويسير بابنه العزيز وهو قطعة من نفسه وفلة من كبده . وفي الطريق يصدق الحديث ولا يخفيه فيقول له اني ذاهب بك لاذبحك تنفيذا لامر الله فلا يجزع الابن ولا يحتج ولا يكون اقل ايمانا بقضاء الله من الاب فيقول [يا ايت افعل ماؤمر مستجدي ان شاء الله من الصابرين] .

ويسير ابراهيم عليه السلام المؤمن الراضى بامر الله والمستسلم لقضائه ومعه اسماعيل وهو مؤمن ايضا ومستسلم لقضاء الله وامره وهنا يناديه رب العالمين رب العرش العظيم [ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم] . وهكذا عندما يتحرك ما بالنفس البشرية من ايمان تهون الدنيا وما فيها وتاتي رحمة الله من حيث لا يدري المرء ولا يعلم .

ولابراهيم عليه السلام قصة تسبق تلك القصة التي ذكرت عندما يترك أهله عند البيت الحرام في واد غير ذي زرع فتسأله هاجر عليها السلام الى من يكلها هي وابنها ؟ فيجيبها ابراهيم عليه السلام انه انما يتركها هاهنا بامر من الله وسيتركها في رعاية الله وان هذه ارادته سبحانه وتعالى فتقول هاجر عليها السلام اذن : سوف لا يضيعنا الله . ويحدثنا القرآن الكريم عن ذلك فيقول [ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا] .

ويستجيب الله سبحانه وتعالى لذلك الدعاء الصادر من قلب مؤمن يصدق لما يؤمر به من عند الله فتتجر زهرم وتهوى أفئدة من الناس اليهم ويرزقهم الله من الثمرات وهكذا يضرب الله الامثال للناس ولكن الناس في غفلة عن الحق لا يعلمون . وهكذا يكون تصرف الانسان عندما يترك امره كله لله وعندما تتحرك في نفسه النفحة الالهية التي تسرى في كل خلية من خلايا جسمه فتحببها وتهديها .

ويحدثنا القرآن الكريم عن أم موسى عليه السلام وقد علمت أن فرعون قد أمر بذبح كل مولود يولد من بنى اسرائيل عندما قيل له انه سيولد من بنى

اسرائيل من سيكون فناء عرشه على يديه ؟ وتلد أم موسى ولدها في ذلك الجو الرهيب وتخاف عليه طبعاً من ذلك الطاغية الذي لابد وأن يريق دم ذلك الصغير كما أراق دماء صفار كثيرين قبله فتلتجأ الى الله سبحانه وتعالى لينقذ وليدها ويحدثنا القرآن الكريم عن ذلك فيقول [واوحينا الى أم موسى ان أرضعيه فاذا خفت عليه فאלقيه الى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين] .

يا سبحان الله تخاف الام على وليدها من القتل فيوحى اليها سبحانه وتعالى ان تضعه في التابوت ثم تلقيه في اليم ثم يوحى اليها بان اليم سيلقيه بالساحل عندئذ يأخذه عدو لله وعدو الطفل . ولو أن في صدر أم موسى ذرة من عدم الايمان ماالتقت وليدها في اليم ولكنه الايمان الذي أودعه الله في قلوب عباد الصالحين فتطيع امر الله وتمثل فترضع صغيرها وتلقيه ويلتقطه آل فرعون ويقول القرآن الكريم عن ذلك [فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين] . وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذة ولدا وهم لا يشعرون] .

وترسل الام الصابرة أخته لتتبع مساره وتأتيها بأخباره من غير أن تشعر بها احداً . وكادت الام الحزينة المشغولة على ابنها أن تبدي خوفها ولكن الله يربط على قلبها فتصبر راضية مؤمنة برحمة الله مستسلمة لقضائه . ويأبى الطفل ان يرضع من أى ندى وتلد لهم أخته على أهل بيت يكتفونه لهم وهكذا يعود الصغير الى أمه حتى تقر عينها ولا تحزن [ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون] .

وهكذا ينجو موسى عليه السلام من فرعون وقومه بفضل ماوحى اليها فاستقر في نفسها وأمنت به وصدقته .

وعندما يقول المأ من قوم فرعون ويسألونه أيترك موسى يعيث في الأرض فساداً كما يدعون . ويعددهم فرعون بأنه سيقتل أبناءهم ويستحى نساءهم وأنه فوق موسى وقومه قاهرون . ولكن موسى الذي يمتلئ قلبه بالايمان وبالنفقة بربه سبحانه وتعالى يقول لهم استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

« وقال المأ من قوم فرعون أئذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهم قال سنفقتل أبناءهم ونستحى نساءهم وانا فوقهم قاهرون . قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » . ويحدثنا التاريخ كما تحدثنا الايات الكريمة عن غرق فرعون وقومه ونجاة موسى ومن معه وهكذا ينتصر من يستعين بالله ويصبر . استمعوا لقوله

تعالى [ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبدك فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تتخاف دركا ولا تخشى . فاتبعهم فرعون بجنوده فكشيهم من اليم ماغشيهم . وأضل فرعون قومه وما هدى] .

وهناك من القصص الكثير يحدثنا عنه القرآن الكريم في أكثر من سورة مما يملأ القلوب إيمانا بل مما ينير كوامن مافي قلوبنا من إيمان وتسليم وما أودعه الله في أنفسنا من رضى وتفاؤل فمن أيوب عليه السلام يحدثنا أرحم الراحمين فيقول (وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) .

كما يحدثنا القرآن الكريم عن ذى النون الذى ذهب مغاضبا دون اذن من الله سبحانه وتعالى ضجرا من شدة عناد قومه وتهاديهم في الكفر فظن أن لن يقدر الله عليه فيلقمه الحوت عقوبة من الله له وعندئذ يدعو ذى النون ربه وهو في ظلمات بطن الحوت [أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين] فيستجيب الله نداه ويلفظه الحوت بعد فترة مضاه في بطنه وهو بين الحياة والموت (وإذا النون ان ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) .

ويحدثنا القرآن الكريم بعد ذلك عن زكريا عليه السلام الذى دعا ربه حتى لا يتركه وحيدا بلا ولد ويستجيب سبحانه وتعالى لدعائه ويصلح له زوجه ويرزقه بىحى .

[وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارئين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين] .

وهناك كثير من المواقف لا فى حياة الانبياء فقط بل فى حياتنا الخاصة وفى حياة كل فرد منا يظهر فيها مافي النفس البشرية من إيمان تدعوه دائما الى أن يقول « يارب » مهما كانت ظروفه ففى فرجه يقول يارب ادم هذا الفرح وفى كربه يقول يارب فرج هذا الكرب الم يقل الله سبحانه وتعالى [الا بذكر الله تطمئن القلوب] . واذا كانت هذه نزعة خفية لانراها ولا نلمسها ولكنها فينا من غير شك نراها عندما نبحث عنها ونلجأ اليها وتسعفنا عندما نكون فى أشد الحاجة اليها .

وهكذا نعيش بنور الإيمان ذلك النور الإلهى الذى ينير لنا الكون بأكمله وان الانسان جسد وروح أما الجسد فيفنى وأما الروح فتبقى فاذا كانت النفس طيبة كانت عند ربها راضية مرضية الم يقل الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز [ياأيها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وأدخلى جنتى] .

وعندما يهاجر النبى محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وبرفته الصديق أبو بكر يطلب رسول الله من ابن عمه على بن أبى طالب أن ينام فى فراشه قائلا له [اتشح ببردى فانه لن يخلص اليك أمر تكرهه] . ويهاجر النبى ومعه أبو بكر ويلجأون الى الغار وتتبعهم قريش حتى باب الغار ويخشى أبو بكر لا على نفسه بل على النبى صلوات الله عليه الذى هو أغلى عليه من نفسه .

[الا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم] .

وهنا نقف وقفتين الاولى عندما ينام على بن أبى طالب مكان النبى متشجحا ببرده وهو يعلم انهم يتآمرون على قتل النبى فى تلك الليلة وقد يقتل هو وهو نائم ولكن ماينفسه من شجاعة وإيمان يدعوه دائما ان يعيش ويفنى فى سبيل الله حتى اذا مات فهو حى عند الله لن يموت .

أما الامر الثانى وهو صلوات الله عليه ومعه أبو بكر فى الغار ويصبران بها ثلاثة ايام ويخشى أبو بكر على رسول الله وقد أحس بقريش وهى تقف على باب الغار ولو نظر احدهم لراى رسول الله ورفيقه ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم يقولنا من نفس مؤمنة مطمئنة مستسلمة لقضاء الله يقول [لا تحزن ان الله معنا] .

هذه امثلة بسيطة تدل على ما بالنفس البشرية من روح تدعوه دائما الى أن ينسأدى ربه فى سره وعلمه فى سرائه وضرائه فى افراحه وأحزانه فى غناه وفقره وأنى لأذكر شخصية كان لها فى الحياة كل ماتريد وتتمنى لاينقصها المال فتشكو ولا تنقصها الصحة فتدعو ولا البنين فتطلب وهكذا عاشت

لاتخشى شيئا ولا تعرف ربا حتى بلغت منتصف العقد الخامس من عمرها وفى احدى رحلاته ونزهاته فى صحراء مصر كى الجبل الذى كان يقله وأصيبت رجله اليمنى بكسر فصرخ متألما للمرة الاولى فى حياته عندئذ قالها من غير وعى او تفكير « يارب » وهكذا يحدثنا القرآن الكريم [وإذا مس الانسان الضر دعانا لحنه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضره مبسه كذلك زين للمسرفين ماكانوا يعملون] .

وان دلت هذه القصة على شىء فهى على ان بالنفس البشرية نزعة خفية تدعوه دائما الى الإيمان وتدعوه دائما الى الاتجاء الى الله الذى خلقها فسواها ورزقها وأحيها وسبحانه وتعالى القائل [ونفس وما سواها فالههها فجورها وتقواها قد افلح من زكاهها وقد خاب من دساها] .



و... سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ

تلميذ مخلص صادق في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم... تعلم فيها الايمان... وتعلم منها البطولة... وتعلم عنها الفداء... حتى أصبح واحدا من أفضل الرجال يوم يكون القتال وأعظم قواد التاريخ عند تصارع الأبطال.

وقد دخل سعد الإسلام مبكرا... وفي مكة... ولم يزد عمره يومذاك عن ثمانية عشر عاما... وكان يومها زينة شباب القوم وفخر عائلته يتباهون به على كل الناس...

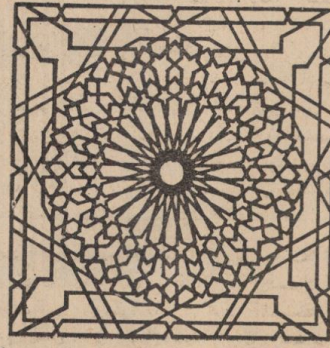
ووراء أسلامه قصة... فقد كان يحب أبابكر رضي الله عنه ويعتز بقربه منه... وعلم أنه ترك دين قریش واتخذ طريقا آخر دعا إليه سيدنا محمد بن عبد الله قدوة سعد والف روحه... ولم يعد من اليسير على سعد أن يلتقى بأبي بكر فان معنى ذلك إثارة قومه عليه وغضبهم منه.

ومرت الأيام... وضاق سعد بكتمان عواطفه... وبكل ما يراه من حوله... ويعنف الشباب المبكر راح يبحث عن أبي بكر رضي الله عنه حتى وجده وأخذ يحاوره في أمر الدين الجديد... ووجد أن أبا بكر على صواب دائما... وأنه هو سعد يسير في ضلالة أن لم يلحق به... ويومها لم يتركه سعد إلا بعد أن ذهب به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلن إسلامه... ومن يومها وهو ملازم للنبي... إذا كان عنده أكثر من رسول فهو جزء منه... وهو معلمه... وهاديه إلى طريق الله... وهو الذي يصنع منه مع الأيام رجلا تهتز له الدنيا.

وبدا ابتلاء هذا المؤمن الشاب... وبقوة الايمان الذي تعلمه من دينه وقف يواجه كل الدنيا وكل الفتن... وكانت أول معاركه وأصعبها على قلبه مع أمه فقد كان معروفا مدى حبه لها... ومدى حبها له... وأصبح بره بها مضرب الامثال بين الناس... وفكر قومه بعد محاولاتهم الفاشلة معه في ترك دينه أن يضعوا أمه في طريقه وهنا يصف سعد نفسه هذا الموقف فيقول (لما أسلمت وكنت رجلا باراً بأمي قالت يا سعد ما هذا الدين الذي أحدثت... لتدعن دينك أو لا أكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي...).

فقلت: لا تفعل يا أمي فاني لا أدع ديني... ومكثت يوما بأكمله لا تأكل ولا تشرب فأصبحت وقد جهدت فقلت: والله لو كان لك ألف نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت هذا الدين لشيء فلما رأيت ذلك أكلت وشربت... (و...). وخذ القرآن الكريم له هذا الموقف يقول الله تعالى: «وان جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا...».

ويمضي سعد في طريق الايمان... ويقرب مجلسه دائما من النبي عليه الصلاة والسلام... ويحفظ كل ما ينزل به الوحي الامين... وكل تعاليم الرسول العظيم...



سعد

ابن

أبي وقاص



الاستاذ صلاح عزام

و ٠٠ ويؤدى صلاته هو وبعض أصحابه فى شعاب مكة حيث أمرهم الرسول أن يخفوا أماكن عبادتهم لكيلا يتعرضوا لايذاء المشركين والكفار ٠٠

ومرة أخرى يتعرض سعد للابتلاء - فقد أراد بعض نفر من المشركين مضايقته ومنعه من الصلاة - وايذائه فترقبوه ٠٠ وتتبعوه ٠٠ حتى عرفوا مكان صلاته هو وأصحابه وأرادوا منعهم من الصلاة ٠٠ وبدأوا يسبون النبي والاسلام ٠٠ ويومها لم يملك سعد ثورته وإنما بدأ جدالا مع هذا نفر من المشركين - وانتهت الى الاشتباك معهم فى معركة أدت الى شج كبير هؤلاء النفر فسال دمه على أرض مكة غزيرا ٠٠ وغرالباقون ٠٠ وكان هذا أول دم لمشرك يسببه مسلم من أجل دينه واستمر سعد وأصحابه فى أداء صلاتهم ٠٠ بل بعدها بدأ سعد فى الجهر بصلاته تحديا لكل مشركى مكة ٠٠



ويهاجر سعد الى المدينة ٠٠

ويبدأ حياة جديدة ٠٠ عمل ٠٠ وعلم ٠٠

وجهاد ٠٠

ويحدد موقفه فى المعارك الاسلامية الى جوار النبي ٠٠ يفديه بعمره ٠٠ ويقا تل دونه الدنيا كلها ٠٠ وتتفتح فى سعد عبقريته العسكرية فى الغزوات ٠٠ وشهد سعد مع النبي الغزوات كلها ٠٠ وكان له موقف رائع يوم أحد سجله له الرسول عليه الصلاة والسلام ٠

وأصبح فخرا له عبر الأيام ٠٠ ففى أحد ٠٠ وقد حدث فيها ما حدث لم يتحزخ سعد عن مكان رسول الله - وظل يقاتل رغم اصاباته الشديدة المشركين ٠٠ ويصد السهام الموجهة الى النبي ٠٠ ويتنزعها ويردها عليهم ويزداد اقدا ما ٠٠ وهو يسمع والناس من حوله صوت الرسول يطمانه ٠٠ ويدعو له ويشجعه ٠٠ (ارم سعد ٠ ارم أيها الغلام القوي ارم فذاك أبى وأمى ٠٠)

وبعدها عرف الناس مكانة سعد من النبي ٠٠ وازداد حب الرسول العظيم له ٠٠ فما فدا الرسول أحد بأبيه وأمه مثل قوله لسعد ٠

وينقل الرسول عليه الصلاة والسلام ودعائه لسعد يحفظ له مكانته بين المسلمين ٠٠ بقوله (اللهم استجب دعوته وسدد رميته ٠٠)

ويعيش مع صاحب بكل طاقاته ٠٠ يسهم فى حروب الزدة ٠٠ ويشير عليه بالرأى ٠٠ ويقضى على الفتن ٠٠

ويستمر سعد كما كان أيام النبي - مجاهدا صادقا ٠٠ عابدا ٠٠

ويتولى عمر بن الخطاب امرة المسلمين ٠٠ وتسير الامدادات لجيش المسلمين الدعاة فى جهادهم ببلاد فارس ٠٠ ويبحث عن قائد جديد له ٠٠ فيشير عليه

الناس من حوله ببطل أحد ٠٠ ويبحث اليه امين المؤمنين عمر ٠٠ ويكلفه بقيادة جيش المسلمين الى فارس ٠٠ ويوصيه طويلا ٠٠ فيقول (يا سعد ٠ يا ابن أم سعد لايفرنك فى الله أن يقال خال رسول الله ٠ وصاحب رسول الله ٠ فان الله لا يمحو السى بالسىء ولكن يمحو السىء بالحسن ٠ انه ليس بين الله وبين أحد نسب الا طاعته الناس شريفهم ووضعهم فى دين الله سواء يتفاضلون بالتقوى ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الامر الذى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه ٠٠)

وسان سعد الى فارس ٠٠ ولزم الخط الحمضى الذى تعلمه من رسول الله ٠٠ وقاد معركة القادسية ٠٠ وكان يصرخ فى المسلمين يذكرهم برسول الله وأيام رسول الله ٠٠ وكان يعلمهم قوله ابن الخطاب له فى رسالة ٠٠ (انما تنصرون على أعدائكم بتقواكم الله ومعصيتهم اياه) ٠

ومن القادسية ٠٠ فتح على المسلمين أرض فارس وما وراءها ٠٠

وبعد القادسية ٠٠ كان على تلاميذ النبي أن يعلموا المسلمين الجدد ٠٠ ماتعلموه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ وكان على الدعاة القادة منهم أن يختاروا مواقع جديدة للدعوة ٠٠ فكان أن وقع رأى سعد على مكان يقام فيه بلد جديد ٠٠ تنطلق منه الدعاة ٠٠ وترتفع فيه الرايات المحمدية ٠٠ وأنشأ برأى عمر الكوفة وولاه عمر امرها ٠٠ مدة من الزمن وشهد المسلمون القدامى والجديد أيام سعد روائح النبوة من علم وحكم خال النبي ٠

ولكن لامر ما ٠٠ رأى عمر الاستفادة بسعد فى آخر أيامه الى جانبه ٠٠ فاستدعاه ٠٠ وأقام فى المدينة طويلا ٠٠ عابدا ٠٠ معلما ٠٠

وعندما حضرت عمر الوفاة ٠٠ أوصى بسعد أن يكون واحدا ممن يقع عليهم الخيار ليخلفه ٠٠ وقال فى وصية له (ان ولى سعد الخلافة فذاك والا فأتى أوصى الخليفة أن يستعمله فأتى لم أعز له عن عجز ولا خيانة ٠٠)

وفى عام الفتنة أثر سعد الاعتزال والاعتكاف ٠٠ بعد أن تقدم به العمر ٠٠ ورفض الانحياز الى أى من الفريقين المتنازعين ٠٠ ورفض عروض الخلافة أيضا ٠٠ حتى كان العام ٥٥ هـ من الهجرة فحضرت الوفاة وقد بلغ من العمر ٧٢ عاما قضى منها فى الاسلام ٥٦ عاما مجاهدا مناضلا ٠٠ معلما ٠٠

ومن على فراش على اطل على واحد من أولاده بكيه فاستغرب ذلك ودعا برداء كان يرتديه يوم بدر ليكفن به ٠٠ ثم نظر الى ابنه وقال : (ما بيكيك انى أقسم على ربى أنه لايعذبنى) ٠

وانتهت حياة ٠٠ خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠

السيدة فاطمة الزهراء

الزهراء ، وانه صلى الله عليه وسلم رزق من مارية القطبية ولد اسمه ابراهيم ، وترتيب بنات الرسول صلى الله عليه وسلم في الولادة هن : زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة ، اما البنون فهم القاسم وهو اكبر اولاده وبه كان يكنى وقد ولد قبل النبوة بمكة وتوفي بعد عامين من عمره ، ثم ولدت له خديجة بناته الأربع بالترتيب الذي ذكرناه وولد له صلى الله عليه وسلم في الاسلام ابنه عبد الله وهو الذي كان يلقب تارة بالطيب وتارة بالطاهر وهي القاب معروفة مشهورة بين كتاب السير ويعرفها اقل الناس معرفة باسلوب الكتابة والتاريخ ولكن (لامنس) جعل هذه القاب اولادا آخر لرسول الله قاصدا متعمدا ، ولقد مات عبد الله بعد القاسم ثم قال العاصم بن وائل السهمي عند ذلك (قد انقطع ولد محمد فهو ابتر) ونزل الوحي من عند الله بقرآن كريم (انا اعطيتك الكون فصل لربك وانحر ان شانك هو الابتر) اي انا اعطيتك السيدة فاطمة فقلت في حاجة الى بنين لان العرب كانوا في الجاهلية يعتقدون ان الولد عصب لابيه ، اما ابراهيم فولد ستة ثمان ومات وهو ابن ستة عشر شهرا وقيل ثمانية عشر في سنة عشر من الهجرة ... يقول (لامنس) في ميلاد السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها ومعه بعض المستشرقين ، بان جعلها هي البكر لبنات الرسول صلوات الله وسلامه عليه والواقع انها كانت صفوى بناته وذهب (لامنس) الى الاستناد الى بعض المؤرخين ولم يذكرهم باسمائهم شأنه في كل قول مختلف في الكتب التي ألفها ثم ذهب الى ان كتاب السير أرخوا ميلاد السيدة فاطمة الزهراء حتى يكون في سن الفتوة حين يخطبها علي بن ابي طالب وحتى لا يقال ان خطوبتها قد تأخرت كثيرا عن اخواتها وان احدا لم يهتم بها ولم يطلبها ولم يفكر فيها ولكن فاته ان جميع كتاب السير اجمعوا على ان زينب ورفقه تزوجتا قبل فاطمة وان رقيه تزوجت بونثى هو ابن عمها ابي لهب وقد كان قبل النبوة وقيل نزول آية التحريم وينزلها طلقت منه وكذلك ما كان في شان زينب بكر بنات الرسول كما سبق ذكره وان آية التحريم نزلت بعد الهجرة وفي المدينة ، ثم هناك الدليل الاهم وهو هل كان علي بن ابي طالب بعيدا عن بيت رسول الله حتى يفتى عليه الامر ليقال له ان فاطمة صغيرة في السن او كبيرة ؟ . لم يعلم (لامنس) ان عليا تربى في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ! .. وان ميلاد السيدة فاطمة كان قبل الهجرة بخمس سنوات وكانت أمها السيدة خديجة في الخامسة والخمسين من عمرها وأي رواية غير ذلك فضلال وكذب واغتراف .. كما ان حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم العائلية كانت حياة هادئة وانه كان يرغب في العزلة وقد اتخذ غار حراء

يقوم الامام الاكبر وحجة الاسلام ابو حامد الغزالي في مقارنة بسيطة بين اهل الايمان واهل الجحود والكران وتحليلا للنفس والقلوب . يقول (ففس عقيدة اهل الصلاح والتقوى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين ، فنرى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والمصاوغ) . اذا فالمدار ليس في سعة اطلاع (الاب لامنس) وكثرة كتبه المؤلفة والتي نشرها عن الاسلام والعرب في شتى العصور والازمنة ورمى بها المسلمين بما تخيله انه على صواب ، وفاته ان الكلام بدون حجة معبره للكاتب وسقوط لهية القلم الذي يمسكه ليخط له انكاره التي لا تخرج عن افكار المتعصبين من المستشرقين وغيرهم ولهم في ذلك وديان تعلموا الصيد فيها وعادوا منها بخفي حنين لم ينلهم الا الخزي والويل ولانهم بنوا قصورا على غير اساس ... وبقي الدين الاسلامي برجالة والذين جاهدوا في سبيل اعلاء كلمته كالطود الشامخ ولهم تاريخ مشرف لا ينكر بانهم عاشوا في عزة الاسلام فحافظوا على كرامته وسلامته مضحين بكل غال ونفيس ، ثم ربطوا عزتهم وكرامتهم بعزة وكرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ايماننا منهم بانه عليه الصلاة والسلام هو النبي العظيم المرسل والواسطة القوية التنظيمية المتبره والحبل المتين لنشر الاسلام وتعاليمه ومن عند الله ، ثم ربط رسول الله صلى الله عليه وسلم عزته بعزة الله فأقام الدين الاسلامي وأرسى قواعده لم يخف تهديدا ولم يهب وعيدا من المخلوقات مهما كثر عددهم وعندهم وسواء قربوا منه ام بعدوا عنه ، ونجحت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر الدين الاسلامي في كافة بقاع الأرض بالحجة الدامغة والقوة الالهية الدافعة . وبوقوف رسول الله الى جانب الحق فكان الحق معه فانتصر . . ولما لم ينجح (لامنس) وامثاله في الخوض في بحور الاسلام العميقة الغور والاثر والواضحة البيان والقوية في البنيان ، راح هو وامثاله يكتبون عن بيت رسول الله وابناؤه ظنا منهم انهم وجدوا ضاللتهم ولكن خاب ظنهم اذ انهم جليوا لانفسهم عارا واى عار اعظم مما يلحق الكاتب في شهرته بسقوطه من بين الكتاب كسقوط القائد المهزوم بين جنوده في ملحمة الجيش مع العدو عند المعركة فلا يرى الا وقد داسته اقدام جنده بعد ان كان مرفوعا فوق الرموس ، لقد تعرض (لامنس) في كتابه عن بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب عن السيدة فاطمة الزهراء وعن حياتها بكلام لا يستند الى دليل . نحن نقول باننا نعلم من اصح الاقوال التي اجمع عليها السلف الصالح ان رسول الله رزق من زوجته خديجة ابناها هما القاسم وعبد الله ، واربع بنات هن زينب ورفقه وام كلثوم وفاطمة



الدكتور عبد السلام الشاذلي القصي



الحقيقة ...

هكذا قال لامنس في كتابه .. وللد علي .. ان اغفال ذكر بنات الرسول وزوجاته والكتابة عنهن في عهد الاسلام الاول انه لم يكن للمرأة شأن في السياسة الاسلامية والدين . ولهذا كان الكتاب يكتبون عن رسول الله وكبار الصحابة والقواد والمشنوق الاسلاميه والقرآنية البحتة ، ولا نعتقد انهم في اغفالهم هذه السيرة العطرة قد احدثوا خرقا في الدين الاسلامي ولا نقصا في اصحابها او في بيت النبوة ولكن سيرتهم العطرة النظيفة مشهورة بين الناس وفي بيت رسول الله كانت حياة هادئة ناعمة عائلية دارسة واعية مطلعة الى نجاح الدعوة الاسلامية واهلها يتلقن الكلمة من رسول الله فيحفظونها وينظرون لتصاحبه فيعملن بها ولها كالتلميذ امام معلمه سواء بسواء .

ولقد كانت السيدة فاطمة الزهراء في بيت والدها صلى الله عليه وسلم خلافا لكل بناته موضع حبه واحترامه وعطفه وحنوه وكانت احب بناته الى قلبه واشبههن به في خلق وخلق ونحن نجزم ان سلوك النبوة في والدها العظيم سيدى رسول الله ، مسها جزء منه فجعلها وصيرها تقطع حياة الطفولة والآنسة في تطلع بعين الى حياة اخرى باقية تاركه هذه الدنيا وما فيها من بهجة وزينة كما تركها والدها صلى الله عليه وسلم ولعل ذلك جاءها من كثرة خدمتها لرسول الله والبقاء الى جانبه زمنا طويلا واهتمامها بشئونه بعد ان بلغت السيدة امها خديجة من الكبر ما جعلها لا تستطيع القيام بخدمة صلى الله عليه وسلم وكفى لفاطمة الزهراء رضى الله عنها شهادة والدها النبي المرسل اذ يقول (ان الله يفضي لفضيك ويرضى لرضاك) ويقول (فاطمة منى ، يؤذني ما اذاها ويريني ما راياها) وهو قول فريد لم يذكره رسول الله في احد من زوجاته او بناته او اولاده المذكور . وقد شهدت السيدة عائشة رضى الله عنها لفاطمة الزهراء فقالت (ما رايت افضل من فاطمة الا والدها صلى الله عليه وسلم) ... ولقد احاط الحزن بالسيدة فاطمة من صغرها وظلت تبكي ما شاء لها حتى لم يمنحها ذلك بعد زواجها بابن عمها (عليا) كرم الله وجهه . فقد كانت خشيونة العيش والانهمك في شئون بيت تمر عليه الليالي والايام واصحابه لا يجدون طعاما وانهم يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وانهم يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيمنا واسيرا ، وان الزمن كله في عمر فاطمة الزهراء كان جهادا في سبيل الله وتفكيرا في عواقب الامور ... وقد حمدت السيدة فاطمة الزهراء ربهها ورضيت ما يرضى رسول الله عن طيب خاطر لانها كانت ترى ان والدها سيدى رسول الله وهو على هذه الحالة القدوة الحسنة لها والامل بالاسم للالتقاء به في عالم آخر عظيم في الثوبة والاجر ... ولعل من حب رسول الله لفاطمة الزهراء ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يخرج من (الدينة) حتى يرى (فاطمة) فاذا عاد دخل المسجد فصلى ركعتين ثم ذهب ليرى (فاطمة) قبل بيوت ازواجه . ولقد سأل على بن ابي طالب رسول الله يوما فقال (يا رسول الله انا احب اليك انا ام فاطمة ؟) فقال عليه الصلاة والسلام : (انت اعز علي منها ، وهي احب الي منك) والعزة ترفع صاحبها فوق الرؤوس والحب يسكن صاحبه القلب . وروى عن مجاهد انه قال (رايت النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ بيد (فاطمة) ثم اقبل عليها فقال من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي (فاطمة بنت محمد) وهي بضعة منى ، وهي تلبى وروحي التي بين جنبي ، فمن اذاها فقد اذاني ، ومن اذاني فقد اذى الله عز وجل) ومن هذا كله فقد كان رسول الله لا يطيق فراقها والبعد عنها ولعله صلى الله عليه وسلم كان يرى ببصيرة النبوة انها عندالله في منزلة شهد هو بنفسه منزلتها فوضعها في المكان اللائق بها بين قلبه ونفسه وكيف لا يضعها والله جل جلاله يفضي لفضيها ويرضى لرضائها .

وفي هذا الكفاية للرد على (الامس) لنقول له ان من شهد له كتاب الله وشهد له رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . لا يحتاج الى اقلام المؤرخين امثاله او من غيره سواء حسنوا القول ام اساءوا فيعد كتاب الله وقول الرسول لا تقبل الاقوال ولا تكتب الاقلام .

وفي العدد القادم نكتب عنها رضى الله عنها (فاطمة الزهراء وحياتها الزوجية) اسأل الله لي ولكم حب الله وحب رسوله وحب آل البيت العظيم لنحوز رضاهم ونظللنا الرحمة . وما نوفيقي الا بالله

اطيب مكان وجد فيه بغيته وقد هياه الله له ليلقى عليه فيه وامره وكلامه جل شأنه حتى نزل عليه الوحي بالقرآن الكريم (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق) ومثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الحالة نل موسى عليه السلام حينما قال (اني اتست نارا لعلني اجد على النار هدى) فلما وصل الى مكانها ناداه ربه وكله وقال لموسى (فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى) اذا فقد كان غار حراء مكانا اختاره الله لنبية صلى الله عليه وسلم استعدادا لتحمل الرسالة والنبوة .. ولقد ساعدت السيدة خديجة رسول الله في كل باب من ابواب الخدمة الزوجية الزوجية الصحيحة في هذه الحالة فاعادت له الطعام والشراب الذي يكفيه صلى الله عليه وسلم كل يوم حتى اذا ما انتهى اعدت له غيره وساعدته في هذه العزلة بمساعدة فعالة ومع ان النساء لا يرغبن من رجالهن البعد عنهن ولكن السيدة خديجة كانت بخلاف ذلك فقد رضيت ببعده مع شدة حبها لرسول الله ... ولقد كانت تحس بدراسة عميقة في حياتها الزوجية لرسول الله وبالإطلاع على احواله قبل النبوة انه صلى الله عليه وسلم شيء آخر ولون جديد وليس مثله في الرجال وهي التي تزوجت قبل رسول الله . وصفاته ليست كمصفات البشر لان الانسان معرض للنقص والكمال والخروج بين هذا وذاك بلون من الالفاظ اما حسنه او سيئه ولكنها وجدت في رسول الله صلى الله عليه وسلم الكمال الكامل والاخلاق الحميدة قولا وفعلا فعرفت بفريزتها انه لا يد وان يكون (محمدا) هو النبي المرسل الجديد .

يقول (لامنس) في كتابه فاطمة بنت محمد .. انه لكي نصل الى صورة حقيقية لفاطمة يجب علينا ان نترك الاكالييل الذهبية التي عقدها المؤرخون على مفرقها وأن نعرض لها وفاقا للتقيد التاريخي المعاصر ، فقد كانت فاطمة في حياتها وفي بيت والدها تعامل معاملة عادية من والديها ، ومن غير والديها من الصحابة وغير الصحابة ، وليس هناك ناحية واحدة ترى فيها فاطمة تستمع بحظوة واحترام يفوقان ما كانت تستمتع به بدويات ذلك الزمن .. ولم يكن شأنها في بيت والدها خطيرا ظاهرا الاثر ، بادى الخطورة ، بل لقد كان خطرها اقل شأنا من خطر عائشة وحفصة وزينب وغيرهن من نساء النبي ، ولكي نناكد من ذلك علينا ان نطلق البصر في السير القديمة كسيرة ابن هشام مثلا ، عن فاطمة ذكرت في هذه السيرة مرتين فقط (ابن هشام ص ١٢١ ، ٧٧٦) .. (الى ان قال) اما هذا الاكبار والمتميز والتفديس الذي يستمتع به اهل البيت اليوم فقد نشأ في الجيل الثاني ... ثم باقى ما كنهه بعف القلم ان يكتبه لانه ظاهر في معناه ويدل على حقد صاحبه ونعصمه ويده عن

جعفر بن أبي طالب

الأستاذ عبد القصور هبيب



— جده وجد الرسول — وسيد مكة وزعيم قريش .. ترك لابنه أبي طالب والد جعفر عينا كان يحمله عنه وهو تربية أبنائه الكثيرين فزاد العباء على أبي طالب : أبناء كثيرون وضيق في العيش .. فاتفق النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه العباس وكان موسرا أن يأخذ كل منهما ولدا من أولاد أبي طالب يتولى تربيته والاتفاق عليه وذلك تخفيفا عن أبي طالب .. فدخل على في كفاة ابن عمه رسول الله ودخل جعفر في كفاة عمه العباس وأسلمت أمه في أول الدعوة فكانت الحادية عشرة في الاسلام .. ولما نزلت آية مبايعة الرسول للنساء فكانت هي أول امرأة بايعت .. ولما ماتت دفنها الرسول بالروحاء وألصقها قميصه وصلى عليها ونزل لصددها واضطجع في قبرها وأحسن التناء عليها فقالوا :

— يا رسول الله .. ما رأيك صنعت بأحد مثل ما صنعت بها

فقال عليه الصلاة والسلام ..

— انه لم يكن بعد أبي طالب أبر بى منها .. واني انما البستها قميصي لتكسى من حل الجنة واضطجعت معها في قبرها ليهون عليها .

الصبر والمخالبة وظل الامر كذلك حتى اذا ما اشتد عليهم وابتعد الامن عن حبانهم بين هؤلاء القوم ذوى العصبية المارمة وحل محله الخوف المقيم .. فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهاجروا الى الحبشة فرارا بأنفسهم وبدينهم والله معهم حيثما كانوا وأينما رحلوا .. فهاجروا وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة .. وكان هؤلاء المهاجرون الى الحبشة قرابة المائنة غير ما صحبهم من نساء وأطفال .. خرجوا من مكة لولاذا في غفلة من قريش يتوارون منهم خلف استار الكلمة مخلفين وراءهم الدور والمناخ والأموال والأهل والعشيرة ومواطن المساعير والذكريات .. كل ذلك في سبيل دين الله .

وكان من بين هؤلاء المهاجرين «جعفر ابن أبي طالب» .. فمن هو جعفر ؟

هو بادئ ذي بدء ابن أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخ لعل كرم الله وجهه وأمه هي فاطمة بنت أسد بن هاشم .. ولما مات عبدالمطلب

اشتد ايذاء المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه على دين الاسلام ، واستفحل العداء لهم ، ولم يخفف من غلواء هذا الايذاء الذي يصوبونه على المسلمين أن من بينهم اقرباء لهم ومن بطونهم وسادة بينهم واصحاب جاء وتراء مثل أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وعبيدة بن الجراح وجعفر بن أبي طالب وغيرهم من أمثالهم كثير آمنوا بالاسلام دينا قيما ينسأى بجلال الله الى الوحدانية والفرد ويرتفع بعقل الانسان عن زائق الشرك وعبادة الاوتان ويقوم المعوج من اخلاق الناس ويصلح ما فسد وأختل من نظام حبانهم وينثر عليهم ظلال العدل والرحمة والمحبة والسلام .

لم تقل وشيخة النسب او القرابة ولا مظاهر الجاه والقراء ولاشرف الموقع في المجتمع .. لم يقل ذلك كله من غلواء الحق والايذاء .. بل اشتعلت قلوب المشركين غيظا وسخطا فاوغلوا في هؤلاء المؤمنين بطشا وتكبرا وصبوا عليهم ضراما وعدايا وببلا .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يرى هذا غيلاه الاسى والحزن ويرثى لهؤلاء الصحابة الكرام ويدعوهم الى

أما جعفر فقد أسلم وهو دون العشرين من عمره .. أسلم ولما نزل الدعوة سرا في مركزها الذي اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم ابن أبي الأرقم .. وأسلمت معه زوجته أسماء بنت عيسى .. فأنضم اسماهما إلى قائمة الشباب الذين آمنوا به بعد منذ بدأ دعوته وأبدوه وناصروا شريعته وبذلوا في سبيلها النفس والتعبس .. أولئك الذين كانوا شبابا في ربيع أعمارهم ثم تزكت حواسهم الفنية بروح الإسلام وبنور الإسلام فصهرت أشباحهم بالارواح الظاهرة المظلمة إلى ما عند الله أكثر من تظلمها إلى زينة الحياة ومتاع الدنيا .. صفت نفوسهم واسترخصوا كل ما في الحياة من دون دين الله .. ولأقوا بالآقوا من عذاب المشركين تمنعهم وهم في قمة من السعادة لانداني وفي قمة من الصبر والمخالب لا تصل إليها قوة بشر .. وهذا جعفر بن أبي طالب من بينهم رمز للمزجبة المؤمنة والنفس الخالصة من كل شيء إلا من الله ومن دين الله ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء أمر الرسول بالانبعث إلى مكان غير مكة خارج حدود قريش .. ابتعادا عن عذابهم ونايا عن حقدهم وفراراً بدين لا يزال انصاره قليلين في وجه الكثرة المشركية الطاغية الباغية التي كان ينبعث عنادها للرسول ورسالته من منطق الحقد والمكابرة والتعصب للقبيلة كما في قول أبي جهل :

— نأزغنا نحن وبنو عيسد مناف الشرف : اطعموا فاطمينا وحملوا نحمينا وأعطوا فاعطينا حتى إذا نأزغنا على الركب وكنا كغرس رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى نترك هذا ؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدق .

هكذا بلغ اضطهاد المشركين للمسلمين أقصى مداه .. وشق على النبي صلى الله عليه وسلم أن يصيب أصحابه من العذاب ما يصيب عليهم وعز على نفسه الكريمة أنه لا يقدر على أن يمنعهم منه .. فنصح لهم قائلا :

— تفرقوا في الأرض فإن الله سيجمعكم .

فقالوا مستفسرين :

— إلى أين يا رسول الله ؟

فقال عليه الصلاة والسلام :

— لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه .

فهاجر إلى الحبشة من المسلمين الأوائل فوجان : الفوج الأول وفيه خمسة عشر رجلا وامرأة وفيهم رقية بنت الرسول وزوجها عثمان بن عفان والزبير ابن العوام . والفوج الثاني وكان مكونا من ثلاثة وثمانين رجلا بينهم جعفر بن أبي طالب وامراته أسماء بنت عيسى وأبنائهم محمد وعبد الله وعوف وكان ذلك في السنة الخامسة للهجرة الجديدة . ثم ما لبثوا أن استنظفوا بلاد الحبشة .. وتواردت الأخبار إلى مكة أن هؤلاء القوم الذين فضلوا الهجرة والفرية وتركوا الأهل والأموال والأرض والأولاد في سبيل الله .. هؤلاء القوم قد طابت لهم أرض وطنها ولأنوا بها فوجدوا فيها مقاما طيبا ودارا آمنة وملكاً مناسما لا يظلم فعلا عنده أحد .

.....

كانت قريش — لما افأقت على هجرة هؤلاء — تأمل أن تنهيهم الفرية عن البقاء هناك فيعودون ليتجدد تغذيتهم وإجاعتهم والنشفي فيهم فكانت الفرصة قد سنحت لأخيهام ذلك النور الذي يشرق من رسالتهم التي هاجروا من أجلها وتركوا وراءهم كل شيء دونها .

ولكن هاهي الأخبار غير ما كانت تأمل قريش : طاب للمهاجرين مقام في الحبشة .. يقيمون أنفسهم على الدين الذي هاجروا من أجله لا يفتنوا فيه .. هال قريشا أن يخرج من بين أيديهم النور الذي حبسوه ليظهر في الحبشة بعيدا عن اضطهادهم واحقادهم .. ثم ينقل منها إلى غيرها فيصبح أمر محمد وصحبه ورسالته أمرا عظيما في القبائل العربية ثم يمدد إلى أقطار الأرض ويعلم بذلك شأن بني عبد مناف في الأرومة العربية وأن هذا لنكرهه قريش أشد أنواع الكراهية تشبها بالكبراء وتعلقا بالمصيبة

جن جنونها لذلك ولأبد لها أن تفعل شيئا فالأمر يهددها .. بل وهي تخطئ أن يأتي وقت قريب ويطبق عليها فيقضها من أركانها .. فأخارت اثنين من دهانها هما : عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص لكي يفاوضا التجاشي ملك الحبشة في أمر استعادة هؤلاء المهاجرين وليفسدا ما بينه وبينهم من مودة وحماية جوار حتى يلقظهم من أرضه فيعودوا إلى قبضة الكفار في قريش وزودت قريش هذين السفيرين بهدايا مما هو مستطاب من أسواق مكة لدى التجاشي وبطارقته . وبدأ الوافدان من قريش ببطارقة التجاشي .. وأعطاهم الهدايا التي أعدت لهم فقبل كل بطريق هديته ووعده بالمعاونة في الأمر عند اللقاء مع التجاشي .

ثم تقدم عمرو وعبد الله إلى التجاشي ووضعا هديته بين يديه وقال له :

— أيها الملك .. أنه قد ضوى إلى بلدك شلهان منا سفهاء فارقوا بين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين أبدهوه لا تعرفه نحن ولا أنت . وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من أبايهم وأعمامهم وعشائرتهم لتردهم إليهم .. فهم أبصر بهم وأعلم بما عابوا عليهم وعابوهم فيه فالتفت التجاشي إلى البطارقة فرأى منهم تأييدا لقول الوافدين ونصحا بأن يسلمهما المهاجرين :

ولكن التجاشي بحاسة العدل في قلبه والحكمة في تصرفه أبى إلا أن يتسائل هؤلاء التفر الذين يجد قومهم في استعادتهم ويسمع رأيهم وينظر في أمرهم على ضوء ما يرى منهم ويسمع وما يسمع وأمر باستدعاء رجال منهم فاجأوا وبينهم جعفر ابن أبي طالب متحدثا بأسسهم ومدافعها عن قضيتهم .. فقبل :

— من القادم ؟

أجاب في نبات واعتداد

— جعفر بن أبي طالب ومعه حزب الله

ولما صار أمام التجاشي لم يسجد له مثلما يفعل قومه .. فقال له أحد البطارقة المحيطين بالملك

— مالك لتسجد للمكينا العظيم

نقال جعفر

— معاذ الله أن نفعل ذلك . أنا لا نسجد إلا لله عز وجل

وبدا التجاشي أسئلته فقال :

— ما هذا الذي فارقت فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل فأجاب جعفر قائلا :

— أيها الملك .. كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسئ الجوار وبأكل القوى منا الضعيف .. فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونطلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل ما بينهم وقذف المحصات وأمرنا أن نعبد الله وهذه لا تشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به وانبهنا على ما جاء به من الله فعبدا لله وهذه فلم نضرك به شيئا وهرمنا ما حرم علينا واحلنا ما أحل لنا فمدا علينا قوما فعدونا وفتنونا من ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث .. فلما

تهربونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا تنظم عندك ايها الملك .

فساله التجاشي :

— هل معك مما جاء به عن الله من شيء فنقرأه على .

فقرأ جعفر من اول سورة مريم حتى قوله تعالى : « وجعلني مباركا أين ما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرأ يوالدي ولم يجعلني جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا »

فانثر التجاشي لما سمع من آيات الله البيّنات وبكى حتى اغرق الدمع لحبته . وتوجه بالحديث الى واغدى قريش :

— ان هذا الذي سمعت والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة . . انطلقا . . فلا والله لا اسلمهم اليكما ولا يكادون .

ثم سال جعفرا :

— ماذا تقولون في عيسى ابن مريم

فاجاب جعفر :

— نقول والله ما قال الله وما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم وهو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته التي القاها الى مريم العذراء البتول

فاينسب التجاشي الى المهاجرين اللذان يارضه وقال لهم :

— اذهبوا فانتم امنون بارضى من سيحكم غرم ما احب ان لي جبلا من ذهب . واني اذيت رجلا منكم . وقال لمن حوله من قومه :

— ردوا عليهما (عمرو بن العاص ، هب الله بن ابي ربيعة) هداياهما . . فلا حاجة لي بها . . فوالله ما اخذ الله من الرشوة حين رد على ملكي فاخذ الرشوة فيه وما اطاع الناس في فاطمهم فيه .

عادت رسالة قريش الى التجاشي دون ان تظهر بما ارادت قريش . . وبقي المهاجرون في الحبشة ينعمون هناك بالعيش الرضى وبقيمون شعائرهم في امن وسلام يذكرهم الله ربهم قيساما وفعودا . . ولكنهم يتحرقون شوقا الى لقاء نبيهم المصطفى صلى الله عليه وسلم . . والدعوة هناك في مكة يزيد انتصارها وينتشر المؤمنون بها يوما بعد يوم وتحتضن من كبار القوم رجالا ورجالا . . والحرب بينها وبين المشركين لا تهدأ وتتعقد اشكالها والوان عذابها . .

وفي تلك الاثناء في السنة العاشرة من البعثة المحمدية مات ابو طالب عم الرسول ووالد جعفر فحزن جعفر في مهجره كما حزن النبي لموت عمه وكافله . . وعادت معارك اضطهاد المشركين للمؤمنين الى اشد مما كانت عليه وراى

النبي ان الموقف يزداد الما وائى ولا يمكن ان يستمر هكذا ولابد ان ياخذ مسارا آخر فراح يمد بصره الى ما وراء مكة يستوعب ابعاد المناطق التي يحتمل ان تنتج الاحداث اليها . . حتى جاء الامر للنبي بالهجرة الى المدينة وكان ذلك مبينا جديدا للدعوة ومولدا لانتشارها بين ربوع الارض .

كل ذلك وجعفر مقيم مع المهاجرين في الحبشة حتى يأمرهم الرسول بالعودة هذا هو جعفر بن عبد المطلب مثل ما اسماء واعلاء للشباب المؤمن يقضيه وقوميه وعرويته . . وقُدوة ما احسنها وارفع قدرها . . للجهد والتضحية في سبيل التصرف لدين الله . . وكرامة الامة المسلمة .

جعفر بن ابي طالب . . المجاهد المغترب . . المحتسب . . الصابر . . الشهيد . . الثابت على الحق دفاعا عنه وزودا عن حياضه . .

لم يفخر بنسب او حسب رغم انهما له . . فهو من ارومة قريش بنى عبدمناف ومع ذلك ازدانت سيرته باعمال مجيدة وخالدة . . وتضحيات في سبيل الله قل مثلها . . والقاب كريمة ومحبة عظيمة طوق بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فقد قال :

— اعطيت رفقاء نجباء

وذكر من بينهم جعفر بن ابي طالب

فسلام عليه في الصديقين والشهداء والصالحين . . وحسن اولئك في الجنة رفيقا .



حسابات العملات الأجنبية

يقوم بنك بور سعيد بفتح حسابات بالعملات الأجنبية (بفوائد مرتبة) لمواطني مصر . . ومواطنين غير مقيمين في مصر . . وتزويد العملاء بخدمات المصرفية الإسلامية . .

بنك بور سعيد

خبرنا اتصل بالمصرف فأتت ان الشعب

مت أعلام الصوفية حجة الإسلام الإمام الغزالي رضي الله عنه

الأستاذ عبادة محمد أيوب بن سالم

محصلات الفقهاء والمتكلمين والاصوليين وغيرهم بشكل قلما يسمح التاريخ بتظيره . ثم في الجانب الصوفي : نقف فلا نجد عبارات تحمل المضمون . بل نقف عند ساحل هذا المحيط الرباني وملء أسماعنا هذا البيت الذي زدده الامام الغزالي رضي الله عنه :

فكان ما كان مما لست اذكره

فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

أجل . . لا تسأل عن الخبر فلست تطيق له حملا . والاخبار عما فوق الطاقة فيه تكليف بالعجز . وكثيرا ما يقضى بالخبر الى الانكار والتكذيب . ومن ثم فقد عانى الصوفية الكثير والكثير من عنت المكذبين وسفه المحجوبين لعجزهم عن ادراك ما هم فيه . والسبب يصوره الامام البوصيري رضي الله عنه في قوله :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد

وينكر الفم طعم الماء من سقم

وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت شخصية الامام أبي حامد وفكره وفلسفته ، وتراثه . فان الجانب الصوفي عنده لا يزال — وسيظل — سبرا في مرقاه السامى ، وهيئات أن تتناول اليه الافهام . ونحن كنا قد ظفروا بشيء من المعرفة النسبية فيما يتصل بهذا الجانب الصوفي فانما هو شعاع ضئيل شرب من خلف الحجب لنستدل به على وجود الشمس وان لم نكن نراها ، لان الحقيقة وقف على أهلها . ومن ثم فسنحاول أن نفتح نوافذ القلوب لهذا الشعاع تعشقا للنور وتعطشا للمعرفة عسى أن يقودنا الاثر الى المؤثر .

واذا . . فالحديث هنا انما يستهدف استجلاء الجانب الصوفي عند الامام أبي حامد محاميا

على الدرب المحمدي سار الصفة من جنود الله الذين اقامهم الله حجة لحقه على خلقه فغذى قلوبهم بنور معرفته ، وأغرق ارواحهم في بحار محبته . فهم الخواص والندماء ، وهم الضمائم الاصفياء الذين سجل لهم في كتابه الكريم محكم الولاء : وبشر بما لهم عنده من جزيل العطاء . وحسبك من العلم بهم أنهم قوم آثروا الله على كل شيء فآثرهم الله على كل شيء واستأنز بهم لنفسه شهودا لحضرة ولاسراة وتجلياته . ثم اقامهم في خلقه شموسا تهدي اليه ودلائل موصلة الى جنبابه الاعلى . فرضى الله عنهم وغنا بهم في الدنيا ويوم الدين .

على القمة الشامخة من منازل أولئك الخواص العارفين والائمة المحققين : علم رفعه الله في علياء منازل المقربين ، ورفع ذكره عنده في أعلى عليين . انه الامام العارف زين الدين وحجة الاسلام والمسلمين وحامل لواء الصوفية الواصلين سيدي ومولاي الامام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي قدس الله سره ورضي عنه وغنا به وأمدنا منه بالنفحات والبركات والمدد العظيم .

ان الحديث عن الامام أبي حامد رضي الله عنه — منذ أشرقت شمس في منتصف القرن الخامس الهجري الى الان — قد أجهد أقلام الباحثين وأخذ من أفكارهم وتاملاتهم القدر الكبير . ومع هذا فلا تزال شخصية هذا الامام الى اليوم فيها من الابعاد ما فوق متناول الافكار وما هو أبعد من مطامح العقول . ذلك لانها شخصية حملت طابع التفرد من شتى الزوايا والاتجاهات . فالجانب العقلي عند الامام الغزالي قد أعيا عقول الباحثين ومن قبلهم عقول الفلاسفة الذين تهاافتوا من حول مصباح فكره . وفي الجانب العلمي النقلي نجد موسوعية الامام أبي حامد تستغرق

الصوفية الاكبر ، ناصر قضية التصوف ومؤسس مدرسة صوفية عريقة شيد صرحها من روح هدى الكتاب والسنة فسرى نورها عبر الازمان ليحقق دجى النفوس الابقة من سيدها ويهدى خطى السائرين الى الله تعالى لتستقيم على الدرب وتحظى بالوصول اليه . فلنتعايش مع الجانب التاريخي من شخصية الامام ابي حامد توصلنا للتعرف على النبع الذي يمدنا بالعطاء ولكي يكتمل اماننا النسق الموضوعي فنستجلى حقيقة المضمون الصوفي .

ولد الامام أبو حامد محمد الغزالي رضى الله عنه في (طوس) احدى مدن خراسان سنة ٤٥٠ هـ وكان والده رضى الله عنه من أتفيا الفقراء : وكان له مكان يقرئ فيه الصوف ويبيع به خراسان . وكثيرا ما كان يتردد الى مجالس الوعاظ والفقهاء ويتأثر بما يسمعه هنا وهناك . حتى أنه كان اذا غشى مجلس الفقهاء سأل الله تعالى أن يرزقه ولدا ويكون فقيها ، واذا حضر مجلس وعظ وتذكير سأل الله تعالى أن يرزقه ولدا ويكون واعظا . وتقبل الله منه دعائيه فزرقه بأبنة أحمد الذي كانت الصم الصلاب تلين عند سماع وعظه وتذكيره ومنحه محمدا الذي صار حجة الاسلام وأفقه أهل زمانه لكن المنية عاجلت الوالد الصالح قبل أن يرى ثمرة أمنيته . وقبيل أن يسلم الروح الى بارئها أوصى بابنيه الى أخ صوفي صالح له في الله وقال له ، (ان لي لثاسفا عظيما على تعلم الخط واشتهى استدارك ما فاتني في ولدي هذين فعليهما ولا عليك أن تنفذ في ذلك جميع ما أخلفه لهما) وتعهد الاخ الصوفي ابا حامد وأخاه منفذا وصية أبيهما حتى نفذ ما خلفه لهما من مال فتعذر عليه أن يباشر بنفسه اتمام تحقيق رغبة أبيهما فقال لهما (اعلميا اني قد أنفقت عليكم ما كان لكما . وأنا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فاوا سيكما به ، وأصلح ما أرى لكما أن تلجأ الى مدرسة فانكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما) . . . وبدأت رحلة النور من مبتدئها في طوس ، اذ شرع سيدي محمد في طلب العلم فبعد أن حفظ القرآن الكريم ودرس أوليات العلم تفقه على يد الشيخ أحمد الرانكاني ، ثم سافر الى جرجان حيث التقى بالامام ابي نصر الاسماعيلي وعلق عنه التعليقات ثم عاد الى طوس . وفي طريق العودة كانت نقطة التحول العلمي في حياة الامام . فقد روى الامام أسعد المهني عنه أنه قال : (قطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع ما معي ومضوا فتبعتهم فالتفت الى مقدمهم وقال ، ارجع ورحك والا هلكيت . فقلت له اسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد على تعليقاتي فقط فما هي بشيء تنتفعون به . فقال لي : وما هي تعليقاتك ؟ فقلت : كتب في تلك المخلاة هـ جرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها . فضحك وقال : كيف تدعى أنك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم ؟ ثم أمر بعض أصحابه فسلم الى المخلاة . - قال الغزالي : هذا

مستند نطق أنطقه الله ليرشدني به في أمري . قلما وافيت طوس إقبليت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته وصرت بحيث لو قطع على الطريق لم أتجرد من علمي) ١ هـ - لقد صار صدره بعد ذلك هو تعليقاته التي لا يقدر العيارون على انتزاعها منه ، وصارت حافظته هي كتبه وخزانة علمه . وانفتحت نوافذ العلم أمام الامام الغزالي لكي تغمره بأشراقها وتضئ له الدرب الى الحقيقة . ولقد كان شروع ابي حامد وأخيه في طلب العلم ابتداء - حسب اشارة وصيهما - وإن كان تنفيذاً لرغبة واليهما في قصد العلم لذاته الا أن الظروف فرضت عليهما في البدء طلب العلم لتحصيل القوت . ولكن انوار الحقيقة سرعان ما جذبتهما الى اخلاص العلم لله وصدق التوجه الى الله ومن ثم قال الامام أبو حامد قوله الماثورة (طلبنا العلم لغير الله فابى أن يكون إلا الله) .

ثم بعد أن حفظ الامام الغزالي تعليقاته عن أبي نصر الاسماعيلي في مدى ثلاث سنوات قضاهما بطوس قدم الى نيسابور حيث تتلمذ على استاذ عصره (امام الحرمين) حيث كان رئيس المدرسة النظامية بنيسابور فتفضل على يديه من شتى بحدود العلم حتى بلغ القمة في علوم الفقه والاصول والكلام وغيرها . وشهدت هذه الفترة من حياة الامام الغزالي اندلاع ثورة فكرية عارمة هزت أرجاء نفسه ودفعته الى افتحام غمار البحث والجدل والاستنباطات بنفسه طلعة دؤوبة ، متعطشة للمعرفة . ولقد سجل تاريخه الفكري لهذه المرحلة الحاسمة من حياته في كتابه المنقذ من الضلال فقال : ولم أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين الى الآن وقد أناف السن على الخمسين : أقتحم لجة هذا البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور ، لأخوض الجبان الحذور ، أتوغل في كل مظلمة ، وأتهجم على كل مشكلة ، وأتقحم كل ورطة ، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة ، واستكشف أسرار مذهب كل طائفة ، لأمين بين حق ومبطل ، ومتسئن ومبتدع لا أغادر باطنيا الا ما أحب أن أطلع على بطائنه ، ولا ظاهريا الا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته ولا فلسفيا الا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما الا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا الا وأحرص على العثور على سر صفوته ، ولا متعبدا الا وأترصد ما يرجع اليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا معطلا الا وأتحسس وراءه للتنبيه لاسباب جرأته في تعطيله وزندقته . وقد كان التعطش الى درك حقائق الامور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري غريزة وغيرة من الله وضعتا في جبلتي حتى انحلت عنى رابطة التقليد وانكسرت على العقائد الموروثة . لقد خلع الامام الغزالي ريقة التقليد ليكشف على الحقيقة بنفسه . فصارع أمواج الفكر المتلاطمة ، وخاض عباب البحث والمناظرة ، واستوعب محصلات العلماء

والمفكرين وأعمل ذكاءه الخارق في كل ما قرأ . فنسج شخصيته العلمية والفكرية على منواله هو ، وصار أنظر أهل زمانه ووحيد أقرانه . وشرع في التصنيف في حياة أساتذته الجويني فأذهل العلماء بمؤلفاته . حتى أن شيخه امام الحرمين حينما اطلع على كتابه المنحول الذي صنفه في علم الاصول قال له : (يا بني ، لقد دفنتني وأنا حي .. هلا صبرت حتى أموت) ؟؟

لقد كان انبهار شيخه به يفوق كل حد . حتى أنه كان يقول فيه : (الغزالي بحر مغرق) ولكن عبثاً فهم البعض ممن كتبوا عن الامام الغزالي نظرة شيخه امام الحرمين له حين تألق نجمه في افق العلم فنسبوا اليه الغيرة منه . ولبئس ما ظنوا . فليت شعري كيف تتصور الغيرة في العلم من عالم تقى صوفى كامام الحرمين ؟؟ ولا ادري كيف غاب عن اذهان هؤلاء أن نبوغ الابن منغرة للاب ؟ على حين أن بنوة العلم حينما تنشأ في جو الدين والورع تتضائل دونها بنوة النسب ! ولطالما افتخر امام الحرمين بابنه الغزالي امام مدرسته من بعده .

ثم لما انتقل امام الحرمين الى جوار ربه سنة ٤٧٨ هـ خرج الامام الغزالي الى (المعسكر) وهي محلة بالقرب من نيسابور قاصدا نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ومؤسس مدارس النظامية التي تعد أكبر جامعة علمية لا نظير لها في الدنيا آنذاك . وكان نظام الملك على علم بمكانة الامام الغزالي فاستقبله باحتفاء بالغ . وبالإضافة الى أن نظام الملك كان من أكبر أنصار العلم فقد كان كذلك من أكبر أنصار الصوفية ومحبا للولياء والزهاد وكان يغدق عليهم ويقدمهم على الجيش في النفقات . وقد حدث أن عاتبه الخليفة يوما على ذلك فرد عليه بقوله : -

(لقد أقمت لك عبادا بالليل لو صاحوا لزلزلت الدنيا بخصومك ومادت بهم الأرض) !! ولقد تألق نجم الامام الغزالي في المحافل العلمية التي كانت تعقد في حضرة نظام الملك بالمعسكر فأبدى في مجالسه العلمية ومناظراته ومساجلاته مع العلماء من سعة العلم وعمق النظر والفكر ما أحله المحل الأرفع في قلب الخاصة والعامة لا سيما الوزير فعهد اليه بالتدريس في بغداد بالمدرسة الميمونية النظامية وذلك سنة ٤٨٤ هـ فأعجبه أهل العراق أيها اعجاب وذاع صيته في الافاق حتى لقد كان يحضر مجلسه ثلاثمائة مدرس ومائة من أمراء بغداد وصار الامام الغزالي حديث الدنيا بأسرها وكعبة العلم التي تشد اليها الرجال وصارت تصانيفه ملء السمع والبصر في مختلف فروع العلم . ولكن ماذا بعد ؟ ماذا بعد أن تربع الامام الغزالي على القمة وحاز امانة العراق بعد امانة خراسان ، وأصبح المثل الأعلى للعلماء في ذلك العصر علما وعقلا وموسوعة واجتهادا ؟؟ جاء الامتحان الالهي .. وأقبلت محنة

الشك الاليمية التي عانى منها الامام أيما معاناة . لقد شك في كل المدركات الجسدية والعقلية وأضحى كل ما ينتجه الحس والعقل ضربا من الوهم الذي لا ينتهي الى الحقيقة بسبب وعصفت به أعاصير السفسطة ولم ينقذه منها الا محض العناية الالهية . يقول الامام الغزالي (فأعضل هذا الداء ودام قريبا من شهرين أنا وفيهما على السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق والمقال حتى شفى الله صدرى من المرض وعادت النفس الى الصحة والاعتدال ، ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على امر ويقين ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر . وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف . فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة فقد ضيق رحمة الله الواسعة . ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرح ومعناه في قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) قال ، هو نور يقذفه الله تعالى في القلب . فقبل وما علامته ؟ قال : التجافي عن دار الغرور والانتابة الى دار الخلود) وهو الذي قال عليه الصلاة والسلام فيه : (ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره) فمن ذلك النور ينبغى أن يطلب الكشف ، وذلك النور ينبس من الجود الالهي في بعض الاحايين . ويجب التردد له كما قال عليه الصلاة والسلام ، (ان لربكم في أيام دهركم نفقات ، ألا فتعرضوا لها) .

وخرج الامام الغزالي من ظلام الشك الى نور اليقين . وفي ضوء هذا اليقين الالهي الوهبي قوم الامام معارفه وثقافته من جديد . فحصر أصناف الطالبين للحقيقة في اربع فرق هم المتكلمون والباطنية والفلاسفة والصوفية . ومع هذه الطائفة الاخيرة (طائفة الصوفية) وجد الحقيقة كل الحقيقة . ووجد نفسه بعد أن أنزل الفلسفة من عليائها وهدم بيوت العنكبوت التي اتخذها الفلاسفة حصونا لانفسهم وسبر غور علم الكلام فلم يجده وافيا بمقصوده وفصح الباطنية بعد أن كشف سوء بضاعتهم . كل ذلك قد اجتازه الامام في رحلة البحث عن الحقيقة وما ان انتهى الى التصوف حتى وجد فيه ضالته المنشودة فعكف على علوم الصوفية يفقهها بقلبه ويحس اشراقها في وجدانه فطالع الماثور من اشارات الامام الجنيد وسيدي أبي يزيد البسطامي ومصنفات الامام المحاسبي وأبى طالب المكي رضى الله عنهم وعنا بهم أجمعين وتبها الامام الغزالي للانخراط الكامل في سلك القوم ودخل حياة قوامها العبودية الصادقة لله تعالى ، وانغمس في محيط النور الى الابد .

وهناك حدثت نقطة التحول الروحية إذ انجذب الامام ابو حامد الى نداء الروح وتحرر من دواعي الدنيا من شهرة وجاه ومال الى دواعي الآخرة . أو

بالأحرى إلى داعي الحضرة الإلهية • فتجرد من تلك العلائق الدنيوية وعقد العزم على السير إلى الله تعالى على جناح الاضطراب • لقد جذبته الحضرة من نفسه فوجد نفسه معتقلا عن التدريس معتقود اللسان محزون القلب مسلوب القوى والارادة فلم يملك الا الفرار من نفسه إلى الله وسلك طريق الزهد والتأله • وارتحل إلى بلاد الشام فأقام فيها قريبا من سنتين - كما قال في المنقذ - لا شغل له الا العزلة والخلو والرياضة والمجاهدة وتصفية القلب بذكر الله تعالى •

فكان يصعد منارة مسجد دمشق ويفلق بابها على نفسه كي يخلو إلى ربه ويفلق باب قلبه على ذكره ويسبح بروحه في ملكوت الله مع الله وبالله • ثم هكذا كان الشأن حين ارتحل إلى بيت المقدس ، يدخل كل يوم قبة الصخرة ويفلق بابها على نفسه ليتحنن لربه مناجيا ومتأملا ومشاهدا ومستغرقا وفي هذا الجو الروحي النوراني شرع يراعه في تدبج سفره الخالد (احياء علوم الدين) الذي قال فيه الامام النووي رضى الله عنه (كاد الاحياء أن يكون قرآنا) • وكان الامام أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه يوصي مريديه بقراءته ويقول كتاب الاحياء يورثك العلم • • وواضح من تسمية الكتاب أنه يرمى من وراء تأليفه إلى احياء الدين باحياء علومه والدعوة الصادقة المخلصة إلى الله تعالى • ومن ثم انعقد اجماع الائمة والعلماء على أن الامام الغزالي هو مجدد القرن الخامس • فهو الركن الثالث في المذهب الاشعري وهو مجدد مذهب الامام الشافعي رضى الله عنه في الفقه ثم هو حجة الاسلام الدائم عن حماه غارات اللاحاد والفلسفة المضللة •

ثم لقد كان طابع هذه الفترة التي أعقبت ذهابه إلى الشام هو العزلة والتجرد والتحنن والتعب • ثم السباحة في بلاد الله حيث كان يطوف على المشاهد والمزارات • يذهب إلى قبور الصالحين يزورهم ويتبرك بهم ويأوى إلى المساجد والقفار • فطاف ببقاع عديدة ومن بينها مدينة الخليل حيث زار مقام سيدنا ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم • ثم تحركت فيه دواعي الحج والاستمداء من بركات مكة والمدينة والتشرف بزيارة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك حوالي سنة ٤٨٩ هـ - حيث عاد بعدها إلى بلاده وقد خلعت عليه خلع الوصول ، وحاز غاية المأمول • ولنتوقف الان عند هذه النقطة لنسبر غور الجوانب الصوفى وندرس أبعاد الخلفية الصوفية التي تكمن وراء الامام أبي حامد حجة الاسلام وقاهر الفلاسفة ومجدد المذهب الشافعي في الفقه وأمام المتكلمين وأستاذ الاصوليين إلى غير ذلك مما قطع أنفاس الباحثين عن جوانب العبقرية الفذة الفكرية والعلمية عند هذا الامام • ان هذه الخلفية التي أعينها هي بعينها المنطلق الذي نستطيع أن نرتب عليه دعوى (حقية التصوف) ونبرهن عليها بالامام نفسه • ومن ثم فنحن نعتبر الامام الغزالي هو حجة التصوف من خلال كونه حجة الاسلام •

فما التصوف الا سنام الاسلام وذروته • اثمة الاحسان الذي يرتفع فوق صرحي الايمان والاسلام • ولقد حظى التصوف بالامام الغزالي كما حظى هو به • اذ وجد فيه المحامي الاكبر والنصير الكفاء • فما بنى الامام تصوفه الا بعد امامته وتفرد في شتى ميادين العلم والبحث ، أجل • • ما بناه الا على انقاض الفلسفة في اعنى عنفوانها ، وما بناه الا على امامته في الفقه والاصول وأستاذيته المجمع عليها في المعقول والمنقول •

ولنتساءل عن بداية الخلفية الصوفية عند الامام الغزالي رضى الله عنه • وهذا التساؤل يفرض علينا التعرف على شيوخه في الطريق • ولا شك أنه التقى بصوفية عديدين كما يتضح من مؤلفاته • ولكننا نراه يصرح بأنه تربى على يد شيخين جليلين من أقطاب التصوف هما سيدي أبو علي الفارمدى - أحد شيوخ النقشبندية العظام الراسخين في التحقيق - وسيدي يوسف النساج • وفيما يتعلق بشيخه النساج يطيب لنا أن نروي تلك الواقعة التي ذكرها الشيخ الزبيدي في شرح الاحياء • اذ روى عن قطب الدين محمد بن الأريلي قال : قال حجة الاسلام (كنت في بداية امرى منكرا لأحوال الصالحين ومقامات العارفين حتى صحبت شيخى يوسف النساج بطوس فلم يزل يصقلنى بالمجاهدة حتى حظيت بالواردات • فرأيت الله في المنام فقال لى يا ابا حامد • قلت ان الشيطان يكلمنى • قال • لا • بل أنا الله المحيط بجهاتك الست • ثم قال : يا ابا حامد • ذر مساطرك وأصحب أقواما جعلتهم فى أرض محل نظرى وهم الذين ياعوا الدارين بحبى • فقلت : بعزتك الا أذقتنى برد حسن الظن بهم • فقال : قد فعلت • والقاطع بينك وبينهم تشاغل بحب الدنيا • فاخرج منها مختارا قبل أن تخرج منها صاغرا ، فقد أفضت عليك أنوارا من جوار قدسى ، ففز ونل • فاستيقظت فرحا مسرورا وجئت إلى شيخى يوسف النساج فقصصت عليه المنام فتبسم ، قال يا ابا حامد هذه الواحنا فى البداية محونا ها بارجلنا • بل ان صحبتنى سيكل بصيرت بك بائد التأييد حتى ترى العرش ومن حوله ثم لا ترضى بذلك حتى تشاهد مالا تدركه الابصار فتصفو من كدر طبيعتك ، وترقى على طور عقلك وتسمع الخطاب من الله تعالى كموسى (ائى أنا الله رب العالمين) ١ هـ •

ثم فيما يتعلق بشيخه أبى علي الفارمدى يروى لنا معاصره عبد الغافر الفارسى خطيب نيسابور الاحداث التي أعقبت رحلة الشك • • وانتهت باليقين وسلوك طريق التأله فيقول : (قابتدا بصحبة الفارمدى وأخذ منه استباحت الطريقة وامتل ما كان يشير عليه من القيام بوظائف العبادات والادمان فى النوافل واستدامة الانكار والجهد والاجتهاد طلبا للنجاة الى أن جاز تلك العقبات ، وتكلف تلك المشاق وتحصل على ما كان يطلبه من مقصوده) • واذا فقد استقى الامام الغزالي من نبعى شيخيه النساج والفارمدى زاد النور

ومضى على قدم التحقيق حتى وصل الى نهاية الطريق . وهل ثم الا الله ؟؟؟ ثم بعد رحلة الوصول يصف بنا حجة الاسلام والصوفية طريق التصوف بلسان الذائق المتحقق فيقول في كتابه المنقذ من الضلال (والقدر الذى اذكره لينتفع به : انى علمت يقينا ان الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وأن سيرتهم أحسن السير ، وطريقهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الاخلاق . بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء ، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا . فإن جميع حركاتهم وسكناتهم فى غايرهم وباطنهم مقتبس من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور يستضاء به . وبالجملة : فماذا يقول القائلون فى طريقة طهارتها وهى أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ، ومفتاحها الجارى منها مجرى التحريم من الصلاة استغراق القلب بالكلية بذكر الله . وآخرها الفناء بالكلية فى الله ؟؟ - ثم يقول - ومن أول الطريق تبتدىء المكاشفات والمشاهدات حتى انهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد . ثم يرتفع الحال من مشاهدة الصور والامثال الى درجات يضيق عنها نطاق النطق فلا يحاول معبر أن يعبر عنها الا اشتمل لفظه على خطا صريح لا يمكن الاحتراز عنه . الى ان يقول : بل الذى لا يسته تلك الحالة لا ينبغي ان يزيد على أن يقول :

وكان ما كان مما لست اذكره

فطن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وبالجملة فمن لم يرزق منه شيء بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة الا الاسم، وكرامات الاولياء - على التحقيق - هى بدايات الانبياء . وكان ذلك أول حال رسول الله - عليه السلام - حيث تبتل حين اقبل الى جبل حراء حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد حتى قالت العرب : « ان محمدا عشق ربه » . وهذه حالة يتحققها بالذوق من سلك سبيلا) اهـ وأما عن مقام الامام العارف سيدي أبى حامد فى طريق القوم ومنزلته الصوفية : - فلقد درجنا فى مقالاتنا الصوفية على أن نقر بالعجز عن معرفة منازل هؤلاء الاقطاب العظام من أمثال الامام الغزالى ودرجاتهم فى التحقيق نظرا لبعده الشقة بيننا وبينهم . ولكننا فى الوقت نفسه قد التزمنا أن نذكر ما نجده من عبارات تقربنا من معرفتهم وهى العبارات التى يتحدث بها الصوفية من الاولياء عن ذويهم من الاقطاب الاصفياء وأن ما بأيدينا الان من تلك الاشارات والعبارات التى قيلت عن الامام الغزالى لتضعه فى صدارة أئمة الصوفية واقطابهم الشوامخ العظام . وحسبنا علما بحقيقة مقامه أن الامام العارف سيدي

أبى العباس المرسى رضى الله عنه قد قال فى حقه ، (اذا لنشهد له بالصدق العظمى) !! بل لقد روى عن سيدي أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه أنه قال لأصحابه يوما : (اذا عرضت لكم الى الله حاجة فتوسلوا اليه بالامام أبى حامد الغزالى رضى الله عنه) وناهيك بشهادة الشيخ الاكبر سلطان العارفين سيدي محبى الدين بن عربى رضى الله عنه اذ قال (حجة الاسلام الغزالى من رؤساء أهل الطريق) ولقد ذكر الامام محبى الدين بن عربى عن نفسه انه كان يقرئ كتاب الاحياء فى المسجد الحرام تجاه الكعبة الشريفة . وذكر العارف المناوى فى طبقاته أن الامام الشاذلى رضوان الله عليه قال (رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فى المنام باهى موسى وعيسى عليهما السلام بالغزالى رضى الله عنه وقال : هل فى أمثكما مثله ؟ قال : لا .) وسوف نختم حديثنا عن القطب الغزالى حجة الاسلام والصوفية بهذه الدرامة التى رواها العارف النبهانى فى جامع الكرامات وذكرها الامام المناوى فى طبقاته اذ قال (ومن كراماته ما خرج به اليافعى عن ابن الملق عن العرشى عن المرسى عن الشاذلى عن الشيخ ابن خرازم انه خرج على أصحابه ومعه كتاب . فقال اتعرفونه ؟ قالوا : هذا الاحياء . وكان الشيخ المذكور يطعن فى الغزالى وينهى عن قراءة الاحياء فكشف لهم عن جسمه فاذا هو مضروب بالسياط وقال ، أتأتى الغزالى فى اليوم ودعائى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقفنا بين يديه قال يا رسول الله : هذا يزعمانى أقول عليك ما لم تقل . فأمر بضربى فضربت) اهـ انه الامام الغزالى الصديق الذى لا يبرح حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم والذى باهى النبى به الانبياء . فمهما قلنا فيه فالمدح مناله قدح لاننا لم نقف على كنه منزلته وحسبنا من الادراك العجز عن الادراك .

أما بعد : فمعذرة منى اليك يا حجة الاسلام اذ تجاوزت قدرى بالحديث عنك . فما دفعنى للاقتراب من ساحلك الا تعطى للاعتراف من مددك ، وما ساقنى للتحدث عنك الا فرط حبى لك فلقد كنت ولازلت وستظل نصرا للاسلام وللصوفية أسأل الله العلى القدير أن يفيض علينا من بركاتكم فى الدنيا والاخرة وأن يمددكم بمددكم ويحشرنا فى معيتكم فى زمرة عباده المقربين .



الكميت

شاعر آل البيت

الأستاذ عبدالعزيز صالح رضوان

فالصراع صراع بين بنى أمية وبنى هاشم وليس صراعا بين علي ومعاوية . وكان في مقدور علي أن يفوز على منافسه ويجعل الامر والخلافة له وحده لولا عوامل تجمعت لترجح كفة المعسكر الآخر . . علي أننا لسنا بصدد بحث الصراع وتحليله ولكن موضوعنا هو أهل البيت ومقدار ما عانوه في هذا الصراع ، وموقف المحيطين بهم .
فبعد مقتل علي بن ابي طالب وتثبيت خلافة معاوية لم يتحرج مشايخو الامويين من لعن علي وبيته وسبهم على منابر المساجد وفي المحافل العامة ، وأصبح ذلك وسيلة المتقربين الى البيت الحاكم ، في ذلك الوقت . وقد كان موقف ابناء علي بعدمقتله موقفا مشرفا يعلو فوق الاحقاد والمطامع الشخصية وكان الحسين «رضي الله عنه» . رجلا يحسب الامويون له ألف حساب ، فقد كان قمة المعارضة في ذلك الوقت ، فلم يقع خطأ من الحاكم الا وكان الناقد الذي لا يجامل لان المجاملة ليست من طبع أهل البيت . . وكان الملاذ الذي لجأ اليه المظلومون وطلاب الحق والعدل لانهم يرون فيه قوة الحق التي ترهب بنى أمية .

ان الانسان في حياته لا يعدو أن يكون مواقف وتكريات وكم من البشر - ملايين الملايين منهم - يمرون عبر الايام لا تعرف الاجيال اللاحقة عنهم شيئا . . ولكن هناك الرجال الذين سجلوا اسماءهم بمواقفهم الايجابية في حياتهم وعصرهم . . . وجعلوا - الايام سجلا حافلا بشجاعتهم وحيثما ذهبوا ابقت أفعالهم ذكراهم حية على مر الاجيال . .
فمنذ مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه اطلت الفتنة برأسها لتؤرق المسلمين فترة كبيرة من الزمان امتصت دماء زكية منهم وجلبت عليهم الصروب الداخلية بين معسكر يتطلع الى خلافة المسلمين على أنها ليست منصبا بقدر ما هي تكليف يجب على من كان أهلا لها - موقع اختيار المسلمين له - القيام بما هو مكلف به ، كان ذلك واجب الامام علي بن طالب . وقد كان في المعسكر الآخر - معاوية بن ابي سفيان ذلك الداهية الذي تولى امانة دمشق في عهد عمر بن الخطاب واكتسب حب وثقة أهلها طوال ولايته فكانوا عسكره المخلصين ، وكانت نظرة معاوية الى الصراع الدائر بينه وبين علي ، نظرة قبلية

الله عليه وسلم وهذه لحة من حياة ذلك الشاعر ،
هو بنى سعد بن ثعلبة ولد سنة ٦٠ هـ - ٦٧٩ م وهي
أيام مقتل الحسين ابن علي بن ابي طالب رضى الله
عنهما . كان يكره عرب الجنوب ويهاجى شعراء
اليمن . كما كان يحب بنى فاطمة ويتشبع لهم تشبعا
قويا ، ويرى أنهم وحدهم الممثلون الشرعيون لبيت بنى
هاشم . فهم أولى بالخلافة من غيرهم .

والحق أن من تسمى بالكميت ثلاثة من الشعراء
وكلم من بنى أسد بن خزيمة وذلك كما ذكر الامدى
فى المؤلف والمختلف ونقله البغدادى فى خزائن
الادب فى الشاهد رقم ١٦ - وهم :

١ - الكميت الاكبر بن ثعلبة بن نوفل بن فضلة .
ابن الاشتر بن جحوان بن ققفس .

٢ - الكميت بن معروف بن الكميت الاكبر

٣ - الثالث وهو موضوع الحديث - الكميت بن
زيد بن الاخنس بن مجالد بن ربيعة بن قيس بن
الحارث بن عامر بن دويبه بن عمرو بن مالك ابن سعد
ابن ثعلبة بن دودان بن أسد وهو كوفى شاعر مقدم
عالم بلغات العرب ، خبير بأيامها ومن شعراء مصر
والسنتها المتصبين على القحطانية المقارعين العالمين
بالمثالب ، يقال ما جمع احد من علم العرب ومناقبها
ومعرفة انسابها ما جمع الكميت ، فمن صحح الكميت
نسبه صح . من طعن فيه وهن .

وسئل معاذ الهراء عن اشعر الناس فقال : من
الجاهليين امرؤ القيس وزهير وعبيد بن الابرص ،
ومن الاسلاميين الفرزدق وجريير والاخلط ، فقليل له :
يا ابا محمد ، ما رايناك ذكرت الكميت ! قال : ذاك
اشعر الاولين والاخرين .

ولقد أثرى الكميت اللغة العربية بشعره حتى لقد
قال ابو عكرمة الضبى : لولا شعر الكميت لم يكن للغة
ترجمان ، ولا للبيان لسان .

ويقال ان شعره بلغ أكثر من خمسة آلاف بيت .
وقال ابو عبيدة لو لم يكن لبنى أسد منقبة غير الكميت
لكفاهم ، حبيبهم الى الناس وابقى لهم ذكرا .

وفى وصفه قال بعضهم : فى الكميت خصال لم تكن
فى شاعر . كان خطيب بنى أسد وفقه الشيعة ،
وحافظ القرآن وكان ثبت الجنان ، وكان كاتباً حسن
الخط ، وكان نساباً ، وكان جديلاً . وهو اول من ناظر
فى التشيع مجاهراً بذلك ، وله فى أهل البيت القصائد
المشهورة وهى أجود شعره . وكان فى صغره ذكياً
لوعياً . يقال انه وقف وهو صبي على الفرزدق وهو
ينشد فاعجبه سماعه ، فلما فرغ قال : يا غلام كيف
ترى ما تسمع ؟ قال حسن ياعم قال ايسرك انى أبوك ؟
قال : أما أبى فلا أبغى به بدلاً ، ولكن يسرنى انك
امى ! فحصر الفرزدق وقال : ما مر بنا مثلاً .

وحكى صاعد ، مولى الكميت ، قال : دخلت مع
الكميت على على بن الحسين رضى الله عنهما فقال ،
انى قد مدحتك بما أرجو ان يكون لى وسيلة عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انشدته قصيدته
التى اولها :

وكان موقف الحسين من معاوية هو الخضوع لرأى
اغلبية المسلمين حيث ارتضوه حاكماً بعد مقتل الامام
على كرم الله وجهه . فلما أخذ معاوية البيعة ليزيد
ابنه رفض الحسين أن تكون خلافة المسلمين ارثاً ،
وعارض ذلك بشدة . . . تمثلت فى خروجه على يزيد
وتكوينه جيشاً والذهاب به لملاقاة جيش يزيد بن
معاوية ، ذلك الخليفة الذى رأى فيه ضعف المكانة
والرأى فوق أنه ليس أهلاً لأن يكون والياً على قطر لا
خليفة للمسلمين يأترون بأمره وترتضون حكمه ،
وخرج الحسين قاصدا العراق حيث اتباع والده
ومشايحو أهل البيت الذين أرسلوا اليه نحن معك
فاحضر ، ولكنهم خذلوهم بعد وصوله وتركوه لقمة
سائغة فى أفواه لا تختلف عن الوحوش الضارية فى
كثير أو قليل . . . وكان موقفاً حزيناً فى تاريخ الاسلام
ويوما سيظل وصمة فى جبين الدولة الاموية وفى
جبين مشايحو أهل البيت الذين خذلوهم درة بيت
الرسول صلى الله عليه وسلم وابنه المحب اليه . . .
يوم قتل الحسين بن على بيد اتباع بنى أمية الذين لم
يرعوا حق أهل البيت على المسلمين ولم يعرفوا أنهم
يقتلون فلذ كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعد مقتل الحسين وانهاك بيت على بن ابي طالب
اشخط الحكام فى متابعة وملاحقة ابناء الحسين
ومشايحيهم وكأنه لم يكفهم ما حل بعلى وابنه الحسين ،
وكان الاضطهاد وسيلة البيت الاموى فى محاولة
مستميتة لاسكات أى صوت مهما كان على حق حتى لا
يؤرق الحكام فى خلاوتهم وحتى لا يثير الناس
عليهم . . . وسط هذه الحلقة القاتمة والظلم الطاغى
والقسوة التى لا ترحم وقف بعض الرجال يدافعون عن
أهل البيت ويجودون برأيتهم وأرواحهم . . . لا يهمهم
رضا الحاكم أو سخطه ولكنهم وهبوا أنفسهم مرضاة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بذلك يعوضون
أهل البيت شيئاً عما لحق بهم على يد اتباع رسول الله
والذين آمنوا به وصدقوه .

ومن هؤلاء الرجال الكميت شاعر آل
البيت (الشيعة منهم) . . . فهذا الشاعر سجل بموافقة
شجاعة أدبية أحنت لها الايام رأسها اجلالاً
واكباراً . . .

لقد رأى فى أبناء فاطمة بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم الممثلين الشرعيين لارث مجد بنى
هاشم . . . وأنهم أولى الناس بالخلافة والسلطان . . .
وكان ذلك وحده دون الجهر به كافياً لتعريض أى
انسان . . . للاضطهاد بل للقتل من جانب خلفاء بنى
أمية وعالمهم ، ولكن الكميت لم يحفل بالخطر ولم يعبأ
بالتعذيب والاضطهاد ، فجاهر برأيه علانية وناظر فى
مذهب الشيعة لأول مرة . . . ووقف نفسه شاعراً وفقياً
وجديلاً ونساباً من أجل بيت على وأبنائه من بعد فاضطهد
وسجن وعذب وأخيراً جاد بأغلى ما يجود به البشر
بحياته . . . كل ذلك من أجل التقرب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم واعتقاداً منه أن ذلك عمل يرضى
آل البيت وما يرضى آل البيت يرضى رسول الله صلى

من لقلب متيم مستهام

غير ما صبوة ولا أحلام

فلما اتى على آخرها قال له : ثوابك معجز عنه ، ولكن ما عجزنا عنه فان الله لا يعجز عن مكافآت . اللهم اغفر للكमित . ثم قسط له على نفسه وعلى اهله اربعمائة الف درهم وقال له : خذ يا ابا المستهل . فقال له : لو وصلتني بدانق (سدس الدرهم) لكان شرفا لى ولكن ان احببت ان تحسن فادفع الى بعض ثيابك التى تلى جسدك اترك بها . فقام فنزع ثيابه ودفعها اليه كلها وقال : اللهم ان الكमित جاد فى آل رسولك وذرية نبيك بنفسه حين ضمن الناس ، واطهر ما كتبه غيره من الحق ، فاحيه سعيدا ، وامته شهيدا ، واراه الجزاء عاجلا ، واجزل له جزيل المثوبة اجلا ، فانا قد عجزنا عن مكافاته . قال الكमित : ما زلت اعرف بركة دعائه .

وحدث محمد بن سهل قال : دخلت مع الكमित على جعفر الصادق فى ايام التشريق فقال : جعلت فدائك ، الا انشدك ؟ قال : انما ايام عظام . قال انها فيكم . قال : مات فانشدته قصيدته التى اولها

الاهل عم فى رايه متامل

وهل مدبر بعد الاساءه مقبل

وهل امة مستيقظون لدينهم

فيكشف عنه التعمسه المتزمل

فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى

مساويهم لو ان ذا الميل يعدل

وعظمت الاحكام حتى كانتا

على ملة غير التى تنتحل

كلام النبيين الهداة كلامنا

واقفال اهل الجاهلية نفعل

رضينا بنينا لا نريد فراقها

على اتنا فيها نموت ونقتل

ونحن بها مستمسكون كانها

انا جنة مما نخاف ومعقل

وعندما وصل فى شعره الى هذا البيت كثر البكاء وارتفعت الاصوات ، فلما مر على قوله فى الحسين رضى الله عنه :

كان حسينا والبهاليل حوله

لاسيافهم ما يختلي المتقبل

وغاب نبي الله عنهم ، وفقده

على الناس رزء ما هناك مجال

فلم ان مخذولا اجل مصيبة

واوجب منه نصره حين يخذل

فرجع جعفر الصادق رضى الله عنه يديه وقال : اللهم اغفر للكमित ما قدم وما آخر ، وما أسر وما أعلن ، واعطه حتى يرضى . ثم اعطاه الف دينار وكسوة . فقال له الكमित : والله ما احببتكم للدين ، ولو اردتها لاتيت من هى فى يديه ، ولكننى احببتكم للآخرة فأما الثياب التى اصابت اجسادكم فانى اقبلها لبركتها واما المال فلا اقبله .

ويصل الكमित فى شعره قمة المعارضة والتحدى حينما يوجه شعره الى الحاكم حيث يقول :

ابرق وارعد يا يزيد فما وعيدك لى بضائر

فله درك يا كमित فقد وقفت نفسك للحق ورفضت الدنيا واشتريت بدلها الآخرة .

وكانت وفاة الكमित سنة ١٢٦ هـ ٧٤٢ م فى خلافة مروان بن محمد ويقول بروكلمان فى كتابه تاريخ الادب العربى ج ١ ص ٢٤٢ - عنه : وكان الثالث ابن هشام بن عبد الملك بقتله لما مدح بنى هاشم ، فحبسه خالد القسرى بالكوفة ، فاجتالت زوجته (حبي) فى خلاصه ، وشفع له مسلمة ابن هشام ، فانشد امير المؤمنين مرتبة له فى ابيه ، فعفا عنه وأمر له بعتاء جزيل ، وكتب الى خالد بأمانه وامان اهل بيته . وعن موته يقول : ولما خرجت الجعفرية على خالد ابن عبد الله القسرى قتله جند يوسف بن عمر الثقفى ، وكان السبب فى قتله انه مدح يوسف بن عمر ، بعد عزل خالد القسرى عن العراق ، فلما دخل عليه أنشده مديحه معرضا بخالد ، وكان الجند على رأس يوسف متعصبين لخالد ، فوضعوا سيوفهم فى بطنه وقالوا : اتشيد الامور ولم تستامر (اى تستشره) فلم يزل ينزف الدم منه حتى مات رحمه الله .

ولقد شاع شعر الكमित بعد وفاته حتى عارض كل من دعبل وابن عيينه قصيدته المذهبة (فى تفضيل النزارية على اليمانية) واجابهما عنها ابو الذلفاء البصرى مولى بنى هاشم .

وكان بعض الادباء يعيب عريته قال الاصمعى هو جرمقانى من اهل الموصل ليس بحجة (امالى القالى ج ١ ص ٩٧ - الوساطة للجرجاني ص ١٧ الطبعه الثانية ج ٢ ص ٢٢٢ بروكلمان ج ١ ص ٢٤٢) وقال المعاج كان الكमित والطرماح يسألانى عن الغريب فاخبرهما ثم اراه فى شعرهما وقد وضعاه فى غير مواضعه ، لانهما قرويان يصفان ما لم يرياه فيضعانه فى غير موضعه (الاغانى ٢ - ١٧ وروى ذلك عن روية فى كتاب الاغانى ١٠ - ١٥٦ وشك كركو فى صحة الرواية ، وانظر ديوان الطرماح ص ٢٥ مقدمة) (نقلا عن بروكلمان) ويحكى ابن جنى فى كتابه الخصائص (ج ١ ص ٣٢١ - ٣٢٢) ما يدل على بطء قريحته فى الشعر ، وقيل انه لم يجد ما يتم به مصرعا له الا بعد لايلا استلهم تكملته من رجل يخاطب به آخر فى حمام .

والحق ان الكमित كان شاعرا صادق الاحساس مرفه دافع عن آل البيت بلسانه معرضا نفسه لنقمة حسناء بنى امية وعمالهم ، غير عابى بما قد يصيبه لان حبهم تمكن من قلبه ونفسه وراى فى ذلك ارضاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويدلنا على ذلك رفضه اخذ الاجر او التكبش بشعره والتكالب على المال والعطاء ولكنه كان يمدحهم بما هو فيه ويرى انهم احق بالخلافة من غيرهم وكان ذلك كله سببا فى اضطهاد طوال سنى حياته ثم كان سببا فى موته ونعم الرجال يموتون فى سبيل مبادئهم والدفاع عما يروونه حقاً .

عمالقة و أبطال من بين الأرقاء والهنضعفين

الاستاذ: سعد عبد السلام هبيل

مكة ، يرى بلالا وقد عذب حتى مل سفهاء قريش تعذيبه : عذبه بالنار والهويه بالسياط .. وطرحوه على الارض في الرمضاء ، واقلوه بالصخر .. الى غير ذلك من الوان العذاب ، يريدونه ان يذكر آلهتهم بخير فلا يسمعون منه الا : أحد أحد .. فيضنون حبلا في احدى ذراعيه ، وحبلا في ذراعه الاخرى ، وحبلا في احدى ساقيه ، وحبلا في ساقه الاخرى ، ثم يدعون الفتية والصبية ويلقون اليهم بالجبال ، ويأمرونهم ان يعبروا ببلا حتى يجهدوا أنفسهم ويجهدوه .. ويفعل الصبية ما أمروا به ، ولسان بلال لا ينفك عما أخذ فيه من ذكر : أحد ، أحد ، أحد ، أحد ..

ويبلغ الغيظ من قريش ، وتهم ان تبطش ببلا ليسكت هذا الصوت ويقطع هذا الذكر .. ولكن أبابكر ، رضى الله عنه ، يعرض عليهم ، وقد هاله ما رأى من عذاب مروع ، ان يشتري بلالا .. فقبلت قريش ، وقد ضجرت ببلا وتاديبه وتعذيبه .. فادى ابو بكر الثمن ، ثم التفت الى بلال وابتمسم له ، قائلا : انطلق يا بلال ، فانت حر ! ..

● وعمار بن ياسر ، من فقراء مكة المخومين .. ابوه ؟ ياسر بن عامر ! وامه ؟ سمية بنت خياط « احدى اماء أبى حذيفة بن المغيرة وجواريه »

لولا ان الاسلام ، دين العدل والمساواة والفرصة المتكافئة ، لما تالق نجم الكثيرين من الأرقاء والفقراء وغيرهم ممن لا مال لهم ولا اهل ولا حول .. امثال بلال ، وعمار ، وخباب .. وغيرهم ، رضى الله عنهم جميعا وأرضاهم .

● فيلال بن رباح ، هذا العبد الحبشى الاسود ، الذى كانت تملكه قبيلة « بنى جمح » يرعى ابلهم وماشيئهم لقاء حنقات من التمر .. لولا اسلامه لضاع فى الدنيا وفى التاريخ .. فلقد منحه الاسلام خلودا يتمناه الكثيرون من علية البشر وذوى الجاه والنفوذ والسلطان ..

ان شدة سواد لون بلال وتواضع أصله وحسبه ونسبه ، وهوانه على الناس كرقيق وعبد وابن لجارية من اماء بنى جمح .. لم يحرمه كل هذا ، حين أثر الاسلام ديناً وعقيدة من أن يتبوا مكانا عاليا بين عظماء الاسلام وأصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام .. لقد كان أول مؤذن ينادى للصلاة خمس مرات كل يوم ، وتصدح عبر الافق تكبيراته وتهليلاته فى صوت ندى اخاذ .. وكان الفاروق عمر ، صديق محمد وتلميذه ، اذا ذكر أبابكر ، قال : « أبو بكر سيدنا .. واعتق سيدنا ! يعنى بلالا !

ففى ذات يوم ، وأبو بكر يمضى فى بعض بطحاء

لقد كان نصيبه من التعذيب ، ونصيب أمه وأبيه فادحا ورهيبا .. ومع ذلك فقد أصروا جميعا على الإيمان ، وقاوموا تحديات الكفر والضلال بكل صلابة وصبر وثبات .. !

وضع أبو جهل عمرو بن هشام ، ومن معه من سفهاء قريش ، عمار وأبويه في الحديد ، وأشعلوا في دارهم النار .. وراحوا يلهبونهم بالسيئات ويغزونهم بالرماح والخناجر .. وطرحوهم أرضا وأخذوهم بمكاوى النار في جنوبهم وصدورهم ، ووضعوا على صدورهم الحجارة الثقيلة ..

ويمر النبي ذات يوم ببعض بطحاء مكة .. فيرى آل ياسر ، وهم يفتنون عن دينهم ويعذبون في الله .. فيقول لهم : أبشروا آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة ! ..

و ذات يوم صمم أبو جهل على أن يصب على آل ياسر العذاب ، أشد العذاب وأقساه .. حتى يذكروا آلهة قريش بخير ، ويذكروا محمدا بسوء .. «

فراح يلهبهم بالسيئات بغير حساب حتى مزق أجسادهم ، ويكويهم بمكاوى النار ، غلوا في الشر وأسرافا في القسوة .. ثم أمر فغطوا في قرب ملئت ماء حتى انقطعتم أنفاسهم أو كادت .. ثم ردهم إلى الهواء ، وانتظر بهم حتى أفاقوا .. فإذا هم يذكرون الله سبحانه وتعالى ويثنون على محمد ، صلى الله عليه وسلم ..

.. ويبلغ الفيظ من أبي جهل اقتصاه .. ويجن جنونه ، فيطعن سمية بحربة كانت في يده .. فتشقق شهقة خفيفة ، ثم تكون أول شهيدة في الإسلام !

ويتطلع ياسر إلى أبي جهل ، قائلا : قتلتها ياعدو الله ! يؤسا لك ولأهلك ! ويقول عمار : قتلتها يا عدو الله ! يؤسا لك ولأهلك .. فإن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد ضرب لها موعدا في الجنة .. ويقول ياسر : أشهد أن وعد الله حق .. ولكن أبا جهل لم يمهله ، وإنما يضرب في بطن الشيخ المعجوز برجله فيشقق شهقة ، ثم يصبح ثاني شهيد في الإسلام !

ورأى من هم حول أبي جهل أن يطلق عمار ليوارى أبويه .. فاطلقه .. ثم راح يذيقه غصص العذاب شيئا بعد شيء ، ويقول : انى لا أحب أن يموت لأن ذلك يريحه ويكف عنه بأسى ..

.. وراح عمار يجتمع بالنبي ، صلى الله عليه وسلم ، في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ثم يذهب إلى داره ، وقد اتخذ فيها مسجدا يعبد الله فيه أكثر الليل حتى أنزل الله في ذلك قرآنا : « أمن هو

قانت آتاء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب » .

ويجتمع أصحاب النبي ذات يوم في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، حتى إذا ارتفع الضحى افتقدوا عمارا بينهم فلم يجدوه .. ثم يمر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بعد أن يتقدم النهار بمكان في بطحاء مكة ، فيرى أبا جهل يوفى عمارا من العذاب ما لم يستطع أن يصب على أبويه .. نار مؤججة . وماء مجتمع في قربة من الجلد ، وعمار قد ألقى بينهما . وجعل السفهاء من قريش يغزونهم بالرماح ويحرقونه بالنار ، وعمار صابر صامت يذكر الله في قلبه .. فإذا رأى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ذلك قال : ياتار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت بردا وسلاما على إبراهيم ..

و ذات يوم يشتد أبو جهل على عمار في الفتنة ويضاعف له العذاب .. ويقبل عمار على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغ الحزن من نفسه وقلبه ما لم يبلغه منهما قط .. فيدنو منه النبي فيكفك دمه ، ويقول له : أخذك الكفار فغطوك في الماء حتى ذكرت آلهتهم بخير وذكرتني بسوء .. قال : نعم . قال : فإن عادوا فعد .. وأنزل الله في ذلك قرآنا :

من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من كفر بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم « !

.. ولم يخلص عمار من هذه الفتنة المنكرة ومن هذا العذاب الأليم إلا حين أذن الله للمسلمين في الهجرة ..

.. وإن منزلة عمار ومقامه عند الله تبارك وتعالى ، وعند رسوله ، عليه الصلاة والسلام .. إنما تتجلى في قول الرسول : « أن عمارا مليء إيمانا إلى مشاشة (أى إلى ما تحت عظامه) .. من عادي عمارا ، عاداه الله . ومن أبغض عمارا أبغضه الله .. أن عمارا جلدة ما بين عيني وأنفى » ويزكي الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، إيمان هذا الحواري الصادق ، فيرفعه بين أصحابه قدوة ومثلا ، إذ يقول : « اقتدوا بالذين من بعدي : أبي بكر وعمر .. واهتدوا بهدي عمار » !

.. وحينما كان الفاروق عمر يختار ولاية المسلمين ، في دقة وتحفظ ، وبكل حيطة وأناة ، سارع فولى عمارا على الكوفة ..

ونظر عمار ، وقد جعل عمر صلاة الكوفة وحريها إليه ، فإذا هو أمير لقطر عظيم من أقطار المسلمين

« ولا تظن الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ! »

.. ولقد شهد خباب مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بدرا واحدا والخندق ، والمشاهد كلها .. ثم أبى إلا أن يجاهد بعد وفاة الرسول .. فأنحدر إلى العراق وغزا مع الغزاة .. ورابط في الكوفة حتى أدركه الشيخوخة واشتد عليه الداء .. ويقول له بعض عواده : أبشر أبا عبد الله ! أخوانك فلان وفلان وفلان ، تقدم عليهم غدا .. فيغرق في البكاء ، مضوا بأجورهم كما هي .. لقد رأيتني مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما أملك دينارا ولا درهما .. وإن في صندوقي هذا اليوم لاربعةين ألف ألف .. وأخشى أن تكون قد عجلت لنا طبيباتنا في حياتنا الدنيا ..

ثم ينصرف عواده .. فيقول بعضهم لبعض : ألا ترون إلى خباب على كثرة ما احتمل وعلى كثرة ما جاهد واتقى من فضل الله يخشى أن يلقى الله فقيرا ليس له كبير حظ من الصالحات !! فيقول أحدهم : وما يريكم من ذلك ؟ ألم تعلموا أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال للمرأة التي زعمت أن الله قد أكرم « عثمان بن مظعون » بعد موته : « وما يدريك أن الله قد أكرمه ! »

أني لرسول الله وما أدري ما يفعل بي !!

● ● ●

هذه أمثلة لأرقاء ومستضعفين .. لولا إسلامهم لفعل عنهم التاريخ ، كما تعود أن يففل عن الدهماء حين تحيا وحين تموت ..

لقد سمت نفوسهم بالإسلام ، وقدموا على الموت في سبيل محمد ، صلى الله عليه وسلم ، في غير جزع ولا هلع ولا اضطراب .. بل لقد زادهم حلف السفهاء من قريش وكبرياتهم وعذابهم ، استمساكا برسالة محمد ووفاء له .. !

وهناك غير من ذكرنا كثيرين ، من بينهم : سالم مولى أبي حذيفة .. وزيد .. وأسامة بن زيد .. وصهيب .. فإلى عدد قادم أن شاء الله .

وجيش عظيم من جيوشهم .. فلم يدفعه هذا كله إلى تكبر أو تجبر أو استعلاء ، وإنما زاده تواضع على تواضع لأنه يؤمن بأن هذه الحياة الدنيا غرور ، وأنها فتنة يمتحن بها أولو الحزم والعزم في أنفسهم ، فمن خلص منها كريما نقي سليم القلب فهو من الناجين ، ومن وقع فيها حتى أرضى غرائزه وشهواته فهو من الذين حبطت أعمالهم وضل سعيهم وعجلت لهم في حياتهم الدنيا ..

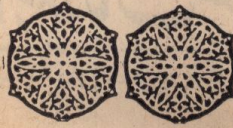
● وخباب بن الارت ، الذي كان يعمل سيافا ، يصنع السيوف ويبيعها لأهل مكة .. رأى يوما الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فرأى الحق والنور يتفجران من بين ثناياه .. فأسلم .

ومنذ ذلك اليوم ، وخباب يواجه جحيم الهول والعذاب .. على يد قوم من قريش ، على رأسهم « أم انصار » سيدة خباب التي كان عبدا لها قبل أن تعتقه .. لقد شد القوم وثاق خباب ، واشتركوا جميعا في حملة تعذيبه وأذاه .. فأما أنمار تأخذ الحديد ، الذي كان يصنع منه السيوف وتحنيه في النار حتى ينصهر ويحمر ، ثم تضعه على ظهر خباب وفوق رأسه .. وراح آخرون يدنونه من النار حتى توشك أن تحيط به ثم يخطفونه اختطافا فيبعدون به عن النار .. ومنهم من كان يدفع برجله في صدره دفعة تسقطه إلى ظهره .. ! .. ويقول له قائلهم : اذكر آلهتنا بخير ، فلا يسمعون منه إلا : أشهد أن محمدا رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق .. !

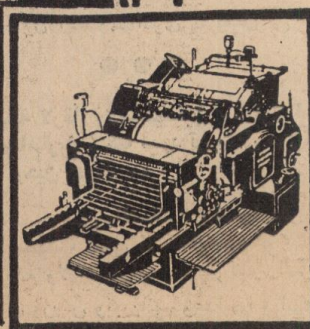
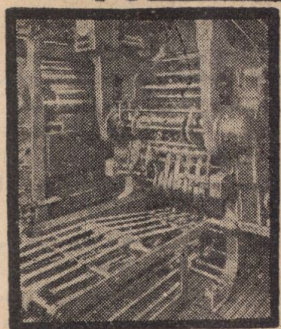
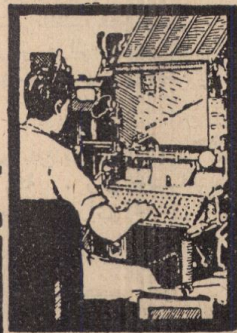
ويمر الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يوما .. فيرى ما يناله خباب من عذاب .. فيرفع يديه الكريمتين إلى السماء ، ويقول ، « اللهم أنصر خبابا ! »

ونصر الله خبابا .. لقد نبغ هذا الصحابي العظيم في دراسة كتاب الله حتى صار حجة وإماما فيما يتصل بالقرآن حفظا ودراسة ..

وتنزل آيات من عند الله سبحانه وتعالى ، تدافع عن خباب وأتباعه ونظرائه ، عندما طلب بعض سادة قريش وعليتها من الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، أن يجعل لهم يوما يجلسون إليه فيه ، ولخباب وأمثاله من الفقراء والمعدمين يوما :



لا شك
أن الفارق كبير
بين ماكينات
القرن الـ
١٥



وبين ما تجده
من أحدث
آلات الطباعة في

شركة الاعلانات الشرقية



إحدى شركات مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر



الإسلام يتحدى

للمفكر الهندي

وحيد الدين خان

عرض: الأستاذ على المحمدي

تخبر بمجلدات ضخمة من الكتب التي وضعت على المنهج الأول ، على حين يوجد نقص شديد في الكتب من النهج الثاني .

« وأنتي لأشعر بأن المضمار الفسح الذي هيأته الدراسات العلمية الحديثة لاثبات الدين ، هو تصديق لما جاء في القرآن في سورة النمل : « وقل الحمد لله سيركم آياته ففهمونها » . وهذا الكتاب محاولة لاستغلال الإمكانات الجديدة لصالح الدين بطريقة منظمة .

وفي سير المؤلف على هذا الدرب الذي اختطه لنفسه ، والذي تنبني أن تختطه دراساته الإسلامية التي تترجم عن موقف أصيل ازاء تيارات الفكر ... في هذا الدرب وتطبيقاً له « يهدف المؤلف الى اثبات حقيقة الدين أمام الفكر المادي الجديد ، وهذا الإثبات يتخذ لنفسه أسلوبين ، أولهما : أن نستدل بأن الدين ليس مادياً ، بل فوق المادة ، وبناء على ذلك ليس للعلوم المادية أن تعترض طريق الدين . وقد أصبح هذا الاستدلال في غاية القوة ، حيث أن العلماء قد اعترفوا في هذا القرن : (بأن العلوم المادية لا تعطي الا علماً جزئياً عن الحقائق) . ومغزاه انه ، بناء على اعتراف هذه العلوم نفسها ، هناك حقائق أخرى ، لا تستطيع العلوم المادية الوصول اليها ، ومنها حقائق الدين ... »

« وأما الطريقة الأخرى لاثبات حقائق الدين فهي اتباع نفس الطرق العلمية التي يتبعها العلماء المحدثون لاثبات معتقداتهم » ، وقد ركز المؤلف أهمية أكثر على هذا الجانب .. فهو يرى : انه لا بد من اتباع نفس أساليب الاستدلال التي يستعملها المحدثون ، حتى يمكن اثبات حقيقة الدين ... »

... وهذا هو المنهج الذي انتهجه المؤلف في بعض الفكر المادي الحديث من ناحية ، وفي اثبات حقائق الإسلام من ناحية أخرى ...

ونبدأ الآن معايشتنا لصفحات هذا الكتاب .

● قضية معارضي الدين :

مؤلف هذا الكتاب هو المفكر الإسلامي الهندي «وحيد الدين خان» رئيس تحرير جريدة «الجمعية الأسبوعية» وهي أكبر جرائد الهند الإسلامية ... ومؤلف الكتاب لا يستند بقيته من هذا المركز الحيوي فحسب ، وإنما يستند بها من شخصيته البارزة في المجتمع الهندي - الباكستاني ... باعتباره الرجل الذي يمثل مدرسة فكرية ذات اتجاه عصري علمي تخاطب انسان القرن العشرين منطلقة من طاقات العصر نفسها بكل ما يقدمه العصر من مناهج علمي ومن اعتماد على العقل والوسائل التجريبية .

والمؤلف من خلال ثلاثين كتاباً قدمها للمكتبة الإسلامية باللغة الأردية - وهي لغة الهند وباكستان الرسمية - يحاول عرض الإسلام بأسلوب العصر الذي يمكنه من اقتناع الأجيال المثقفة الجديدة بأصالة الإسلام وقدرته على حل مشكلات العصر بحيث يبرز الاتساق كفكر متكامل يتناول شتى جوانب النشاط الإنساني ، ومن أهم كتبه التي تحقق هذه الغاية : الإسلام والاشتراكية ، (أخطاء التفسير في الفكر الإسلامي السياسي) ، البحث عن الحق ، أهمية الاقتصاد في الإسلام - الى آخره ..

وهدينا اليوم يتناول الترجمة العربية لكتابه الأخير : (الإسلام يتحدى) الذي يقع في قرابة الثلاثمائة صفحة من القطع الكبير ، والذي صدر عن دار البحوث العلمية ببيروت ، ترجمة نجل المؤلف الصحفي المقيم بالقاهرة : ظفر الإسلام خان ، ومراجعة الدكتور عبد الصبور شاهين .

الكتاب :

في [تقديم] هذا الكتاب نستطيع ان نحصل على المنهج العام الذي يسير عليه المؤلف والذي هو في الحقيقة عنصر الجسدة والطرافة في هذا الكتاب والمكتبة الإسلامية كلها ... وهذا المنهج يلخصه لنا المؤلف في قوله : « ان الطريقة التي يتبعها الكتاب للدفاع عن الدين ذات وجهين : فكرية وتجريبية ، وبعبارة أخرى فلسفية وعلمية ، ان صح التعبير » وقد راى المؤلف الطريقة الثانية وهي التجريبية - أي العلمية - والسبب في ذلك ان مكتبنا

فيبدو لهم الدين — جراء هذا الموقف الفاسد — عملا اجتماعيا لا كشافا لحقيقة ، وأن من يريد دراسة حقيقة الدين — اذا كان باحثا عن الحقيقة حقا — يتحتم عليه ان يدرسه في ضوء مثاله الاعلى الصافي وهو الاسلام .

والعلم الحديث اذ يعتمد في رفضه للدين على انه مبني على قياس واستقراء ينسب ان اسسه ايضا مبنية على ادلة مماثلة يسمونها « القياس العلمي » ... ذلك القياس المبني على بعض المشاهدات التي استنبط العلماء على اساسها قوانين معينة ، فنظرية الجاذبية لم يشاهدها احد ، ولكنها مقبولة من الجميع ، وكذلك نظرية الارتقاء التي يقول بها بعضهم هي كذلك لم يشاهدها احد العلماء . ولا طريق الى مشاهدتها ... فكيف ننكر حقائق الدين على اساس ايمانها بالغييب رغم ان علماء عصرنا لا يستطيعون ان يخطوا خطوة واحدة دون الاعتماد على الفاظ مثل « القوة » و « الطاقة » و « الطبيعة » و « قانون الطبيعة » رغم انهم لا يعرفون كنه هذه الكلمات التي يستعملونها لتفسير وقائع معلومة بعمل غير معلومة ...

والامر نفسه في قضية « وجود الله » .. اي حتمية ان يكون لهذا الكون خالقا يتمتع بخصائص معينة لا يشاركه فيها احد ... ان العلماء الماديين قد تخطبوا كثيرا وراحوا في تخطبهم يخطون عن اي تفسير آخر لعملية الخلق غير الاعتراف بقوة عظمى عاقلة مدبرة هي ما تسمى في الاديان : « الله » ... لقد قالوا مرة بان الخلق نتيجة لعمليات ذاتية تحدث من وجود مجموعات من الشحنة بعضها سالب وبعضها موجب وهي دائيا في تناقض مع بعضها ومن هذا التناقض الدائم تظهر الحياة ... ومرة قالوا بان الكون خالق نفسه ونسوا ان الكون اذا كان خالقا لنفسه فلا بد وان يكون يتمتع بخصائص العقل والحكمة والقدرة ... واذا كان كذلك فانه هو « الاله » وسيصبح الخلاف مجرد لب بالافاظ ... ومرة قالوا بان الكون خلق اعتباطا ومصطفة و « هكسلي » يؤكد ذلك بانه لو جلست ستة من القرد على آلات كتابية ، وظلت تضرب على حروفها للابيين السنين فلا نستبعد ان نجد في بعض الاوراق الاخيرة التي كتبوها قصيدة من قصائد « شكسبير » ... وكذلك الكون جاء نتيجة عمليات عبثية ظلت

تدور في « المادة » لبلابين السنين ... وهذا الكلام كله يمكن القول عنه بانه « لغو مبثر » فان جميع علومنا تجعل — الى يوم الناس هذا — آية صدفة انتجت واقعا عظيما داروح عجيبة في روعة الكون ، وكما يقول « كونكلين » بان مثل قول « هكسلي » يعني اننا يجب ان نتوقع اعداد معجم ضخم نتيجة انفجار صدى يقع في مطبعة ... وهذا « لغو مبثر » كما ذكر مؤلف الكتاب من قبل ... هذا الى ان « الرياضيات » التي تصب في ذهانتنا عن طريق بعض علمائها الماديين تكتك الصدفة هذه ... هي نفسها التي تنفي اي امكن رياضي في وجود الكون الحالي بفعل قانون الصدفة ... هناك شهادة الطبيعة على وجود اله ... هناك شهادة علوم الفلك على وجود اله ... هناك الانظمة المعقدة التي يعتبر اعجازا في الدقة الرياضية ... هناك الكون الغريبة التي يتجلى في خلقها التوازن المدهش ... هناك قانون الضبط والتوازن الذي يحكم مجموعة الفنازات المتينة في الكون ... هناك السنن الرياضية المحكية التي تحكم الكون حتى المادة الجامدة نفسها ... هناك نظام العناصر والدورية الذي يشاهده الطالب الصغير في معمل الكيمياء حين يقرأ خريطة العناصر الكيميائية وينطبقها ...

ان كل هذه القوانين والانجازات الفكرية التي اطلمت الانسان على حقيقة ما يدور حوله ... تجعل تجاهل ان لهذا الكون خالقا ذا صفات محددة تفوق تصور العقل البشري مجرد نوع من المغالطة العلمية ، وليلالظ القارئ الكريم ان هذه القوانين ذكرت هنا على سبيل الاحمال والا فانها في مصدرها قد احتلت قرابة الخمسين صفحة وسجلت انتصارا باهرا لقضية الايمان بالله عن طريق العلم الحديث نفسه ... ذلك الذي ضربوا به الدين — في غفلة العقل الاسلامي الواعي — ردها من الزمان ...

ان المؤلف يتناول في الباب التالي قضية من اعقد القضايا التي يصعب الاستدلال عليها بأسلوب العلم الذي لا يؤمن الا بما يرى

يرى اصحاب الفكر الحديث ان كل معرفة حققة لابد وان ترتبط بالتجارب بحيث يمكن فحصها والتأكد منها بواسطة ادوات الحس ، وبما ان الحقائق الدينية لا يمكن اثباتها عن هذا الطريق فانهم يزعمون بان « الدين تفسير زائف لوقائع حقيقية » بمعنى انه لا ضرورة لفرضية وجود « الله » مادام العلم يستطيع بوسائله التجريبية الحصول على اسباب علمية لتلك الوقائع ، وعموما فان قضية هؤلاء المعارضين تتركز على اسس ثلاثة :

— التطور في علم البيولوجيا ، وهو هذا التطور الذي انتهى الى ان الكون مرتبط بقوانين ثابتة تتحرك في نطاقها الاجرام السماوية وهو ما يسمى الان بقوانين الطبيعة .

— كشوف علم النفس ، التي ترى ان « الاله ليس الا انعكاسا للشخصية الانسانية على شاشة الكون ، وما عقيدة الدنيا والاخرة الا صورة مثالية للاماني الانسانية ، وما الوحي والالهام الا اظهار غير عادى لاساطير الطفولة المكبوتة ويلاحظ ان هذا التفسير يستند على آراء « فرويد » حول الشعور واللا شعور .

— والاساس الثالث هو : التفسير المادى للتاريخ ، الذي يزعم اصحابه ان القضايا الدينية وجدت لاسباب تاريخية احاطت بالانسان « فالدين نتيجة لتعامل خاص بين الانسان وبيئته » ، وحيث ان الانسان قد اصبح يملك القدرة على التعامل مع بيئته المادية كسيد يهيمن عليها فلا داعي لان يستعين عليها بقوى غيبية ... افعلها النظام البورجوازي الاستعماري القديم ، و « حيث يلقى النظام الاستعماري حنقه اليوم فلندع الدين ايضا يذهب معه » ...

وهذه بايجاز هي الانسب التي ينطلق منها معارضو الدين ، وفي الحق فان مؤلف الكتاب قد اجاد بسطها على نحو يجعل اشاراتنا السابقة مجرد رموز لمان كبيرة ، وبالتالي فلا يمكن الاستغناء عن قراءة الكتاب ...

ونتناول الان النقد العلمي الذي اورده المؤلف ضد معارضى الدين محسنا استغلال ادوات العلم التي يستغلها المعارضون للدين ، وهذا النقد يتلخص في الاتي :

ان الطبيعة — كما يقول المؤلف — حقيقة من حقائق الكون وليست تفسيراً له ، فالدين تفسير للاسباب والوقائع الحقيقية التي تدور وراء الكون وما كشفه العلم الحديث ليس الا الهيكل الظاهر للكون ، فالعلم بايجاز هو الاجابة عن سؤال :

« ما هذا ؟ » لكن الدين اجابة عن سؤال آخر هو : « لماذا ؟ » العلم لا يزال وسيظل عاجزا عن التصدى للسؤال الاخير ، موضوع العلم والدين مختلف اذن كل الاختلاف ... ولو ان هذه الكشوف العلمية زادت مليون ضعف عنها اليوم فسوف تبقى الانسانية بحاجة الى الدين » .

وفيما يتعلق باستدلالات علماء النفس يقول المؤلف ان من معايير الفكر الحديث انه يستنبط من حادث عادى دليلا غير عادى ، لان ما شاهده علماء النفس في ظاهرة هذيان بعض المجانين باحاديث غريبة لا يمكن ان ينطبق على كلام الانبياء الذين جاءوا بحقائق ابدية لم تخطر على بال احد من الناس في اي زمان ، ثم انه لا يمكن تطبيق ما يسمونه باللاشعور هنا ، لان اللا شعور لا يفترق الا ما شاهده الانسان في حياته فهو فراغ في اصله قبل مولد الانسان ، فكيف يتسنى له ان يتكلم بحقائق ابدية لم يعلمها الانسان من قبل ... فضلا عن ان اللا شعور لا يخلو من اخطاء واغاليط واكاذيب ، اما الكلام النبوى فانه براء ولا شك من كل هذه الميوب ، وهذا رغم اتصال الكلام النبوى بسائر العلوم الحديثة من ناحية او اخرى .

واما فيما يتعلق باستدلال التاريخ لرفض الدين فان المؤلف يقول بان الذين يستدلون بالتاريخ او الاجتناع خطاهم الاساسي انهم لا يدرسون الدين من وجه صحيح ، ولهذا يبدو لهم الدين شيئا غريبا فهؤلاء الباحثون يدرسون ظاهرة الدين كمشكلة موضوعية ، اذ يجمعون في سلة واحدة كل ما اطلق عليه اسم « الدين » من رطب ويابس في اي مرحلة من التاريخ ، ثم يتأملون في ضوء هذا الحصول حقيقة الدين ! ! ان موقفهم ينحرف من اولي مراحله ،

من كتاب الحضارة العربية

للكاتب الألماني: ج. هـ
ترجمة الدكتور: إبراهيم أحمد العدوي

تتسم الأديان جميعها بأنها تفرض طابعها على التاريخ الإنساني وأن الأنبياء والرسل يساهمون بنصيب معين في حضارة عصرهم وشعبهم. ولكن لم تبق مطلقاً أية ديانة يمثل ما أحدثه الإسلام في صورة سريعة ومباشرة من تغيرات كان لها تأثير في شتى أنحاء العالم. كما لم يحدث أبداً أن صار رسول الله صلى الله عليه وآله سيد زمانه وأهله مثلاً أصبح عليه محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ولذلك لا يمكن أن نقف على تطور الشعب الذي غدا بفضل الإسلام حامل لواء حضارته والمعبر عنها. دون معرفة التعاليم التي نقلت أجنة تلك الحضارة. كذلك لا يمكن فهم هذه التقاليد عن الرجل الذي لقيناها. فمعرفة محمد ورسالته. وسياسته وسياسة التطور الثقافي لشعبه. كل هذه الأمور جميعها وبقية الصلة بعضها ببعض في بناء صرح الإسلام بدرجة توجب دراستها سويلاً لاتصال أدوارها مع بعضها اتصال الحمل بحامله. وهكذا بدأ المؤلف الألماني. هل هذا الفصل في حديثه عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في كتابه الحضارة العربية. الذي يقول فيه المترجم الدكتور إبراهيم أحمد العدوي أن الكاتب تولى الأسلوب العلمي واعتمد على كثير من آراء وأقوال بحالة ممتازين في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية حتى كان البحث صورة شاملة واضحة الإضاءة والألوان. ويعطى لبناء الإسلام مراحل الطريق الطويل الذي سلكه أجدادهم ليقيموا بهم هذه الحضارة التي ينعمون بشمارها اليوم. مما يهيئ للعرب والمسلمين الآن خير السبل إلى العمل السليم الذي يكفل لدوحة حضارتهم التضارة والازدهار حتى تظل فروعها باسقة تحيي بظلالها المديد وحدة الشعوب العربية والإسلامية من هجير التفكك والانحلال.

ولما أوحى إلى النبي في أول نزول القرآن الكريم أصبح نذير أمته الداعي إلى الله. ورسول الشريعة الصحيحة الكاملة ومؤسس العدالة الاجتماعية بين المؤمنين. وكان الطريق الذي سلكه لتحقيق هذا الهدف شاقاً وطويلاً إذ كان حيي الطبع. والكفار يقابلون الدعوة بأشده أنواع العناد ويبغضون وسائل المحاربة. وبدأت الدعوة للإسلام في مكة سرا. وأمن بالنبي نفر قليل من أهلها والذين صاروا فيما بعد القوة الفعالة والهيئة المدبرة - لمشؤون الإسلام.

وبعس، ولقد يكون ممكناً أن تستغل العلم في إثبات وجود الله بهذا الأسلوب الشمولي الممتاز الذي يقف وراء الظواهر ولا يقف منها موقف المنفرد فحسب. نعم لقد يمكن هذا من وجود آثار الله المتجلية في كونه بين أيدينا. أما أن يذهب دارس أو مفكر إلى استغلال العلم في إثبات « غيبية » ليس لدينا أي دليل عليها كالأخرة... فهذا هو ما سيحله التاريخ مكانه اللائق به حين يسجل تاريخ الإيمان على الأرض، وليس مبالغة أن نقول أن هذا النمط من الفكر نهج غير مسبوق في تاريخ قضية الإيمان بالآخرة...

... أن الإنسان الفرد ليس في حاجة إلى دليل على أنه يموت، والإنسان كجنس هو وحده الذي يحتاج إلى مثل هذا الدليل... وهذه هي المقدمة الأولى التي لابد منها لكي ننطلق إلى قضية البعث في الآخرة...

« أن الظاهرة الأولى التي ننتزعاها بإمكان القيامة هي الزلازل، فيطن الأرض يحتوى على مادة شديدة الحرارة نشاهدها عندما يتفجر البركان... وهذه المادة تؤثر على الأرض بشتى الطرق، وبإيجاز: هناك جهنم طبيعية تلتهم تحت بحارنا الزرقاء، ومدننا الحضارية المكتظة بالسكان، وبكلمة أخرى: نحن واقفون على ظهر لغم « ديناميت » عظيم ومن الممكن أن يتفجر في أي وقت ليدمر النظام الأرضي كله ».

وليس الحال في باطن الأرض فقط بل هذه هي حال الفضاء الخارجي كذلك « فللكون فضاء لا حدود له. تدور فيه نيران هائلة لا حصر لها هي « السيارات والنجوم » وتدور بأقصى سرعة ممكنة... وهذا الدوران يمكن أن يتحول إلى صدام عظيم في أي يوم لا يمكن تصوره، وفي تلك اللحظة الرهيبة يكون ما في الكون أشبه بالآف من القاذفات النفاثة المليئة بالقنابل النووية، وهي تواصل رحلتها في الجو، ثم تصطدم كلها مرة واحدة!! »

... وعندما يتم هذا هل ينتهي كل شيء؟ لا: أن هناك حياة بعد الموت... بل أن الموت نفسه - في معناه الحقيقي - ليس فناء كلياً... أن الإنسان - كحقيقة - شيء آخر غير الجسم. « أن الشخصية هي عدم التغير في عالم التغيرات » أن الجسم الإنساني يتألف من ذرات تسمى « الخلايا » وهذه الخلايا تغير نفسها على امتداد العمر لمرات كثيرة « فلو كان فناء هذه الخلايا فناء للجسم لزم أن يفنى الإنسان عقب كل تغير يحدث في هذه الخلايا لكن هذا لا يحدث بالطبع... ولقد أثبتت التجارب العلمية أن جميع أفكارنا نحفظ في شكلها الكامل فاستعادتها عملية طبيعية ميسرة، والتجارب الروحية التي حدثت على امتداد القرنين التاسع عشر والعشرين قد أكدت هذه الحقيقة، وليست الحاجة إلى الآخرة مجرد إمكان بل هي وجوب كذلك تحتمل البواعث الأخلاقية والضرورة الكونية فضلاً عن البحوث الروحية... »

ولسنا نستعبد فنناول قضية الرسالة وإمكاناتها من وجهة النظر العلمية ووجوبها تاريخياً وأخلاقياً كذلك، ولا أن نتناول قضية أعجاز القرآن وحتمية الهبة وقصور البشر عن أن يأتوا بمثلها...

لسنا نستعبد إلى هذا ولا إلى غيره من الأبواب التي تطرق إليها مؤلف هذا السفر الجامع فقد ارتاده غيره من المفكرين الإسلاميين بأسلوب أو باخر... لكننا نشهد للحقيقة بأن هذا الكتاب فاتحة عصر جديد في الكتابات الدينية الملائمة لروح العصر

ونحن إذ نقدم هذا التقديم السريع فإنما نلفت النظر إلى وجوب انتهاز مثل هذا النهج العلمي ووجوب ألا ننسى - ونحن نكتب - الحياة المحيطة بنا بكل ما تعج به من تيارات ومناهج وإلى لقاء أسلامي كريم.



مُحَمَّد

صلى الله عليه وسلم

عرضه وتأخيره :
الأستاذ محمد فاوى عيسى

وأمام أصرار قريش على متاعاة النبي وأصحابه - ولما لاقاه صلى الله عليه وسلم من تمتع أهل الطائف وصلتهم - فأننا نراه قد لجأ إلى فتح ميادين أخرى للدعوة الإسلامية وخاصة في مواسم الحج . وقد لقي النبي أذنا صافية وقلوبا مفتوحة عند وفود يثرب على سنوات متتالية . حيث رحبوا باتباع تصاليم الإسلام وعلى استقبال النبي وصحبه وعلى حمايتهم . فكان أن انتقل إلى يثرب - على دفعتين - ماثنا مسلم . ثم وصل إليها النبي مهاجرا في ٢٤ سبتمبر ٦٢٢ م . وكانت الهجرة نقطة التحول في حياة النبي وأتباعه كما كانت نقطة التحول الكبرى في تاريخ الإسلام . وقد اختتم النبي بقيامه بهذه الهجرة مرحلة أظهر فيها مثالية تامة في الدعوة إلى الدين الحق وشجاعة نادرة في الدفاع عن معتقداته إزاء السفيرة والإضطهاد الذي ناله المسلمون معه من أهل مكة . كما وأنه قد حقق في مكة بعض التشريعات الاجتماعية . وإمها أن واجب الفرد يشمل المؤمنين بل ويشمل أيضا الجنس البشري كله . فاصبح انكار الذات والتضحية بالروح والمال وكل متاع الدنيا في سبيل نصره الدين أمورا حيوية عند المسلمين .

وبالهجرة بدأت رحلة جديدة في تاريخ الدعوة - حيث بدأ صلى الله عليه وسلم بإعادة الهدوء والسلام إلى سكان يثرب وخاصة بين قبيلتي الأوس والخزرج اللتين عانتا في حروب طاحنة أبدا طويلا .

كما نظم حياة المهاجرين وأخى بينهم وبين الأنصار - كما حدد علاقة الجماعة الإسلامية بباقي سكان المدينة وخاصة اليهود على أساس التفاهم والمودة .

كما أقام النبي أول مسجد في الإسلام فيه كل أنواع البساطة في دور العبادة . وأصبحت هندسته بنائه مثلا لما أتيم بعد ذلك من مساجد لقرون عديدة .

وقد كانت حياة النبي تتميز بالبساطة والنواضع . فلم يخص نفسه بكنانة يتميز بها عن غيره .

وقد واجه في المدينة مطالب عاجلة استلزمات إصدار التنظيمات الخاصة اللازمة لهذه الحكومة الجديدة والتي أصبحت فيما بعد أساس بناء الصرح السياسي للدولة الإسلامية . وقد اتسمت هذه التنظيمات بنظر بعيد . كما دلت على ذكاء يثير الدهشة . وكان من بين هذه التنظيمات الكتاب الذي أصدره النبي ووادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم .

ثم كان الجهاد في سبيل الله هو أحد الأهداف الرئيسية . وأذن الله للمسلمين في قتال أعدائهم ممن حاولوا قتل المسلمين وتقويض سيولهم . وكتب الله النصر للمسلمين رغم قلة عددهم وعنادهم حتى تم للنبي فتح مكة سنة ٦٣٠ م بلا مجهود يذكر . وانتشر في هذه صلى الله عليه وسلم الإسلام في جميع أرجاء شبه الجزيرة العربية وإلى تخوم الإمبراطورية الرومانية في الشمال .

كما فضح الله المنافقين واليهود . وتمكن النبي من دحرهم واقتلاع شوكتهم . ولم يكن هذا النصر إلا ثمرة طيبة لخبرة النبي التي لم تكل ومجهوداته التي بذلها .

كما كان التنظيم المالي واحدا من الأسس القوية لدولة الإسلام الفتية . وأصبحت هناك طيقتان من دافعي الضرائب . الأولى من المسلمين الذين استحققت عليهم الزكاة . والثانية من أهل الذمة الذين دفعوا الجزية أي ضريبة الرأس على القادر منهم من الرجال والتي تمهدت الدولة الإسلامية في مقابلها ببسط هيبتها على هذه الطبقة .

وكان النبي أقل تسامحا مع الوثنيين ممنهع اليهود والمسيحيين فيعد تسع سنوات من الهجرة نزل قوله تعالى في موسم الحج : « أنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » وكذلك قوله : « فإذا انسحل الأشهر الحرم فأتقوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم وأحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد . فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » ولما جاء النبي إلى موسم الحج في العام التالي لم يكن هناك مشرك واحد بين آلاف الناس التي وفدت إليه . وصارت شبه الجزيرة العربية تخضع كلها للحكومة الإسلامية الفتية العظيمة .

وبدأت مع أيام الإسلام الأولى الصلاة المفروضة بشماعتها الفنية التي اكتسبت أهمية خاصة عند المسلمين . وكان لصلاة الجماعة أثر خاص . فمن يرى المسلمين وهم مجتمعون صفوفًا للصلاة . يؤدون ركعاتها وسجوداتها في تناسق مذهبي وفي نظام ووقار لا يمكن أن يغفل ما كان لهذه الصلاة المنظمة من قيمة تربوية في نفوس المسلمين في أول الأمر . إذ يكفي أن نتذكر أن ذلك الشعب كان أبيا . لا يخضع لشينة خارجية . وأنه افتقر إلى الشعور التام بالطاعة . فابتظت الصلاة روح النظام والحفاظ عليها . وغدا مكان الصلاة أول ميدان حقيقي للتدريب العسكري عند المسلمين .

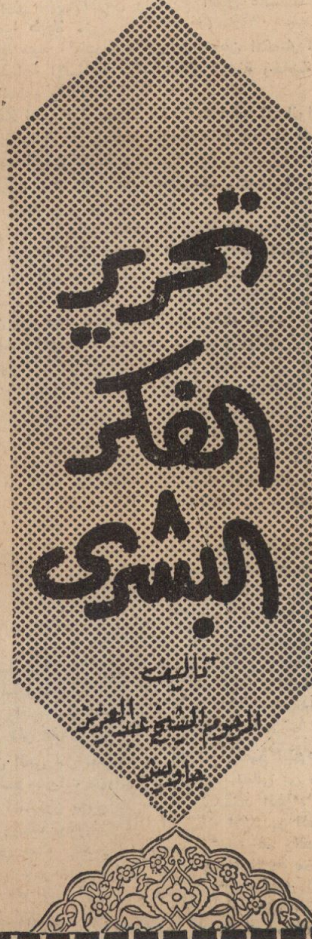
وانتظام المسلمين في الصلاة شجع روح الوحدة بينهم . وخلق عندهم شعورا بالمساواة . فكانت فكرة جديدة على النظام القبلي الذي كان قائما على التفاضل بالدم والتسبب والبراء والحسب وأمتان شأن المعوز وعديم الجاه والمبيد . ووجه الإسلام ضربة عنيفة إلى العصبية العائلية والقبلية . واحتضن على السواء الفقير والغنى على أساس المساواة الأمر الذي نجح في تهديد السبيل لوحدة بلاد العرب المتناثرة .

والى جانب الصلاة كان فكرة المساواة الاجتماعية تجديدا تابا أحدثه الإسلام . فاصبحت مساعدة الفقراء والقيام بأمرهم أمرا واجبا مقدسا . ولم يعد من شأن الأفراد أن يعطوا كيفما شاءوا . وإنما غدت الزكاة فرضا تجبى إلى بيت المال وينفق منها على الفقراء .

ولم تعارض أرسقراطية مكة التعاليم الجديدة بقدر مناهضتها للانقلابات الاجتماعية والسياسية التي حاولت هذه التعاليم القيام بها . فهذه التعاليم لم تقض على الفوارق القبلية فقط . بل هددت أيضا بإزالة الحاجز القديم بين الأحرار والعبيد . وكان العنف الذي لجأت إليه قريش لإبعاد العبيد عن تعاليم الإسلام قد أدى إلى نتائج غير متوقعة . حتى كانت قريش ترد : « ان قبولنا لتعاليم محمد زوال لنا عن ديارنا . » وقد كان أصرار المسلمين الأول على التمسك بتعاليم الإسلام رغم ما عانوه من اضطهاد وخاصة العبيد والفقراء منهم - إلى أن غدت هذه الفئة حلقة محكمة كشفت عن روح عالية أبية في مناهضة عادات العرب السامية .

من المكتبة الإسلامية أثر القراءات

عضو تقيي: إبراهيم محمد الفحام



مقدمة :

بدأ المؤلف - وهو العالم والمجاهد الإسلامي الكبير ، المرحوم الشيخ عبد العزيز جابوش - كتابه هذا بتقديم عرض تاريخي لما تعاقب على الفكر البشري في الأمم الكبرى ، قبل الإسلام من الحد والجزر ، والتحرر والاستعباد ، حتى يتسنى للقارئ ادراك مدى ما حققه القرآن الكريم ، من انصاف العقل الانساني ، واحلاله المقام الذي خوله خالقه منذ فطره واولجه .

واشار المؤلف الى ما بذله بعض الدعاة والرسول من الجهود لابقاظ البشرية ، وتطهيرها من الضراقات والباطل ، وكيف حوربوا بكل قسوة وعنف . ثم قدم امثلة للمآسي والويلات التي تعرض لها المفكرون والمصلحون ، في القرون الوسطى . اثر الاسلام في الحركة الفكرية ، والتهضة العلمية باوروبا . وشرح المؤلف اثر الاسلام ، في ايقاظ الشعوب الأوروبية ، وتحرير افكارها . وكيف أجمع المؤرخون على ان الحركة الفكرية والتهضة العلمية دخلتا أوروبا فيما حول القرن الثاني عشر الميلادي من طريقين : احدهما الاحتكاك الذي ظل نحو قرنين مستمرين بين الأمم الأوروبية ، والشرق الإسلامي ، خلال الحروب الصليبية . وثانيهما طريق المعاهد العلمية التي اقامها العرب في الاندلس ، وجزيرة صقلية ، وشواطئ إيطاليا الجنوبية . ويقرر المحققون من المؤرخين ان من رواد النهضة العلمية في أوروبا ، كانوا من الواقفين على اللغتين العربية واللاتينية معا . واذا انتحل هؤلاء أو عزى اليهم ابتكار أو ابتداء ، فانما سبب ذلك ما تمدهم غالبا من اغفال المصادر التي اخذوا منها ، حتى لقد رجح ان العلامة روجر بيكون الذي يعزو اليه الأوروبيون فضل السبق في علم الضوء ، انما اخذ علمه عن الحسن بن الهيثم صاحب المباحث العظيمة في الطبيعيات : ولا سيما الضوء والبصريات .

فلا شك ان مجاورة الأوروبيين لاهل القرآن الكريم ، الذي حرروا العقول ، واقام صرح العلوم ، وزين الدنيا بجوهر الفنون ، هي التي فتحت بصائرهم ، وكشفت عن حديد ابصارهم أغشية الجهل ، التي حجب عنهم انوار الهداية دهورا طويلة . ولو ان هؤلاء الأوروبيين وقفوا من العقل الانساني موقف اهل القرآن من كل وجهة ، ومنذ البداية ، لما تأخرت نهضتهم الفكرية الصادقة ، عن ذلك الوقت الذي بدؤوا يتصلون فيه بالمدنية العربية .

دور الاسلام في ايقاظ العقل البشري :

صور المؤلف ما تعرض له العقل البشري في الغرب من الازمات التي اقبلت مالا يوصف من شروورها وآلامها ، زمنا طويلا ، قبل ان يتسرب اليه قيس من نور الفكر الإسلامي ، ثم قدم صورة اخرى تكاد تكون مماثلة للحالة التي كان عليها العقل البشري في الشرق في تلك العصور .

ثم شرح كيف شاعت حكمة المعلم الحكيم ، ورحمة الرقيق الرحيم ان يشرق على عبادته الحائرين في ظلمات الضلالة فيفك اغلال عقولهم ، ويرفع منزلة نفوسهم . لقد شاء جلت حكمته ان يرسل القرآن بدين الفطرة ، ليحرر باوامره القدسية ، النفوس المغلولة ، وينقذ من معائر الجهالة العقول الضالة .

وهنا يناقش المؤلف ذلك التساؤل الذي يراود بعض الانهزام ، وهو : اذا كان دين القرآن هو دين الفطرة ، واذا كان مقياس

صفة الأحكام في نظر القرآن هو العقل والمنطق ، فهاذا عسى أن تكون فائدة الدين ؛ ولماذا لا يترك العقل البشري يبحث عن الحقيقة حتى يبلغها ، وينقب عن الخير والشر ، والنافع والمضار حتى يفقه كنهه ، ويدرك حدوده .

وقد رد المؤلف على هذا التساؤل بأنه في سبيل وصول العقل البشري بالبحث والتنقيب والتجارب إلى ما تنصبو إليه النفوس من مراتب الكمال عقبتان لابد من تذليلهما ؟

أما الأولى : فهي ضرورة انبلاخ عدة من القرون في التجارب والأبحاث التي يقتضيها الوصول إلى ما تنتشده النفس البشرية من وجوه الصواب المطابقة للصحة .

وأما الثانية : فهي ناموس التشود والارتقاء ، أو التطور التدريجي ، الذي لا يمكن — بالاعتقاد عليه وحده في عالم المقولات والمعنويات — أن يصل العقل البشري إلى مرحلة ، حتى يكون قد قطع ما قبلها من المراحل .

وللسلوك بالتأسي أقصر طريق وأقومه وأسلمه ، يرسل الخالق صفوة خلقه بالهدى ، ورحمة بعباده أن نزل أقدامهم ، ونضل أحلامهم ، ونضع مئات السنين والأفهام في البحث عما تصبو إليه من الفضائل والكمالات .

تقدير القرآن للعقل البشري واعتماده عليه في دعوته :

في دعوة الناس إلى حظيرة الإيمان ، وأثبت كيف أنه لم يدع وسيلة توصل إلى انعاش العقل ، وتحرير الفكر إلا لجأ إليها . فهو إذا تحاكم فالي العقل ، وإذا ناقش فيحكم العقل ، وإذا سخط فعلى معطلي العقل ، وإذا رضى فمن أولى العقل .

وقد جادل القرآن من أرباب المال والتحل ، والماديين والدهريين فما قارعهم إلا بالبرهان ، ولا دعاهم إلا إلى البحث والنظر .

ثم تحدث المؤلف عن مدى اعتماد القرآن على العقل البشري ولأنكاد نمر بك آية في المجادلات ألا وهي مختمة بمثل « بل أكثرهم لا يعلمون » و « قليلا ماذكرون » و « هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين » . و « انما يتذكر أولو الألباب » .

موقف القرآن إزاء الاعتناء بالمعجزات :

لم يشأ المؤلف أن يتعرض للبحث في أمر وجوب المعجزات اثباتا أو نفيا ، أو يعرف بكنهها ، ويحصى أنواعها واتسامها ، ولكن قصر حديثه على موقف القرآن إزاءها . وما إذا كان يرى ما رآه الأديان الأخرى ، من اعتبارها أساسا للمقائد الدينية ، وآيات قاطعة تكفي أن يعتمد عليها الرسل والأنبياء ، في اقتناع العباد ، أم يرى في طبيعتها وقوة حجتها — مع دعوتها إلى العقل ، وحضه على النظر والتدبر — ما يخرجها من دوائر الأدلة العقلية ، والبراهين البينة القطعية الملزمة للخصوم بما تقصده من النتائج .

وإذا كان في الحقيقة أن القرآن الكريم ، قد جاء بهذا الدين دين العلم والحكمة ، والبيان والبرهان ، إلا أن الأقوام الذين أنزل فيهم ، كانوا أهل جهالة وعناد ، وعباد أهواء وشهوات ، جهلوا سر الإسلام وروحه ، فاستمسكوا بما استمسك به أبائهم الأولون من طلاب الخوارق والمعجزات . ولم يكن طلبها من الرسول ناجيا عن ترو وصدق رأى ، ولكنهم كانوا يقترحونها إما عينا أو عنادا ، أو التزاما بما أَرْضَعَتْهُم الجاهلية الأولى من الضلالات والباطيل .

ولكن القرآن رأى أنه لو كانت المعجزات الخارقة للمعاد كافية مقتعة لما كذب بها الأولون ، بعد أن ألحوا في طلبها ، وأجيبوا إليها ، فزانتها أبصارهم رأى العين . وذلك لعدم وجود صلة عقلية بين تلك الآيات وبين ما أريدت له من اثبات رسالات الرسل فمنهم من رآها من أنواع السحر ، ومنهم من كذب بها عن بغي وعدوان .

والمتتبع لآيات الكتاب الكريم ، يجد أن الرسول ما سئل عن معجزة من المعجزات ، إلا تلطف ، وأرشدهم فيها إلى الأخذ بأسباب العلم والهدى وسماهم تارة بالجاهلين ، وأخرى بالذين لا يعلمون .

عدم اعتماد القرآن في دعوته على الإكراه :

ثم تعرض المؤلف لقيام الدعوة الإسلامية على مبدأ « لا إكراه في الدين » وأثبت أن ذلك المبدأ هو أيضا مظهر من مظاهر

اعتمادها على الإثبات والاقناع ، واجتذاب العقول . وما على الرسول إلا البلاغ المبين ، والتذكير بآيات الله الحكيم . « فذكر انما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » .

وقد أكتفى الرسول الكريم في حق دماء المشركين وأهل الكتاب ، واحترام حقوقهم ، بالجزية التي فرضها عليهم . إذا رفضوا الاسلام ، يدفعونها في سبيل ما تبذله الدولة الإسلامية من أجل حماية أرواحهم وأموالهم ، واستمتاعهم بما للمسلمين وعليهم من الحقوق والواجبات .

وبعد أن تحدث المؤلف عن رحابة صدر الاسلام : والتجانه في دعوته إلى الحكمة والموعظة الحسنة ، قارن ذلك بما يظهره بعض العلماء المعاصرين من ضيق الصدر ببعض الشبان الذين يطرقون أبوابهم : ويفشون مجالسهم ، لاستفتائهم في بعض أصول الاسلام ، والاستعانة بهم في صد هجمات الشكوك والأوهام ، التي ينيرها أعداء الاسلام باسم المكتشفات والنظريات الحديثة . فإذا ما استفتوا عليهم بكلية واحدة من ذلك ، سبموا من تفريرهم ، وتوجيه أقرى الاتهام اليهم ، ما يصدهم عن أبوابهم ومجالسهم ، وتدفهم تلك المعاملة إلى اليأس من بلوغ غايتهم وصلاح عقيدتهم .

وعلق المؤلف على ذلك بأنه لو درس مثل هؤلاء العلماء شيئا من العلوم الحديثة واطلوا على تياراتها لاستطاعوا أن يناقشوا مثل أولئك الشبان ، فيما ينير شكوكهم من حقائقها ، ولأثبتوا لهم أنه ليس في هذه الحقائق ما يخالف جوهر الدين . ولقد اعتبر القرآن التفكير في ملكوت الله ، وفي الاقبال على الملوسم على مختلف أنواعها ، من كبريات العبادات ، التي يزدلف بها إلى الله تعالى .

فالإنسان في نظر القرآن ، كلما ازداد علما وبحثا ازداد من الله تعالى اقترابا .

محاولة اظهار العلم والدين كأنهما دولتان متحاربتان : ثم انتقل المؤلف إلى الحديث عما ينير بعض الكتاب المعمرين من المناقشات والتحديات ، والآراء التي تكاد تظهر العلم والدين كأنهما دولتان في حرب قائمة دائمة .

وتجد هذه الفكرة اصداها قوية ، في نفوس القراء السطحيين الذين يفتنون بكل بدعة ، وينقبون المزامم والإدعاءات الجديدة ، دون سبر لاغوارها ، ولا بحث في مبلغ صدقها . فما ينبع أكثرهم في ذلك إلا الظن والهوى .

وتراه على ضلالهم التكيف ، وجهلهم الفاحشي ، يملكون الدنيا بالدعوى الجوفاء ، ويدعون لأنفسهم علوم الأرض والسماء ثم لا ينفكون يقدفون مع ذلك بروجهم تهكمهم وسخرتهم ، كل القيم والمثل والمانورات . ويؤمنون أنه لا يرجى صلاح للمجتمع ولا مساعدة للناس مالم يتسلحوا بالعلم . ويحذروا من تكاليف الدين .

ولو كان أولئك القوم على علم باصول الدين واحكام القرآن ومدى دعوته للاقبال على العلوم والتسلح بها لمازلت لهم قدم في مزالق التقليد ، ولا يتقوا بجلال ذلك الكتاب الذي يقول « ولا تنقف ما ليس لك به علم » . والذي يقول « فاسألوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون » .

موقف القرآن من العلوم الكونية :

وبعد أن تحدث المؤلف عن الحكمة من ظهور الانبياء والرسل وهو دعوة أمهم الضلالة إلى اصلاح ما فسد من أمرها ، ومعالجة ما مرض من أخلاقها ، وكبح ما جح من أهوائها وشهواتها . انتقل من ذلك إلى الحديث عما تميز به القرآن الكريم من موقفه الواضح من العلوم الكونية .

ثم أوضح أنه لا يعني بهذا أن كتاب الله قد جاء في هذه المقاصد بما نجينا به الكتب الفنية تبويبا وتفصيلا ، وتديلا وتعليلًا فان هذا — ولأنك — ما كان يوما من المقاصد الأولى للكتب الإلهية ، ولأن أغراض الرسائل السماوية . وانما يعني مدى ما بين القرآن الكريم وهذه العلوم من الصلات الوثيقة . وكيف أن هذا الكتاب الكريم لم يقف يوما في سبيل رقى العلم وحرية الفكر كما يتشدد الجهلة والمفرضون . بل كان — على العكس من ذلك — محرر العقول الاسيرة ومنير البصائر المظلمة ، ومثبت الأفكار القلقة ، ومنعش الهمم الخاملة ، ومحرك الافهام الجامدة .

الطريق إلى

الله

لأستاذ:
أحمد زين
عرض وتقديم
فتحى إلبياحى

وذكر المؤلف أن أهم ما يعنى من بحثه هذا أن يصف موقف كتاب الله الكريم ، من هذه الأغراض ، وأن يأتي على بعض آياته التي لم يفسرها إلا الزمان ، ولم يكشف دقائقها سوى ما أحدثته الحركة العقلية الجريئة ، التي انتهت أمامها ظلمات التقليد ، وازيح بها عن الإصرار مكان بعد لدى القدماء علوما صحيحة ، ونظريات ثابتة ، وما كان أكثرها سوى نظريات اخترعها الخيال والتخمين ، أو أساطير توارثها الإخلاف عن آباؤهم الأولين .

ولقد ظهر القرآن الكريم في أمة أمية ، لم تالسف المباحث العقلية ، ولم تعرف علوم الكون ، والمسائل الطبيعية ، فلما جاءهم بما ذكر لهم من إشارات أو صريح عباراتها ، ولم تنسج لها مداركهم بعد ، ذهبوا في أمرها مذهب التفويض والتسليم وأبوا أن يقفوا ما ليس لهم به علم ، فتقبلوها مؤمنين وتركوا أمر تأويلها ، ومهتبا إلى أهل العلم .

ثم شرح المؤلف ما حدث بعد ذلك من ازدهار العلوم ، وتفجر ينابيعها النضاجة لاهل القرآن ، فكتب الله لهم السبق في كل مضمار ، وعقد لهم لواء التفوق في ميادين الحضارة والسياسة والصناعة والزراعة والأدب وفنون الجبال .

ولقد قلقت بعض النفوس في البداية ، من الاقتبال على تلك العلوم الوليدة ، وحسبوا خطرا على الإسلام ، ثم ثابت إلى رشدنا ، عندما وجدت في آيات الله الحكمة ، ما كان جنة لهذا الدين ، ومنارا للمباهتين ، وحجة قاطنة على الجاهدين ، ورجوما لشياطين المرجفين من الجاهدين .

وفي ظل القرآن ، ودعوته الصادقة إلى الدرس والبحث والتفكير الصحيح ، تعاقب العلم والإسلام عدة قرون ، لم تتخللها وحشة ، ولم يمزجها صفاء ولاسلام . ثم حدث بعد ذلك أن تسدت الملكة العربية ، بعد صدر الدولة العباسية ، وعجز الناس عن تفهم كتاب الله ، وأدراك تعاليمه ومقاصده ، فحبل بين العقول والعلوم . وظهر من ادعاء العلم من حجروا على المدارك أن تتحرك في ميادين المقولات ، وعلى الإصرار أن تنقلب في صحائف الأرض والسموات .

ولما جاء الغول بفارائهم الساحقة المحقة كتب الفوز والفلب للجهل ، وتم النصر للسهيف على العقل . فقام الناس في أودية الضلال ، ورجعت العقول إلى جاهليتها الأولى ، انقطاعا عن التحصيل وتقيدا بالتقليد ، واخذوا بالخرافات والأضاليل .

مفزى هذه التجارب :

واستنبط المؤلف من تقلب تلك الأحوال أن ازدهار العلوم العقلية والكثنية وذبوعها في سائر البلاد التي استطلت بالقرآن كانا معقودين ببيلغ وقوف الناس على معاني هذا الكتاب الكريم ومدى إدراكهم لأسراره ، وأخذهم بتعاليمه .

فالقرآن الكريم هو الذي قام بالدعوة إلى تلك العلوم ، كما قام بالترغيب في البحث عن وقائعها وإسرارها ، فظهر بين المؤمنين آلاف من أمثال الكندي والخوارزمي والجوهري والفرغاني والبلخي والطوسي وابن سينا والفارابي وابن رشد وابن الهيثم ، وأشباه هؤلاء من فطاحل العلماء .

بعض الآيات القرآنية التي تناسب النظريات العلمية الحديثة : وفي ختام ذلك البحث قدم المؤلف باقة كريمة من الآيات القرآنية التي تناسب النظريات العلمية الحديثة ، والتي أنزلها الله على نبيه الكريم ، قبل أن تتحقق هذه النظريات بأجيال طوال .

— فمن تكون جميع أصول الكائنات من زوجين اثنين ، هما بلسان العلم الحديث [الكترون] و [بروتون] قال تعالى « ومن كل شيء خلقنا زوجين اثنين » .

— وعن تولد الحياة من الماء قال تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي » .

— وعن تعدد الأرضين ، وأن السيارات جيبا أراضى كارضنا قال تعالى « الله الذي خلق سبع سموات ، ومن الأرض مثلهن » . وعن دوران السيارات في مدارات وهبية . قال تعالى « كل في فلك يسبحون » .

وذكر المؤلف في النهاية أنه يكتفى بما قدمه لنا من المجالات والامثال ، وأبدى أمله في أن يوفق إلى استكمالها ، وإيفائها حقها من الشرح والبيان ، في فرصة أخرى .

أبائيل تحرق اليهود ، وهم يحرقون المسجد الأقصى ، لماذا لم يزلزل الأرض بهم ويمحقهم أو يقتلهم لماذا لماذا ؟ أننا إذا اردنا ان نسال
 اين الله ؟

فيجب ان نسال انفسنا قبل ذلك أين نحن من فوائين الله .. وحينئذ سنعرف الجواب . ان هذه القوانين في رأى المؤلف .. أن الله قد طلب منا الجهاد . القتال .. الحرب . وأن القوة هي التي تحمي الحق ويجعل الجهاد أعلى درجات الإيمان والاستشهاد في سبيل الله .. جزاؤه الجنة . واوصانا بالصبر عند الشدائد ، ليس المستسلم العاجز ، ولكن صبر الرجل القوي الذي يرتفع فوق الأحداث ، ويرفض أن يستسلم . ونهانا الله عن أن تصدق الاضاليل الزائفة أن هناك شيئا لا يقهر .. وانما هناك ايمان يقهر كل القوى مهما تكن . وأن الذي يصنع التقدم هو العقل والعمل .. وكلاهما في الاسلام في صلب الإيمان . ويقول أحمد زين في فصل «كلنا رأى الله» .. ألم تحدث لك حادثة واحدة في حياتك رأيت فيها الله مرة .. في رحمته .. في قدرته في حكمته .. ألم يحدث أن تخلى عنك الرجاء والامل .. وتوجهت الى السماء ، وصحت من أعماقك يارب فقطحت أبواب السماء .

● ● ● وكتاب «الطريق الى الله» .. نبضات حية ، صداقة عن تجربة عاناها المؤلف بنفسه ، حتى اجابات الاسئلة الحائرة التي حاول المفسرون من عمالقة التفسير ان يضعوا لها حولا اجتهادية ، كان أحمد زين .. يحاول الاجابة عنها بمزيج من التعبير عما يجيش في قلبه وصدره من ايمان وانبهار بهذا النور الالهي ، وبمزيج من العقل المفكر ، الذي قرأ ، واستوعب آراء السابقين من مفسرين ، ومجتهدين . فجاءت سطور الكتاب معبرة أصدق تعبير عن هذه التجربة الروحية التي عاشها الكاتب . كما أنه تعرض لكثير من امهات المسائل الاسلامية العميقة مثل الخير والشر . والله والايمان . والله والامل .. والله والعقل ، وهي موضوعات شائكة .. ليس من السهل التعرض اليها ، ولكنك عندما تقرأ ما كتبه المؤلف تحس أن هذه المسائل الشائكة الصعبة ، قد تحولت الى موضوعات صغيرة ، بسيطة ، سهلة الفهم ، للمقدرة التي يتمتع بها المؤلف . وهي القدرة على تبسيط التعبير عن مشاعره وآرائه في تلك المسائل الهامة التي تعتبر من أعمدة وأسس الايمان بالله .

● ● ● ● واذنا في هذا العالم المضطرب القلق .. المادى في أشد الحاجة الى العودة الى أصل النفس البشرية الصافية بعيدا عن تعقيدات حضارة القرن العشرين وما تتطلبه الحياة البشرية المعاصرة من خداع ونفاق وانتهاز وغش أننا في حاجة الى ان نغسل انفسنا من شوائب حياتنا المادية العفنة .. في حاجة الى العودة الى الطريق الصحيح .. الطريق الى الله .

● ● ● لماذا نحب الى بيت الله الحرام . وما هي معانم الطريق الى الله . وما معنى الإيمان . ان الطريق الى الله لايمكن ان تحده قيود ولا ان يرسمه البشر .. انما هذا الطريق يبقى بين الله وعبيده ، يحدده القلب الصافي والنية الطيبة ، ومهما حاولنا نحن ان نرسم أين يقع هذا الانسان او هذا الصديق .. او هذا العدو من الطريق الى الله ، فاننا لايمكن ان نصل الى المكان الصحيح . هذه بوايات لأسئلة حائرة تواردت على ملايين الاذهان .. كما انها كانت دافعا لان يقوم الاستاذ أحمد زين .. بنكت التجربة الصافية خلال كتابه «الطريق الى الله» ، وخلال المعاناة النفسية ، والانفتاح الروحي نحو السماء ، في لحظات صافية من اجل لحظات العمر الانساني في لحظات اداء شعائر الحج ، وتوارد الافكار والخواطر .. والاسئلة عن سر النور الالهي ، والحب الصافي الذي يثير الطريق الى الله .

● ● يتساءل أحمد زين في مقدمة كتابه .. لماذا الحج ؟ ! .. قيل انه اجتماع مرة كل عام ليتشاور المسلمون في امور دينهم ودنياهم .. وقيل انه لقاء يزيد اللفة والتعارف والمحبة بين المسلمين .. وكل هذا صحيح وصادق ، ولكن أريد ان ازيد عليه شيئا بسيطا هو الذي دفعني بقوة لان اذهب الى هناك .. ذلك انه في هذا المكان بالذات .. وحول هاتين المدينتين المقدستين مكة والمدينة ، حدثت المعجزة معجزة تلك القبائل المتفرقة التي تبغض بعضها البعض وتشن الحروب الضارية على اتفه الاسباب .

هؤلاء الناس الذين يكره بعضهم بعضا ، نشأت أضخم حضارة في التاريخ ، ونشأت قوة هزمت امبراطوريات الفرس والروم وزعزعتها ومحتها .. ثم وصلت الطلائع الى اوروبا .

كيف حدث ذلك ؟ .. ويجب احمد زين بقوله حدث هذا بقوة الدين الجديد الذي ولد هنا . هل هو صلاة هل هي تسبيح وتكبير نعم ولكن أكثر من ذلك هي حياة هو رسم لطريقة الحياة «رسم من خيوط صلبة قوية تبني الانسان من الداخل . تبني الانسان الذي يستطيع ان يسود الارض . ومن الاسباب الرئيسية التي فرض من أجلها الحج هو أن يذهب المسلمون الى هناك مرة كل عام .. ليتذكروا هذه المعجزة .. يتذكروا ماذا يفعل دينهم في طريق الحياة انه لم يأت بمعجزات حسية كبيرة . ولكنه اتى بشيء آخر هو الاعتماد على العقل الاعتماد القوي على العقل ..

● ● ويتابع المؤلف التعبير عن تلك المواقف التجريبية التي عاناها ، وشاهدها ، وصادفها .. وهو سائر في الطريق الى الله ، في عبارات جميلة منطقية شيقة ، تؤكد حقيقة ان تلك الكلمات صادرة من القلب والعقل معا دون أى افتعال . وعندما وقع حريق المسجد الأقصى لاحظ الكاتب وسمع .. كثيرا من الناس يتساءلون أين الله ، لماذا لم يرسل طيرا



والفتى يجيب



أنت
تسأل

فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد الفخام شيخ الأزهر

طلقة، ثم ندما على ذلك ويسأل ان كان هذا الطلاق واقعا؟
الجواب،

هذه العبارة التي أوقع الزوج بها الطلاق تأخذ حكم الطلاق الثلاث بلفظ واحد والطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع طلقة واحدة عملا بالمادة ٣ من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ المعمول به في محاكم الأحوال الشخصية بالجمهورية العربية المتحدة ونصها «الطلاق المقترن بعدد لفظا أو إشارة لا يقع الا واحدة».

س ٤ : من عبد الفتاح سالم على - من ميت العز - فاقوس - شرقية

يقول : أن ابنة عمه رضعت من أمه عددا مجهولا لا تذكره أمه ولكنها تذكر أن الرضاع كان يحدث عند الضرورة لأنهما كانا معا في معيشة واحدة.

ويقول أنه سمع أن هناك مذهباً يشترط لتحريم الزواج بالارضاع عددا معيناً من الرضعات ٠٠ غير أنه لا يعرفه ويريد معرفة هذا المذهب وما إذا كان يمكن الأخذ به لأنه يرغب في الزواج من ابنة عمه ؟
الجواب :

مذهب الشافعي رضى الله عنه هو القائل بأن الرضاع المحرم للزواج ما كان عدده خمسا فأكثر فان كان أقل من خمس فلا أثر له ، وهو أصح الروايتين عن الامام أحمد رضى الله عنه .

فان كان الرضاع يقينا أقل من خمس فلا تحريم ٠٠ وان كان يقينا خمسا فأكثر ثبت التحريم فلا يجوز الزواج وان حدث الشك في أنه خمس أو أقل فلا يثبت التحريم لان الحل هو المتيقن والتحريم مشكوك فيه ٠٠ والشك لا يرفع الثابت باليقين .

ويرى الحنفية أن قليل الرضاع وكثيره محرم

س ١ : من السيد - عبد الله الزليطي - من طرابلس الغرب - ج ع ل .

يقول : أن له ابنة خالة يريد الزواج بها وقد رضع أخوها الأكبر من أم السائل مرتين أما الفتاة التي يريد الزواج بها فاتها لم ترضع معه كما لم يرضع هو كذلك من أمها ويسأل أن كان زواجه بها جائزا أم لا ؟
الجواب ،

مادامت أيها السائل لم ترضع من خالتك أم البنت التي تريد الزواج بها ولم ترضع هذه البنت من أمك ولم ترضع معا من ثدى آخر فان زواجك بها جائز ولا مانع منه ولا أثر لرضاع أخيها الأكبر من أمك سواء كان رضاعه قليلا أو كثيرا ٠٠ والله أعلم .

س ٢ : طلب بعض المواطنين من المجلة معرفة والد سيدنا موسى واسم والدته ؟
الجواب :

جاء في كتب قصص الانبياء أن : نسب سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام هو :

موسى بن عمران بن قاهت بن لاوى بن يعقوب .
وأمه هي - يوكابد أخت قاهت بن لاوى ، فهي عمه عمران ولم يكن زواج الرجل من عمته محرما في تلك الأزمان .

هذا ونرجو أن تكون معرفة نسب سيدنا موسى محققة للفائدة المرجوة من السؤال .

س ٣ : من عبد الخالق عوض - جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية المحافظة الشمالية

يقول : أن مشاجرة حدثت بينه وبين زوجته فطلبت زوجته منه أن يطلقها فقال لها « أنت طالق سبعين ألف

للزواج ما دام في السنيتين الأوليين من عمر الرضيع
فيثبت التحريم عندهم ولو بمصة واحدة .
ورأى الشافعي هو المختار للفتوى . والله أعلم .

س : ٥ : م : ١٠ ن . من الاسكندرية .
يقول : هناك أختان شقيقتان لأحدهما ولد
ولأخرى بنت .
أولا ، رضعت البنت من أم الابن (خالقتها)
رضعتين .

ثانيا : أم الام (الجدة لام) أرضعت البنت عددا
من الرضعات .
ويسأل عما إذا كان يجوز الزواج بين الولد والبنت
كما يسأل عن مدة الرضاع وعدد الرضعات المحرمة .
وهل البنت باعتبارها أصبحت أختا لام الابن من
الرضاع تحرم عليه . أم التحريم خاص بالأخت من
الرضاع فقط . كما ورد في قوله تعالى : (وأخواتكم
من الرضاعة) .

الجواب :
قال تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم
وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت
وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة » .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحرم من
الرضاع ما يحرم من النسب » فلا يحل لرجل أن
يتزوج بنت أخته رضاعا كما لا يحل له أن يتزوج بنت
أخته نسبا وذلك ثابت بالاجماع أخذاً من النصوص
السابقة .

واتفق الفقهاء على أن الرضاع المحرم ما كان في
السنيتين الأوليين من عمر الطفل إذ هو اللبن الذي
ينبت اللحم وينشئ العظم . أما إذا حدث الرضاع
بعد السنيتين الأوليين فلا أثر له لأن الطفل لم يعد في
حاجة إلى هذا اللبن وبالطعام ينبت لحمه وينشئ
عظمه .

واختلفوا في عدد الرضعات التي يثبت بها تحريم
الزواج فيرى الحنفية أن الرضاع يثبت ولو بمصة
واحدة فيثبت التحريم ويرى الشافعية وفي إحدى
الروايتين عن الإمام أحمد أن الرضاع لا يثبت به
تحريم الزواج إلا إذا كان عدده خمسا فأكثر يقينا ،
فإذا كان أقل من خمس فلا يثبت التحريم ويحل الزواج
وإذا حدث الشك في العدد هل هو خمس أو أقل فلا
يثبت التحريم أيضا لأن الحل هو المتيقن والشك لا
يرفع اليقين وهو الرأي المختار للفتوى .

فرضاع البنت (موضوع السؤال) من خالقتها
مرتين فقط لا يحرمها على ابن خالقتها عملا بمذهب
الشافعي وأحمد في إحدى روايتيه .

ورضاعها من جدتها لامها عديدا من المرات كما
يقول السائل يحرمها على ابن خالقتها لأن خالقتها
أصبحت أختا لها وأصبح ابنها ابن أخت للبنت من
الرضاع ويحرم الزواج من ابن الأخت نسبا أو
رضاعا - كما قلنا - وهذا باجماع الفقهاء إذا كان
الرضاع خمسا فأكثر فإن كان أقل من ذلك فلا يجوز

الزواج عند الحنفية ويجوز عند الشافعية والحنابلة
كما أسلفنا البيان . والله أعلم .

س : ٦ : من محمد محيي الدين حسن الضبيعة
لهذا السائل ٤ أسئلة تدور كلها حول شيء واحد
هو :

ما الحكم في رجل تزوج امرأة وأنجب -نحبا ثم تبين
له أنه قد رضع على أختها الكبيرة فهل تحرم عليه .
وما حكم العقد ؟

الجواب :
إذا كان الرضاع على الأخت الكبيرة من امرأة
أجنبية أي من غير أم الزوجة موضوع السؤال فلا
يثبت التحريم وزوجته حينئذ ليست أختها من
الرضاع ، والزواج صحيح . أما إذا كان رضاعه
على أختها من أمها وثبت أنه رضع الرضاع المحرم من
حيث المدة ومن حيث العدد - كما سبق أن شرحنا في
السؤال السابق - فإن هذه الزوجة تكون أختا له من
الرضاع لأنه برضاعه من أمها صار أخا لجميع
أولادها سواء من رضع معها ومن لم يرضع معها .
والعقد غير صحيح وعليه أن يفارق زوجته فورا
ونسب الأولاد إليه صحيح شرعا وهذا إذا كان عدد
الرضعات - كما قلنا - خمسا فأكثر . فإن كان أقل
من ذلك فالزواج صحيح وعليه أن يستمر في العشرة
الزوجية عملا بمذهب الإمام الشافعي رضي الله
عنه . وهو المختار للفتوى - كما سبق البيان -
والله أعلم .

س : ٧ : من عادل محمد مختار - حلوان الحمامات .
يسأل عن سجدة التلاوة هل لها سلام ؟

الجواب :
سجدة التلاوة هي سجدة واحدة بين تكبيرتين
أولاهما عند وضع الجبهة على الأرض للسجود
والثانية عند الرقع من السجود ولا ركوع فيها ولا
تشهد ولا تسليم .

وبعدم التسليم قال الحنفية والمالكية والحنابلة
ويرى الشافعية أن لسجدة التلاوة ثلاثة
أركان - الأول : تكبيرة الاحرام ، الجلوس بعد
السجدة ، السلام . فالسلام في سجدة التلاوة يقولها
به الشافعية . والله أعلم .

س : ٨ : من امين عثمان البسيوني - من تمي
الامنيدي - السنبلوين .

يقول : توفيت هدى محمد محمد . وقررت ميراثا
وورثه وهم ،
أم . جدة لاب . أخوين لاب . أختين لاب .

ويرجو بيان توزيع التركة ؟

جواب :
إذا كان الامر كما ورد في السؤال ولم تترك
المتوفاة سوى من ذكر فإن لام السدس فرضا والباقي
للأخوين والأختين تعصيبا للذكر ضعف الأنثى ولا شيء
للجدة لاب لحجبها بالأم - والله أعلم .

لقاء مع السيدة حياة جردة حسين حرم سفير الصومال بالقاهرة

إعداد: نجاة الزنبري

المعادات والتقاليد والمفهوم الصومالي للمرأة في مجالات التعليم والعمل . . .
والسيدة حياة تلقت تعليمها الإعدادي والثانوي في مدارس الصومال . . . وتجيد اللغة الانجليزية . . .
ومن البلاد التي زارتها كينيا واثيوبيا والسودان ولبنان ثم القاهرة . . . وهي أم لطفلين صغيرين .

وقد بدأت حديثها معي بالتعبير عن انطباعاتها عن القاهرة : — فقالت لي :

القاهرة مدينة جميلة وعصرية وسكانها طيبون يمكن التفاهم معهم بسهولة ولا أشعر معهم بالغربة أبدا بالقاهرة بلدي . وأهل القاهرة أهلى القاهرة موطن الاسلام الكبرى وموطن الاحرار والحرية .
تاريخ الحركة النسائية في الصومال : —

المرأة الصومالية محاربة منذ التاريخ القديم . . . فهي دائبا في صفوف المقاتلين منذ عهد النظام القبلي وقد انتقلت مع الرجل من المجتمع القبلي الى المجتمع الحضارى وفي وقت واحد دون أن يسبقها الرجل في التقدم . . .

وفي التاريخ الحديث ساهمت مساهمة فعالة في تحرير وطنها وشاركت في الحركة النضالية الوطنية في الفترة من ١٩٤٦ — ١٩٦٠ — أي يوم استقلال الصومال . . .

ودورها في النشاط السياسي معروف لدى المجتمع الصومالي فهي تشتهر بشجاعتها الفدائية وكان لها صوتها البارز في الاحزاب السياسية . فتجدها في الادارات الاجتماعية والاقتصادية للاحزاب . . . وقد كان لحزب الوحدة الذي كافح الاستعمار ادارتان احدهما من الرجال والثانية من النساء ثم توحدت الادارتان وجمعت الجنسين معا وبالنسبة لحزب

إذا كانت المرأة في بعض مراحل التاريخ القديم قد فقدت حقها وانكرت رسالتها السامية وعومت أدنى معاملة . . . فإن الاسلام بتشريع العادل ونظرته المتصفة وتنظيمه الدقيق للحياة في كل مجالاتها . . . قضى على رواسب الجاهلية والافوضاع الشاذة التي كانت توضع فيها المرأة . . .

وأبرز لها حقوقا وأوجب على الرجل نحوها التزامات . . . ما استطاعت المرأة أن تظفر بها في أرقى التشريعات الوضعية . . .

هذه حقيقة ثابتة . . . وضعتها نصب عيني . . . وتوجت بها ذهني . . . وجعلتها شعارا لبابى هذا في المجلة . . . ورحت أبحث عن مدى تطبيقها في بلاد العالم الاسلامي وبدأت بالصومال . . . فالشعب الصومالي . . . من أشد شعوب العالم الاسلامي تدينا وكل من يتصل بالصوماليين يعرف ما للدين في حياتهم من أهمية . . .

فقد ربطت عقيدة الاسلام بينهم ودعمت من أخويتهم وتعاونهم لما فيه صالحهم وصالح الامة الاسلامية . . .

وعندما استقر الاسلام في الصومال في القرون الاولى للهجرة حدث تنظيم اجتماعي جديد على أسس اسلامية في المعاملات والتجارة وكان اقواما أثرا وأبعدما مدى هو تنظيم العلاقة الاجتماعية بين الرؤساء والشعب . . . ومنح المرأة حقوقها كاملة . . .

وفي منزل سفير الصومال بالقاهرة . . . (عبد الله آدن أحمد) . . .

كان لي لقاء مع السيدة الفاضلة حياة جردة حسين حرم سفير الصومال بالقاهرة . . . النموذج الكابل للمرأة الصومالية والاخت الصومالية المثقفة المتدينة . . . لتحدثني عن الاسرة الصومالية من حيث

التعليم

وتزداد نسبة الفتيات المتعلقات عاما بعد عام .
وتعنى الأسرة بتعليم البنت عناية خاصة .. ذلك
لان المرأة الصومالية بصورة عامة تمثل جانبا من
المجتمع الاسلامى العالى المحافظ . .

وتوجد فى الصومال الان مدارس مشتركة للبنين
والبنات ومدارس أخرى منفصلة ويسير التعليم
طبقا للبرامج التى تضعها وزارة التربية والتعليم ..
اما التعليم الدينى الاسلامى فهو اجبارى فى المدارس
الابتدائية والمتوسطة والعالية يدرس فيه القرآن
الكريم ومبادئ العلوم الاسلامية .. ولا توضع
اية قيود على تعليم المرأة حتى تحصل على أعلى
الدرجات الجامعية .. ومن المظاهر المألوفة ان
السيدات الكبيرات فى السن يذهبن مساء الى
المدارس المخصصة لمحو الامية . .

وتوجد الجامعة الوطنية الصومالية تضم الطالبات
والطلبة على السواء وقد انشئت حديثا .

مبادئ العمل للمرأة الصومالية :

والمفهوم الصومالى للمرأة هو انها ليست جليسة
البيت وليست فقط لانجاب الاطفال وتربيتهم ولكنها
عضو عامل هام فى المجتمع كما انها احد اطراف
الموازنة العادلة فى الأسرة .. فهي تتمتع بنفس
الحقوق التى يتمتع بها الرجل فى الوظائف العامة
وليس هناك قانونا ما يمنع من تقلدها لأعلى
الوظائف .. لذلك نجد الأخت الصومالية منتشرة
انتشارا واسعا فى جميع الوظائف الحكومية ..
وتوجد فى وظائف السلك الدبلوماسى من الرتبة
المتوسطة . هذا الى جانب أنها تعمل ناظرة فى
المدرسة . ومفتشة بوزارة التربية والتعليم وطبيبة
ورئيسة قسم بالمستشفى ومديرة فى الاجهزة الادارية
والاقتصادية وتعمل فى ادارة الامن . وهى ضابطة
فى البوليس .. وتقوم بالاعمال الادارية والخدمات
الطبية فى مجالات الجيش .

واذا لم تصل الى أعلى الوظائف فذلك يعود فقط
الى أن تعليمها جاء متأخرا نسبيا عن الرجل ولكن
من الناحية النظرية فان الباب مفتوح امامها لشغل
اى وظيفة وبذلك فهي مميزة عن كثير من نساء الدول
حتى الدول المتقدمة جدا .

وتتساوى المرأة مع الرجل فى الاجور والوظائف .
فلا ينظر المجتمع الصومالى الى المرأة كما لو كانت
ذا طبيعة ناقصة حتى يقال ينقص أجورها .

الانتخاب والترشيح فان قانون الانتخابات الادارية
لعام ١٩٥٨ كان بمثابة المرحلة العملية فى منسح
المرأة الصومالية حق الانتخاب والترشيح فاصبح فى
مكانة مرموقة فى المجتمع وحقوق سياسية مثل الرجل
دون تمييز .

وفى ظل العهد الثورى الجديد .. وحين
يحين الوقت المناسب لاجراء الانتخابات فان طبيعة
المجتمع الصومالى الان متكفل للمرأة اكثر مما كانت
تطمح اليه .

وجدير بالذكر أنه فى عام ١٩٥٩ - كانت السيدة
(حليمه جوى) رئيسة المجلس البلدى اى عمدة
مقدشيو العاصمة . .

وقد انشئت الجمعيات النسائية بعد الاستقلال
عام ١٩٦٠ لتوجيه المرأة توجيهها سليما فى الميادين
الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .. لكن هذه
الجمعيات كانت بمثابة تنظيم وتطوير لجهود المرأة
وليست لاكتساب حق لم يكن موجودا . ذلك لان
المرأة الصومالية منذ أقدم التاريخ لها مكانتها الممتازة
فى المجتمع .

وفى الوقت الحاضر .. الفيت جميع الاحزاب
والجمعيات النسائية وغير النسائية وذلك لان الكتل
السياسية المتصارعة كانت تستخدم الجمعيات
النسائية لاغراضها الخاصة مظهرها فى ذلك مثل سائر
الاحزاب والجمعيات النسائية والشبابية او غيرها .

وعندما يحين الوقت سوف تكون هذه الجمعيات
على أسس سليمة تخدم اغراض المجتمع الجديد
ككل . .

وفى الوقت الحاضر أيضا نجد المرأة الصومالية
قد بذلت جهودها فى نشاط الثورة وكان لها نفس
الدور النضالى الذى كانت تقوده من قبل بل أشد
واقوى .. ولها الآن مركز المشاركة فى تطوير البلاد
وفقا لمتطلبات الثورة التى هى متطلبات الشعب
الصومالى ككل .

الأسرة الصومالية والمفهوم الصومالى للمرأة ..

وقالت لى السيدة حياة .. مواصلة حديثها عن
المرأة الصومالية :

ونظرا لان المجتمع الصومالى مجتمع اسلامى
هربى متمسك بشريعة الحق ، فان المرأة تتمتع
بجميع حقوقها طبقا لقواعد الشريعة .. والمجتمع
الصومالى يعتبر المرأة رمزا للشرف والشجاعة ويدل
على ذلك الكثير من العادات والتقاليد السائدة منذ
القدم والباقية حتى الان والتى ان دلت على شئ فانها
قد دل على تفخيم شأن المرأة فى هذا المجتمع . ومن
ضرورات المجتمع الصومالى ان المرأة متساوية مع
الرجل فى كل المجالات دون اى تفرقة على الاطلاق ..
وقد لعب النظام الاسرى دورا هاما فى الحياة
الصومالية .

من تقاليد الأسرة الصومالية :

الزواج له أسى مقام فى المجتمع الصومالى ، ذلك لان التقاليد الصومالية منحدره أساسا من التقاليد الإسلامية البعيدة عن البهرجة ..

فالزواج يتم عن طريق الخطبة اذ يقدم والد الشاب أو عمه الى أسرة المخطوبة يطلبون يدها وغالبا ما تكون قد جرت مفاوضات سرية حتى لا يحدث الرفض اذا ما تقدم الرجل فتثور المشاكل .. ولا يحتمل رد أى خاطب مهما كان - طبقا للتقاليد الإسلامية - الا اذا لم يكن كفؤا فى مستواه الاجتماعى والثقافى وحتى هذا نادر الحدوث .

وتتم الخطوبة فى مجلس حافل يضم كبار الاهالى لكل من الخاطب والمخطوبة وفى هذا المجلس لابد من أن يدفع الخاطب مبلغا من المال يتناسب وقدرته المالية ويوزع هذا المبلغ على عشيرة خطيبته وفى المجلس يتبادل الجانبان خطبا تناسب المقام ..

ويستمر حفل الزواج عدة ايام ويدعو والد العروس المشايخ وعلماء الدين وأعيان البلد الى تناول طعام الغداء .. وتقرأ الاوراد والاذكار والادعية وتدعو العروس صديقاتها لحياء حفلات الرقص طول ايام الاحتفالات .

وتقوم سيدات الجيران باعداد موائد الفرح ، وتشمل مائدة العرس خرافا مشوية ومحشوة بالبطاطس والطماطم .. وخبز (العنجارة) وهو خليط من القمح والشعير ..

وتقدم ايضا الدسييسة (سور) وفى مذن الريف يقدم الى اهل العروس الحيوانات من الابل أو البقر أو الاغنام .

وفى حفل الزفاف يركب اصداقاء العريس الخيول فى استعراض راقص جميل ..

كما تقدم بعض الهدايا من الملابس فى ظروف خاصة وذلك على سبيل استرضاء الوالدين وليس على سبيل المهر .

ويوزع الشاب الى بيت الزوجية بين مجموعة من زملائه وهم يرددون الاوراد الدينية كنوع من التبرك فى اقامة حياة زوجية سعيدة .. كما تزف العروس كذلك وسط مجموعة من زميلاتهن ..

وهناك توازن طبيعى متعادل بين الزوج والزوجة حتى يحفظا كيان الأسرة .

فالرجل هو رئيس العائلة ولكن المرأة هى التى تدير البيت وهى الحاكمة فيه .

وهناك رابط أدبى يجمعهم ويحقق بينهما التوازن .. فمثلا لا يستطيع الزوج أن يشتري شيئا أو يبيع شيئا أو يتصرف فى امر من امور الأسرة الا بموافقة زوجته واذا رفضت لا يستطيع أن ينفذ شيئا ولكن فى نفس الوقت تحرص الزوجة على أن تكون موافقتها تحقيقا لرغبته وان لا ترفض ما يريده . فالزوج ملتزم أدبيا بالحصول على موافقتها أولا وهى ملتزمة أدبيا بالحرص على أن تكون موافقتها مطابقة لرغبته . والزوج ملزم بأنه لا يتدخل فى ميزانية الأسرة ولا يحاسب زوجته المسؤلة الوحيدة عن الميزانية والزوجة فى نفس الوقت ملتزمة بالحرص على الميزانية وعدم الاسراف فيها حتى تكون أهلا لثقتهم وأثمنانه .

وفى شهر رمضان المبارك .. تنشغل الزوجة دائما باعداد موائد الطعام للأسرة والضيوف والبيت الصومالى عموما لا يفطر الا على بضع حبات من التمر وفنجان من القهوة أو الشاي ثم يصلون المغرب .. وبعد صلاة المغرب يتناولون الافطار العادى المكون من شوربة القمح والدسييسة دسور وهى تصنع من القمح المدشوش .. وبجانبه اللحم والبن والاحتفال بالعيد فى الصومال رائعا . فبعد صلاة العيد وتناول طعام الافطار الذى يقدم فيه الكعك والفطائر يخرج الناس رجالا ونساء الى الشارع حيث تقام حفلات الغناء فى كل مكان .. فيرقص الشباب رقصة (داننو) وينشدون قصائد (كباير) .

والزى الوطنى الصومالى للمرأة عبارة عن أربعة أمتار من القماش تلف حولها بطريقة معينة ثم تضع على رأسها غطاء من الحرير الملون وتلفه بطريقة خاصة حول الرأس ويسمى (الجونتينا) . (والجرباسار) هو نوع من اكنار ..

وهناك بعض الاعياد والاحتفالات التقليدية الشعبية القديمة كعيد فرعون الماخوذ عن مصر القديمة وعيد الاستسقاء أو جلب المطر مأخوذ عن الزوج والاحتفالات والابتهاالات بعد سقوط الامطار ويسمى عيد الخصوبة ومأخوذ عن البانتو وعيد البذر والخصاد ومأخوذ عن مصر القديمة واحتفالات الزار من شعب ارقريسا .

وقد اختلفت معظم هذه العادات وأصبحت مجرد رمز للماضى ويرجع الفضل الى الدين الإسلامى الذى يحارب البدع والخرافات من ناحية . وجهود الحكومة الصومالية ورجال الدولة المثقفين فى توعية الشعب عن طريق الصحف والإذاعة والمحاضرات لنبذ العادات التى تشين المجتمع الصومالى كمجتمع اسلامى راق .

كيف نرغب الشباب في الرحلات الداخلية

الأستاذ ناصف سليم

تقول المسابقة :

من أراد أن يتحدث عن هذه الموضوعات فليقدم :

١ - مصر .

٢ - المسيح عليه السلام .

٣ - كيندى الرئيس الأمريكى الأسبق .

وتتبع المصريون المسابقة . . لان مصر . . موضوع من موضوعاتها . وتقدم شباب واثق من نفسه للحديث عن مصر ، وآخر للحديث عن المسيح ، وثالث للحديث عن كيندى . . وتستمر المسابقة عدة شهور ، يلتقى الثلاثة على الشاشة الصغيرة ، وعلى الهواء مباشرة ، ليتلقى خمسة أسئلة فى كل مرة فى نفس الموضوع الذى اختاره ، مصر أو المسيح أو كيندى .

وتسجل لكل منهم « فقط » على قدر اجاباته الصحيحة فى كل مرة . . ويصبح الجمهور على آخر من الجمر اذا كان متعصبا لموضوع معين . . يتأثر اذا أخفق صاحبه ، ويهلل اذا أجاب اجابة صحيحة . .

. . وفى نهاية المسابقة يفوز متسابق مصر . . الشاب الصغير الذى يدعى خوسى لويس بونديا : ويكسب جائزة مادية قدرها مليون « بيزتا ! أى ما يساوى خمسة آلاف من الجنيهات ، وتمنحه حكومة اسبانيا اجازة مدة اسبوع يقضيه فى برشلونة ، وتكلفه باعداد بحث عن مصر يطبع على نفقة الحكومة . .

تهتم وسائل الاعلام الحديثة بالنواحي الثقافية والرياضية اهتماما واضحا فى كل بلاد الدنيا . . أن وسائل الاعلام المتطورة التى اصبحت قادرة على نقل الصورة والكلمة المسموعة على موجات الاثير لم تعد رسالتها قاصرة على اذاعة خبر . . أو أغنية ، بل هى مدرسة واسعة الافاق ، قادرة على تثقيف الملايين من البشر فى وقت واحد . .

ومن هنا ، أصبحنا نجد تنوعا فى برامج التلفزيون والاذاعة ، ونشاهد افلاما ثقافية محضة ، لا تدخل لها بالتسلية أو الترفيه . . بل هى علم : صيغ فى قالب مشوق ، أو قصة مثيرة . .

وأصبحنا نرى قنوات خاصة للنواحي الثقافية ، وبرنامجا فى الاذاعة لا يتجاوز اختصاصه هذه الناحية بالذات . . ولقد كان أروع ما شاهدت فى اسبانيا ، برنامجا تلفزيونيا يترقبه الملايين من شباب اسبانيا والبلاد المجاورة لها ، تلك البلاد التى تستطيع أن تشاهد البرامج التلفزيونية الاسبانية دون أن ينتقل مشاهد من مكانه . .

كان البرنامج عن مصر . . ولم تكن مصر مقصورة لذاتها ، ولكنها كانت فقرة فى مسابقة ضخمة أعلن التلفزيون الاسباني عنها . . والمسابقة عبارة عن مباراة بين ثلاثة ، من يثق فى نفسه ومقدرته الثقافية ، ومعرفة بالموضوع ، عليه أن يتقدم لها . .

وخوسى لويس جدير بوضع هذا البحث ، فما نذكره من معلومات عن مصر ، يعجز أى شاب مصرى عن ذكره .. انه سئل فى احدى المسابقات عن عدد اعمدة معبد الكرنك فى الاقصر ، فذكرها بالضبط ، كما وردت فى كتب السياحة والآثار ..

وكان المصريون مشاهدو البرنامج أنفسهم ، فى عجب ، وهم يستمعون الى معلومات عن بلدهم ، هى بالنسبة لكل منهم جديدة ، يسمعون لأول مرة . وسئل الشباب الاسبانى ، عن سر اهتمامه بمصر فقال :

انه مجرد هاو للثقافة .. ورأى ذات يوم كتابا عن مصر ، فاشتراه وقرأه جيدا .. بالاضافة الى انه يعجب بها ، وبآثارها .. وتقاليدها ، وشغوف بالاطلاع على تاريخها ..

ومن هنا دعته السفارة العربية بالاشتراك مع معهد الاسلامى فى مدريد لزيارة مصر ليشاهد ما قرأه فى الكتب على الطبيعة .. وليعيش فى جوها الساحر ، وأنا واثق انه سوف يخرج بمعلومات أكثر مما قرأ ، وما رآه كمن سمع .. كما يقال ..

• • •

ولقد ذكرت هذه القصة ، كمقدمة طويلة لما أريد أن أقوله بمناسبة .. احتفال مصر والعالم معها ، بانتهاء العمل فى السد العالى .. السد العظيم الذى هو مفخرة للعرب اجمعين ، ورمز لكفاح الشعب واصرار ، وتضحياته من أجل مستقبله ..

أريد أن أسأل :

— كم عدد الرحلات الداخلية التى قام بها الشباب الى موقع السد ؟

— كم تبلغ نسبة الشبان الذين طافوا بمعالم مصر .. والذين شاهدوها على الطبيعة : وليس من الكتب ؟

الحقيقة أن الاجابة على هذين السؤالين ، ستعطينا حقيقة هامة ، ومؤسفة فى الوقت نفسه ، وهى أن شبابنا لا يهوى السياحة الداخلية .. وإذا لجأنا الى العلم ومن مبادئه الاحصاء ، لاهبطنا حقيقة أخرى أشد أسفاً ، وهى أن الذين سافروا من شباب بلدنا الى أوروبا فى الصيف الماضى ، يزيد عددهم كثيراً .. وكثيرا جدا عن الذين قاموا برحلات داخلية ، للوقوف أولا على معالم بلدهم العزيزة الغالية ، التى تحدث عنها شباب أسبانى بأكثر مما يعرفون ..

.. ولو كنت من الاجهزة المعنية بالشباب ، لاشتريت فيمن يرغب فى السفر الى أوروبا كسياحة

من طلبة المدارس والجامعات ، أن يكون قد قام بأكثر من رحلة داخلية .. وهذا الشرط سوف يحقق بلاشك أكثر من فائدة أهمها :

● تنشيط السياحة الداخلية التى تكاد تكون منعدمة فى بلدنا على مستوى الشباب .

● تزويد الشباب بالمعرفة قبل أن يسافر الى أى بلد أجنبى ، والمعرفة من الواقع والطبيعة ، أكثر هسقا للانسان وأشبع زادا من المعرفة المستقاة من الكتب .

بالاضافة الى أهمية الرحلات من الناحية الصحية والنفسية ، لانها خروج على الحياة الرتبية المرفهة التى تصيب النفس بالسأم ، والجسم بالخمول ..

وما أكثر المواقع الساحرة فى بلدنا الجميل ، صيفا وشتاء ، انها كثيرة ولا غنى للانسان عن مشاهدتها ، والحياة فيها لبعض الوقت ، وأذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

● البلاد الواقعة على شاطئ البحر الاحمر .. والطرق اليها أصبحت مسيرة وسهلة من الغردقة وسفاجية ، والقصور .

● شاطئ البحر الابيض من الاسكندرية حتى السلوم ، هناك .. سكان ومواقع غاية فى الجمال ..

● أسوان والاقصر ، وما فيهما من معالم حديثة وقديمة يتحدث عنها العالم .

● هناك فى الفيوم والمنيا آثار ، لم يمرها الكثيرون الذين لا يعرفون أكثر من الاهرام وأبى الهول ..

وليس امام شبابنا أية عقبات فى سبيل السياحة الداخلية ، فالدولة قد وفرت الكثير من الامكانيات لتشجيع الشباب على الرحلات وأهمها :

● أن كل عشرة يسافرون كجماعة من هيئة واحدة ، لهم تخفيض فى السكك الحديدية يصل الى ٥٠ فى المائة .

● أن كل عشرين معالهم تخفيض يصل الى ٦٦ فى المائة .

فإذا ما علمنا ، أن من الممكن ، أن تتبادل المحافظات المجموعات الشبابية ، بحيث تستضيف كل محافظة ما يصلها من مجموعات من المحافظات الأخرى ، عرفنا أن اطلاع شبابنا على معالم بلده أمر سهل .. ولكن ذلك يحتاج الى قيادات تضع خطة العمل ..

مع القراء

إعداد: فؤاد هيت

ان العالم كله يتطلع اليوم الى ما تشهده منطقة الشرق الاوسط من صراع يقوم اساسا : على الاطماع التوسعية الصهيونية بمساندة الامبريالية العالمية .
ومعلوم ان التاريخ قد شهد الكثير من هذه المؤامرات التي دارت رحاها على المستوى العالمي ، وكان حكم التاريخ عليها - دائما - صادقا وامينا وقاطعا ... وهو ان هذه المؤامرات لامناص لها من الفشل والتسليم امام الحقائق الاصلية والامة العريضة ...
صاحبة السيادة على ارضها شفاء الاستعمار - او لم نشأ الصهيونية ...
وفي هذه الايام تشهد الامة الاسلامية مسيرة تاريخية خالدة ، حدد الله تعالى شأنه - زمانها وابان بحكمته العاليه مقاصدها ، وجعل بيته الحرام قبيلتها ، حتى تكون اللقاءات والقرارات كلها تهدف خير الانسانية ...

وما احوج الامة الاسلامية الى تحقيق هذه اللقاءات واتخاذ مثل تلك القرارات التي امرهم الله بها .. بعد تادية مناسك الحج .. فان المسلمين الذين يتجهون اليوم الى الكعبة المكرمة لا بد وان يذكروا المسجد الاقصى ويذكروا فرضية الجهاد وما عليهم من التزامات تجاه اخوانهم اللاجئين والمهاجرين ، وانهم كممثلين لشعوبهم ودولهم عليهم عبء تعبئة امهم بما يجب عليهم تجاه اخوانهم ومقدساتهم لان المؤامرة عامة وشاملة ولان اليهود الصهاينة يخططون ويحكيون المؤامرات ضد الانسانية جمعاء حتى ضد من يساندونهم لانهم لا يؤمنون بأى حق من سواهم كما نصت على ذلك بروتوكولاتهم وتلمودهم ...
فالقوى الاستعمارية تعلم تمام العلم ان الامة الاسلامية والعربية غنية بابطالها قوية برجالاتها ، عزيزة باقتصادياتها وعقيدتها ومن ثم كان وجوده مرتبطا بالتفكك ونهايته نتيجة حتمية للوحدة ...
وابغ شاهد على ذلك ما ابدته الدوائر الاستعمارية من مخاوف وقلق تجاه دول ميثاق طرابلس كطليعة قيادية لفيالق التحرير ورائدة للوحدة الشاملة ...

والايام التالية سنثبت لاعداء الانسانية اننا - باذن الله - لاهدافنا لبالفون ، ولارضنا لحررون ، ولواطننا لعدائون ، وبقيمنا مؤمنون ، وعلى طريق النصر سائرون ...

اضواء على قضية فلسطين

يجمعها في رسالة الكاتب الاديب عيسى الرحمن عباس أبو الحمد مدرس باولاد الشيخ شرق جرجا .
مستعرضا تاريخ الحركة اليهودية الصهيونية تجاه اسرائيل قائلا كي لا ننسى الوطن العزيز الذي تآمر عليه الاستعمار والصهيونية ليستعجم بعد عروبة وان يكون معقل عدوان وبغى ووكر فتنة وشر بعد ان كان دار سلام وحب ورحمة .. ثم يتحدث الكاتب عن العوامل التي ساعدت على قيام اسرائيل من خصوم البلاد العربية للاستعمار وانصرافها تحت الضغط عن معالجة المشكلة في مهدها ، وسيطرة اجهزة الدعاية في الدول الغربية الكبرى وقيام الحرب العالمية الثانية ثم يتحدث عن طبيعة الفكر المتأصلة في نفس اليهودي الصهيوني .. ويفند الفرية التي يزعمها المروجون لاسرائيل من القول بالقومية اليهودية بان اساس القومية هو وحدة اللغة والجنس والمعادن والتقاليد مثل القومية العربية ، ومعلوم ان اليهود يخضعون طبقا لقانون الوراثية الى دول كثيرة لا تربطهم رابطة فكرية او جنسية او لغوية فهم خليط من اسيا وافريقيا واوروبا تملكهم نزعة ارضية لتحقيق ما يريدون ...
وانا لهم ولاكارهم لناهضون ...

المقاومة العربية

حول دعم المقاومة وتأييدها ومساندتها كطلائع تحرير الارض المفتصة يتحدث الاديب محمد عبد الستار ابراهيم الطالب بدبلوم معهد المعلمين بذكرنس دقهلية قائلا :

يا اخي العربي املي - كل الامل - كبير في ان تكون عونا لافئك في المروية والدم والهدف لافئك الفدائين .. لا فاتكا لدمائهم الغالية التي تستصرخك ان تتركها ليوم الفداء الاكبر .. الذي فيه ستعود الارض السليمة وترد الكرامة المستباحة لابناء العروبة اجمع وابناء البلد الشقيق الجريح السليب ، ابناء فلسطين الذين يصرون على العودة الى فلسطين ...
من الفكر والقلب

وشخصية الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي رسالة بعث بها الاديب رمزي حجي عزو عقراوى من العراق - الموصل - عقرة .. حيث يقول :
لقد ظهر في الاونة الاخيرة كتاب ثمين جدا الا وهو كتاب من الفكر والقلب لمؤلفه الشيخ الجليل محمد سعيد رمضان البوطي وهو من خبرة الكتاب المجيدين في ميدان النقد والدين والادب ... الخ .

وكتابه هذا يجنوى على مواضع شتى فالقسم الاول بعنوان علوم واسلاميات انباء العلوم والرحلات القضائية النظرية التي سرقت من الفزالي ، الموالى في اللغة والتاريخ ، التفسير والتخريف في حياة الانسان . التهج العلمي والديني القيم الروحية .. والقسم الثاني بعنوان مشكلة الحضارة ، مشكلة البحث والنقد ، حق المرأة ، مقاييس النصر .. والقسم الثالث بعنوان كتب وشخصيات ، الساعة الخامسة والعشرون وشخصية السباعي وسعيد النورسي ، محمد خضر حسين ...

ويتحدث الكاتب عما يعانيه اللاجئون بقوله .. هل حصل مثل هذا في تاريخ الانسان القديم ، في ظل محاكم التفتيش ، في ظل طفيان التتر والمفول .. الا فلتخرس تلك الاصوات التي تزعم انها تنصر لحرية الانسان وتحرس حقه وكرامته وعلى راسها امريكا ...

بريد التعارف

الاسم : الزكي جمال
البلد : المغرب
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وتبادل الأفكار
العنوان : الرقم ١٣ شارع
شكيب أرسلان زجنان
الشفوري المغرب



الاسم : محمد قسول
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب بمعهد البلدي
الاسلامي
الهواية : مطالعة الكتب الدينية
وتبادل المناظر الطبيعية
والهدايا
العنوان : فندق عيسات بدير
٢ شارع فلانير البلدية



الاسم : ابراهيم العزلي التركي
البلد : ليبيا
السن : ٢٠ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة
العنوان : طرابلس ليبيا ص .
ب ٣٧٠٣



الاسم : طلبه توفيق
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ٢٠ سنة
المهنة : ضابط بالبحرية
الجزائرية
الهواية : قراءة المجلات الدينية
وجمع الطوايع والمناظر
الطبيعية
العنوان : عمارة «ب» شقة ٥
رقم ٨ حي باتريس
لومبيا عنابة الجمهورية
الجزائرية



الاسم : سامي عبد الرحمن
كامل
البلد : الجمهورية العربية
المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب ثانوي معهد
شبين الكوم
الهواية : قراءة الكتب الدينية
العنوان : الحامول - سنوفه -
المنوفية



الاسم : محمد دواجي عده
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وتبادل
المناظر
العنوان : مزونة « مستغانم »
الجزائر



الاسم : سمير محمد عناني
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٢ سنة
المهنة : طالب بكلية الهندسة
جامعة اسيوط
الهواية : الاطلاع والرحلات والمراسلة
العنوان : ٩ شارع عمر بن عبد العزيز اسيوط



الاسم : سعيد محمد محمد رضوان
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب
الهواية : تبادل الطوابع والاطلاع
العنوان : خط السويس كوبري كسفرية



الاسم : محمد محمود علي يوسف
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب ثانوي بالازهر الشريف
الهواية : قراءة الصحف والاهتمام بالسياسة الدولية
العنوان : شارع الجلاء - منوف



الاسم : شريف بدر الدين
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب بكلية الاقتصاد
العنوان : ٣٦ شارع جمال الدين دسوقي المازة



الاسم : عطية عبد الوهاب الجمل
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢١ سنة
المهنة : طالب بكلية المعلمين بالقاهرة
الهواية : المراسلة التعارف قراءة منبر الاسلام
العنوان : كفر كلا الباب السنطة الغربية



الاسم : سيد احمد فراج
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب
الهواية : مطالعة الكتب والمجلات
العنوان : جرجا المعهد الديني



الاسم : عبد العزيز سلامة شريف
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب بالتجارة الثانوية بالاسكندرية
الهواية : المراسلة والاطلاع
العنوان : شارع الهواري النزه الاسكندرية



الاسم : مرزوق عبد التعم مرزوق
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب
الهواية : قراءة الكتب وتبادل الهدايا والطوابع
العنوان : القناطر الخيرية المساكن الشعبية بلوك ٤ مدخل ٢



معالم الطريق : معالم الطريق . نص خطاب السيد الرئيس أنور السادات بطنطا في ١٩٧١/١/٢٥

نص خطاب السيد الرئيس أنور السادات في اسوان في ١٩٧١/١/١٥
حديث السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية الى منبر الاسلام

اعد : عبد العظيم المهدي
حديث مع السيد يوسف رسول ابو بكرسفير القليلين بالقاهرة

الفقه - التشريع الابحاث - الدراسات الصوفية في الاسلام

- ٢٠ الاستاذ أحمد حسين
- ٢٥ فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى
- ٣٠ الدكتور أحمد الحوفي
- ٣٢ فضيلة الشيخ محمد خاطر
- ٣٤ الاستاذ أحمد زين
- ٣٦ الاستاذ مهدي عبد الحميد مصطفى
- ٤٠ الاستاذ محمد دياب
- ٤٣ المستشار عبدالستار آدم
- ٤٥ فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم
- ٤٧ الاستاذ عبد المنعم المغربي
- ٤٩ الشيخ محمد حافظ سليمان
- ٥٢ الدكتور عبد الفنى الراجحي
- ٥٥ الدكتور أحمد الشرياهي
- ٥٩ الاستاذ حسن كامل المطاوى
- ٦١ الدكتور عبد الله شحاتة
- ٦٤ سماحة مبشر الطرازي الحسيني
- ٦٦ الدكتور بدوى طبانة
- ٦٨ الشيخ مصطفى الحديدي
- ٧٠ الدكتور عز الدين على السيد
- ٧٢ دكتور عبد المجيد محمود عبد المجيد
- ٧٥ دكتور تمام حسان
- ٧٩ الشيخ محمود الحصري
- ٨٠ الاستاذ محمود السعيد الطنطاوى
- ٨٢ الشيخ عبد الحكيم سرور
- ٨٥ الشيخ زكى حسن السيد
- ٨٦ الاستاذ محمود ابوالفيض المتوفى
- ٨٩ فضيلة الشيخ عطية صقر
- ٩١ الاستاذ عبد المنعم الادفوى
- ٩٤ الاستاذ عبد المنعم حمادة
- ٩٩ الاستاذ عبد الحكيم التجار
- ١٠١ فضيلة الشيخ معوض عوض ابراهيم
- ١٠٣ الدكتور مصطفى الراقى
- ١٠٤ فضيلة الشيخ أحمد البسيونى
- سورة الليل ومشكلة القضاء والقدر
- انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
- معاني السماء في القرآن الكريم
- من احكام الشريعة الاسلامية وادابها
- الطريق الى الله
- صور من التعاطف بين الاسلام والمسيحية
- حول مشكلة الاستشراق
- الشريعة الاسلامية وحرة المنازل
- من قصص السنة [رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم]
- السنة كمصدر من مصادر التشريع الاسلامي
- صور من الصبر الجميل
- براعة الاستهلال وروعة الاساليب
- من اخلاق القرآن [الاعتبار]
- الصوفية في الهاجم
- مع القرآن الكريم
- الجهاد والجنسية في تعاليم الاسلام
- الصبر بين فضائل الانسان
- انماط من السلف الصالح
- دقة التشبيه في البيان النبوي
- المعتقدات اساس التشريع الاسلامي
- المقال والمقام
- قوامل القرآن الكريم
- عدالة التوريت في الاسلام
- من كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم
- الدعاء في الاسلام
- الاسلام والحضارة العالمية
- دور الدين في تاريخ الزعامة المصرية
- التوكل على الله
- الحج في الإسلام
- قاصد عرفات الله
- حديث الى وفد الله
- من وحى عرفة
- الخطبة الجامعة في حجة الوداع

الحج

١٠٨	الدكتور علي حسن عبد القادر	الجوانب الروحية والاجتماعية في الحج	١١٠
١١٠	الاستاذ أحمد السيد وافي	تأملات وآمال في الحج	١١٣
١١٣	فضيلة الشيخ عبد الحميد بليغ	الأيام العشرة	١١٦
١١٦	فضيلة الشيخ السيد خليل الجراحي	العيد الأكبر	١١٩
١١٩	بطنطا	بقية خطاب السيد الرئيس أنور السادات	١٢٢
١٢٢		بقية خطاب السيد الرئيس أنور السادات بأسوان	١٢٤
١٢٤		بقية حديث السيد حسين الشافعي إلى منبر الاسلام	
١٢٨	دكتورة سمادة ماهر	تطور العبادات الدينية بتطور وظائفها	١٣١
١٣١	الشيخ الصاوي شعلان	البستاني وضيوفه الثلاثة [قصة العدد]	١٣٣
١٣٣	الشاعر أحمد عمر هاشم	ليبك يا الله	١٣٤
١٣٤	الشاعر محمد سليم حامد غالي	الفداء	١٣٦
١٣٦	الشاعر محمود محمد بكر هلال	الى حجاج بيت الله الحرام	١٣٧
١٣٧	الشاعر عبد الباري أبو العنين	من عبر التسمات الحجازية	١٣٨
١٣٨	الشاعر أحمد عثمان المراغي	رسالة الى اخي في الجبهة	١٣٩
١٣٩	الشاعر حسن صالح	نداء فلسطين	١٤٠
١٤٠	الشاعر محمد خليل الخطيب	اثارة الغرام لحج بيت الله الحرام	١٤٢
١٤٢	الاستاذ قاسم غالب أحمد	من تاريخ الشعب [بنو طاهر]	١٤٤
١٤٤	الشاعرة روية القليني	ما ينقذ الاك	١٤٦
١٤٦	تقديم فؤاد هبيرة	قراءات وطرائف	١٤٨
١٤٨	الاستاذ محمد المتولي النفاي	دين ودينيا	١٥٠
١٥٠	الاستاذ علي الجندي	قطوف	١٥٤
١٥٤	الاستاذ عبد الفتاح العدوي	تحولات في المجتمع الدولي	١٥٨
١٥٨	الاستاذ محمد فرج	دراسة عسكرية [يوم الاعشار]	
١٦٢	دكتور عزت خيرى	دلائل الحق في عظيمة الوجود	١٦٤
١٦٤	دكتور عبد الحليم كامل	ونى انفسكم افلا تبصرون	
١٦٨	الاستاذ صلاح عزام	باب العلم	١٧٠
١٧٠	الاستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى	اعلام الاسلام	١٧٢
١٧٢	الاستاذ عبد المقصود حبيب	السيدة فاطمة الزهراء	١٧٥
١٧٥	الاستاذ جودة محمد أبو يزيد المهدي	جعفر بن ابي طالب	١٨٠
١٨٠	الاستاذ عبد العزيز صالح رضوان	ابو حنيفة الغزالي	١٨٢
١٨٢	الاستاذ سعد عبد السلام حبيب	الكعبة شاعر آل البيت	١٨٣
١٨٨	عرض الاستاذ على الجبلطى	مهالقة وإبطال [بلال بن رباح - خباب بن الارت وعمار بن ياسر]	١٨٨
١٩٠	عرض الاستاذ محمد فاوى عسر	المكتبة الاسلامية	١٩٠
١٩٢	عرض الاستاذ ابراهيم الفحام	من كتاب الحضارة العربية	١٩٢
١٩٤	عرض : الاستاذ فتحى الابيارى	اثر القرآن في تحرير العغل البشرى	١٩٤
١٩٧	فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد الفحام	المطريق الى الله	١٩٧
١٩٩	اعداد نجات الزنيرى	الافتاء - الرياضة	٢٠٢
٢٠٢	الاستاذ ناصف سليم	المرأة المسلمة -	٢٠٤
٢٠٤	اعداد فؤاد هبيرة	القراء - التعارف	٢٠٥
٢٠٥		بريد القراء	
		التعارف	



المجلس الأعلى للشئون الإسلامية



لجنة القرآن الكريم

نزول على رغبة المواطنين واستجابة لنداء الطلاب والخطباء التي وردت للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية من السفارات والهيئات المختلفة والجمعيات الإسلامية في قارة إفريقيا وآسيا وبعض دول أوروبا وأمريكا اللاتينية

يسر لجنة القرآن المرتك أن تعلن عن بيع :

اسطوانات القرآن المرتل

رواية حفص عن عاصم

ترتيل الشيخ : محمود خليل الحصري

باللفظ الفاخر : ٧٩٦ ملصق ٤٣ جنيه

باللفظ العادي : ٣٢٢ ملصق ١٩ جنيه

٤٤
اسطوانة
سرعة ٣٣ لفة
في الدقيقة

رواية ورش عن نافع

ترتيل الشيخ : محمود خليل الحصري

الشمع ١٥٠ ملصق ٣٥ جنيه

٦٨
اسطوانة
سرعة ٣٣ لفة
في الدقيقة

أن يعلن عن بيع
مطبوعات

باللغة العربية واللفظ الأدبية

١ مطبوعات

لجنة القرآن والسنة

٢ مطبوعات

لجنة موسوعة الفقه الإسلامي

٣ مطبوعات

لجنة إحياء التراث الإسلامي

٤ مطبوعات

لجنة إحياء أمهات كتب السنة

٥ مطبوعات

لجنة التعريف بالإسلام

خصم خاص للمؤسسات
والهيئات والمكتبات

مقر البيع الوحيد بالقاهرة :

٣ : شارع الأمير قنديل

فلت عمارة بحريه جيلان التحرير القاهرة

مواعيد العمل :

من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا

ومن ٦ مساء إلى ٨ مساء

كما يسر اللجنة أيضا أن تعلن عن بيع مجموعة اسطوانات تعليم الصلاة باللغات العربية والانجليزية والفرنسية والأوردية والسومالية

الاسطوانة الأولى : شاملة الأذان

الاسطوانة الثانية : تشمل كيفية الوضوء

والخمس اسطوانات الأخرى :

على كل اسطوانة صلاة من الصلوات الخمس وأمام

كل اسطوانة كتيب يشرح كل فريضة باللفظ والصورة .

الشمع ٥٠ خمسون قرشا

المجموعة تحتوي على

٧
سبع اسطوانات

الاحسان : القاهرة : مخازن القرآن المرتل ٧٦ شارع الجمهورية ت : ٩١٧٠٨
الاسكندرية : فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٩ سه سعد زغلول ت : ٣٨٦٢٢

مواعيد البيع : من الساعة ٩ صباحا - ٢ مساء ومن ٥ - ٩ مساء
عاما أيام الجمع والعطلة الرسمية

مطابع الاحرام التجارية